

فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فَيُنبئون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و٥ مناراء كثار الطريق

مصر ٢٩ شعبان ١٣٣٤ — ٨ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ٣٠ يونيو ١٩١٦

فاتحة السنة التاسعة عشرة للهجرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الحمود على كل حال ، عالم الغيب
والشهادة الكبير المتعال ، قوي المحال عظيم النوال ، تعطي من تشاء ولو بغير
سؤال ، وتحول ما شئت من حال الى حال ، قوة بعد ضعف ، وغنى بعد
فقر ، وعز بعد ذل ، وكل ضد يعقبه ضد ، فما رفع الله شيئا الا وضعه ،
ولا وضع شيئا الا رفعه ، وكل شيء عنده بمقدار (١٣ : ١٢) ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له
وما لهم من دونه من وال ()
نحمدك اللهم بالقدو والآصال ، ونصلي ونسلم على محمد خاتم رسلك وآله

وصحبه خير صحب وآل، وعلى من تقدمه وتقدمهم من النبيين والمرسلين،
ومن تأخر عنهم من الصديقين والشهداء والصالحين، واهدنا اللهم
صراطهم المستقيم في الدنيا من الاخلاق والاعمال، (١٤: ٢٣ من قبل
أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال)

أما بعد فإن المنار يذكر قراءة على رأس عامه التاسع عشر، بأن
يعتبروا بما نزل بأقوى أمم البشر، من آثار عزته تعالى وقوته، ومظاهر
عدله وحكمته، الدالة على انه هو الذي يغير ولا يتغير، ويبدل ما شاء بما شاء
ولا يتبدل، وأن الامن من مكره غرور ووبال، والقنوط من رحمة كفر
وضلال، وأن القوة لا تغلب الحق، ولكنها قد تكون بالحق وللحق ومن
الحق، وان الحق ليس بمجرد دعوى اللسان، ولا مجرد ما يجري عليه الناس
من عرف واصطلاح، فحق الملك وسياسة العباد، لا يجب أن يورث
عن الآباء والاجداد، وانما أحق الناس بأمر الناس، من كان أنفعهم
للناس، واقامة سنن الله تعالى في الاجتماع (١٨: ١٣) أنزل من السماء ماء
فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رايها، ومما يُوقدون عليه في
النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله، كذلك يضرب الله الحق والباطل،
فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض،
كذلك يضرب الله الامثال)

ثم يذكرهم على عادته بما طرأ على سير الاصلاح، بعد أن خففت
أصوات المعارضة في جميع الاقطار، وهو شيء حدث في هذه الديار،
ذلك بأن فيها كغيرها أناسا اغتروا بمظاهر القوة المادية، فاحتقروا قوى
العقائد والنضال الروحية، وفتنوا بتقليد الاقوياء بما هو من آفات للقوة

ومفاسدها ، لا من أسبابها ولا من محامدها ، كالسرف في الزينة
والترف ، والالتباس في الشهوات واللذات ، وأعجب أمرهم أن منهم من
يدعون الدعوة إلى الإصلاح ، والصعود بالضعفاء إلى مستوى الأقوياء ،
أولئك هم الملاحدة المتفرنجون ، الذين يفسدون في الأرض ولا
يصلحون ، وإنما حاجتهم على عامة المسلمين ، سوء حال كثير من المعممين ،
وتذللهم للامراء والحاكين ، وذهمهم بعصية الدين ، وإن هؤلاء الملاحدة
لقوة من غيرهم لا من أنفسهم ولكنهم يعترفون بها ، وإن منهم من يكيدهم
للمؤمنين مكايده لا يفتنون لها ، وإن للمؤمنين لقوة ذاتية ولكنهم غافلون
عنها ، وإنما بقاء الباطل في غفلة الحق عنه ، فإذا قذف عليه دمه ، وإن بقاء
الباطل لا إلى زوال (٢٥١ : ٤٠) وما كيد الكافرين إلا في ضلال)

قد كان ملاحدة قطرنا هذا أجنب ملاحدة المسلمين وأخوفهم من
أظهار الكفر ، على كونهم أجراً على الجهر بالفسق ، ثم تجرأ أفراد منهم
منذ سنين على التصريح به أو ببعض لوازمه في الجرائد ، بعد طول
المهد على تصريح الكثيرين بذلك في المجالس ، ومنهم من ألف كتباً
أو رسائل في ذلك ، ثم بلغنا في العام الماضي أنهم ألفوا جمعية لأجل التعاون
على تشكيك الناس في الإسلام وجذبهم إلى الإلحاد ، والظعن في عقائد
الدين وآدابه وأحكامه ولا سيما الآداب والأحكام الخاصة بالنساء .
وأنشأوا لهم صحيفة لئس الدسائس ، وبث الوسائس ، وتوجيه
الغفارة فيها إلى نابتة المدارس ، وبناء دعوتهم على قاعدة التشويه للقديم
والصدق عنه ، والتنويه بالجديد والترغيب فيه ، وإن لهم لآ نصاراً في القصور
والدواوين ، وفي المدارس واكبر معاهد الدين ، وقد استفادوا من تقييده

حرية المطبوعات بسبب الحرب ، ما كفوا به أقلام من تصدّى لاجباط بعض
 دسائسهم من أهل الحق ، وأنهم ليختلبون ألباب المختلين من الشبان والشابات ،
 بما ينمقون من زخرف الشبهات ، (٢ : ٢٠٣) ومن الناس من يُعجبك قوله
 في الحياة الدنيا وَيُشْهَدُ اللهُ عَلَى مَافِي قَلْبِهِ وَهُوَ الدُّخَانُ الحِصَامُ ٢٠٤ وإذا تولى
 سعى في الأرض لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الفُسَادَ)
 فهذا قد وجب على أهل الإصلاح أخذ الالهة لجهاد جديد ، هو
 أشد من جهاد أصحاب الخرافات والتقاليد ، فان أصحاب الخرافات عزّل
 وهؤلاء الملاحدة مسلحون ، وأولئك ضعفاء متفرقون ، وهؤلاء أقوياء
 مجتمعون ، وأولئك غافلون متواكلون ، وهؤلاء أيقاظ حذرون ، فاذا جاهد
 أهل الإصلاح أباطيلهم بمثل ما يجاهدون به الحق ، من الاجتماع والتعاون
 والحزم ، كانوا حزب الله الغالبين (وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهُ
 لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ : ٥١) إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
 يَقُومُ الشَّهَادَةُ ٥٢ يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار)
 إن هؤلاء الملاحدة لا يخافون من الأزهر وما يتبعه من المعاهد
 الدينية ماداموا يدعون الإسلام بالسنتهم ، بل لا يعدمون هنالك أولياء
 وأنصاراً لهم ، لما بين نفاق الاعتقاد ونفاق الاعمال ، من رابطة
 التناسب والاتصال ، ويقال ان لجمعية الاتحاد الجديدة ركناً في الأزهر
 ركنياً ، وإنهم بذلك أوشكوا ان يحد ثوابه حدثاً مبيناً ، ولكنهم لم يصيبوا به
 الا خذلاناً وفشلاً مبيناً ، ولان كلامهما يؤثر المنافع الخاصة ، ويتوسل اليها
 بما في يده من المصالح العامة ، ولان أكثر الأزهريين ، لا يُعنون بالنظر
 في مكتوبات المتفرنجين ، وما كل من ينظر فيها ، يفهم المراد منها ، وما

كل من يفهم أن فيها طعناً على الدين يهتم بالدفاع عنه ، وما كل من يهتم منهم بذلك يقدر عليه ، وما كل من يقدر عليه يقوم به . — لأجل ذلك كله لا يحسب هؤلاء الملاحدة للآزهريين حساباً ، وقد يكذب الآزهر ظنهم فيه كذباً ، وإنما يخافون من رجال الإصلاح سواء كانوا من الآزهر أو من غير الآزهر لأنهم أقدر الناس على اظهار عوارهم ، وتقليم أظفارهم ، ولأن كل ما يزعمونه ويتقربون به الى الامة من السعي الى ترقيتها وتمدينها ، قد سبقهم اليه طلاب الإصلاح الاسلامي مع المحافظة على مقومات الامة ومشخصاتها ، وإنما أركانها الدين واللغة والمعادن والازياء ، وهم يحاولون هدم ذلك كله بلا استثناء .

واضرب لهم مثلاً ما قاله أحد الظرفاء مفاكها للاستاذ الامام — وهو في مرض موته — قال: ان طريقتك في تفسير القرآن قد أضرت الامة أعظم الضرر! قال الاستاذ لماذا؟ قال لانها أبانت للناس أن الدين موافق للعقل والعلم وركن من أركان المدنية ، فتعذر علينا ما كنا نحاول من هدمه بدعوى انه عقبة في سبيل ترقينا في دنيانا. فمن هذه الجملة التي عبر قائلها عن خدمة الاستاذ الامام العليا للدين وللمسلمين ، ينجلي لنا رأي هؤلاء الملاحدة في الإصلاح والمصلحين (١٤ : ٢٧) يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) من أجل هذا كانت مدرسة الدعوة والارشاد قذى في أعينهم ، وشجى في حلوقهم ، وطخا على قلوبهم ، وما زالوا يكيّدون لها ، حتى حالوا دون أعظم اعانة كانت تنتظرها ، وقد كان أشدهم سعياً وسعاية ، أشدهم استهزاءً بالدين وزرارية ، ذلك الذي كلما عن مطعن يلوي عنقه وبهز اكتافه ،

ويُنْفِضُ رَأْسَهُ وَيُثْنِي أَعْطَافَهُ، وَيَتَّبِعُ سَاخِرَاءَ، أَوْ يُغْرِبُ ضَاخِكًا — ذَلِكَ الَّذِي يَعْلَمُ رَيْبَهُ الْآنَ، أَنَّهُ يَأْكُلُ لَحْمَ الْخَنْزِيرِ جَهْرًا فِي نَهَارِ رَمَضَانَ، وَلَوْ زِدْنَا فِي وَصْفِهِ لَعَرَفَهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا الْغَرَضُ بَيَانُ الصِّفَاتِ وَالْأَعْمَالِ وَعَلَى هَذِهِ الشَّكْلَةِ كُلِّ أَوْلِيَاءِ الصَّلَاةِ، الَّذِينَ لَمْ يَرْضُوا بِسُكُوتِ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَكُنْ عَلَى الصَّلَاةِ، حَتَّى تَصْدُوا لِلْمَدُونِ وَالصِّيَالِ، (٥٨: ١٤) وَقَدْ مَكُرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ، وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لَنْزُولِ مَنْهُ الْجِبَالِ)

فَبِهِمْ عَلَى مَا هُمْ، (٤٧: ٣١) وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرْبِنَا كَيْفَ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَامِهِمْ، وَلَتَعَرَفْتَهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ) وَفِيهَا يُوجَّهُونَ إِلَيْهِ الْقُوَّةَ وَالْحَوْلَ، فَهَنُومٌ مِنْ يَحَاوِلُ هَدْمَ الْإِسْلَامِ، بِالْدَعْوَةِ إِلَى اسْتِبْدَالِ لُغَةِ الْعَوَامِ بِلُغَةِ الْقُرْآنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ التَّشْبِيكَ فِيهِ يَنْشُرُ آرَاءَ الْمَادِيِّينَ، مِنَ الْقَدَمَاءِ وَالْأَوْرَبِيِّينَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَصْدُقُ عَنْ مَحَبَّتِهِ، بِتَفْضِيلِ مَا عَرَفُوا مِنَ الْقَوَائِنِ عَلَى مَا جَهِلُوا مِنْ شَرِيْعَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْرَعُ عَمَّا حَرَّمَ مِنْ آدَابِهِ الرُّوحِيَّةِ وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ، تَلَذُّذًا بِمَا حَرَّمَ مِنْ الشَّهَوَاتِ الضَّارَّةِ وَالْمَاهِيَةِ الْبِهِيْمِيَّةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُمْ أَقْصَرُ مِنْ هَؤُلَاءِ نَظْرًا، وَأَظْلَمُ بَصِيرَةً وَأَفْسَدُ ذَوْقًا، وَهُمْ الَّذِينَ يُحْتَقِرُونَ مَشْخَصَاتِ أُمَّتِهِمْ (كَالْبَيْتَةِ وَالْعِمَامَةِ) وَيَهْزُونَ بِهَا، وَيَرْغَبُونَ فِي الْاسْتِعَاذَةِ بِالْأَزْيَاءِ الْفَرِيْبَةِ عَنْهَا، وَيَتَوَهَّمُونَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَجُوا بِذَلِكَ إِلَى مَسْتَوَى مِنْ فِلْسَفَةِ الذُّوقِ وَالْجَمَالِ، لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ حَلَقَ فِي جَوْالِحِ الْخَيْالِ إِلَى أَوْجِ السَّكَمِ، كَمُخْتَرِعَاتِ الْأَزْيَاءِ الْجَدِيْدَةِ (الْمُودَةِ) مِنْ رَبَاتِ الْفَنَاجِ وَالذَّلَالِ، وَلَوْ عَقَلُوا مَا تَجَرَّهَ هَذِهِ الْفِلْسَفَةُ النَّسَائِيَّةُ أَوْ الصَّبِيَانِيَّةُ مِنَ الْخَزْيِ وَالشَّكَالِ، أَوْ قَرَأُوا وَفَهَمُوا مَا قَالَهُ الدَّكْتُورُ سَنُوكُ الْهُولَنْدِي فِي خُطْبَتِهِ فِي مَسْتَقْبَلِ الْإِسْلَامِ، لَوَدُّوا لَوْ كَانُوا مِنْ رَبَاتِ الْحِجَالِ، رَاجِعِينَ عَنْ مَذْهَبِ السَّفُورِ وَمُخَالَطَةِ نِسَائِهِمْ لِلرِّجَالِ، وَإِنَّمَا يَلُودُ هَؤُلَاءِ، وَأَوْلِيَاءُ الْبُخْلَابَةِ

المقال (٢١١:٢) زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا، وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وجملة القول اننا بعد ان فرحنا بنصر الله تعالى لحزب الاصلاح على المبتدعة والدجالين ، قد ابتلينا بتكوين حزب للملاحدة المارقين ، يواليه أفراد من أغرار الشبان وكهول المنافقين ، فاذا ترك هؤلاء وشأنهم ، وسكت لهم أهل الحق على ما ينفثون من سموم أباطيلهم، تعظم جرأتهم، وتنتشر دعوتهم، وتكبر فتنهم ، وليس الاستظهار عليهم بالامر المسير، فان حجبتهم واحضت، وغواياتهم متناقضة، وغاياتهم متعارضة، ويخافون الردة الصريحة، ان تحرمهم احترام الامة وبعض مناصب الحكومة، فالجريء منهم على التصريح بالكفر على رءوس الاشهاد قليل، وانما يصرحون غالباً بما يظنون أنه يحتمل التأويل، كزعمهم أن النبي عليه الصلاة والسلام، أقر العرب على بعض عباداتهم الوثنية لاجل استمالتهم كما فعل بعض البابوات، وهذا من أقبح البهتان ، فان ما أقره الاسلام من مناسك الحج كان من شريعة ابراهيم عليه الصلاة والسلام، فهو الذي بنى بمساعدة ولده اسماعيل البيت العتيق، وطهره للطائفين والمالكفين والركع السجود ، وأذن في الناس بالحج فلبوه من كل فج عميق ومن دعائه عليه الصلاة والسلام، (٣٥:١٤) رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ)

هذا وإن سواد المصريين الاعظم يفار على دينه ، ويذب عنه بشماله ويمينه، حتى ان أكثر المتعلمين في المدارس المتفرجة والافرنجية، ليتهصبون له عصبية سياسية اجتماعية، لا يشعر بمثها المتعلمون في المعاهد الدينية ، فهم يفتنون من يجعل نفسه داعية للكفر ، ويلفظونه كما تلفظ النخامة

من الفم، ويعلمون أن ما يتوخاه هؤلاء من نباهة الذكر عند الأوربيين،
والتشبه بمن ناهضوا الكنيسة ورجال الدين، ليس بالفرض الصحيح الذي
يعذرون فيه، ولا العمل المفيد للدنيا فيساعدتهم من لا يؤمن بالآخرة
عليه، فهم لا يجدون في الإسلام ولا في رؤسائه تلك الأسباب التي حملت
بعض كتاب أوربة وجمياتها السياسية، على مجاهدة الكنيسة ورجالها
والطعن في نفس النصرانية، فالإسلام نفسه أرشد البشر إلى العلوم
العقلية والكونية، وأوجب الفنون والصناعات المدنية، وأخرج
البشر من رق رؤساء الدين والدنيا إلى فضاء الحرية، وأما رجال الدين
الرسميين في مصر فلا مجال لاتهمهم بعصبية دينية، ولا بمقاومة الحرية
العلمية ولا العملية، أنى وشيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية، وشيخ
مشايخ طرق الصوفية، قد اشتركوا في جمع الإعانة لجمعية الصليب
الأحمر، حتى فرضها الأول على جميع أصحاب الرواتب في الجامع الأزهر،
وحضروا ما كانوا يتحامون من المحافل، في معاهد التمثيل والفنادق،
وقد حضر المفتي حفلة الصلاة على روح لورد كيتشر في هذه الأيام،
كما حضر الصلاة على روح بطرس باشا منذ أعوام، فلم يبق هؤلاء
الملاحدة ما ينقمونه من هؤلاء العلماء، إلا عدم مشايخهم إياهم على السفور
ومخالطة النساء، ولعلمهم لا يرضونه منهم إلا أن ينفروا هذه الأزياء (٧:٣)
رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بِمَا أَذْهَبَتْ قُلُوبَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ
الْوَهَّابُ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ يَوْمَ يُؤْتَى يَوْمَ لَارِبٍ فِيهِ إِنْ لَمْ يُخْلَفِ الْمِعَادُ

منشئ النار ومحزره

محمد رشيد رضا



السنة وصحتها والشرعية ومئاتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

تمهد في بيان حالنا مع المبشرين

لا يزل دعاة النصرانية (المبشرون) يطعنون على الاسلام بما ينشرون من الرسائل والمقالات، واني اتعمد ترك قراءة ما يصل الي من مجلاتهم ورسائلهم حتى لا أفتح على نفسي باب الرد عليهم، اذ رد الشبهات الموجهة الى الاسلام انما يجب على من علمه وجوبا كفاثيا، وقد كنت أكره الرد عليهم لولا ذلك وان كانوا يظنون أنه من مقاصد المنار ومشروع الدعوة والارشاد الذي اكبروا أمره، على أنه لم ينلهم منه أذى بقول ولا فعل، وجميع الطلبة في دار الدعوة والارشاد من قسم المرشدين الذين يعدون لارشاد العوام لمقاومة الشرور والمعاصي الفاشية فيهم، فقد كثرت في هذه البلاد جناباتهم في الانفس والاموال والزروع، وفشا فيهم السكر والقمار والفحش، نعم ان من مقاصد المنار رد الشبهات عن الاسلام مقاومة للشك والتشكيك فيه، وإنما أكره الجدل، وأكره تعمد مناقشتهم أو فتح بابها علي لأنهم هم الذين يتعرضون لها ويتنفعون بها، وما أكثر من حاجة أهل الكتاب في سنتي المنار الاخيرتين الا في التفسير اذ اتفق بلوشي فيه الى سورتي النساء والمائدة المدنيتين، وأكثر ما في القرآن من حاجة أهل الكتاب في هاتين السورتين وأقله فيما قبلهما. على ان فيه أيضا ما أوجه الاسلام من إنصافهم والعدل فيهم، وبيان مودة النصاري منهم. وقد انتهينا من ذلك، ووصلنا الى تفسير السور المكية التي حوخط بها المشركون وقلما يذكر فيها أهل الكتاب الا في سياق بيان سنة الله تعالى في الرسل وأممهم.

لهذا كنا نظن أن باب حاجة أهل الكتاب يكون مقفلا في المنار الى ما شاء الله، ولكن مجلة المبشرين العربية (الشرق والغرب) نشرت في العدد الذي صدر منها في أول الشهر الماضي (ابريل) مقالة عنوانها (السنة وصحتها) طغنت فيها على السنة (المنار: ج ١) (٤) (المجلد التاسع عشر)

النبوية وزعمت أن طعننا يوجب الريب في الشريعة وترك العمل بها، وأنها لا قيمة لها في نفسها، وقد حاءتنا المجلة فلم نفتحها، ثم علمنا بتلك المقالة قلم نقرأها، ثم رأينا لهذه المقالة تأثيراً سيئاً في المسلمين حتى إن منهم من نقلها عن المجلة وطبع كثيراً من نسخها بمطبعة الجلاتين ووزعت على الناس ووصلت إلينا نسخة منها، واقترح علينا كثيرون أن نرد عليها فوجب شرعاً اجابة طلبهم

ومما أكد وجوب الرد ما رأيناه في المقالة من مطالبه ثلاث مئة مليون من أهل السنة بالجواب عنها، فلا ندع لهم مجالاً أن يقولوا للمسلمين إنه لم يستطع أحد من علمائكم أن يدافع عن سننكم وشرعيتكم، ولا أن يرد شيئاً من حججنا عليها، فها نحن أولاء نرد عليهم رداً يعلمون ويعلم الناس به أنهم لم يتحروا الأمانة فيما نقلوا من كتبنا، ولم يفهموا ما قرؤوا منها وما نقلوا عنها، وأن طعنهم في أبي هريرة رضي الله عنه خطأ، وأنه لو صح لم يترتب عليه بطلان الثقة بالسنة، ولأما رتبوه على ذلك من عدم وجوب طاعة الشريعة، وإنما قصاراه أنهم افتحروا دعاوى نسبوها إلى الاسلام، وردوا عليها بما لا يصلح أن يكون رداً

وقد رأينا أن نقل كلامهم بمرته على ما فيه من الركاكة واللغو والضعف، وإطلاق بعض الكلام على غير المعاني التي نطقها عليها، ولكن لا نناقشهم في شيء من الالفاظ لئلا نأثم، ولا في العبارة من حيث ضعفها، بل في المسائل والمعاني، وقد كان الغرض الأول من نقل عباراتهم بنصها، وعدم تلخيص مسائلها والرد عليها، أن لا يتوهم أحد منهم أو من غيرهم أننا تصرفنا في التلخيص تصرفاً يخل بالمعنى المراد، أو حذفنا منه ما لا يمكن رده بنقض ولا انتقاد، واستتبع ذلك بيان أن القوم لا يوثق بنقلهم ولا بفهمهم، ومن المعلوم بالضرورة أنهم ليسوا كالفلاسفة الذين يبحثون في المسائل لأجل استبانة الحق في ذاته، وإنما يتحرون بالبحث ما يرون فيه سبيلاً للطعن والاعتراض، ومجالاً للشك والاثارة الشبهات، كما يعلم مما يأتي

﴿ الجملة الأولى من مقدمة الطاعن ﴾

افتتح طاعنهم مقاله بجملة تتضمن عدة دعاوى هذا نصها:

« ان صحة الشريعة قضية لا بد لكل مسلم سني من التسليم بها وذلك متوقف على صحة السنة . فاذا ارتاب أحد في صحة السنة فليس معه داع منطقي بوجوب إطاعة الشريعة لأن جانباً قليلاً منها فقط يتوقف على القرآن ، والجانب الأكبر يتوقف على السنة التي اجتمعت في الأحاديث . فاذا ثبت الريب في هذه الأحاديث تزعمت أركان الشريعة وأركان تابعيها من حنفي ومالكي وشافعي وحنبلي . وعدداهم لا يقل عن ثلاث مئة مليون من الاتباع » اهـ

تلخص هذه الجملة من كلامه في ثلاث قضايا وتبين ما فيها

القضية الأولى

﴿ زعمه اذا ارتاب أحد في السنة بنتفي وجوب طاعة الشريعة ﴾

هذه القضية بدئية البطلان فان الاطلاق في جزاء الشرط يدل على ان المراد من القضية الشرطية ان ارتياب فرد من الافراد في صحة السنة يستلزم انتفاء وجوب اتباع الشريعة على جميع الافراد . وانما المقول الموافق للمنطق ان ارتياب الفرد أو ظنه أو علمه يترتب عليه ما يستلزمه في حق نفسه ولا يكون ذلك مؤثراً في غيره ممن لم يرتب ارتيابه أو لم يعلم علمه ، وكذلك ارتياب الافراد الكثرين ، وقد ارتاب بعض علماء أوربة الاحرار في وجود المسيح عليه السلام وزعموا أنه شخص خيالي — أو متخيل — لم يوجد . كما زعم بعض المؤرخين مثلي ذلك في هومبروس شاعر اماطير اليونان — فهو استلزم ارتياب أولئك المرتابين فيه انتفاء ايمان مئات الملايين من المسلمين والنصارى وغيرهم بوجوده عليه السلام ؛

القضية الثانية

﴿ زعمه ان أكثر الشريعة يتوقف على الاحاديث ﴾

هذه القضية غير مسلمة فان الشريعة عندنا تشمل العقائد والمبرة فيها بالدلالة القطعية وجميع العقائد التي تتوقف عليها صحة الاسلام ثابتة بنصوص القرآن واجماع المسلمين ، وإثبات الالهية والنبوة منها مؤيد بالبراهين العقلية ، ولا يوجد شيء منها يتوقف على أحاديث الآحاد التي يمكن الارتياب في بعضها . وكذلك أصول العبادات

كلها قطعية ثابتة بالقرآن والسنة العملية المتواترة التي لا تتوقف على أحاديث الآحاد. وما ثبت من أحكام العبادات بأحاديث الآحاد ولم يجمع عليه أئمة العلم فلا تتوقف عليه صحة الإسلام وإن كان صحيحا في نفسه ، وإنما هو مزيد كمال في علم السنة . وأما أحكام الشرع في المعاملات فأكثرها مأخوذ من القواعد والأصول وهكذا الفروع الواردة في القرآن إما بالنص وإما بدلالة النص وفخواه، ومن القياس الذي توضع فيه بعضهم كالحنفية فالشافعية ، والمصالح العامة التي توسع المالكية والحنابلة. وأقلها من حديث الآحاد . وما بقي من أركان الشريعة بعد العقائد والأحكام العملية إلا الأخلاق والآداب ، وجميع ما ورد في الأحاديث من الحكم والفضائل والآداب فهو مستمد من القرآن الحكيم وشرح له ، بل السنة كلها بيان للقرآن لقوله تعالى (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) وقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها وصفت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بقولها: كان خلقه القرآن .

وقد اختلف العلماء في أحكام السنة التي لا تستند إلى نص من القرآن فقيل إنها بوحى من الله تعالى وإن الوحي لا ينحصر في القرآن ولكن للقرآن مزايا ليست غيره من وحي الله إلى خاتم رسله ولا إلى الرسل قبله ، أعظمها إيجازه والتعبد بتلاوته. وقيل إن الله تعالى أذن لرسوله بأن يحكم ويشرع برأيه واجتهاده

ومن تأمل كثيرا من الأحكام التي استدلوا عليها بالسنة وحدها يرى لها ما أخذ من القرآن كتحریم الجمع بين المرأة وبين عمتها أو خالتها في الزواج وكتحریم الأكل والشرب في آنية الذهب والفضة ، وقد بينا ذلك في المنار ، كما بينا تفاوت الأفهام في الفصوص على درر القرآن ، وأين أفهام الناس كلهم فيه من فهمه عليه الصلاة والسلام ، وقد ثبت مع ذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان يقضي في المسائل السياسية والإدارية باجتهاده ، ويستشير فيها أصحابه

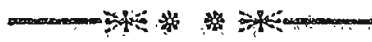
القضية الثالثة

﴿ زعمه أنه إذا ثبت الريب في الأحاديث نزلت أركان الشريعة ﴾
هذه القضية غير مسلمة أيضا وفيها إجمال وإبهام . فإذا أراد بثبوت الريب في

الأحاديث ما أفادته جملة الأولى من أرتياب بعض الأفراد ولو واحدا - فقد بينا
 ان هذا لا يترتب عليه إلا ما يستلزمه الأرتياب في نفس المرتاب وحده ، وإذا أراد
 أرتياب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع الأحاديث فهذا ما وقع ولن يقع ولا
 يعتل أن يقع ، وسندشرح ذلك على وضوحه في نفسه ، فإن فرضنا جدلا انه يقع فأما
 يترتب عليه حينئذ الاكتفاء في الدين بما في القرآن والسنة العملية المنقولة بعمل مشات
 الألوف وألوف الألوف منذ العصر الأول ككيفية الصلاة والصيام والحج وغير ذلك
 وبما ثبت بالاجماع والقياس الصحيح ، ولا ينقص من كتب الشريعة حينئذ إلا
 الأحكام والحكم التي ثبتت بأحاديث الآحاد وحدها كما بيناه في الكلام على
 القضية الثانية

وهذا وذاك يظهر لك بطلان قوله « تزعمت أركان الشريعة وأركان تابعيها »
 فإن أراد أركان الشريعة أصول العقائد وقضايا الأيمان التي يكون بها المرء مؤمنا
 فقد علمت انه لا يتوقف شيء منها على أحاديث الآحاد ، وإن أراد أركان
 الإسلام الخمسة فكذلك ، فإن معرفة هذه الأركان لا تتوقف على ثبوت الأحاديث
 الواردة فيها فأنها تجمع عليها معلومة من الدين بالضرورة ، سواء صح ما ورد فيها من
 الحديث أم لم يصح ، على انه صحيح والله الحمد ، وإن أراد بأركان الشريعة أو أركان
 تابعيها أصولها المستمدة منها عند الأئمة الأربعة فقوله أظهر بطلانا فإن هذه الأركان
 أربعة - الكتاب والسنة والاجماع والقياس - وما ألحق بها عند بعضهم كالمصالح
 والاستحسان ، فالأحاديث جزء من السنة التي هي ركن من هذه الأركان ، فالأرتياب
 في هذا الجزء لا يوجب الأرتياب في الجزء الآخر منها وهو ما ثبت بالتواتر عملا أو
 قولاً ، فكيف يوجب الأرتياب في القرآن وكله متواتر ، وفي الاجماع والقياس ؟
 قلنا ان أرتياب جميع الناس أو جميع المسلمين في جميع أحاديث الآحاد ما وقع
 وإن يقع ولا يعتل ان يقع . وبيان ذلك ان اليهود من البشر في كل زمان ومكان
 ان يصدقوا خبر كل مخبر - لان الأصل الغالب في أخبار الناس الصدق - إلا
 إذا وجدت حلة في الخبر أو المخبر تتمضي الأرتياب ، كأن يكون الخبر غير مقبول
 أو يكون المخبر معروفاً بالكذب . على أننا نرى الناس يصدقون أكثر أخبار الجرائد

السياسية والشركات البرقية على كثرة ما عرفوا من كذبها، واهتمامهم أن لا صاحبها أهواء سياسية يحاولون تأييدها بالحق وبالباطل. فإذا كان هذا شأن البشر في أمثال هذه الأخبار التي تحوم حولها الشبهات في أنفسها وفي سيرة رواتها، فكيف يعقل أن يرقبوا في صحة جميع الأحاديث التي صحيحها حفاظ المحدثين بعد تعدد متونها وإقامة ميزان الجرح والتعديل لكل فرد من أفراد رواتها، وقد علم أنهم لا يقبلون في الاحتجاج حديثا منقطع الاسناد ولا حديثا في رواته مجهول أو أحد ثبت عليه الكذب أو سوء الحفظ أو النسيان أو مخالفة الثقات الاثبات في روايته؟ ها أنتم أولاً تصدقون أخبار أناجيلكم الأربعة وغيرها من كتبكم وليس عندكم سند متصل لشيء منها، وقد اختلف علماءكم ومؤرخوكم في كتابها وفي اللغات التي كتبت بها، وفي التواريخ التي كتبت فيها، فلم يتوفر لكم فيها شيء من النقد والتحريص الذي توفر لنا في نقل الحديث، أفتمقلون مع هذا أن ترتاب في تصديق جميع الأحاديث التي نقلت لنا بدقة لم يهد لها البشر نظيراً في تاريخهم القديم ولا الحديث - وأنتم ترون أنفسكم وسائر البشر يصدقون أكثر ما يروى لهم بلا سند ولا بحث في رواته، بل كثيراً ما يصدقون أخبار من ثبت عليهم الكذب من رواة كثيرة، كرواة البرقيات والجرائد؟



﴿ الجملة الثانية من كلام الطاعن ﴾

قال: « وسنثبت في الفصول التالية أن من السهل اثبات الشبهات الملقاة على تلك الأحاديث. ونحن مثبتون في هذا الفصل وهن الاعتماد على بعض الصحابة التي تتوقف مئات من الأحاديث على شهادتهم حتى قامت عليها الشريعة ومنها نشأت السنة، على أن البخاري الذي اشتهر بنقد رجال الحديث لم يخطر له أن يرتاب في صدق الصحابة لأنهم كانوا في نظره معصومين من الكذب، وهذا يدل على ضعف حجته، فقد ثبت بوجه لا يقبل الشك أن أبا هريرة وابن عباس لم يكونا محصين في رواية الأحاديث. وغرضنا الآن أن نبين أن الريب في أحاديث أبي هريرة تسرب إلى نفوس معاصريه ونفوس الذين جاؤا بعده ومع ذلك فقد نقل

عنه البخاري الاحاديث بالمشات فتداولتها السنة المجتهدين الذين اسسوا المذاهب
الاربية وبنوا عليها نظامهم الشرعي «
أقول نلخص هذه الجملة في قضايا تابعة في العدد لما تقدم وتبين ما فيها من
الخطأ والباطل

القضية الرابعة

﴿ زعمه وهن الاعتماد على رواية المئات الاحاديث من الصحابة كأبي هريرة ﴾
هذه القضية باطلة فانها توهم القارى ان الكاتب يثبت في هذا الفصل مطاعن
في عدالة عدة من الصحابة الذين رووا المئات الكثرة من الاحاديث — حتى اذا
ما فرأ الفصل كله لم يجد فيه الا روايات في واحد منهم — وهو أبو هريرة رضي
الله عنه — ويرى ان هذه الروايات لا تسقط عدالته كما نبسطه في هذا المقال .
وهذا مما يزيد قولنا ان هؤلاء الناس يكتبون ما لا يفهمون لانهم اعتادوا الجراة
على إلقاء المطاعن من غير تفكير ولا زوية ، فهم ينقضون ما يبنون ولا يشعرون

القضية الخامسة

﴿ زعمه أن البخاري لم يخطر بباله الارتباب في صدق الصحابة لاعتقاده عصمتهم ﴾
هذه القضية باطلة أيضا لأنها حكم بعوم السلب ، على شيء يتعلق بالقلب
لا يعلمه الا الرب ، فان مثل هذا الكاتب لا يناقش في مثل هذا التعبير لانه
لا يفرق بينه وبين القول بأن البخاري لا يتهم أحدا من رواة الصحابة بالكذب ،
ولا بغيره من الملل القادحة في الرواية ، وانما يريد بيان بطلان زعمه ان البخاري كان
يرى أن رواة الصحابة معصومون . والصواب انه كان يرى ويقول إنهم عدول
صادقون لا معصومون ، وما قال هذا القول هو وغيره من نقاد المحدثين الا بعد
تبع تاريخهم كغيرهم من الرواة ، وقد نقل عنه الطاعن ما أراد أن يسقط به عدالة
أبي هريرة وشيئا من محيصه لما يرويه ، فالبخاري كان أعلم من الطاعن بكل ما قيل
في أبي هريرة وبما رواه أبو هريرة ولم يره مسقطا لعدالته ، ولو آراه مسقطا لما روى
عنه في صحيحه . وقد كان البخاري من أئمة أهل السنة الذين لا يقولون بأن أحدا

من البشر ممصوم من الكذب الا الانبياء عليهم السلام . وصدق الرواية لا يتوقف على العصمة والا لما قبل أحد من البشر قول أحد بعد تبليغ أنبيائهم الوحي . وانما يكتفى في تصديق الرواية بالعلم بعدالة الراوي وجودة حفظه وضبطه لما يرويه ، ولم ينقل عن أحد من مؤرخي البشر ونقله الاخبار مثلما نقل عن البخاري من شدة التحري في كتابه الجامع الصحيح ، فليأتنا هذا الطاعن بمثله أو بما يقرب منهم من علمائهم ؟ كيف وكتبهم المقدسة تنسب الكذب وغيره من كبائر المعاصي الى الانبياء برأهم الله تعالى وصلى الله عليهم وسلم ، وهو علماء المبشرون وأهل نحلتهم لا يقولون بعصمة الانبياء دع عصمة ناقلي كتبهم بغير أسانيد متصلة ولكنهم يقبلون ما عزي اليهم . وسنشير الى المقابلة بين رجالنا ورجالهم في هذا المقال ، ولا حاجة الى تفنيد قوله بضعف حجة البخاري الذي بناه على زعمه أن البخاري يعتقد عصمة الصحابة ، فهو ساقط في نفسه وأضعف منه وأسقط ما بناه عليه

القضية السادسة

﴿ زعمه أن الأئمة الاربعة أسسوا مذاهبهم على ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﴾

هذه القضية الباطلة تدل على مبلغ علم المبشرين الناشرين لهذا المقال وعلى درجة تحريمهم وصدقهم فيما يقولون وينقلون

الحافظ البخاري متأخر عن الأئمة الاربعة أدرك رابعهم الامام أحمد ابن حنبل وتلقى الحديث عنه . وقد جاء في تهذيب التهذيب عن العقيلي أن البخاري لما ألف كتابه الصحيح عرضه على علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل (وكلهم من كبار شيوخه) وغيرهم فامتحنوه وكلهم قال : كتابك صحيح الا اربعة أحاديث . قال العقيلي والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة . والشاهد في هذا النقل أن البخاري أخذ عن أدرك من الأئمة الاربعة ولم يأخذ أحد منهم عنه شيئا ، ولم يكن أحد من المجتهدين يقلد أحدا في رواية ولا دراية ، وانما يأخذ كل منهم بما صح عنده من الرواية

ولد الامام أبو حنيفة سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ وولد الامام مالك سنة ٩٣ وتوفي

سنة ١٧٩ وولد الامام الشافعي سنة ١٥٠ وتوفي سنة ٢٠٤ وولد الامام احمد ١٦٢
وتوفي ٢٤١ وولد الامام محمد بن اسماعيل البخاري سنة ١٩٤ وتوفي سنة ٢٥٦ وقد
رحل من بلاده لطلب العلم سنة ٢١٠ أي بعد وفاة الامام الشافعي ببضع سنين
وبعد وفاة مالك باحدى وثلاثين سنة وبعد وفاة أبي حنيفة بستين سنة
فكيف اجاز لهذا الطاعن في السنة والشريعة دينه وعقله أن يقول ان الأئمة
الاربعة أخذوا عن البخاري مارواه من الاحاديث عن أبي هريرة وبنوا عليه نظامهم
الشرعي؟ وكيف توهم أنه جاء بعلوم وحقائق تزعم هذه الشريعة التي هي أثبت
من الجبال الرواسي؟ أمثل هذه الدعاوى المخترعة تهدم الحقائق الثابتة؟



﴿ الجملة الثالثة من كلام الطاعن ﴾

الشبهات في أبي هريرة

الشبهة الاولى

(١) قال الطاعن: الارتباب العام في أبي هريرة (بشهادة نفسه) حدثنا عبدالعزیز بن
عبدالله... عن أبي هريرة قال « ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة » ولولا آيتان
من كتاب ما حدثت حديثا... ان إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصنفق بالاسواق
وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم ، وأن أبا هريرة كان يلزم
رسول الله (صلعم) بشعب بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون .
(البخاري جزء أول كتاب العلم صفحة ٣٧) وكتب في الحاشية ما نصه :
(جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧ : ٢٣ قوله « انكم تزعمون ان أبا هريرة
يكثر الحديث عن رسول الله » وقد علل هذا الاكثار برواية غريبة) اهـ كلام الطاعن
الجواب عن هذه الشبهة

استدل الطاعن بهاتين الروايتين على ما سماه الارتباب العام في أبي هريرة ،
ويفهم من هذا أنه يوم قارئ مقالته أن جميع أهل عصره أو أكثرهم كان يرتاب
في صحة روايته . وهذه دعوى باطلة ، ولفظ الناس بصدق بالقليل والكثير قال الله
تعالى (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم) روي في التفسير
(المنار: ج ١) (٥) (المجلد التاسع عشر)

المأثور أن الذي قال ذلك هو نعيم بن مسعود قال ان أبا سفيان يجمع لكم الجيش الخ وقيل ان القائل ركب عبد القيس . فالناس اسم جنس يطلق على الواحد كما يقال : فلان يركب الخيل . وان لم يركب الا فرسا واحدا ، ويطلق على الكثير . وقد ثبت أن بعض الصحابة أنكروا كثرة أبي هريرة من التحديث كما هو صريح هذا الحديث الذي اختصره الطاعن من البخاري . وقد صرح في رواية أخرى له بزيادة «ويقولون ما للمهاجرين والانصار لا يحدثون مثل حديثه» ووجه الانكار أن أبا هريرة من متأخري الصحابة فينبغي ان يكون أقل سماعا منهم . ومن المعلوم بالبداهة المتفق عليه من العقلاء الذي يقضون به في محاكمهم ان الاستنكار والاستغراب في مثل هذا لا يقتضي الاتهام بالكذب ، وأن التهمة لا تقتضي بمجرد سب العدالة ، لان من التهم ما يبنى على شبهات وأوهام ، ومنه ما هنا وقد أجاب أبو هريرة عن الاكثار هنا بأنه كان يلزم الرسول صلى الله عليه وسلم لا يكاد يفارقه اذ لا تجارة له كالمهاجرين ولا حرث له كالانصار فيشغله هذا أو ذاك ، فكان بهذه الملازمة يسمع ما لا يسمعون ويحفظ ما لا يحفظون . ويضاف الى هذا الجواب أنه حدث بما سمعه وبما رواه ، وأجوبة أخرى سيأتي بيانها — وأجاب عن أصل التحديث بالآيتين الداليتين على وجوب اظهار العلم وحرمة كتمانها ، وهما قوله تعالى (ان الذين يكتبون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله) الى قوله (التواب الرحيم) وقد حذف ذلك الطاعن

وأما الرواية الثانية وهي ما نقله الطاعن في الحاشية عن الاصابة لابن حجر فهي رواية أخرى لهذا الاثر نفسه رواها البخاري عن الاعرج (عبد الرحمن بن هرمز) عن أبي هريرة، وقال الطاعن انه علة الاكثار برواية غريبة؛ أي علة كثرة تحديته بعله غريبة أي عند الطاعن، ولم يذكر هذه العلة! وهي عين العلة التي في الرواية الأخرى مع زيادة تعدد من آيات النبي صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته — ولذلك لم يذكرها الطاعن وهي : فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال « من يبسط رداءه حتى أقضي مقالي ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئا سمعه مني » فبسطت برودة علي

حتى قضى حديثه ثم قبضتها اليّ فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئاً سمعته منه بعد.
وروى هذا الحديث احمد ومسلم والنسائي وغيرهم من طرق. وقد فهم أبو هريرة من
الحديث عموم السلب المطلق وصدق عليه ذلك، وان كان لفظ الحديث يحتمل
تقييد العموم بما يقوله صلى الله عليه وسلم مدة بسط الرداء. وسنذكر بعض ما قاله
الائمة النقاد في حفظ أبي هريرة، ولم يرو عنه في الصحيح انه نسي شيئاً حدث به
الا حديث « لا عدوى » فانه أنكره بعد ان روى ما يدل على ثبوت العدوى، (*)
ولعله كان من مراسيله لا من سماعه، فلا يتعارض مع قوله انه ما سمع شيئاً ونسيه
أي بعد مسألة الرداء، أو كان من سماعه قبل بسط الرداء.

الشبهة الثانية

(٢) قال الطاعن: تهمة أبي هريرة بالكذب (بشهادة نفسه): « عن أبي
الرزين قال خرج الينا أبو هريرة فضرب يده على جبهته فقال: ألا إنكم
تحدثون أبي أ كذب على رسول الله لتهدتوا وأضل ألا واني أشهد لسمعت رسول
الله (صاعم) يقول اذا انقطع شمع أحدكم فلا يمشي في الاخرى حتى يصلحها »
(جزء ٤ : ٤٤٠) (لا يخفى ما في هذا من الضعف)

(٣) ونقل ابن حجر عن احمد بن حنبل (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) قوله « قيل
له ا كذرت فقال لو حدثتكم بما سمعت لرميتوني بالقشع أي الجلود » وقد أردف
هذا بشكوى أخرى وهي قوله « أ كثر علينا أبو هريرة »

(٤) نقل ابن حجر عن عائشة (جزء ٧ صفحة ٢٠٥) ما يأتي: قالت عائشة
لأبي هريرة « إنك تحدث بشيء ما سمعته » فأجابها أبو هريرة بما مؤداه انها
كانت مهتمة بزيتها فلم تسمع ما سمعه هو

(٥) عبدالله بن عمرو بن العاص جاء في كتاب أخبار مكة للزرقي صفحة ١٣٥
قوله: حدثنا أبو الوليد... عن عبيدالله بن سعد انه دخل مع عبدالله بن عمرو
ابن العاص المسجد الحرام والكمبة محرقة حين ادير جيش الحصين بن نمير والكمبة
تتناثر حجارتها فوقف ومعه ناس غير قليل فبكي حتى لا ينظر الى دموعه تحدر

كخلافي عيذه... فقال يا أيها الناس والله لو أن أبا هريرة أخبركم أنكم قاتلوا ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت الله ربكم لقاتم ما من أحد أكذب من أبي هريرة »

(٦) عبدالله بن عمر. جاء في الترمذي جزء ١ صفحة ٢٨١ قوله : حدثنا ابن عمر... فقال ان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أمر بقتل الكلاب الا كلب صيد أو كلب ماشية. قيل له إن أبا هريرة كان يقول أو كلب زرع. فقال ان أبا هريرة له زرع « (ولا يخفى ما في هذا من التقرير اللطيف)

(٧) — عن الاصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ . كان أبو هريرة قد روى حديثاً عن الصلاة لم يجب مروان فسأل عبد الله بن عمر فقال عبدالله : لقد أكثر أبو هريرة : فقالوا له أتتكر شيئاً مما يقولون ؟ فقال لا ولكن أجراً وجبنا . وبلغ ذلك أبا هريرة فقال : ما ذنبي ان كنت حفظت ونسوا ؟

ولا نظن قوله « أجراً وجبنا » من قبيل الازدراء فان ابن عمر ما كان ينسب الجبن الى نفسه . اما الجرأة التي نسبها الى ابي هريرة فمعناها التهمج والتحدي . ولعل في هذا ما يميظ لنا اللثام عن مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواية الاحاديث غير المدققين . والارجح ان عبد الله لم يكن ليجسر على مقاومة أبي هريرة وإنما جاهر برأيه بلجهة الازدراء

(٨) جاء في الاصابة لابن حجر جزء ٧ صفحة ٢٠٥ ان مروان استاء من كلمة قلها أبو هريرة فاتهمه بالاكثار من الرواية وأردف ذلك بقوله : إنما قدم أبو هريرة قبل وفاة رسول الله... يسير. فقال أبو هريرة : قدمت ورسول الله... بخير وانا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأمت حتى مات «

[ملاحظة — كان محمد في خيبر في سنة سبع هجرية أي قبل موته بنحو أربع سنوات ، فالحادثة المذكورة هنا تبين ان معاصري أبي هريرة أنفسهم كانوا يرون المدة قصيرة جداً لعل إكثاره من رواية الاحاديث التي كان يستشهد بها كلما شاء]
اه كلام الطاعن بحروفه وإشاراته ورموزه وحذفه من الروايات وغلظه فيها وهو كثير ، ومنه قوله « أتتكر شيئاً مما يقولون » وصوابه « مما يقول » يعني أبا هريرة ، وقوله « أجراً وجبنا » وصوابه « اجترأ وجبنا » ولعل هذا الخطأ من الطبع لا من

تحرير الناقل ، ولكن بعض غلطه من سوء الفهم قطعا كقولهم بعد الحديث النبي عزاء إلى أحد : وقد أورد هذا بشكوى أخرى الخ والصواب ان هذه الزيادة ليست من حديث أحد . ومنه ما فهمه من كلام ابن عمر

الجواب عن هذه الشبهة

تقول - (أولا) ليس في هذه الروايات التي أوردتها للطاهر تصريح من أحد بأن أبا هريرة قد ثبت عليه الكذب - وثانیا - إن التهمة لا تثبت الا بالبينه والدليل ، باتفاق الشرائع والقوانين وعرف أهل العقل والعدل من البشر أجمعين ، ولم يتم أحد دليل ولا بينة على أن أبا هريرة كذب ، وإنما عرض لبعض الصحابة شبهة في رواية أبي هريرة ، ولو ثبتت الشبهة وظلت مجهولة وسبها خفيا لصح أن يجعل علة لعدم إلحاق روايته برتبة الصحيح احتياطاً ، ولكن سبب الشبهة معروف وهو لا يقتضى سلب العدالة ولا هدم الثقة بالرواية

- وثالثاً - ان تلك الشبهة سببين (أحدهما) خاص بكثرة الرواية وفيه ورد أكثر الروايات ، وحاصلها أن مدة صحبته للنبي ﷺ ثلاث سنين وأشهر وهي لا تنسج للأحاديث السكثيرة التي كان يرويها (والثاني) خاص ببعض يعون الاحاديث ، وهي التي كان يعوق التكذيب بها ، أو الايذاء أو القتل إذا حدث بها ، لانها من أخبار الفتن التي أخبر بها النبي ﷺ قبل وفاتها ، وهي ما يسميه النصارى بالنبوات ، ولما عرف أهل الحديث سبب الشبهة ظهر لهم أنها لا تدل على أدنى ظن في عدالة أبي هريرة ، وبيان ذلك من وجوه

أسباب كثرة حديث أبي هريرة

لكثرة حديث أبي هريرة رضي الله عنه أسباب استخرجناها من عقروايات (أحدها) أنه قصد حفظ أقوال الرسول ﷺ وضبط أحواله لاجل أن يستفيد منها ويفيد الناس ، ولجل هذا كان يلازمه ويسأله ، وكان أكثر الصحابة لا يجترئون على سؤاله الا عند الضرورة ، وقد ثبت انهم كانوا يسرون إذا جاء بعض

الاعراب من البدو واسلموا لانهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم . ومن الدلائل على هذا السبب ما رواه عنه البخاري قال : قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال « لقد ظننت أن يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك لما رأيت من حرصك على الحديث » وما رواه أحمد عن أبي بن كعب: ان أبا هريرة كان جرياً على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره . (ثانيها) أنه كان يلزم النبي صلى الله عليه وسلم ويتبعه حتى في زيارته لنسائه وأصحابه ليستفيد منه ولو في أثناء الطريق ، فكانت السنين القليلة من صحبته له كالسنين الكثيرة من صحبة كثير من الصحابة الذين لم يكونوا يرونه صلى الله عليه وسلم الا في وقت الصلاة أو الاجتماع لمصلحة يدعوم اليها أو حاجة يفزعون اليه فيها ، وقد صرح بذلك لمروان ، وكما سنين ذلك في كلامنا على الشاهد السابع من شواهد الطاعن وأخرج البغوي بسند جيد - كما قال الحافظ ابن حجر - عن ابن عمر انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمنا بحديثه . وفي الاصابة عنه انه قال: أبو هريرة خير مني وأعلم بما يحدث ، وعن طلحة بن عبيد الله : لا أشك ان أبا هريرة سمع من رسول الله (ص) ما لم نسمع

(ثالثها) انه كان جيد الحفظ قوي الذاكرة ، وهذه مزية امتاز بها أفراد من الناس كانوا كثيرين في زمن البداوة وما يقرب منه اذ كانوا يعتمدون على حفظهم ، ومما نقله التاريخ لنا عن اليونان أن كثيرين منهم كرهوا بدعة الكتابة عند ما ابتدوا يأخذونها وقالوا ان الانسان يتكل على ما يكتب فيضعف حفظه ، واننا نفاخر بحفاظ أمتنا جميع الامم وتاريخهم ثابت محفوظ ، قال الامام الشافعي : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث في دهره . وقال البخاري مثل ذلك الا أنه قال عصره بدل دهره . وأعظم من ذلك ما رواه الترمذي عن عمر (رض) انه قال لأبي هريرة : أنت كنت ألزمتنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأحفظنا لحديثه

(رابعها) بشاره النبي صلى الله عليه وسلم له بعدم النسيان كما ثبت في حديث بسط الرداء المتقدم وهو مروى من طرق متعددة في الصحاح والسنن (خامسها) دعاؤه له بذلك كما ثبت في حديث زيد بن ثابت عالم الصحابة

الكبير (رض) عند النسائي . وهو ان رجلا جاء الى زيد بن ثابت فسأله فقال له زيد: عليك بأبي هريرة فاني بينما أنا وأبو هريرة وفلان في المسجد ندعو الله ونذكره اذ نخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس الينا فقال « عودوا للذي كنتم فيه » قال زيد فدعوت أنا وصاحبي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمن على دعائنا ، ودعا أبو هريرة فقال: إني أسألك مثل ما سألت صاحباي وأسألك علما لا ينسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آمين » فقلنا يا رسول الله ونحن نسألك علما لا ينسى . فقال « سبقكم بها الغلام الدوسي »

(سادسها) انه تصدى للتحديث عن قصد لانه كان يحفظ الحديث لاجل ان ينشره ، واكثر الصحابة كانوا ينشرون الحديث عند الحاجة الى ذكره في حكم أوقوي او استدلال ، والمتصدي لشيء يكون اشد تذكرا له ويذكره بمناسبة وبغير مناسبة لانه يقصد التعليم لذاته ، وهذا السبب لازم للسبب الاول من اسباب كثرة حديثه

(سابعها) انه كان يحدث بما سمعه وبما رواه عن غيره من الصحابة كما تقدم فقد ثبت عنه انه كان يتحري رواية الحديث عن قدماء الصحابة فروى عن أبي بكر وعمر والفضل بن العباس وأبي بن كعب وأسامة بن زيد وعائشة وبصرة الغفاري ، أي انه صرح بالرواية عن هؤلاء ، ومن المقطوع به ان بعض أحاديثه التي يصرح فيها باسم صحابي كانت مراسيل لانها في وقائع كانت قبل اسلامه ، ومراسيل الصحابة حجة عند الجمهور ، وقد روى أيضا عن كعب الاحبار وهو من علماء يهود أسلم في أيام أبي بكر وقيل في أيام عمر ، ووثقه المحدثون ولكن روى البخاري عن معاوية انه قال فيه : ان كان لمن أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن اهل الكتاب وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب . ولم يرو البخاري في صحيحه شيئا لكعب . وقد كان في نفسي شيء من رواية كعب قبل ان أرى ما قاله فيه معاوية ، وأعلم ان كثيرا من الناس يتهمون بالكذب . ثم رأيت للحافظ ابن كثير كلاما في ذلك فين تدبر هذه الاسباب لم يستغرب كثرة رواية أبي هريرة ولم ير استنكار افراد من أهل عصره لها موجبا للارتياب في عدالته وصدقه ، اذ علم أن سبب

ذلك الاستنكار، عدم الوقوف على هذه الأسباب،
 على أن جميع ما أخرجه البخاري في صحيحه له ٤٤٦ حديثا بعضها من سماعه
 وبعضها من روايته عن بعض الصحابة، وهي لو جمعت لا يمكن قراءتها في مجلس
 واحد لأن أكثر الأحاديث النبوية جمل مختصرة. فهل يستكثر عاقل هذا المقدار على
 مثل أبي هريرة أو من هو دونه حفظا وحرصا على تحمل الرواية وإدائها فيجاري
 هذا الطاعن في الشريعة على الطعن في الامام البخاري لتخريجها؟؟ كيف وهذا
 الطاعن لا يوثق بنقله ولا يفهمه ولا يقصده الى بيان الحقيقة بل نعلم علم اليقين أنه يريد
 التشكيك والطعن لأن هذا هو عمله الذي يهيش له وبه؟
 سبب استنكار بعض حديث أبي هريرة

نقل الطاعن في الشاهد الثاني عن ابي دزين أن أبا هريرة قال على مسمع منه
 « ألا إنكم تحدثون أبي أ كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم » وعزى هذا الى
 (جزء ٤: ٤١٠) ولم يذكر اسم الكتاب وظاهر عزوه الشاهد الذي قبله الى البخاري
 انه يعني ان هذا في البخاري أيضا، وانما عرفه من رواية مسلم. وذكر في الشاهد الثالث
 انه قال لو حدثتكم بما سمعت لرميتوني بالقشع. وصوابه: لو حدثتكم بكل ما سمعت،
 وذكر في الشاهد الخامس عن كتاب أخبار مكة للأزرقي أنه قال حين رأى الكعبة محرقة
 بعد انصراف جيش الحسين بن علي: يا أيها الناس لو أن أبا هريرة أخبركم انكم قاتلوا
 ابن نبيكم بعد نبيكم ومحرقو بيت ربكم - لقلتم ما من أحد ا كذب من ابي هريرة.
 يعني لو حدثتكم قبل إحراق بني أمية للكعبة بذلك لكذبوه لأن الخبر مما يستبعد
 تصديقه. فعلم من قوله انه كان يعلم بهذا الحدث قبل وقوعه لأنه سمعه من الرسول
 (ص) ودليل هذا انه قرنه بخبر مثله في بعده عن الوقوع ولم يكن قد وقع وهو أنهم
 سيقتلون ابن نبيهم يعني الحسين عليه السلام وقد وقع ذلك بعد وفاته رضي الله عنه
 كان أبو هريرة يعلم ان كثيرا من الناس لا يصدقون الروايات التي تستبعد
 دقولهم وقوعها، وان كانت جائزة في نفسها، فيتوقع أن يكذبوه اذا هو حدث بها،
 ويظنون أنه عزاه الى الرسول لاجل قبولها، وكان يعتقد ان بني أمية يقتلونه اذا
 هو حدث بكل ما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم عن أحداثهم ومفاسدهم، وهذا

هو مراده بقوله الذي رواه عنه البخاري في صحيحه : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائنين من العلم فأما أحدهما فبثنته ، وأما الآخر فلو بثنته لقطع مني هذا العلوم . — يشير الى عنته

قال الحافظ في الفتح : وحمل العلماء الوعاء الذي لم يثته على الاحاديث التي فيها تبين أمراء السوء وأحوالهم وزمنهم ، وقد كان أبو هريرة يكتفي عن بعضه ولا يصرح خوفا على نفسه منهم ، كقوله : أعوذ بالله من رأس الستين وإمارة الصبيان . يشير الى خلافة يزيد بن معاوية لأنها كانت سنة ستين من الهجرة ، واستجاب الله دعاء أبي هريرة فمات قبلها بسنة . وستأتي الإشارة الى شيء من ذلك في كتاب الفتن . اهـ وقد وفي الحافظ بوعدده هذا في شرح حديث أبي هريرة في أوائل كتاب الفتن من صحيح البخاري وهو قوله لسعيد بن العاص ومروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية : سمعت الصادق المصدوق يقول « هلكة أمتي على يدي غلظة (١) من قریش — وفي رواية أحمد والنسائي « ان فساد أمتي على يدي غلظة سفهاء من قریش » فقال مروان : لعنة الله عليهم غلظة . فقال أبو هريرة : لو شئت ان أقول بني فلان وفلان لفعلت . أي ولم يكن مروان يعلم حين لعنهم أنهم قومه وأبناؤه ولكن أبا هريرة هو الذي يعلم ولم يصرح .

وذكر الحافظ في شرحه لهذا الحديث حديثا آخر له من المرفوع في بيان معناه أخرجه علي بن معبد وابن أبي شيبة عنه وهو « أعوذ بالله من إمارة الصبيان — قالوا وما إمارة الصبيان ؟ قال — ان أطعموهم هلكتم في دينكم وان عصيتموهم أهلكوكم في دنياكم »

فتبين بهذا أن الأحاديث التي كان يتوقع أبو هريرة تكذيب بعض الناس له فيها هي ما كان من هذا النوع ، وظهر بهذا أن ما أورده الطاعن من الشواهد على اتهامه بالكذب لا يفيد شيء منه أثبات التهمة . وقد بينا آنفا أن رواية أبي

(١) هو جمع غلام ولم يقولوا غلظة مع كونه القياس استغناء عنه بغلظة كما في الفتح وفي رواية اغلظة تصغير غلظة . والغلام الصبي من حين يولد ان يحتمل قال الحافظ وقد يطلق الصبي والمعلم بالتصغير على الضعيف العقل والتدبير والدين ولو كان محتلما وهو المراد هنا فان الخلفاء من بني أمية لم يكن فيهم من استخلف وهو دون البلوغ وكذا من أقروه على الاعمال اهـ المراد منه

رزين عند مسلم والرواية التي عزاها الى أحمد وهي من طريق يزيد بن الاصم عن أبي هريرة وزرواية عبد الله بن سعد عند الازرقى - كما صريحة في أن أبا هريرة كان يعتقد أو يظن أن بعض الناس يكذبونه في بعض أحاديث القتن إذا هو حدث بها قبل وقوعها لغرابة موضوعها .

بقي من شواهد الطاعن أربعة (أحدها) قول عائشة له : انك لتحدث بشيء ما سمعته . وقد عزا الحافظ هذا الى تخرج ابن سعد وكتابه ليس في أيدينا فلان دري أذكر سببه بعينه أم لا ، والظاهر من جواب أبي هريرة أنها أنكرت حديثا رواه لأنها لم تسمعه هي من النبي (ص) ومثل هذا وقع لها في أحاديث غير واحد من الصحابة لهذه العلة كارتياها في حديث المعراج وفي حديث الرؤية في الآخرة وفي حديث عبد الله ابن عمرو في موت العلماء واتخاذ الرؤساء الجهال الذين يضلون ويضلون ، ففي صحيح مسلم أن عروة بن الزبير سمع هذا الحديث من عبد الله بن عمرو فأخبر به خالته عائشة فأعظمت ذلك وأنكرته وقالت له : أحدثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ على أنها هي التي أرسلته اليه ليأخذ عنه الحديث قال « قالت لي عائشة : يا ابن أخي بلغني أن عبد الله بن عمرو ما رثنا بنا الى الحج فآلقه فسأله فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علما كثيرا » ثم انها مع هذا ومع ما تعلم ويعلم كل الصحابة من ورع عبد الله وعدالته قد ارتابت في هذا الحديث وبقيت مرتابة فيه مدة حول كامل - قال عروة : فلما كان قابل (أي العام الذي بعد ذلك العام) قالت له : ان ابن عمرو قد قدم فآلقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكر لك في العلم قال فلقيته فسألته فذكره لي نحو ما حدثني به مرته الاولى . فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه الا قد صدق اراه لم يزد فيه شيئا ولم ينقص . والجواب المشهور عند العلماء في مثل هذه المسألة ان من حفظ حجة على من لم يحفظ

(ثانيا) حديث عبد الله بن عمر في قتل الكلاب ، نقله الطاعن عن الترمذي وهو في صحيح مسلم وسنن النسائي وابن ماجه ايضا . وقد قال العلماء ان مراد ابن عمر بقوله « ان لأبي هريرة زرعا » هو أن أبا هريرة كان محتاجا الى معرفة حكم اتخاذ الكلب للزرع لان له زرعا فسأل عن ذلك وحفظه وعمل به . ويؤيد هذا

ويقند زعم الطاعن أنه يريد التقرُّيع ما صح عن ابن عمر من تفضيل أبي هريرة على نفسه وتقدم بعض كلامه في ذلك ، ومنه الشاهد الآتي الذي عدّه الطاعن تكديبا لابي هريرة وهو عين التصديق والتعديل - وهو - :

(ثالثها) ما نقله عن الاصابة - وهو الشاهد السابع - من ان مروان سمع من ابي هريرة حديثا لم يعجبه الخ ما تقدم ، وقد حرف الطاعن الرواية . وهذا نصها :
وروينا في فوائد المزيكي تخرج الدارقطني من طريق عبد الواحد بن زياد عن الاعمش عن ابي صالح عن ابي هريرة رفعه « اذا صلى احدكم ركعتي الفجر فليضطجع على يمينه » فقال مروان : أما يكفي أحدنا ممشاه الى المسجد حتى يضطجع على يمينه ؟ قال لا . فبلغ ذلك ابن عمر فقال : أكثر أبو هريرة . فقيل لابن عمر هل تنكر شيئا مما يقول ؟ قال لا ولكنه اجتراً وجبنا اه بحروفه (١)

وعبارة المبشر الطاعن توهم ان ما أورده هو نص ما في الاصابة ولعله يريد بقوله في الحديث « لم يعجب مروان » ايها القارىء أن موضوع الحديث قبيح أو منكر أدا . ثم انه فسر الجرأة التي وصف ابن عمر بها أبا هريرة بالتهجم والتحدي . وهذا من أكبر الجرأة على القول بغير علم فالتحدي معناه المباراة والمعارضة ولا محل له هنا ، فالطاعن أثبت بهواه معنى غير صحيح ، ونفي معنى صحيحا ، وهو وصف ابن عمر نفسه بالجبن ، والمراد به كما تقدم في بيان السبب الاول من أسباب كثرة حديث أبي هريرة انه كان جريئا على سؤال النبي صلى الله عليه وسلم وكان أكثر الصحابة يهابون سؤاله فلا يكادون يسألونه الا للضرورة . فهذا معنى قول ابن عمر اجتراً وجبنا . وهو قد صرح هنا بأنه لا ينكر شيئا من قول أبي هريرة . ولكن القسيس المبشر يريد أن يقنعنا مع هذا التصريح بأنه أنكر كلامه و كذبه !! وقد فسر ابن الاثير « اجتراً وجبنا » بقوله : يريد انه أقدم على الاكثار من الحديث عن النبي (ص) وجبنا نحن عنه فكثير حديثه وقل حديثنا اه

هذا وان هذا الحديث عن أبي هريرة مطعون في سنده فان راويه عبد الواحد ابن زياد ليس ثقة فيما يرويه عن الاعمش عن أبي صالح كما صرح به الذهبي في

الميزان وذكر هذا الحديث من منا كبيره هـ

وأما جملة التحدي التي كتبها الطاعن بغير فهم فهي مصحفة عليه من أثر في الاصابة عن عبد الله بن عمر. قال الراوي : كان ابن عمر اذا سمع أبا هريرة يتكلم قال : انا نعرف ما تقول ولكننا نجبن وتجتري . أي نجبن عن كثرة التحديث وتجتري أنت عليه. فيكون هذا بمعنى رواية عبد الواحد على الوجه الذي فسرها به ابن الاثير. ولكن كلمة تجتري صحفت في طبعة الهند للاصابة هكذا «نحتري» ولعل الطاعن رآها في طبعة مصر مصحفة أيضا بفعل من التحدي أو ما يقرب منه، وأنى له ان يعرف الاصل ؟

وهذا يثبت قولنا ان هذا الطاعن يكتب ما لا يفهم وانه لا ثقة بنقله ولا يفهمه، ومن الغريب انه ترجى أن يكون هذا التفسير الباطل لتلك الكلمة المحرفة من تلك الرواية المنكرة أصلا للطعن في جميع الاحاديث لا لتكذيب أبي هريرة وحده فقال « ولعل في هذا ما يميظ لنا اللثام عن مصادر الاحاديث فانه يدلنا على عظم الاستسلام الى رواة الاحاديث غير المدققين ، والارجح ان عبد الله لم يكن يجسر على مقاومة أبي هريرة وانما جاهر برأيه ببلهجة الازدراء » اه

فليهنأ المسلمون بهذا الطاعن بشر يعتهم بمثل هذا الخبط والخلط والتحريف والدعاوي المضحكة . ومن ذا الذي لا يضحك من ادعاء هذا المبشر أن عبد الله ابن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين القرشي ما كان يجسر على تخطئة أبي هريرة الدوسي الضعيف ؟

كان ينبغي لك أيها القس المحترم أن تلمّ قبل تصديك لتشكيك المسلمين في دينهم ، وتهجمك على الطعن بشر يعتهم ، أن تلمّ قليلا بتاريخهم ، فاننا نرى عوام نصارى بلادنا العربية يعلمون كخواصهم ان حرية النقد واستقلال الرأي عند الصحابة رضي الله عنهم قد بلغت أوج الكمال ، وان أرقى الاوربيين حرية كالانكليز لم يبالغوا درجاتهم في ذلك ، انهم يعلمون ان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي كانت تخشى بأسه ملوك الارض وتهابه الانس والجن كان يقول الكلمة على المنبر في المسجد الجامع فتخطئه بها المرأة أو الأعرابي فيمترف بخطئه اذا كان

مخطئا، فهل يقال في هؤلاء أن أعظمهم . كانه في العلم والشرف لا يجسر أن يصرح برأيه في مخطئة أضعفهم ؟؟ على انه كان يكفيك ان تفهم شاهدك الآتي - وهو -
(رابعها) ما نقله عن الاصابة محرفا ناقصا كالذي قبله - وهو الشاهد الثامن -
ومن نقله بنصه ليقابله القراء بما نقله (١) ويروا درجة أمانته . قال الحافظ :

« وأخرج ابن سعد من طريق الوليد بن رباح : سمعت أبا هريرة يقول لمروان حين أرادوا ان يدفنوا الحسن عند جده : تدخل فيما لا يعنيك . - وكان الامير يومئذ غيره - ولكنك تريد رضا الغائب . فغضب مروان وقال ان الناس يقولون أكثر أبو هريرة الحديث وإنما قدم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببسبر . فقال أبو هريرة قدمت ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين فأقت معه حتى مات و (كنت) أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو معه وأحج ، فكنت أعلم الناس بحديثه ، وقد والله سبقتني قوم بصحبته فكانوا يعرفون لزومي له فيسألوني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير ، ولا والله لا يخفى علي كل حديث كان بالمدينة ، وكل من كانت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة ، ومن أخرجه من المدينة أن يساكنه . قال فوالله ما زال مروان بعد ذلك كافئا عنه »

فخلاصة هذه الرواية أن مروان بن الحكم غضب لانكار أبي هريرة عليه أمرا كان لاهل بيته (بني أمية) فيه سياسة - والدولة دولتهم - فلم يجد كلمة يشفي بها غيظه الا قول بعض الناس : أكثر أبو هريرة ، فلما بين له أبو هريرة سبب اكثاره أذعن له ولم يعد الى مثل ذلك ، أليس من العجائب أن يعمد هذا القس المبشر الى هذه الرواية فيحرفها ليستدل بها على كذب أبي هريرة أو تكذيب الناس له ، وما هي الاحكاية لشبهة الاكثار التي فندها أبو هريرة وأجبنا نحن عنها بما استنبطناه من مجموع الروايات المبينة لاسبابها وهي سبعة ؟

وجواب ابي هريرة يدل على جرأته وعلى سعة حرية العرب حتى في عهد معاوية أيضا ، فانه ذكر لمروان نفي النبي (ص) لوالده الحكم ، وسيأتي بيان ذلك

﴿ الجملة الراهبة من كلام الطاعن ﴾

(شبهات أخرى في أبي هريرة)

قال: « ١ جاء في مجموعة الرسائل للنزالي في كتاب المؤمل للرد إلى الأمر الأول صفحة ٣٢ قوله: « أقلد جميع الصحابة ولا أستجيز خلافتهم برأبي إلا ثلاثة نفر أنس بن مالك وأبو هريرة وسعرة بن جندب... وأما أبو هريرة كان يروي كلما سمع من غير أن يتأمل في المعنى ومن غير أن يعرف الناسخ من المنسوخ »

« اقفيس كوكب زبر هذا القول في كتابه (الظاهرية) صفحة ٧٩ ولكن بدون إشارة إلى القيد المذكور، فأبو حنيفة لم يرتب في وثائق أبي هريرة ولكنه ارتاب في قيمة أحاديثه بأخبارها أركاناً شرعية »

« ٢ حلقة أبي حنيفة: على أن ارتياب أبي حنيفة وأتباعه في قبول كلام أبي هريرة كان مبنياً على ارتيابهم في وثائقه. فقد نقل العمري في كتاب الجوهان أنه وقع خلاف بين بضعة من رجال الأفعال في جامع بيتداد، فأنكر الخنفيون الاستشهاد بأبي هريرة لاشتباهم في صدق روايته، وكان الخليفة هارون الرشيد في جانب الفريق المرتاب » اهـ

هذا ما قاله الطاعن بنصه على ما فيه من الغلط والتعريف والابهام من وجوه:

(منها) أن مجموعة الرسائل ليست للنزالي وإنما رسائل لكثير من قبله وبعده (ومنها) أن كتاب المؤمل في الرد إلى الأمر الأول ليس للنزالي كما توهمه عبارته (ومنها) أن قوله « أقلد جميع الصحابة » الخ منقول في كتاب المؤمل عن أبي حنيفة. وظاهر عبارة الطاعن أنه للنزالي لأنه هو الذي سبق ذكره في كلامه.

ولهذا يتوجب من يرى لاحق كلامه وذكره فيه لاني حنيفة (ومنها) أن الأصل (يروي كل ما سمع) لا (كلما سمع) كما كتبت الطاعن والفرق بينهما معروف لكل من له إلمام بالعربية (ومنها) أنه أورد شبهة واحدة، وإنما عقد العنوان لشبهات متعددة، ولكنه قسم هذه الشبهة إلى قسمين (أحدهما) ادعاؤه أن أبا حنيفة لا يحتج بالأحاديث التي يرويها أبو هريرة (والثانية) أن أتباعه كذلك لا يحتجون بها

ولعلنا لو راجعنا عبارة حياة الحيوان لاستخرجنا من نقله لها بالمعنى الذي اراده اغلاطا وتحريفات اخرى ، والغرض من هذا بيان ما قلناه اولاً من انه لا يوثق بنقله ولا يفهمه ، مع القطع بأنه يقصد الطعن لتشكيك المسلمين في الاسلام لا تمحيص الحقيقة ، ولكن بعض خطئه مما لا يهتدي عاقل الى تعليقه ، كنسبته كتاب المؤمل ومجموعة الرسائل الى الغزالي !!

أما الجواب عن هذه الشبهة فهي أن أبا حنيفة لم يطعن في رواية أبي هريرة بهذه العبارة ولا بغيرها ولم يتهمه بالكذب ، وهذه العبارة التي فسرها الطاعن بهواه لا بما تدل عليه في عرف الفقهاء لا تنهض حجة له ، فالتقليد عند علماء الشرع هو العمل برأي المقلد (بفتح اللام) لا بروايته ، لا خلاف بين المذاهب في هذا . فأبو حنيفة يقول في هذه الرواية عنه انه يقدم رأي الصحابي على رأيه — أي رأيه الذي ينسبته من الكتاب أو السنة بالقياس — الا رأي هؤلاء الثلاثة ، وعمل ذلك بقوله « أما أنس فاختلف في آخر عمره وكان يقني من عقله وانا لا أقلد عقله ، واما أبو هريرة فكان يروي كل ما سمع من غير ان يتأمل في المعنى ومن غير ان يعرف الناسخ والمنسوخ » فقد صرح بأنه كان يروي ما سمعه وهذا ينفي اتهامه بأنه يكذب ، وصرح بأنه ما كان يقصد من الرواية استنباط الاحكام منها بالتأمل في معاني الاحاديث والبحث عن الناسخ والمنسوخ منها ليقدم الاول عند التعارض ، وحاصل ذلك انه راو غير مستنبط فيؤخذ بروايته لا برأيه وفهمه . وهذا صحيح فان ابا هريرة كان يقصد بحفظ الحديث اولاً بروايته والاهتمام به بنفسه ، وثانياً نشر السنة وايصالها الى الناس ليبتدوا بها بحسب اجتهادهم عملاً بوصية النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة في خطبة حجة الوداع اذ قال « ليلغ الشاهد الغائب فان الشاهد عسى أن يبلغ من هو اوعى له منه » وفي رواية « رب مبلغ اوعى من سامع » وكلاهما في البخاري وغيره . وفي معنى هذا الحديث ما رواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت مرفوعاً « نضر الله امرأ سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ، ورب حامل فقه ليس بفقيه »

والرواية الاخرى عن أبي حنيفة وهي الاشهر انه قال : أقلد من كان من القضاة

المفتين من الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والعبادة الثلاثة ولا أستجيز خلافتهم برأيي الاثلاثة نفر . — وذكرهم — والمراد بالعبادة الثلاثة عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر . وقد ترك الطاعن نقل هذه الرواية من كتاب المؤمل ، لأنها أظهر في المراد الذي يبناه ، وأبعد عن التحريف الذي ادعاه . وما زعمه من رد الحنفية الاستشهاد بحديث أبي هريرة لاشتباههم في صدق روايته اهتماما على حكاية محرفة نسبها الى حياة الحيوان فهو باطل ، وهذه كتب الحنفية في الحديث والنقح تكذب هذه الدعوى ، وصاحب الدار أدري . ومذهب السواد الاعظم من الفقهاء المجتهدين ان رأي الصحابة ليس بحجة في الشريعة سواء كانوا فقهاء مستنبطين أو رواة ناقلين ، وإنما الحجة في الرواية اذا صحت .

خلاصة الطعن في أبي هريرة والاجوبة عنه

ينحصر طعنه في أبي هريرة في ثلاثة أشياء — ١ — استكثار بعض الصحابة لروايته ، وقد بينا أسبابها المزيلة لاستغرابها ، — ٢ — توقع أبي هريرة لتكذيب بعض الناس له اذا هو صرح بكل ما سمعه . وقد بينا ان هذا خاص بما سمعه من أخبار الفتن التي اسر اليه النبي صلى الله عليه وسلم شيئا كثيرا منها ، ومثله في ذلك حذيفة ابن اليمان ، وقد ذكر كل منهما بعض ما سمع تصريحا أو تلويحا فوق كما قالا فكان من دلائل النبوة التي لا تحتمل التأويل — ٣ — ان الحنفية لا يحتجون بروايته وإنهم يعتقدون انه كان كاذبا — وهذه دعوى باطلة تكذيبها الالوف من كتب المذهب والملايين من أتباعها

وبعارض هذه الشبهات الباطلة إجماع أئمة الفقه ومنهم الاربعة المشهورون على الاحتجاج بما صح عندهم من أحاديث أبي هريرة المرفوعة — وكذا المرسلات عند الجمهور — وثناء كثير من الصحابة ومن بعدهم على سعة حفظه وجودة ضبطه ، وقد ذكرنا بعضها

ومن الغريب ان أبا هريرة اغضب مروان بن الحكم الاموي — الذي كان أمير المدينة ثم صار أمير المؤمنين — وعرض أمامه تعريضا يقرب من التصريح بأن عشيرته هي التي تفسد على المسلمين أمرهم ، ولم يجد مروان كلمة يقولها فيه الا حكاية

قول من قال : أكثر أبو هريرة . ولما جبهه بتذكيره بنبي النبي صلى الله عليه وسلم لوالده (الحكم) من المدينة لم يعد الى تلك الكلمة ولا غيرها ، ولو وجد فيه مطعنا لما قصر في التشايع عليه به

وقد ورد ان مروان امتحنه لعله يثر عثرة يؤاخذ به . قال الحافظ في الاصابة : وقال أبو الزبيرة كاتب مروان : أرسل مروان الى أبي هريرة فجعل يحدثه وكان اجلسني خلف السرير اكتب ما يحدث به ، حتى اذا كان في رأس الحول أرسل اليه فسأله وأمرني ان أنظر فما غير حرفاً عن حرف . اهـ

فياليت شعري ماذا كان يقول هذا الطاعن لو نقل أن أبا هريرة غير أو بدل أو زاد أو نقص في الاحاديث التي حدث بها مروان — واذ العاقبة مروان وشهر به حتى لا يتقبل أحد حديثه — أو لو طعن في دينه وإيمانه غير مروان ؟ بل ماذا يقول هو وسائر دعاة النصرانية لو نقل ان النبي صلى الله عليه وسلم طرده كما طرد المسيح عليه السلام بطرس وسماه شيطانا وهو كبير تلاميذه ورسوله ؟ ففي الفصل ١٦ من انجيل متى انه طوبه وجهله الصخرة التي يبني عليها كنيسته وقال له (١٩) واعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولا في السموات (قال متى) ٢٠ حينئذ أوصى تلاميذه ان لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح ٢١ من ذلك الوقت ابتداء يسوع يظهر لتلاميذه انه ينبغي ان يذهب الى اورشليم ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم ٢٢ فأخذه بطرس اليه وابتداء ينتهره قائلا حاشاك يارب ٢٢ فالتفت وقال لبطرس اذهب عني يا شيطان ، أنت ممثرة لي لأنك لاتهتم بما لله

لكن بما للناس)

فهذه الشهادة على بطرس وهذا اللقب كان على رواية متى بعد تلك المنحة والخصوصية التي خصه بها ، فهل نسختها أم يجوز الجمع بينهما ؟ نحن نجل حواربي المسيح ولا نؤمن بهذه الرواية حتى نحتاج الى الجوب عنها . وفي متى (١٤ : ٣١) ان المسيح قال لبطرس أيضا « يا قليل الايمان » وفي ١٧ : ٢٠ وصف التلاميذ كلهم (المنار : ج ١) (٧) (المجلد التاسع عشر)

بعدم الإيمان وانه ليس لهم منه ولا مثل حبة خردل . ومثل هذه الشهادة متعددة في غيره من الانجيل . حتى ان منها ما جاء بصيغة المستقبل كقوله لهم بعد ما رأوا آية إطعام خمسة آلاف من خمسة أرغفة « انكم قد رأيتموني ولستم تؤمنون » (يوحنا ٦: ٣٦) وكما وصفهم بعدم الإيمان وصفهم بأنهم أشرار ، روى ذلك لوقا في (١١ : ١٣) من انجيله

ثم ياليت شعري لو وصف النبي صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بمثل هذين الوصفين — أو لو وصف بذلك في كتاب الله المجيد — ماذا كان يقول فيه وفي روايته هذا المبشر المحترم والقس الجدل الذي وضعته جمعيته في أشهر البلاد الاسلامية بالعلم لينصّر المسلمين فيها؟ وهل يقبل منا أن نقول له لماذا تقبل رواية تلاميذ المسيح بلا سند مع وصف المسيح لهم بما ذكر وهو المعصوم من الخطأ — ولا نسمح لنا بقبول رواية أبي هريرة ولم يجرحه من دون المسيح بمثل ذلك ؟ (لارد بقية)



التعريف بكتابي

منازل السائرين — ومدارج السالكين

وترجمته مؤلفهما

(بيان وجه الحاجة الى تحرير التصوف ومكانة الكتابين والشيخين منه)

علماء الاسلام أربعة أصناف : أهل الأثر والمتكلمون والصوفية والفقهاء . والتفسير مشترك بينهم ففي كل صنف منهم مفسرون . ونقول باعتبار آخر : ان علماء الاسلام صنفان علماء الأثر وغيرهم ، أو علماء المتقول وعلماء المعقول ، ومن كل صنف مفسرون وفقهاء . ولا يكاد يكون الأثري متكلماً ، وقد يكون صوفياً في النادر . والأثري الفقيه اذا احتج بالقياس فإما يحتج بما كانت علته ثابتة في الكتاب أو السنة ثم إن علم الأثر ينقسم الى علم الرواية وعلم الدراية ولا يتم نفع أحد العلمين الا

بالآخره، فمن اتقن علم الرواية بحفظ الأثر أو الحديث وضبطه ومعرفة رواته وعمله والتمييز بين الصحيح وغيره منه ولم تكن له دراية تامة بفهمه والاستنباط كان جل النفع بعلمه لغيره ، وهو اذا خاض في معاني الحديث بغير استعداد تام للفهم فانه ربما يضل ويضل كثيرا ، وفي مثله ورد الحديث الصحيح « نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه » رواه الترمذي والضياء من حديث زيد بن ثابت . وفي معناه حديث « نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع » رواه احمد والترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود . وأما من لم يتقن علم السنة من المتكلمين والفقهاء والصوفية فضلالهم وإضلالهم أشد

وقد وجد في كل طائفة علماء أعلام خدموا الاسلام أجل خدمة ، فصالحو المتكلمين خدموه بدفع شبهات الملاحدة وكثير من المبتدعة ، على ان بعض الشبه والبدع ما جاءت الامن علمهم المبتدع ، وانما ينتفع بعلمهم من جمع بينه وبين علم السنة . وصالحو الصوفية خدموا الاسلام ببيان حكم الشريعة وأسرارها وتربية الاخلاق والآداب ، ولكن البدع التي حدثت من قبلهم أكثر وأرسخ من سائر البدع التي حدثت في الاسلام ، وسبب ذلك الجهل بالسنة .

والفقهاء خدموا الاسلام باستنباط أحكام العبادات والحلال والحرام والاحكام المدنية والسياسية والتأديبية ، وقد جنى الجاهلون بالسنن منهم على الاسلام جناية عظيمة بما أحدثوا بأقيستهم البعيدة عن نصوص الشريعة ومقاصدها من الاحكام الكثيرة المنافية ليسر الدين ورفع الحرج منه

تفرق المسلمون بهذه العلوم الى فرق وأحزاب كثيرة كل ينتحل مذهبا ينتصر له ويدافع عنه ، فكانت جناية الخلاف على الاسلام وأهله أشد ضررا مما أخطأ به كل فريق منهم . وقد رد بعضهم على بعض ردودا كان يعدها كل منهم من التعصب أو من باب « من جهل شيئا عاداه » والحق انه قلما يخورد طائفة على أخرى من ذلك . ومنشأ الخطأ والضرر الأكبر هو التزام مذهب والرد على مخالفه ، فان هذا هو اتباع الهوى ، وأهله هم أهل الأهواء ، وان سموا أنفسهم بأفضل الاسماء

أما أهل الحق الذين لا يدخلون في عموم (الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون) فهم الذين يجعلون كتاب الله تعالى وبما بينه من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم فزق الخلاف، بل هو الحكم العدل في الخلاف، لأنه تعالى أخبرنا انه أنزل الكتاب (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه — وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم — فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

وأجدر هؤلاء المهديين ببيان التحقيق الذي يزيل الخلاف من كان جامعا بين المنقول والمعقول غير متمصب لمذهب من المذاهب التي تعزى الى أفراد العلماء . ولم تر في هذا الصنف أوسع علما وأنقض حجة وأقوى عارضة من شيخ الاسلام احمد ابن تيمية، وتلميذه الامام المحقق محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم أو ابن قيم الجوزية، فقد جمع الله لكل منهما بين الرسوخ في علوم السنة حفظا وفهما واستحضارا واستنباطا وبين التمكن من سائر العلوم التي دوت بالعربية ومذاهب الفرق وأداتها ، فيينا في كتبهما الممتعة ما أخطأ فيه الذين انحرفوا عن الكتاب والسنة من أهل هذه المذاهب، وقد كان ابن تيمية السابق الى تحرير تلك المسائل، وتلاه ابن القيم فكان الموضح المكمل لها، والمستدرك المدرك لما فاتته منها

وأهم ما انفرد به ابن القيم فيما نعلم الاطالة بتحرير علوم الصوفية ووضع الموازين القسط لمعارفهم وأذواقهم ومقاماتهم وأحوالهم بشرحه لكتاب [منازل السائرين] لشيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي

الصوفية ثلاث: صوفية الارزاق وصوفية الرسوم وصوفية الحقائق، وبدع الفريقين المتقلدين يعرفها كل من له إمام بالسنة والفقهاء . وإنما الصوفية صوفية الحقائق الذين خضعت لهم رؤس الفقهاء والمتكلمين ، فهم في الحقيقة علماء حكماء ، ولكن ضل بما دخل في الاسلام من باب فلسفتهم الروحية، أضعاف من ضل بما دخل على المتكلمين وغيرهم من باب الفلسفة العقلية ، من إلهية وطبيعية ، وسبب ذلك ما بيناه آنفا من جهل بعض شيوخهم بالسنة النبوية، فمن أصول الضلالة التي دخلت على المسلمين من باب التصوف المقابلة بين الحقيقة والشريعة ، وجعل الأمر الكوني القدري كالامر

الشرعي في كون كل منهما يجب الرضاء به والاذعان والاستسلام له ، ومن مفسد هذا الأصل قولهم «من نظر إلى الخلق بعين الشريعة منهم ، ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرم » ومن مفسده الرضاء بدمم مقاومة الأمراض والظلم وهضم حقوق الافراد وحقوق الأمة . ومن مفسده الجبر وسلب الاختيار وناهيك بما يتبعه من المفسد والمضار

ومن أصول الضلالة التي دخلت من ذلك الباب جعل الفرق والحال من قبيل دلائل الشريعة وأصولها ، بل هو عند كثير من غلاتهم الركن الاعظم المقسم على كل ما يمارضه ، ومن فروع هذا الاصل ما ابتدعوه من الاذكار والاوراد والسماع وتعميم القبور وجملوه من شمائر الاسلام فان عمدتهم فيه انهم ذاقوا ما أثمره لهم من الحب والوجد والخشوع والبكاء والرغبة في الآخرة ، ومن أمثالهم «من ذاق حرف» وجعلوا ان مثل هذا الذوق حاصل للكفار فيما يأتونه في عبادتهم من الاغاني والانشيد وآلات العرب ، وما يشاهدونه في معابدهم ومقابرهم من الصور والنماثيل التي وضعت لطفهم من الذهبين والكهنة رفيعهم من الصالحين عديم ، فاذا كانت العبادة تشرع بالذوق ، فقد هضم حق الوحي وهدم أساس الشرع

ومن أصول تلك الضلالات دعوى ان لدين ظاهراً وباطناً مخالفاً لما يفهما الجمهور منه ، وهذه الضلالة من ابداع زنادقة الباطنية وقد كانت سبباً لارتداد كثير من المسلمين فسكونت منهم طوائف الاسماعيلية والنصيرية والدروز والباوية البهائية والأزلية وغيرهم

ومنها أصل الاصول عند غلاتهم ، وهو ما يبرون عنه بوحدة الوجود بالمعنى الذي يمتد الكتاب المسمى (بالانسان الكامل) وأمثاله وهذا الاصل يخالف لنصوص القرآن الصريحة ، ولنصوص السنة الصحيحة ، وفيه مفسد كثيرة جداً ، واسكن من الناس من يفهم وحدة الوجود على غير هذا الوجه .

قد افترقت كل فرقة انشقت من جماعة المسلمين وأهل كل مناهج خالفوا السنة وما جرى عليه سلفها الصالح بفتنة أويل ما يخالف مذاهبهم وآراءهم من آيات الكتاب العزيز ومتون الاحاديث ، حتى انهم ليؤولون السنن العملية أو يعارضونها بروايات قولية شاذة أو منكرة ، وغلاة الصوفية أبرع الفرق في التأويل وأشد ماسرافاً

فيه بعد الباطنية الذين يشبهون بهم - كثيرًا ، ذلك بأنهم لا يلتزمون في التأويل ما يلتزمه المتكلمون والفقهاء من عدم الخروج باللفظ عن حقيقته الا الى ضرب من ضروب المجاز أو الكناية ، بل يزيدون على ذلك باب الكشف وباب الاشارة وباب الرموز ، ولذلك نرى كلامهم ممزوجا بالآيات والاحاديث محرفة عن معانيها الصحيحة التي تدل عليها في اللغة ، ولا جله ترى كلامهم مقبولا عند الجاهير من غير تأمل ولا تفكر ، حتى ان المتكلمين والفقهاء ما عادوا ينكرون عليهم شيئًا كما كان السلف ينكرون على كل من يخالف ظواهر النصوص أو يتدع في الدين ما لم يكن في الصدر الاول

فمن تدبر ما ذكرنا علم ان تحرير علم التصوف شيء لا يستطيعه الا من كان راسخا في علم الكتاب والسنة أم الرسوخ ، وعارفا بالتصوف معرفة علم وذوق وعمل ، وقد ادخر الله تعالى هذا للعالمين العاملين العارفين الذائقين المفسرين المحدثين - شيخ الاسلام أبي اسماعيل الهروي الانصاري ، ومحقق الاسلام ابن القيم الدمشقي - فالاول عالم أري غلب عليه التصوف ، والثاني صوفي ذائق غلب عليه علم السنة ، جمع الاول زبدة التصوف جمعا موجزا في كتابه [منازل السائرين] وشرحه الثاني وبين ماله وما عليه في كتابه [مدارج السالكين] وهما نحن أولاء نقل من كتب العلماء ترجمة وجيزة لكل من الشيخين ، وتقفي عليها بالتعريف بكل من الكتابين :

﴿ ترجمة شيخ الاسلام الهروي ﴾

جاء في حوادث سنة ٤٨١ من كتاب (شذرات الذهب) ما نصه :
وفيهما توفي أبو اسماعيل شيخ الاسلام الانصاري الحنبلي عبد الله بن محمد بن علي الهروي الصوفي القدوة الحافظ أحد الاعلام ، توفي في ذي الحجة وله ثمانون سنة وأشهر

سمع من عبد الجبار الجراحي وأبي منصور محمد بن منصور الازدي وخلق كثير وبنيسابور من أبي سعيد الصيرفي واحمد السليطي صاحبي الاصم ، وكان قدي في أعين المتدعة وسيفا على الجهمية. وقد امتحن مرات. وصنف عدة مصنفات ، وكان

شيخ خراسان في زمانه غير مدافع ، قاله في العبر
ومن شعره

سبعان من أجمل الحسنى لطالبا حتى اذا ظهرت في عبده مدحا
ليس الكريم الذي يعطي لمدحه ان الكريم الذي يثني بما منحنا
وجاء في أول حرف العين من (الكواكب الدرية) في طبقات الصوفية للمناوي :
« عبدالله بن محمد بن علي شيخ الاسلام ابو اسماعيل الانصاري الهروي الحافظ
العالم العارف الصوفي صاحب [منازل السائرين] كان اماما في التفسير والحديث ،
حسن السيرة^(١) في التصوف والعربية والتاريخ والانساب وغير ذلك . وكان لا يخاف
في الله لومة لائم ولذلك^(٢) في هلاكه مرارا فحفظ منهم . وكان آية في التذكير
والوعظ . مات سنة احدى وثمانين وأربعمائة » اهـ

وذكره الحافظ الذهبي في كتاب العلو وجعل عنوانه « شيخ الاسلام الانصاري »
ولقبه بالامام الكبير ، على كونه لم ينقم منه سوى تأليفه لكتاب المنازل وقال فيه مانصه :
« كان ابو اسماعيل آية في التفسير ، رأسا في التذكير ، علما بالحديث وطرقه ،
بصيرا باللغة ، صاحب أحوال ومقامات ، فياليت له لا ألف كتاب المنازل ففيه اشياء
منافية للسلف وشمائهم ، قيل انه تقدم على تفسير (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى)
ثلاث مئة وستين مجلسا . وقد هدد باقتل مرات ليقتصر من مبالغته في إثبات
الصفات ، وليكف عن مخالفه من علماء الكلام ، فلم يرعوا لتهديدهم ، ولا خاف من
وعيدهم ، ومات في سنة احدى وثمانين وأربعمائة ، وله خمس وثمانون سنة ، سمع
من عبد الجبار الجراحي وابي سعيد الصيرفي وطبقتهما »

﴿ ترجمة محقق الاسلام ابن القيم ﴾

قال العلامة السيد نعمان خير الدين ابن الآلوسي البغدادي في كتابه (جلاء
العينين) :

العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي

(١) لعله سقط شيء من هنا (٢) ههنا كلمة ممدودة في الاصل لعلها : سمي علماء الكلام

ثم الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسر النحوي الاصولي المتكلم الشهير بابن قيم الجوزية . قال في الشذرات : بل هو المجتهد المطلق . قال ابن رجب : ولد شيخنا سنة احدى وتسعين وستائة ولازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه وتفنى في كافة علوم الاسلام وكان عارفاً في التفسير لا يجارى فيه ، وبأصول الدين واليه فيه المتعمى ، والحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يباحق في ذلك ، وبالفقه والاصول والعربية وله فيها اليد الطولى ، وبعلم الكلام والتصوف . حبس مدة لانكاره جد الرحيل الى قبر الخليل ، وكان ذا عبادة وتهجد وطول صلاة الى الغاية القصوى ، ولم أشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الايمان ، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أر في معناه مثله . وقد امتحن وأوذى مرات وحبس مع شيخه شيخ الاسلام تقي الدين في المرة الاخيرة بالقامة منفردا عنه ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ ، وكان في مدة حبسه مشتغلا بتلاوة القرآن وبالتدبر والتفكير ففتح عليه من ذلك خبر كثير ، وحصل له جانب عظيم من الاذواق والمواجيد الصحيحة ، وتسلط بسبب ذلك على الكلام في علوم أهل المعارف والخوض في غوامضهم وتصانيفه بمائة ، وذلك وحج مرات كثيرة وجاور بمكة ، وكان أهل مكة يتعجبون من كثرة طوافه وعبادته ، وسمعت عليه قصيدته النونية في السنة وأشياء من تصانيفه غيرها ، وأخذ عنه العلم خلق كثير في حياة شيخه ، والى أن مات وانتفخوا به . قال القاضي بيهان الدين الزرعي : وما تحت أديم السماء أوسع علما منه ، ودرس بالصدرية وأم بالجوزية ، وكتب بخطه ما لا يوصف كثرة ، وصنف تصانيف كثيرة جدا في أنواع العلوم وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره

فمن تصانيفه : تهذيب سنن أبي داود وايضاح مشكلاته . وسفر المهجرتين . ومراحل السائرين . والكام الطيب . وزاد المسافرين ، وزاد المعاد أربع مجلدات ، وهو كتاب حليل . وكتاب نقد المنقول . وكتاب أعلام الموقمين عن رب العالمين ، ثلاث مجلدات . وكتاب بدائع الفوائد مجلدان . النونية الشهيرة بالشافعية الكافية . الصواعق المرسله على الجهمية والمعطله . حادي الارواح الى بلاد الافراح . ونزهة المشتاقين . وكتاب الداء والدواء . وكتاب مفتاح دار السعادة بحسب ضخم غريب

الأسلوب . واجتماع الجيوش الاسلامية . وكتاب الطرق الحكمية . وكتاب عمدة الصابرين وكتاب اغائة الهمهان . كتاب الروح . وكتاب الصراط المستقيم . والفتح القدسي . والتحفة المكية . والفتاوى ، وغير ذلك . توفي ثالث عشر رجب سنة احدى وخمسين وسبعمائة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير بعد ان صلي عليه بموضع عديدة ، وكان قد رأى قبل موته شيخه تقي لدين في النوم وسأله عن منزلته فأشار الى علوها فوق بعض الاكابر ، ثم قال له : وأنت كدت تلحق بنا ولكن أنت الآن في طبقة ابن خزيمة ، رحمهم الله تعالى . انتهى باقتصار

مكة كتاب منازل السائرين

جاء في كشف الظنون مانصه :

(منازل السائرين) أوله « الحمد لله الواحد الاحد » الخ . وهو لشيخ الاسلام عبد الله بن محمد بن محمد بن (علي أبو) اسماعيل الانصاري الهروي الحنبلي الصوفي المتوفى سنة ٤٨١ هـ احدى وثمانين وأربعمائة . وهو كتاب في أحوال السنوك قال فيه : هذه المقامات يجمعها رتب ثلاث : الاولى اخذ المرید في السير ، الثانية دخوله في الغربة ، الثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة الى عين التوحيد . الفه حين سأله جماعة من الراغبين في الوقوف على منازل السائرين الى الحق من أهل هراة فأجاب ، ورتبه لهم فصولا وأبوابا ، وجعله مائة مقسومة على عشرة أسام ، كل منها يحتوي على عشرة مقالات ، « وقد شرحه جماعة منهم الشيخ كمال الدين عبد الوزاق الكاشي المتوفى سنة ٧٣٠ ثلاثين وسبعمائة اغياث الدين محمد بن رشيد الدين محمد بن محمد بن طاهر الوزير ، أوله « الحمد لله الذي خص العارفين بمعرفة ما لا يعرفه الا هو » الخ . وذكر الكاشاني ان النسخ كانت مختلفة وألفاظها متباينة حتى ساق اليه القدر نسخة مقروءة على المصنف موشحة بإجازة بخطه ، قل وهو كتاب فاق على كل ما صنف في هذه الطريقة . وشرحه المولى شمس الدين محمد البتادكاني الطوسي المتوفى سنة ٨٩١ هـ احدى وتسعين وثمانمائة وهو شرح مزوج بالفارسية سماه (تسنيم المنفر بين في شرح منازل السائرين) وشرحه محمود بن محمد الدر كزني المتوفى سنة ٧٤٣ ثلاث وأربعين وسبعمائة سماه (تنزل السائرين) ولاحمد بن ابراهيم الواسطي المتوفى سنة ٧١١ هـ احدى عشرة وسبعمائة شرح نافع (المنار : ج ١) (٨) (المجلد التاسع عشر)

« واشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الدمشقي المتوفى سنة ٧٥١ إحدى وخمسين وسبعمائة شرح سماه (مدارج السالكين) وهو شرح مبسوط . وعلق عليه أبو طاهر محمد بن أحمد الفيثي المتوفى سنة ٧٤٧ سبع وأربعين وسبعمائة ؛ وترجمه الشيخ مصلح الدين المعروف بابن نور الدين المتوفى سنة ٩٨١ إحدى وثمانين وتسعمائة بالتركية ؛ واختصرته الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته (الاشارات الخفية في المنازل العلية) وشرحه الشيخ الامام عبد الغني التلمساني . وشرحه أيضا الشيخ الامام سليمان بن علي بن عبد الله التله ساني الصوفي المتوفى سنة ٦٩٠ تسعين وستمائة بأمر الشيخ الزاهد ناصر الدين أبي بكر بن فليح وهو شرح أوله « الحمد لله الذي روحنا بالحمد » الخ اه

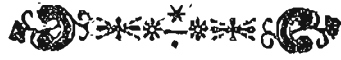
مكانة كتاب مدارج السالكين

مصنفات ابن القيم في كتب علماء الاسلام نادرة ، وكتاب مدارج السالكين في كتب ابن القيم نادرة ، فاذا كان كل كتاب منها ممتازا بتحقيق واحاطة في مباحث العلوم فلا يستغنى عنه بغيره في الجملة ، فكتاب المدارج أولى بأن لا يستغنى عنه بغيره في الجملة ولا في التفصيل . ذلك بأن مباحث كل كتاب من تلك الكتب قد توجد مجملة أو مفصلة في كتبه الاخرى أو كتب شيخه وغيرها من المحققين . وأما مباحث لمدارج فما يوجد منها في تلك الكتب قليل جدا ، فهو الكتاب الذي قد انفرد بتحرير علوم الصوفية ، ووزنها بميزان الكتاب العزيز والسنة النبوية ، وما كان عليه صفوة المسلمين في الصدر الاول . قدر الله تعالى أن يجمع مباحثها له امام من أكبر أئمتهم المهتمين في أوجز عبارة ، وألطف اشارة ، يعز على غيره الحكم لها وعليها ، بل يقل في الناس من يفهم الغايات التي ترمي اليها ، وإنما أحجم غير ابن القيم من علماء السنة الاعلام عن شرح كتاب المنازل بمثل ما شرحه به ، أو إنشاء كتاب مستقل في موضوعه ، لان الصوفي القح منهم — وهو قليل — لا يرجى منه احسن مما جاء به الهروي ، والبعيد عن التصوف منهم لا يفهم رموزهم ومقاصدهم ، ولا يدرك أحوالهم وأذواقهم ، فهو اما أن يحكم عليهم بالتضليل ، أو يعذرهم بضرب من التأويل ؛ ألم تر الى الحافظ الذهبي كيف تمنى لو لم يؤلف الانصاري كتاب المنازل ، ولو لم

يكن من أكبر علماء التفسير والحديث ، ومقاومي الجهمية وغيرهم من أهل التعطيل والتأويل ، لضلله بهذا الكتاب تضليلا

إذا كان لكتاب المدارج عيب يوقيه من العين فعليه أن أكثر ما فيه من الأحاديث غير معزوة الى مواضعه من دواوين السنة ، خلافا لعادة مؤلفه وأمثاله كأن العدوى سرت الى مصنفه من كتب التصوف ، ولكن لم يصل فعلها فيه الى إيراد الأحاديث الموضوعية ، أو الاستدلال بالأحاديث المنكرة والضعيفة ، فان هذا لا يأتي من أري محقق مثل ابن القيم

وجملة ما نقول في هذا الكتاب أنه أفضل ما عرفنا وسمعنا به من كتب التصوف والأخلاق الدينية ، وقد فند ما ذكرنا وما لم نذكر من دخائل كتب التصوف وبدعها فهو غاية الفايات في هذا الباب ، والله أعلم بالصواب . والحمد لله الذي وفقنا لطبعه ونشره ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه



أعظم معركة بحرية بين أعظم أساطيل العالم

نشرت الحكومة الانكليزية في ٣ يونيو ١٩١٦ بلاغا رسميا في مصر هذا نصه:

كما نشر في المقطم وغيره :

أعلنت وزارة البحرية البريطانية أنه بعد ظهر يوم الاربعاء في ٣١ مايو حاول الاسطول الألماني الأكبر أن يخترق نطاق الحصر البحري الذي ضربناه على ألمانيا فجاء من جهة بحركات قاصدا دخول البحر الشمال وكان هذا الاسطول مؤلفا من

أساطيل الدردنوطات والطرادات الكبرى والطرادات والمدمرات الخ

فانبرى له أسطول من الطرادات البريطانية الكبرى تعززه الطرادات والمدمرات

واحتدم القتال بين الفريقين وأسفرت المعركة عن خسارة عظيمة من الجانبين وبعد مدة وجيزة وصل أسطول الدردنوطات البريطانية الى مكان المعركة

فبكف العدو عن القتال وعادت بوارجه قاصدة الموانئ الألمانية

وقد اغرقت البوارج الألمانية التالية وهي

بارجة دردنوط من طرز « كيزر » نسفت نسفا وبارجة أخرى من الطرز عينه أغرقت بنار المدافع

أما الطرادات الألمانية الثلاثة الكبرى التي قاتلت في المعركة (و بينها الطراد العظيم لتزوف والطراد العظيم درفانجر على ما يظن) فقد نسف واحد منها وعطل الثاني ووقف عن الحركة ورؤي الثالث مصابا بعطل كبير

ورؤي طراد الماني من الطرادات الخفيفة وهو يفرق ، ومما يجدر ذكره أن الالمان اعترفوا بضياح ثلاثة من طراداتهم الخفيفة وهي فرونلوب وفسبادن وبومون وغرقت ست مدمرات المانية ونطحت غواصة المانية فأغرقت

هذه الخسارة التي أرسل القائد العام للأسطول البريطني خبرها كما رؤيت ولكن ثلاث بوارج ألمانية من البوارج الكبرى أصيبت بعطب كبير والمرجح أن العدو أصيب بخسارة أخرى لم يستطع أسطولنا رؤيتها بسبب صعوبة الرؤية من جراء الأحوال الجوية والظاهر أن المعركة دارت في آخر الأمر والبوارج الألمانية تجرد في السير وقد ساقها البريطنيون أمامهم من السكو الى مصب نهر الالب

أما خسارة الأسطول البريطني فهي من الطرادات الكبرى « كوين ماري » و « انفيتجايل » و « وأنفنسبل » ومن الطرادات « دقنس » و « بلاك برنس » وهذه البوارج الخمس أغرقت، والطراد « واريور » وقد تعطل فتركناه وشأنه، ومن المدمرات « تبراري » و « تريولنت » و « فرتشون » و « وسبرهوك » و « أردنت » وثلاث مدمرات أخرى ضاعت . ولم يفرق للبريطانيين شيء من بوارج الدردنوط ولا من الطرادات الخفيفة

وقد وقع عبء القتال قبل وصول الأسطول البريطني الأكبر على قسم من أسطول الطرادات الكبرى البريطانية فقاتل هذا القسم أسطول العدو الأكبر وأصيب بالخسارة المتقدمة وهو يقاتل أسطولا يفوقه كثيرا في قوة البوارج وعددها اه

وقد شرح كل من المقطم والاهرام هذا البلاغ شرحا صرحا فيه بأن الطرادات الكبرى التي غرقت من نوع الدردنوط أيضا وقد آثرنا شرح الاهرام للخسائر وهذا نصه

خسائر الألمان

جاء في البلاغ البريطاني ان الألمان فقدوا بارجتين من طراز « كيزر »^(١) احدهما نسفت نسفاً والاخرى اغرت بنار المدافع

ومحمول كل بارجة من هذه البوارج ٢٤٧٥٠ طن وهي من بوارج الدردنوط الالمانية وسلاحها ١٥ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعا قل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل ٢٤ رطلا وهي لمقاومة الطائرات وفيها ٥ انايب للطوربيد (الواحدة ٢٠ بوصة) مغمورة بالمياه ٤ منها في جانبها وواحدة في المؤخرة

وقد بنيت بوارج الدردنوط الالمانية التي من طراز « كيزر » (لقب الامبراطور) سنة ١٩١٢ — ١٩١٣ وعددها خمس وهي « كيزر » و « فردريك درجروس » و « كيزرين » و « برنس رجنر لويتبولد » و « كوينج البرت » فاذا كانت اثنتان قد دمرت عليهما . جاء في البلاغ يكون الباقي عند الألمان من هذا الطراز ثلاث

وليس عند الألمان أكبر من هذه البوارج سوى ثلاث محمول الواحدة منها ٢٨ ألف طن وهي « ارزاتس فردريك الثالث » و « ارزاتس ورث » و « T » وأربع محمول الواحدة ٢٥ ألف طن وهي « ارزاتس براندنبرج » و « كوينج » و « جروس كورفرست » و « مرجراف »

وأما الطرادات الالمانية التي يقول البلاغ ان منها لتزوف ودرفلانجر فهي من طرادات القتال الكبرى وليس لدى ألمانيتها منها سوى ثلاثة وهي « درفلانجر » و « لتزوف » و « ارزاتس هرثا » ومحمولها ٢٨ ألف طن وسلاحها ٨ مدافع قطر ١٢ بوصة و ١٢ مدفعا قطر ٦ بوصات و ١٢ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٥ انايب للطوربيد (٢٢ بوصة) مغمورة بالمياه أربعة منها في الجوانب وواحدة في المؤخرة

أما الطرادات الثلاث التي يعترف الألمان بضياعها فهي

١ — بومرن ومحمولها ١٢٢٠٠ طن وسلاحها ٤ مدافع قطر ١١ بوصة و ١٤ مدفعا قطر ٦ ر٧ بوصة و ٢٠ مدفعا ثقل ٢٤ رطلا و ٤ ثقل رطل واحد (أي ثقل

(١) المنار: تعريب كيزر قيصر ، والالمان يطلقون لقب قيصر على عاهلهم كارلوس

مقدوفها) وأربع مدافع رشاشة و ٦ أنابيب للطور بيد مغمورة بالمياه في جوانبها وفي المقدمة والمؤخرة . وللألمان من هذا الطراز أربع بوارج أخرى وهي « دتشلند » و « هنوفر » و « شلسويج هولستين » و « شاسين »

٢ - فرونلوب وهو طراز صغير محموله ٢٧١٤ طنا وسلاحه ١٠ مدافع قطر ٤ بوصات و ١٠ مدافع ثقل رطل و ٤ مدافع رشاشة وأنبوبان للطور بيد مغموران تحت الماء

٣ - « وستفالن » وهي دردنوط كبيرة ومن طراز « نساو » ومحمولها ١٨٠٠ طن وسلاحها ١٢ مدفعا قطر ١١ بوصة و ١٢ قطر ٦ بوصات و ١٦ ثقل ٢٤ رطلا و ٦ أنابيب للطور بيد في المقدمة والمؤخرة والجانبين مغمورة تحت الماء ولا لانيا من هذه الطراز أربع بوارج فقط وهي [وستفالن . ونساو . وبوزن . وريتلاند]

وخسر الألمان عدا ما تقدم ست مدمرات لم تذكر أسماءها هذه خسارة الاسطول الألماني ولا نستطيع تقدير خسارة الألمان لعدم التحقق من عدد البوارج والطرادات التي اغرقت تماما بمن فيها على انا اذا سلمنا بأنه لم يفرق سوى بومرن وفرونلوب وستفالن وهي الثلاث التي اعترف الألمان انفسهم بضياعها فلا تقل خسارتهم في الرجال عن الف رجل في وستفالن و ٨٠٠ في بومرن و ٢٥٠ في فرونلوب (أي ٢٠٥٠)

خسارة البريطانيين

أما خسارة الاسطول البريطاني فاذا بحثنا فيها فانما نذكر أمورا صحيحة اعتمادا على البلاغ الذي لدينا فلا وجه للحدس والتخمين ولا للظن والشك وهذا بيان الخسائر على ما جاء في البلاغ وقد ذكرنا سلاحها منذ يومين فلانعود الى ذكره اليوم

محمولها	سرعتها	عدد
طن <th>عقدة</th> <th>رجالها</th>	عقدة	رجالها
٢٨٠٠٠	٢٨	١٠٠٠

كوبن ماري ٢٨٠٠٠

عدد	سرعتها	محمولها
رجالها	عقدة	طن
٧٩٠	٢٥	١٨٧٥٠ انديفا تيجيل
٧٨٠	٢٦	١٧٢٥٠ انفنسبل
٨٥٠	٢٣٦٥	١٤٦٠٠ دقنس
٧٠٤	٣٢٦٥	١٣٥٥٠ بلاك برنس
٧٠٤	٢٢٦٩	١٣٥٥٠ وريور

٤٨٢٨

والبارجة كوين ماري هي من احدث الدردنوطات الكبرى . ولا يوجد أكبر منها في الاسطول البريطاني من حيث المحمول سوى ثلاث قطع وهي البارجة « ثيجر » ومحمولها ٢٨ النطن والبارجة « وورسبيت » والبارجة « فليانت » والبارجة « كوين اليزابث » ومحمول كل منهما ٢٧٥٠٠ طن على ان « كوين ماري » تمتاز عن الثلاث بوارج الاخيرة بسرعتها فهي تجتاز ٢٨ عقدة في الساعة بينما « كوين اليزابث » و « وورسبيت » و « فليانت » سرعة الواحدة منها لا تزيد على ٢٥ عقدة مثل « كوين ماري » وقد كانت البارجة « كوين ماري » من فرقة الطرادات الكبرى في الاسطول الاكبر

ويظهر ان عبء القتال في هذه المعركة وقع على الاسطول البريطاني الذي كان في البحر الابيض المتوسط وهو الآن في البحر الشمالي فان الطرادات [انديفاتيجيل] و [انفنسبل] و [دقنس] و [بلاك برنس] و [وريور] جميعها كانت من هذا الاسطول ولضباط هذه البوارج اصدقاء عديدون في الاسكندرية وبور سعيد والسويس وغيرها من موانئ البحر المتوسط سيحزنون لما أصابهم وبأسفون أشد الاسف لفقدهم . وقد ظل (بلاك برنس) مدة طويلة في مياه البحر الاحمر وخليج السويس بعد شوب هذه الحرب واسر جملة بواخر من بواخر الاعداء في أوائلها أما المدمرات الانكليزية التي غرقت وهي [فرتشون] و [سباروهوك] و [اردنت] و [تيراري] فهذه جميعها من المدمرات الاوقيانوسية وقد بنيت عام

١٩١٣ وطول الواحدة منها ٣٦٥ قدما ومجموعها ٩٣٥ طنا وسرعتها ٣٠٧ عقدة في الساعة وسلاحها ٣ مدافع قطر ٤ بوصات وانبوبات للطوربيد وعدد رجال الواحدة منها مئة رجل

ولعل الثلاث المدمرات الاخرى التي ضاعت ولم يذكرا اسمها في البلاغ من نوعها أيضا فتكون خسارة البريطانيين من الرجال في المدمرات نحو ١٧٠٠ شرح الأهرام [المنار] ظاهر البلاغ الرسمي ان خسارة الاسطول الانكليزي أكبر من خسارة الاسطول الالماني . وقد ورد في البرقيات ان الالمان تبجحوا وافتخروا بهذه المعركة وخطب قيصرهم خطبة قال فيها الآن ألقينا الرعب في أعماق قلوب أعدائنا . ثم وردت برقيات أخرى بأن خسارة الالمان كانت أعظم مما ورد في البلاغ الانكليزي وفي بلاغاتهم الرسمية . وقد قال ناظر البحرية البريطانية إنه جازم بأن خسارة العدو لم تكن أقل من خسارتهم وان لم يسهل بيان ذلك بالتفصيل . وصرح هو وغيره بما لا مرأى فيه وهو ان الاسطول البريطاني لا يزال صاحب السلطان الأعلى على البحار

المنار

الدعوة الى انتقاده

حرت عادتنا بأن ندعو قراء المنار في أول كل سنة الى انتقاد ما يروونه منتقدا فيه بالشروط التي كررنا بيانها ، ونعني بقراء المنار هنا كل من اطلع عليه وقرأ شيئا فيه لا المشتركين خاصة ، ونعمد بأن نشر كل ما يكتب اليانا في ذلك بشروطه وأهم الشروط ان ينتقد القارئ للكلام ما يراه خطأ ويبين ذلك بالدليل من غير استطراد ولا تطويل

حجم المنار في هذه السنة

ذكرنا في الجزء الماضي أن قلة الورق اضطررتنا الى ان نجعل كل جزء من أجزاء هذه السنة ثمانية كراريس (ملازم) واننا اذا ظفرنا في أثناء السنة بورق كاف نجعل السنة اثني عشر شهرا فيكون حجم مجلد هذه السنة من سني الحرب كمجلد التي قبلها

مباحث هذا الجزء

ضاعت هذا الجزء عما وعدنا به فيما قبله من كتابة مقالة في حال المسلمين الاجتماعية وحال أغنيائهم وسائر أصنافهم في التعاون على الاعمال النافعة ، وسننشر المقالة ان شاء الله في الجزئين الثاني والثالث

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر الا اولو الابواب

المسحاة

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبهون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الابواب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارة » كمنار الطريق

مصر ١٥ رمضان ١٣٣٤ — ٢٣ السرطان (ص ١) ١٢٩٤ هـ ش ١٥ يوليو ١٩١٦

العصبية الجنسية التركية

(وعاقبة قتل نابغي العرب بسوريه)

لعلنا قد سبقنا جميع الكتاب الى بيان خطر العصبية الجنسية على الدولة العثمانية في عصر الدستور فاننا أشرنا الى ذلك في أول مقالة كتبناها عند حدوث الانقلاب واعلان الدستور اذ كان جميع العثمانيين يصفقون طربا و يحسبون انهم نالوا السعادة صفوا من كل كدر، آمنين من كل خطر . تلك المقالة التي جعلنا عنوانها (عيد الامة العثمانية بنعمة الدستور والحرية) ونشرناها في (ج ٦ م ١١) الذي صدر في ٢٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٢٦ (٢٨ يوليو و ١٥ تموز) أي بعد اعلان الدستور بأربعة أيام . وقد جاء فيها بعد بيان مزايا هذه النعمة ما نصه :

« ان امامنا عقبات كثيرة (منها) ما يتوقع من مقاومة بعض الحكام الظالمين للحرية الجميلة التي يرقص لها طلاب الدستور طربا ، و يهيمون بها شغفا (ومنها) ما هو أقرب الى الوقوع — كالنزاع بين الاحرار المستقلين، وبين المنعصبين والمقلدين،

(ومنها) مسألة الجنسية العثمانية ، وما يقف في طريقها من جنسيات الشعوب التي يتألف منها جسم الدولة العلية ، فمن المطالب بالنظر في ذلك ؟ »

ثم أنشأنا بعد شهر مقالة أخرى نشرناها في (ج ٧ م ١١) أوضحنا فيها خطر اختلاف الاجناس وشدة الحاجة الى تكوين جنسية عثمانية تتحد فيها جميع الاجناس والمثل ، وبيننا ان الواجب على احرار الترك وعقلائهم ان يبدؤا بالدعوة الى ترك العصبية الجنسية (اللغوية) ولا سيما زعماء جمعية الاتحاد والترقي منهم ، لان دعوتهم هي التي يرجى ان تسمع ويستجاب لها . ثم كررنا الكتابة في ذلك كثيرا

وقد راى الاتحاديون عقب الانقلاب باظهار الرغبة في الوحدة العثمانية وكراهة العصبية الجنسية فحمدنا ذلك لهم كتابة وخطابة . ولكنهم ما عتصموا ان نزعوا ثوب الرياء الشفاف بعد ان استقرت سلطتهم ، فنبذوا الجنسية العثمانية وراء ظهورهم ، ونهضوا بالجنسية التركية بغلو واسراف وعجلة خارجة عن طور العقل . فنصحنا لهم أولا بالكتابة وبيننا لهم ان تحويل العربي عن عربية والأباني عن ألبانيتها والارمني عن أرمنيته والرومي عن روميته مما يستحيل في هذا العصر ، وانه لو كان ممكنا لعذرناهم في محاولة تترك جميع الشعوب العثمانية سياسة نادينا

ثم قصدت الى الاستانة للسعي الى منع التفرق بين العرب والترك وتأسيس مدرسة الدعوة والارشاد فيها ، ونشرت في جرائدها مقالات (العرب والترك) المعروفة تقراء المنار فجعلتها تمهيدا للسعي في الوفاق ومنع سريان التفرق الجنسي ، اذ بينت فيها ضرورة اتحاد هذين العنصرين مع محافظتهما على لغتهما ، وانه يجب أن يكونا كعنصري الهواء أو الماء في تكويينها لحقيقة واحدة - اعني الجنسية السياسية العثمانية - وبينت فيها أسباب الخلاف ومشارتها في الاستانة وما أخطأت به وزارات الدولة وجرائد العاصمة وجمعياتها في ذلك فنقم العرب منها . فكان اول من شكر لي هذا السعي واهتم به ووعد ببذل نفوذه لتلافي الخلاف حسين حلمي باشا الصدر الاعظم في ذلك العهد ، وكان من سوء الحظ ان اجل صدارته لم يطل ، فصرت أراجع في هذه المسألة طلعت بك ناظر الداخلية الذي كانت - ولا تزال - ازمة الحكومة بيده فكان يهدني بتخصيص وقت للبحث معي في هذه المسألة

وانقضت السنة التي قضيتها في الآستانة ولم يف بوعده ، على انه وفي لي بعدة جلسات في داره وفي الباب العالي للنظر في المسألة الاخرى - أي مشروع العلم والارشاد ، ولكن لم يكن لذلك ثمرة

وقد علمت في اواخر ايامي في الآستانة ان الاتحاديين قد صمموا على حل مسألة الجنسيات بالقوة القاهرة وانهم بدأوا بالتنكيل بالارنوط وسيتلوهم الارمن والعرب والاكراد . وقد كان هذا احد الباعثين لي على تلك الحملات الشديدة التي حمتها على جمعية الاتحاد والترقي في المنار ، والباعث الثاني هو الديني ولا بحث فيه الآن لم اكن انا الذي قاومت الجمعية بالكلام وحدي بل كانت المقاومة لهم بالقول والعمل على اشدها في الآستانة وسائر بلاد الترك حتى آلت الى تسلسل الالوف من جمعيتهم ، ثم الى قيام الاحزاب في مجلس الامة عليهم ، ثم الى تأييد الجيش لحزب الحرية والائتلاف في اسقاط وزارتهم ، ومما يجب ان يذكر انهم اعترفوا في اثناء ذلك الجهاد وبعده بأنهم كانوا يريدون تترك جميع عناصر الدولة وانهم رجعوا عن ذلك ولما عادت الوزارة اليهم باغتيال ناظم باشا ناظر الحرية في الباب العالي والقبض على كامل باشا الصدر الاعظم فيه هالنا الامر وخفنا من وقوع الفوضى في الآستانة والدولة في حال حرب مع البلقان غلبت فيه على أمرها ، ولكن وزارة كامل باشا لم يكن لها حزب يؤيدها ، اذ كان حزب الحرية والائتلاف غير متفق معها ، ثم عقدت الوزارة الاتحادية الصلح وأنشأت تعقد مع الدول الكبرى الاتفاق لتلوا اتفاق على جعل البلاد العثمانية مناطق نفوذ اقتصادي لهن ، وتقترض عشرات الملايين منهن ، وبدأت بالعراق العربي فاعترفت للانكليز فيه بما طلبوا من النفوذ والحقوق ، فانكرنا ذلك عليهم أشد الانكار ، ولم يمنعهم ذلك طبعاً من الاتفاق مع فرنسا على نفوذها في سورية الخ على أننا لما رأينا البلقانيين قد انتصروا على الدولة في الحرب حتى كادوا يستولون على الآستانة علمنا ان الخطر على الدولة أقوى وأسرع مما كنا نخشى ، وان الدولة اذا كانت قد عجزت عن حفظ الروملي وهوسياج الآستانة وحصنها امام البلقان ، ومعظم قوتها الحربية هنالك وباقيها على حدود الروس ، فلا بد أن تعجز بالاولى عن الدفاع عن بلادنا العربية ذاهجت عليها دولة قوية ، اذ ليس في بلادنا حصون ولا سلاح ، وكان

هذا الامر منبها لكثير من أهل الفيرة والفهم من العرب الى ما سبقهم بعض أذكياء
الترك الى الدعوة اليه وهو وجوب جعل ادارة الدولة من نوع اللامركزية لان ذلك
ادعى الى عمران كل قطر واستعداده للدفاع عن نفسه عند عجز المركز العام عن الدفاع عنه
تأسس حزب اللامركزية بمصر في أثناء حرب البلقان وسرت دعوته في المملكة
العثمانية كلها ولم يكن للحكومة الاتحادية وجه للشكوى منه لانه حزب عثماني يحاول
الوصول الى غايته من الطريق القانوني الذي ينتهي الى مجلس الامة ، وتأسست
في أثناء ذلك الجمعية الاصلاحية في بيروت باذن الحكومة فشذت في موضوع ما
طلبت من تعيين مستشارين ومراقبين للحكومة من الاجانب وأنكرنا عليها شذوذها
في المنار ، ثم أنشئت جمعية أخرى في البصرة صرح رئيسها طاب بك النقيب حكومة
الاتحاديين بالإنكار بل بالعداء ، وقد كادت الجمعية له فحاولت اغتياله فلم تظفر ، ثم
حاصنته وكافته السعي للتوفيق بينها وبين الامير ابن سعود فبذل جهده في ذلك
ثم تعلقت رغبة كثير من أذكياء العرب بعقد مؤتمر عربي في باريس لاطهار مطالب
العرب الاصلاحية للعالم كله ، وعهدوا بذلك الى حزب اللامركزية فعقد المؤتمر وحضره
مندوبون من البلاد العربية والجمعيات العربية واختير لرياسته السيد عبد الحميد الزهراوي
أحد مندوبي حزب اللامركزية ، وكان المؤتمر في غاية الاعتدال في مباحثه وقراراته
حينئذ اهتمت جمعية الاتحاد والترقي وحكومتها بأمر العرب وأوفدت مندوبا
من زعمائها الى باريس للاتفاق مع رئيس المؤتمر على إجابة العرب الى ما يطلبونه
من الاصلاح المعقول ، وعقدا ذلك الاتفاق المشهور ، ثم قرر مجلس الوكلاء وصدرت
الارادة السلطانية ببعض مواد ذلك الاتفاق مع الوعد بأن تعطى العرب حقوقا أخرى
بالتدرج ، وكل ذلك مدوّن في كتاب (المؤتمر العربي الاول) ونشر في المنار وفي الجرائد
العربية المشهورة . ولكن ما تقرر من ذلك لم يرض جمهور المطالبين بالاصلاح من
العرب ، وقد عدّه أكثرهم خديعة مؤقتة من الاتحاديين ، وكان فريق منهم أشهرهم
الزهراوي وعبد الكريم قاسم الخليل يرجحون اخلاص الاتحاديين وعزمهم على ارضاء
العرب دائما . وقد كان من اظهار الاتحاديين الميل الى العرب أن صار أكبر زعمائهم
كطالمت بك يحضرون الاحتفالات التي يقيمها أعضاء المنتدى الادبي في الآستانة

هذه خلاصة ما كان من أمر الخلاف والوفاق بين العرب والترك أو الاتحاديين منهم خاصة قبل هذه الحرب ، فلما وقعت الحرب بين الدول الكبرى وعلم طلاب الإصلاح من العرب أن دولتهم تريد أن تستفيد منها وتوقعوا أن تدخل فيها ، كفوا جميعاً عن المطالبة بالإصلاح ، وأظهروا الميل إلى تأييدها في كل ما تقرره وإن لم يعتقدوا أنه الصواب ، حذرا من المنازعات الداخلية ، وقد حذبنا عملهم هذا بمقالة نشرناها في جريدة الأهرام التي صدرت في سادس ذي القعدة ١٣٣٢ (١٦ سبتمبر سنة ١٩١٤) أي قبل دخول الدولة في الحرب ، ثم في منار ذي الحجة أي بعد دخول الدولة في الحرب . وقد قلنا في أول تلك المقالة وهي خطاب لمسلمي سورية ما نصه : « ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من النجدة والهمة في الاخلاص والطاعة للدولة ، وبذل الانفس والاموال وثمرات لها ، والكف المؤقت عن طلب الإصلاح منها ، وتقديركم الحال الحاضرة قدرها ، حتى انكم ساهتم في هذا أرقى أمم الأرض التي سكنت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية » الخ

وماذا جرى بعد ذلك ؟ ولي الاتحاديون جمال باشا أحد زعمائهم منصب القيادة العامة في سورية فأظهر الميل التام إلى العرب وصار يقرب إليه أذكى المتعلمين منهم ويحثهم على الاستمسك بعروة عربيتهم وعمانياتهم معا ، فصدقوه وازدادوا حماسة ورغبة في بدل دمايتهم وأموالهم في سبيل الدولة حتى إذا مات له ما أراد من الاختيار ، نزع عنه ثوب الرياء والمكر ، ولبس لهم جلد النمر ، وقتلهم تقيلا ، ونكل بهم وبغيرهم تنكيلا .

جاءتنا الاخبار في العام الماضي بأن جمال باشا شنق في بيروت احد عشر شابا من خيار شبان المسلمين منهم النابغة محمد المحمصاني وأخوه وعبد الكريم قاسم الخليل الذي كان رئيس المنتدى الادبي في الاستانة ثم اتصل بالاتحاديين وجعل جل سعيه اقناع العرب بالاخلاص لهم — فلم نصدق الخبر الا بعد ان وصل الى مصر بعض الفارين من الشنق وبعض الاسرى من الجيش وثبتوا لنا الخبر . ولكننا مع ذلك لم نكتب كلمة انكار على جمال باشا ولا على شيعته لاجل العلة التي أشرنا اليها آنفا

ثم تواترت الانباء بشنق اناس آخرين من دمشق وغيرها بتهمة السياسة وقتل آخرين بالرصاص ونفي بيوت كثيرة إلى الاناضول ، فثبت عندنا حينئذ ان

الاتحاديين اغتنموا فرصة الاحكام العرفية في البلاد، والقبض على الارزاق والاعناق، لاجل القضاء المبرم على النهضة العربية واكره العرب بالقوة القاهرة على ترك لغة امتهم ودينهم ، وعدم المطالبة بحق من حقوقهم. ولكن الثابت في سنن الاجتماع وتاريخ الامم ان هذه الطريقة من الاضطهاد تؤدي الى ضد مايراد منها. وقد كنا قلنا من قبل ان الاسلام قد امتاز العصية الجنسية في بلاد العرب الحضرية فلا يقدر على احيائها أحد الا حكومة الاستانة ، ويمكننا ان نقول الآن انها قد كونت الجنسية العربية الجديدة وجعلتها خالدة، لانها زرعتها في البدو واليهود وسقتها بالدم، وبالدم اسقل من اسقل من جميع الامم، وكما نخاف منهم هذه العجلة في هذه الايام، لئلا نتجىء متافية لمصاحبة الاسلام، إذ يخشى ان تكون هذه القسوة في اضطهاد العرب في سورية شيا لياش الامة العربية كلها من الدولة وجزمهم بأنه يستحيل عليهم ان يحافظوا على وجودهم تحت سيادتها، وان يحمل ذلك عرب الجزيرة على الخروج عليها، خوفا ان يحمل بهم شرم محل بغيرهم، فان الترك يحاربون اليمن وعسير ونجد منذ قرون فكل حكامها الحاضرين قد قوتلوا ، وأمير مكة لا ينسى لهم ما فعله معه وهيب بك قبل هذه الحرب اذ حاول الفتك به وسلب امتياز الشرفاء من الحجاز وجعله كولايات الشام، ولما ظهر عليه الامير اظهرت الدولة الاستياء مما حصل ونسب الى الدقتردار. واسترضى الصدر الاعظم الشريف بالاعتراف له بجميع حقوق امراء مكة التي كانت في عهد السلطان سليم، ولكن الشريف يعرف ظواهر هذه الامور وبواطنها، بل لا يخفى على أحد من العتلاء ان الدقتردار لا يجراً على احداث أمر كبير في الحجاز بدون أمر رئيسه (الوالي) وان الوالي لا يجراً عليه بدون أمر الاستانة ، وأوامر الآستانة في عهد الاتحاديين قسماً — أوامر الجمعية وهي الحاكمة ، وأوامر الحكومة وهي المنفذة، على انه يقبس وفاء الحكومة بما كتبه اليه الصدر الاعظم على وفائها العرب بالاتفاق الذي عقد مع رئيس المؤتمر العربي وما قررته في مجلس الوكلاء وصدرت به الادارة السلطانية من المطالب العربية

كان يجب على دولة الاتحاديين في هذا الوقت ان تتودد للعرب أكثر مما كانت تتودد اليهم بعد حرب البلقان، وان تتم بالفعل ما بدأ به أنور باشا من استمالة

امراء الجزيرة بالكتابة . وذلك بإرسال السلاح والذخيرة والضباط من العرب اليهم لاجل ان يكونوا ذخرا لها اذا استظهر الروس عليها في الاناضول ، فاذا كان مثل انكابترة وألمانية تحسب الحساب لوصول أعدائها الى بلادها وتعد الآلات والجيوش لاجل الدفاع عنها ، أفليس الترك أجدر بذلك وهم لولا الالمان لم يستطيعوا حربا في ميدان ما من ميادين هذه القتال ، وحسبهم انهم فقدوا بحرب البلقان كل ما كان عندهم من ذخيرة وسلاح ، وهل يوجد لهم ملجأ يلجئون اليه اذا غلبوا في بلادهم الا العرب وبلاد العرب، بل العرب وبلاد العرب هي الملجأ الاسلام. ولذلك جاء في الحديث الصحيح « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » وأنى يبالي بالاسلام وعز الاسلام ، من ينشرون في دار سلطنتهم امثال كتاب [قوم جديد] و [صوك كتاب] التي يفضلون فيها زعانفهم القاوين ، على الخلفاء الراشدين ، وعلى من دونهم من الاولياء الكرام ، ومن فوقهم من الانبياء حتى خاتمهم عليهم الصلاة والسلام وأما العرب الذين أوجد الله بهم الاسلام ، فانهم أجدر الناس بالغيرة على المسلمين ودار الاسلام ، ولولا ذلك لما سكتوا على الضيم كل هذا الزمان ، ونخشى ان يكون قد زال ما كانوا يحذرون ، ويشسوا من كل خير كانوا يرجون ، فيبدو للمنافقين ما كانوا يحذرون ، كما نخشى ان تكون عاقبة ذلك لغيرهم وهم لا يشعرون انما يحرص سواد المسلمين الاعظم على حياة هذه الدولة لانه بهم كل مسلم أن يكون للاسلام دولة مستقلة قوية وهي امثل دول المسلمين في ذلك، وان كانت لا تقوم بدعوة الاسلام ولا تحمي علومه ولا تحمي شعوبه ولا أفرادهم ممن يريد بهم سوءا . ولكن لا يرضي أحدا من المسلمين ان تجني على لغة القرآن ، وان تضطهد العرب وتذلهم وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام « اذا ذلت العرب ذل الاسلام » (رواه ابو يعلى من حديث جابر بسند صحيح) وهذا الحديث من معجزات النبي (ص) ظهرت في هذا الزمان ظهورا بيانا. فان الدولة قد تعرضت لخطر الزوال وفقد الاستقلال غير مرة، وانما كان يقبها منه تنازع أوربة على اقتسامها ، فاذا زال التنازع بزوال التوازن عقب هذه الحرب زالت الدولة بزواله ، وأكبر المصائب على الاسلام حينئذ ان تعد بلاد العرب تابعة لها، ومعدودة فيما يقسم بين الغالبين من ترائبها، إذ

يكون المسلمون حينئذ أدنى حالا من اليهود ، إذ يزول استقلالهم الديني والسياسي وهم في فقر مدقع لا يستطيعون معه عملا ، ولا توجد بقعة في الأرض تمثل استقلال الاسلام غير بلاد العرب . ولولا جعل جزيرة العرب تحت سيادة الدولة العثمانية بعضها بالاسم وبعضها بالذم لما تسنى لها ان تجعل نفسها دولة الخلافة ويعترف لها الناس والدول بذلك

فجملة القول أن مصلحة المسلمين عامة أن تكون بلاد العرب قوية بنفسها ، غير محتاجة الى قوة من خارجها لحمايتها ، (وقد بينا ذلك مرارا) ولاخطر في ذلك على الدولة اذا كان فيها من جرائم الحياة ما يكفي لبقاء استقلالها ، وانما الخطر كل الخطر في إضعاف العرب وجعل بلاد العرب عالة على غيرها ، وستظهر الايام صدق هذا الكلام ، ونسأله تعالى أن يكون بما فيه عز الاسلام .

(حاشية) كتبتنا هذه المقالة لجزء الشهر الماضي فلم يتيسر نشرها فيه . ثم جاءنا روتر بنبا اظهر أمير مكة الشريف حسين الاستقلال في الحجاز وسنفضل القول فيه في الجزء التالي لهذا ان شاء الله

حكم الصيام

وجناية تاركه على أنفسهم وعلى المسلمين والاسلام

الصيام عبادة روحية جسدية ، قد شرع لما فيه من المنافع الشخصية والاجتماعية ، فهو يروض الاجساد ، كما تهطش الزروع وتضمر الجياد ، فيقي الرطوبات والمواد الرواسب فيها ، التي تصلب الشرايين وتعيق حركة الدم فيها ، ويعيد المعد المصابة بالتمدد الى تقلصها وتغضنها ، حتى قال بعض الاطباء ان صيام شهر واحد (كرمضان) يصلح ما أفسده التمدد طول العام ، ويمرن المرء على احتمال الجوع والعطش بالاختيار ، فيسهلان عليه اذا ألجأ اليهما الاضطرار ، في سفر أو سجن أو مجاعة أو قتال ، ويشعر الاغنياء المترفين بحاجة الفقراء المعوزين ، ويساوي بينهم في هذه العبادة وآثارها كما يساوي بينهم في سائر شعائر الدين

وهو فوق ذلك المرابي الاعظم للارادة ، وانما يتفاضل أعظم الرجال بما في الارادة من قوة العزيمة ، فلولها لما استسهل ضعف ، ولا ثبت شجاع في حرب ، ولما أقدم المصلحون على تغيير المنكرات ، ولا سيما مقاومة الظلم والاستبداد ، ولما ثبت عامل على عمل حتى يتقنه ، ولما صبر ذو مصاب على مصابه حتى يأمن خطره ، ولما احتفظ أمين بالامانة، الا بقدر ما يخاف في الدنيا من عقوبة الخيانة ، وناهيك بأمانة الاعراض ، والمحافضة على شرف النساء

وهو فوق ذلك مراقبة الله عز وجل ، وتقرب اليه بما يرضه من تزكية النفس ، وتوجه الى الكمال الاعلى ، والحياة الروحية الفضلى ، حياة النبيين والصدقيين ، بل الملائكة المقربين

ان الصائم المسلم هو الذي يحكم سلطان الارادة بقانون الايمان على هوى النفس فيمنعها من التمتع بأعظم الشهوات شأنها عندها ، فينال منه الجوع والطعام بين يديه ، ويبرح به الظم والماء البارد أمام عينيه ، ويشتد شوقه الى ملامسة زوجته وهي منه على طرف الثمام وحبل الذراع ، فيعرض عن كل ذلك ويتركه بوازع الايمان ، ابتغاء مرضاة الله تعالى وتحصيلا للفوائد التي شرع لها الصيام

ألم تر أن الذي يربي ارادته ويحكمها في أشد شهواته وأقوالها مدة شهر كامل في كل عام على الاقل جدير بأن لا تنازعه نفسه أكل شيء من أموال الناس بالباطل ولا العبث بشيء من أعراضهم ؟ أو ليس الذي يقدر على ترك أعظم ضروريات الحياة مما أحل الله له وقرب منه ويتناوله يكون أقدر على ترك ما حرم الله عليه من جنسها ومما هو أدنى منها ، وأجدر بأن يغلب هوى النفس الذي يغريه بها؟ بلى ! وإن من الامثال الاسلامية المشهورة في بعض الاقطار « ان الذي يزكي لا يسرق » وهذا أمر معتول كسابقه ، فان الذي يخرج المال من جيبه أو صندوقه طائفا مختارا ويؤتيه الفقراء والمساكين ويضعه في غير ذلك من المصارف الشرعية لوجه الله وابتغاء مرضاته بنفع عباده - جدير بأن لا يعصي الله تعالى بتكليف سرقة مال غيره وهو يعلم أن ذلك سبب لسخط الله تعالى ، ولو كان لا يبالي بسخط الله ولا برضوانه بل يؤثر عليه حب المال لحفظ ماله في صندوقه ولم يخرج زكاته فذلك أسهل من إحراز المال بالسرقة

عالم الله تعالى فرض الصيام علينا ، بأنه هو الذي يمدنا ويؤهلنا للتقوى ، فقال
('كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) وإنما التقوى
ملكه يقدر صاحبها بوازعها النفسي على اتقاء كل ما يندس نفسه ويدسيها من ترك
واجب ، أو اقتراف محذور ، ولذلك قالوا إنها عبارة عن القيام بالواجبات وترك
المحرّمات ، وهذه الملكة كسائر الملكات ، تكتسب بالأعمال النفسية والبدنية التي
يقوى بها سلطان الإرادة على نزعات الأهواء كما سبق القول . وقد فطن لهذا
بعض حكماء الغرب فقال في كتاب صنفه في (تربية الإرادة) انه لا مربي الإرادة
كالصيام ، ولا أجل هذا شرع في جميع الأديان

ان أحق الناس بتحصيل هذه الملكة وبسائر فوائدها الصيام الروحية والاجتماعية
والجسدية من جمعوا بين 'حكم الله وحكمته فيه ورعوا ذلك حق رعايته ، فالإسلام
علمٌ وتربيةٌ ، بنيا على أساس الحكمة والفلسفة ، وذلك نص قوله تعالى (كما أرسلنا
فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون) وقد يستفيد كثير من الناس حكمة العبادة ويحسون عزمها ،
وان لم يتلقوا بالتعميم أن ذلك هو المصلحة التي شرعت لاجلها ، كما يستفيد بعض
الناس من شيء يأكله أو يشربه ، فيكون من حيث لا يدري شفاء من مرض ألم
به ، أوئلك هم الذين أخلصوا دينهم لله فكان لهم من العلم بكل عبادة أنها ترضي
الله تعالى وان تركها يؤدي الى سخطه واستحقاق عذابه

ومن الناس من يؤدي العمل تقليداً ومجاراتاً لمن نشأ فيهم فيكون عادة له كسائر
العادات الشخصية والاجتماعية ، لا ينوي به قرابة ولا يشعر له بفائدة ، ولا يفكر في
حكمة الشارع فيه ، فلا يكون لصيامه أثر كبير في عباداته ولا معاملاته ولا عاداته ،
قد يصوم ولا يصلي ، وقد يصوم ويصلي وهو مصر على المعاصي ، فهو الذي يصدق على
صيامه ما قاله بعض الأوربيين في تعريف الصيام ، من أنه عبارة عن تغيير مواعيد
الطعام ، بجعلها في الليل بدلا من النهار ، وإنما كمال الصيام بجعله جنسة ووقاية من
جميع الآثام ، قال صلى الله عليه وسلم « الصيام 'جنسة' فإذا كان يوم صوم أحدكم
فلا يرفث ولا يصخب فان شاعه أحد أو قاتله فليقل اني صائم اني صائم » رواه

الشيخان في الصحيحين وأصحاب السنن الأربعة. والرفث صريح الكلام في التوقيع أو ما يتحدث به الزوجان في تلك الحفل، والصخب الجلبة والصياح، فإذا كان مثل هذا مما يمنع في الصيام، فما شأن اقتراح كبار الآثام؟ على أن مثل هذا الصائم خير من تارك الصيام ولا سيما المجاهر به، فإذا كان مثله كمن يبني قصرا ويهدم مصرا، فإن مثل تارك الصيام من أمثاله الفساق كمثل من يهدمون القصور والامصار

يترك الصيام في هذه البلاد أناس كثيرون من طبقتين أو ثلاث طبقات، تتفق وتختلف في بعض الاعمال والصفات: طبقة تحوت الغوغاء الارذالين، وطبقة أسرى الشهوات المترفين، وطبقة أدياء المدينة المقلدين، فأما أولئك التحوت السفهاء فأنهم لا يشعرون بقيمة لانفسهم يشاركون بهاسائر طبقات الامة في شعائرهم الدينية، دع ما هو أرقى من ذلك كالشعور بما يجب من شكر رب العالمين الرحمن الرحيم والتقرب اليه والاستعداد للرضوان الاكبر في دار الكرامة عنده، وغاية ما ورثوه من تقاليد الاديان التي كان عليها آباؤهم الاولون والآخرين تعظيم بعض الموتي ذوي الاضرحة التي أخذت سنة الدين بشريف بنائها، وجعلها مساجد يصلى اليها ويطاف بها، وبناء القباب عليها - واحتفالات الموالد التي هي أعياد ومواسم يحشر الناس اليها بجوار تلك القباب، وزيارة الجماهير للمقابر في ليالي الاعياد وجمع رجب وأيام أخرى من السنة، يرحل فيها الى القرافات النساء والرجال والاطفال، مشاة حفاة وركبانا على الجمير والجمال، وما في ذلك من المنكرات الكثيرة المذمومة

وأما هؤلاء المترفون (فمنهم) ملاحظة المترفنجين الذين هم شرعي عند الامة من كل عدو لها (ومنهم) أسرى الشهوات الذين ليس لهم من قوة الارادة ما يقدرن به على مغالبة الهوى وعصيان داعي الذة، أو حبس النفس على عمل شاق، وهم أشد الناس حاجة الى الصيام، فإن هذا الافراط في الترف يضعف البدن كما يضعف النفس. وإذا كثر هؤلاء في أمة فقدت الاستعداد لدفع الاعداء عنها، وللقيام بالاعمال المتعبة التي ترقى بها الامم وااثبات عليها، وتضي عليها أن تكون مستعبدة لغيرها، وأي عار على الفتى الجذع، أو الكهل والشيخ الذي لم يدركه الهرم، اكبر من عار

الاعتراف بعدم الطاقة على احتمال الجوع والعطش بضع عشرة ساعة يعد له بعدها الشراب المبرد وألوان الطعام الفاخرة، أيها الجذع الناشئ، أيها الكهل القارح، أولى لك فأولى، وغير هذا كان بك أولى، كان أولى بك أيها الفتى أن تفخر بالترية على صفات الرجولية، واعتماد القشف الاختياري في المعيشة، ومنه أن لا تسرف في النعيم المباح في ليالي رمضان، وأن تصوم من كل شهر عدة أيام، كان أولى بك أيها الكهل أن تكون قدوة صالحة لولدك وأولاد المسلمين، في المحافظة على شعائر الدين، وعلى الآداب والاعمال، التي يبلغون بها درجة الكمال، وأهها ركوب الصعب، واكتساب ملكة الصبر، وتوطين النفس على مصارعة الحوادث، ومقارعة الكوارث، ألا وإن الصيام جد الصيام أول مقدماتها، وأيسر وسائلها وأما أدعياء المدينة المقادون فهم الذين يفطرون جهرا ليقول فيهم غير المسلمين والمناقون من المسلمين أنهم «متمدنون» وهذه الطبقة أحسن الطبقات فلا ينتحل لها عذر ولا يوجه اليها برهان.

عذر الملحد المارق عند نفسه في ترك الصيام أنه فقد الباعث الديني، ولم يترجح عنده باعث تهديبي، وعذر المترف الشهواني عند نفسه، عجزه عن كبح جماح لذاته، لتحكم الهوى فيها، وضعف الوازع الديني عنها، والجهول السافل من تحوت الناس له عذر هذين الفريقتين وعذر آخر وراءهما — وهو أنه لا يخطر في باله ولا يصل علمه الى ما يعلمه كثير من أفرادهما من معنى كون الصيام ركنا للدين الذي ينسب اليه، وشعارا للامة التي هو منها، وان العاقل الذي يرى انفسه قيمة في الوجود يرى شرفه بشرفها، وذله بمهانتها، وأنه مطالب دينا وعقلا بحقوق لها عليه، وان دين الامة من مقومات وجودها، فمن فاته الايمان الباعث على اقامة أركانها لاجل سعادة الآخرة، لم يسقط عنه احترام شعائره التي هي أقوى روابط الامة؟ فبهذا العلم يؤاخذ ويطلب كل من أوتي نصيبا منه، وترتفع المؤاخذة عن كان نصيبه منه الجهل المطلق حتى ان نفسه لا تتوجه الى طلبه، ومنهم من يعتذر بأن الصيام يضره وان كانوا أصحاء الاجسام، بترك ما اعتادوا من النظام في مواعيد الطعام، والضواب ان ما يتوهمون من الضرر في ذلك هو عين النفع، لان التزام تلك العادات أضعف أبدانهم

وانفسهم ، حتى صار تغييرها يؤلمهم أو يضرهم ، وانما هذا الالم والضجر عرضان
لمرض الترف ، والصيام علاج له لا « مضاعفة »
إذا صح أن يكون في الاحاد عذر للملحد ، وفي ضعف الارادة عذر للمترف ،
وفي تغيير العادة ايالام للمهفف ، فياليت شعري بم يعذر نفسه أو يعتذر عنها
من يجاهر منهم بالفطر ؟ المجاهرة بالذنب شر من ارتكاب الذنب ، لان ارتكابه
سرا يجعل ضرره قاصرا على من اقترفه ، وأما المجاهرة به فضررها يتعدى المذنب الى
غيره ، لانه يكون قدوة سيئة لمن كان مستعدا للاقتواف ذلك الذنب تجرته على اقترافه .
ولان في الجهر به اذا كان من الشعائر الملية - كالصيام - احتقارا للملة والامة التي
ينسب المفطر اليها ، واضافة ارابطة قوية من الروابط التي تمتاز بها الامة على غيرها
ها هنا يضحك القارىء من هؤلاء الملحدين ، لا تضحكوا الا على انفسكم بل
ابكوا عليها ان كنتم تعقلون : يقولون ان الملحد ليس من أهل الملة ولا من أفراد الامة
فيرمى بهذا اللوم ويطالب بالاعتذار عن عمل لا يراه واجبا عليه ، وانه يعد الجهر
بالافطار في رمضان من الشجاعة الادبية والاسرار به من الضعف والنفاق . وتقول :
كيف يصدق هذا الكلام على ملاحدة بلادنا وكلهم منافقون يدعون الاسلام ويلتزمون
من احكامه وشمايره وعادات أهله ما لا ينافي أهواءهم ، ولا يعارض شهواتهم ،
كلا احكام والشماير وكذا العادات المتعلقة بالزواج والموت والاعیاد ، ويخضعون
لشريعته في احكام الزواج والارث ، فاذا ادعى أحد منهم الشجاعة المنوية بهتك
شعار الصيام ، فقل له كذبت في دعواك ، فان كنت شجاعا فصرح على رموس الاشهاد
بالردة عن الاسلام واترك كل ما هو اسلامي ، ولا تزوج نساء المسلمين ولا تأكل
تراثهم ، ولا تتول الأعمال والوظائف الخاصة بهم بدعوى أنك منهم . وأما اخفاء
معصية الافطار فليست معصية العتيدة من النفاق ، بل من اخفاء العيوب والعورات
قد يقول بعضهم ان الاسلام جنسية اجتماعية كجنسية الافة وجنسية النسب ،
وان العقائد الدينية والعبادات البدنية من الشؤون الشخصية التي يجب ان يكون
الناس أحرارا فيها ، ولا ينبغي ان يتوقف عليها تحقق الجنسية بعد ان ينالها صاحبها
بالوراثة أو بتسمية نفسه مسلما

ونحن نقول أن هذا الكلام مغالطة بديهية البطلان فإن الإسلام في الحقيقة دين وهو جنسية لمن يدينون الله به ولو في الظاهر كإقامة أركانه من صلاة وصيام وزكاة وحج وتحليل حلاله وتحريم حرامه ، فهو من حيث هو دين لا تحقق له إلا بصحة العقيدة وما يتبعها من الأعمال ، ومن حيث هو جنسية يتحقق بالتزام شعائره وأحكامه الظاهرة إلا ما يقع من الإخلال بها شذوذاً كما كان المنافقون يعملون في الصدر الأول . فمن لا يؤمن بما جاء رسوله ولا يقيم شيئاً من أركانه فلا حظ له من جنسيته ، فكيف إذا كان مع هذا مجاهراً بهدم هذه الأركان بلا خوف من الله ولا احترام لأهل هذه الجنسية .

على أن كل منتم إلى جنس يجب عليه أن يمد جميع من يشاركونه فيها أخواناً له ، وأن يحترم كل ما يشترك فيه معهم من مقومات الجنسية ومخصصاتها ، والأركان عاقلاً لها ، مستحقاً للطرد والابعاد عنها ، بدلاً من مشاركة أهلها في منافعها الصورية والمعنوية ، وهؤلاء المجاهرون بالفطر في رمضان لا يشعرون بمعنى الأخوة الإسلامية العامة ، ولا يقومون بشيء من حقوقها ، كما أنهم لا يحترمونها والشعائر والأعمال التي لا تعرف الجنسية الإسلامية إلا بها .

الحق أقول : إن لبعض الذين يفطرون في رمضان عدراً طبيعياً ، ولا يحمد عذر طبيعى إلا أن يكون شرعياً ، (كعذر المريض والمسافر والعاجز عن الصيام لهم مثلاً) . ولكن لا عذر لأحد في الجهر بالأفطار ، لأنه احتقار للإسلام وإهانة لأهله ، لا تصدر اختياراً إلا من عدوله ولهم ، أو ممن لا شعور له بمعنى الأمة والملة وشرفهما كبعض الكناسين والزبالين - لا كلهم - وهم يوجد من أمثالهم في المتعلمين المتفردن الذين يظنون أنهم ممتازون في الأمة بارتقائهم في الشؤون الاجتماعية ، وأنهم يشعرون من ذلك بما لا يشعر به الجمهور ، وإن الخير للأمة أن تكون مثلهم في ترك أركان الدين وامتنان شعائره والاهتمام بالتمتع بالشهوات ، وحسبهم شرفاً وارتقاء ما يتوهمون من عدو غير المسلمين لهم من « المتدنين » أو « المتنورين » ! وياشقاء أمة يكتر فيها أمثال هؤلاء المتنورين ، فأنها لا ترتقي بهم إلا إلى أسفل سافلين

حال المسلمين الاجتماعية

ومطالع الأغنياء وسائر الطبقات منها^(١)

١

الإنسان عالم اجتماعي لا يصل فرد من أفراد ولا شعب من شعوبه إلى كماله المقدر له إلا بالأعمال الاجتماعية التي يتعارن عليها أفراد العشيرة وأهل البلد والوطن وسائر الناس، وعلى قدر هذا التعاون يكون اقرب من اكمال الاجتماعي والبعد عنه، فالأمم بالافراد والافراد بالأمم، فهنيئنا للامة التي تتسم بسعي أفرادها غارب العز والسيادة، وتتسم بريح القوة والسعادة، و«يا ويح الرجل الذي ليس أمة»^(٢) وما كل جمع كبير يستحق أن يسمى أمة، لولا سعة المجاز في الكلام، كقولنا في صور الناس وتمثيلهم هذا فلان وهذا فلان

المستعملون جمع كبير يطلق عليه اسم «الامة الاسلامية» بحسب صورته أو باعتبار ما كان عليه وان كان لا يقوم بالأعمال الاجتماعية التي تتحقق بها مقومات الامم ومشخصاتها، وتحفظ بها مصالحها ومنافعها، والمنار مقالات كثيرة في بيان هذا الموضوع يطلب أقدمها عهدا من المجلد الاول منه، ومن أشهرها مقالة في المجلد التاسع عنوانها (حال المسلمين في العالمين، ودعوة العلماء إلى نصيحة السلاطين) كان لها تأثير في الشرق والغرب، وترجمها بالتركية أحد فضلاء الآستانة وطبعها في رسالة مستقلة باللغتين

وقد نطلق على المسلمين اسم الامة باعتبار ما نرجو أن توول إليه حالهم، فباعتبار ان ذلك الاستعمال من مجاز الكون بينما غير مرة في تلك المقالات أن الاصلاح الاسلامي ينحصر في كلمة «تكوين الامة» إذ لا أمة في الحقيقة، وباعتبار أن ذلك الاستعمال من مجاز الأؤل يتسع مجال الاطلاق. وكثيرا ما بنينا الكلام على تحقيق الرجاء، وصرحنا بأن الامة قد ولدت ولادة جديدة، وأنها الآن في سن الطفولة، وان ما تصدى له من الاعمال الاجتماعية انما كان صغيرا وعرضة للفشل في الاكثر لانه من

(١) هذه المقالة الموعود بها (٢) هذه الكلمة لشيخنا الاستاذ الامام

قبيل أعمال الاطفال ، وقد شرحنا هذا الموضوع في مقالات نشرت في المجلد الثاني وغيره (و ذكرنا في المجلد الرابع أمثلة لطفولية الامة ، وقد حدث بعد ذلك ما هو أعظم منها ، وناهيك بسقوط جريدة اللواء العربية وأختها الفرنسية والانكليزية ، وموت مصطفى كامل باشا مؤسسها بأموال الامراء والاغنياء غارقا في الدين ، وبيع أثاثه ورياشه بالمزاد ، ثم سقطت جريدة المؤيد وموت صاحبها غارقا في الدين أيضا ، ثم سقطت (الجريدة) وهي جريدة حزب كبير من الاغنياء

فهذه أكبر الجرائد التي أسسها المسلمون في مصر ، وكان لكل منها شركة وحزب ورأس مال موات من ألوف الجنيهات وأنصار من أغنياء الامة وأصحاب الاقلام فيها ، وقد بينا وجه العبرة في شأن هذه الجرائد بعد موت الاولى وتبريح الداء بالآخرين في ترجمة الشيخ علي يوسف من المجلد السابع عشر (ص ٦٩)

وما لي لا أذكر وأذكر في هذا المقام بتلك الفاتحة الوجيزة للمنار التي كانت أول ما كتب منه ، ونحمد الله تعالى أنها كانت صورة مصفرة له ، قد ارتسمنا مارسمناه له فيها فلم نخرج عنه ، وقد أشرنا فيها الى سوء حال المسلمين ورغبة سوادهم الاعظم عن ما نتصد اليه بانشاء المنار من الجد والاصلاح ، والى وجود أفراد تنبته أنفسهم لاصلاح الخلل ، وتوجهت همهم لمداواة العلل ، والى ان الغرض من انشاء المنار ان يكون لسان حال هؤلاء وحادي ركبهم في سبيل التجديد المطلوب ، ثم ظهر لنا ان رجائنا في هذه الفئة كان أكبر منها في نفسها

تيسر لنا بهذا المنار أن نختبر حال المسلمين اختباراً الا يكاد يتيسر بوسيلة أخرى ، وقد كان هذا الاختبار الطويل والعلم التفصيلي مؤيداً لما كنا عليه قبلها من الوقوف بين الخوف والرجاء وترجيح الامل على اليأس ترجيحاً يبعث على الجهاد والثبات على العمل ، وهو ما صرحنا به في فاتحة المنار في العدد الاول للسنة الاولى كان موضوع ذلك الامل الاول من أيقظتهم حوادث الزمان ، وأثرت في قلوبهم آثار حكيم مصر وحكيم الافغان ، ومن على مشربهما من دعاة الاصلاح ،

* (راجع مقالة (طفولية الامة وما فيها من الحيرة والغمة) في ص ٧٣٧ م ٢ ومقالة (الحيرة والغمة وناشئها في الامة) في ص ٧٥٣ م ٢)

ثم زاد عدد هؤلاء المحبين للإصلاح بتأثير المنار ، ومنهم صاحب الرسالة التي نشرناها في آخر الجزء الماضي فاستتبعت كتابة هذا المقال ، فهو قد اشترك في المنار منذ أنشئ وكان تلميذا في المدارس ، وقد اشرب قلبه حب الإصلاح ، فهو فيه على علم ووجدان وإخلاص ، ولكنه على علمه وسعة اختباره لما في هذا البلاد من الفسق وفساد الاخلاق ، أقوى منارجاء في مسلميها وفي غيرهم ، واننا نخشى ان يضعف ويضمحل هذا الرجاء أو يزول ويحل محله اليأس اذا رأى أن رسالته لم تؤثر ، ودعوته لقومه لم تجب ، فأجبنا أن نذكره بما أشرنا اليه آنفا مما نشرنا في خوالي السنين ، ونؤيده بما في معناه من بيان حقيقة حال المسلمين ، لعله يذهب بغيره المبالغ في التفاؤل ، ويمسك رفق الرجاء على المهوي الى اليأس ، وينفخ نسمة الرجاء في اليأس ، فنقول :

ان في المسلمين كثيرا من بقايا الفضائل الموروثة ، التي هي تعد من دلائل الحياة الاجتماعية ، وكثيرا من الرذائل والامراض الروحية الموروثة والحادثة التي هي سبب ما حل بدولهم وأمهم من الرزايا التي يئن منها كل من شعر بها بقدر شعوره ، وقد استيقظ في بعضهم هذا الشعور منذ مئة سنة أو أكثر ، وتصدى بعض حكاهم وبعض أفرادهم الى إصلاح ما فسد ، وتجديد ما اخلوق وبناء ما انهدم ، كما بينا ذلك في فاتحة المجلد السابع عشر ، وانما لم يفاج أحد منهم لان الحكام القادين على تنفيذ الإصلاح لا يعرفون طريقه ، والافراد الذين يعرفون كنه الإصلاح لا يقدرون على تنفيذه

إنما تنهض الأمة بالإصلاح اذا وجد الاستعداد في الجمهور ، ووجد الزعيم القادر على استخدام ذلك الاستعداد ، ويمكن بيان هذا الاستعداد العظيم بكلمة واحدة من اصطلاح كتاب الجرائد وغيرهم من المعاصرين وهي (التضحية) وما التضحية الا بذل الاموال والانفس في سبيل المصلحة العامة وهو ما يعبر عنه القرآن بكلمة الجهاد ما قام أمر اجتماعي عظيم كالدين والدولة الا يبذل المال والنفس فمن لم يبذل في سبيل دينه أو دولته ووطنه ما يحتاجان اليه من مال أو نفس فلا دين له ولا دولة ولا وطن ، ولذلك جمع الله تعالى هذا الجهاد آية الايمان بمثل قوله (٢٩ : ١٥) انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل

الله أولئك هم الصادقون)

نحن لسنا بصدد إصلاح يحتاج فيه الى بذل النفس ، والتعرض لإرراقه الدم ، وإنما الإصلاح الذي أسس له المنار ثم مدرسة الدعوة والارشاد اصلاح علمي تهندي يقوم بالمال ، وإنما أنشأنا هذه المقالة لبيان حال من دعاهم ذلك المخلص العيور في رسالته الى النبوض بمشروع الدعوة والارشاد ومساعدة المنار

الا وان الاغنياء اول من يخطر بالبال ، في كل مقام يذكرك فيه بذل المال ، وان أكثر اغنياء بلادنا بل أمتنا كلها اغنياء سفهاء الاحلام ، مسرفون في الفسق ، بخلاء حتى بما وجب من الحق ، أشعة على الخير ، لا يكاد يخرج المال من أيديهم الا على مائدة قمار ، أو في حانة خمار ، أو لبني وقواد ، أو رشوة لحاكم شرير ، أو تزلفا الى سلطان أو أمير أو مدير ، فأكثر ما بذله أغنيائنا في هذا العصر للجمعيات الخيرية أو المدارس أو جمعية الهلال الاحمر أو جمعية الصايب الاحمر فهورياه ، وتزلف للحكام والامراء ، وهذا مما يعلمه الكاتب وغير الكاتب علما ضروريا أو كالمضروبي .

وأما غير الفساق المرائين من الاغنياء فهم كسائر الناس ، والناس فيما نحن بصدده فريقان : فريق لا يرجي منه خير للاسلام بل يخشى شره ، وفريق قلما يرجي الخير من غيره . فأما الفريق الاول فتلاثة أصناف : ملاحدة المتفرنجين ، ومنافقو المعممين ، وتحت الفقراء الجاهلين ، الذين لا يكادون يفقهون حديثا ، ولا يعقلون للامة والملة معنى ، وقدينا في فاتحة هذه السنة من الجزء الاول ان من أولئك الملاحدة والمنافقين من تصدى لقامة مدرسة الدعوة والارشاد ، بنفت رسوم السعاية لمنع إعانة وزارة الاوقاف وغير الاوقاف ، كما سعى أمثالهم وأقبا لهم من قبل في الجمعية الخيرية الاسلامية ، حتى زعموا أنها تدمر هدي السودان بالمال لقتال مصر والدولة البريطانية وأما الفريق الثاني وهو لوسط في شوؤونه العقلية أو النفسية ، أو شوؤونه الاجتماعية أو المعاشية . فيتألف من أصناف يقل فيها العنى الموسع ، كما يقل فيها الفقر المدقع ، والاغنياء منه ثلاثة أصناف :

صنف ترفي تربية اسلامية بحسب ما عليه جمهور المسلمين في القرون الاخيرة من مزج السنن بالبدع ، والخرافات بالحقائق ، فهم لا يفقهون من بذل المال في سبيل

البر الابناء مسجد ولو في مكان تزيد فيه المساجد على حاجة المصلين ، (وإنما يكون هذا من الخير إذا لم يكن المسجد على قبر أحد من الصالحين، والا كان صاحبه ملعونا على لسان خاتم النبيين) - أو وقف أرض تنفق غلتها على تشييد القبور والبناء عليها أو حولها وما يكون من المواسم عندها في الاعياد وجمع رجب ، وكل ذلك من المعاصي ويدع الضلالة المنكرة التي لا يجوز الوقف عليها وان تضمنت إطعام بعض الفقراء الطعام المتدع لاجلها ، فهذا الصنف قلما يرجى منه الآن فائدة للأعمال الاصلاحية كمشروع الدعوة والارشاد

وصنف آخر تربي أفراده على التفرنج ولكن لم يكونوا كجمهير المتفرنجين الذين لاحظ لهم من حياتهم الا تقليد الافرنج في عاداتهم الخاصة بالزينة والطعام والشراب والتمتع باللذة واللهو واللعب كترية السكلاب والسير بها والركوب معاه بل أودع في نفوسهم الميل الى الاقتداء بهم في بذل المال للمنافع العامة، لا رياء للجمهور، ولا ترلقا لحاكم أو أمير، بل لان ذلك عندهم من اللذات النفسية، أو الشرف والكمال الانساني ، وبهذا ارتفعوا عن جمهور الاغنياء الاغبياء السفهاء ، ولعل هذه البلاد لا تخلو من افراد منهم ، ومن عساه يوجد منهم فقد يبذل المال للمساعدة على تعليم الموسيقى والتصوير أو الالاعاب الرياضية ، وقلما يحفل بالإصلاح الديني العلمي الا ان كان له نزعة دينية أو تهذيبية ، وأتى لجماعة الدعوة والارشاد بالاهتداء الى مثل هذا واقناعه بأن مقصدها الاول من مدرستها بث المرشدين في أنحاء البلاد لتعليم العوام ما يحرهم عن المعاصي والمنكرات ، ويزكيهم من أدران البدع والخرافات ، حتى تستفيد المدرسة من مساعدته ؟

وصنف ثالث هم الوسط الصحيح وهم الذين أوتوا نصيبا من التربية الدينية والعلم الاسلامي الصحيح ، ونصيبا من حال هذا العصر وما يحتاج اليه المستنون فيه من الاصلاح، والغني في هذا الصنف أندر منه في سائر الاصناف ، والرجاء في مثله لمساعدة الدعوة والارشاد ، أقوى وأشد منه في سائر الناس ، الا أن ينل به على دينه وعقله البخل الفاحش والشح المطاع، وإيثار وعد الشيطان بالفقر على وعد الله بالمغفرة والاحلاف، وإذا كان الصنفان المذكوران قبل هذا - وهما كالطرفين له - مما يصعب

اقتناع افرادها بوجود المساعدة على الاصلاح الديني العلمي فهذا الصنف لا يحتاج الى اقتناع ، ولا يخفى عليه وجود ما يوجد منه في البلاد ،

ومن اغنياء هذا الصنف من غلب عليهم الترف ودب الى دينهم الوهن ، فضيقت غيرتهم على اسلامهم الديني ، دون اسلامهم الاجتماعي والسياسي ، فهم يودون اصلاح حال المسلمين ، ويعتقدون أن ذلك لا يرجى الا من طريق الدين ، وإنما يودون أن ينهض بالاصلاح غيرهم ، ولا تسمو بهم الهمة الى المساعدة عليه باموالهم ولا بانفسهم

تلك اصناف الاغنياء ، الذين يصح أن يتعلق بهم الرجاء ، بما في أنفسهم من هدي الدين أو علو الهمة ، أو العناية بامر الامة ، وقد علم أن من يوجد في هذه البلاد منهم قليل ، وإن الرجاء في هذا القليل ضعيف .

فلم يبق من فريق المعتدلين الذين يرجى رفدهم الا المستورون الذين لا يقدرّون على مساعدة الاصلاح الا بما يوفرون من كسبهم بالاقتصاد في النفقة اللائقة بامثالهم ، كصاحب الرسالة التي دهنتنا الى كتابة هذا المقال ، ولا غناء في مساعدة هذا الصنف الا اذا كثروا أفراد الباذلين منه ، وفاقا للقاعدة المقررة : [القليل من الكثير كثير] وما أظن أن الظفر بهذا الكثير عندنا ميسور ،

فعلم مما شرحناه أن من يرجى منهم بذل شيء من فضول أموالهم في سبيل الاصلاح الديني والاجتماعي قليلون ، وإن ما يرجى بذله من هؤلاء القليلين في بلادنا قليل لاغناء فيه ، لأن اكثر الانفس أحضرت الشح ، واستحوذ عليها الصغار والذل ، وكذبت وعد الله بالاخلاف على المنفق ، وصدقت وعد الشيطان له بالفقر . ثم إن بذل المال الكثير في هذه السبيل إنما يصدر عن عرفان ووجدان — عرفان بالمصلحة فيه وشدة الحاجة اليها ، ووجدان ايمان راسخ تنال به سعادة الدنيا والآخرة ، أو وجدان شرف باذخ تنال به سعادة الاولى فقط ، على ان باعش الشرف وباعش الايمان ، قد يتلاقيان ويتصالحان ، وانتي أوضح هذا المقام بأمثال ، أشير بها الى أعظم من رجوت هنا من الرجال

كان أرحي أغنياء مصر عندي لمشروع الدعوة والارشاد ثلاثة أصرح باسم

وأحد منهم وهو رياض باشا تقمده الله برحمته، ذلك الرجل الذي انفرد في كبرياء مصر وأغنيائها بأنه لم يكن يخيب فيه رجاء، ولا يقوته مساعدة عمل من أعمال الخير، ولو عرف كنه مشروع الدعوة والارشاد لما اكتفى بالتبرع له بمئة جنيه، وإنما عرف منه أنه مدرسة خيرية، ففجحه بمثل ما نفع به مدرسة محمد علي الصناعية، وهي المدرسة التي تولى رياضية جمع الاعانات لها، على ان الخديو وارث ملك محمد علي التي أنشئت المدرسة احياء لاسمه وتذكارا لمرور مئة سنة على ملكه لم ينفجها بأكثر من ذلك. فهذا عذر رياض باشا في عدم صدق رجائي كله في مساعدته لهذا العمل وأما اللذان لا أصرح باسمهما فقد كان رجاؤنا في أحدهما اكبر من رجاؤنا في رياض باشا، وهو أوسع منه ثروة، وفهم من كنه المشروع ما لم يفهمه، بل قال فيه كلاماً يوثر ويدون له، (منه) انه طالما فكر فيه، وتعجب من احجام المسلمين عن القيام به الى اليوم، وانه يود لو يكون عضوا عاملا فيه، وإنما يمنعه من وضع يده في أيدي أعضاء ادارته عدم ثقته بثباتهم، اللهم الا واحداً منهم، وعلل ذلك بأن أهل بلادنا هذه يقولون ولا يفعلون، ويبدون بالاعمال ولا يثبتون، (ومنه) أن هذا العمل سيلقى صعوبات، وتوضع في طريقه العقبات، وانه لا يقول هذا تهييلاً (أي) بل تنبيهاً، ولا تنصلاً من المساعدة فانه سيساعد بالمال، ثم انه أكد هذا الوعد غير مرة لنا، وذكره لغيرنا، وقد كان آخر عهدنا بالسعي لاستنجاهه شهر رجب الماضي

وأما الثالث فهو غني معروف بالعلم والفضل والتدين، وقد كان منانا أحد أصدقائه بأنه سيتبرع للمدرسة بمئة جنيه غير ما يفرضه على نفسه من الاشتراك السنوي، وذكر لنا صديق آخر له عزمه على المساعدة من غير تحديد. وقد بلغنا ان ما يجب عليه من زكاة النقد كل سنة أضعاف ما يملكه صاحب الرسالة التي نتكلم في موضوعها، وقد ذكرناه في هذا العام بشدة حاجة المدرسة الى ما تنتظر من مساعدته لا تقطاع اعانة الاوقاف عنها، ونفاد ما قد جمع لها، فاعتذر بما يعتذر به أكثر الناس في هذا العهد، وهو المسرة التي جاءت بها هذه الحرب

فاذا كان وعد أرجى من نرجو من أغنيائنا، واشتراك من يشترك في مثل هذا المشروع من أفضل فضلائنا، لا يوثق بهما ولا يتكل عليهما في استئجار دار

لمدرسة خيرية ، فهل يظن (م . ن) صاحب تلك الرسالة أن ماجاء به من النصيحة والتذكير ببسطان الايدي المغفولة ، وينبهان^(١) الانفس المفسولة^(٢) ، فتدقق الدفانير على مدرسة الدعوة والارشاد اليوم كما تدفقت على جمعية الصليب الاحمر بالامس ، وعلى جمعية الهلال الاحمر من قبل ؟ ان كان يظن ذلك فما نحن بظانين ، ولا نحن من فضل الله وحياة المسلمين يباثسين . ولكننا بعد طول الاختبار لانتمرب بوعد واعده ، ولا بثبات متبرع ولا واهب ، وان كان هذا أو ذاك ، ممن اشتهروا بالسخاء ، فان أكثر أصحاب هذه المظاهر ، مصداق لقول الشاعر

يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما
لكنها خطرات من وساوسه

كلا انه لا يرجى في هذا القطر جمع مال كثير بالتبرع يكون رأس مال لمدرسة كدرستنا أو مدرسة دونها الا بنفوذ الامراء والحكام ، وقد كان بعض هذا ممكنا لنا من قبل ولم نظرق بابيه ، وأما اليوم فلا يرجى كله ولا بعضه ، فأما سبب بذل المال تقربا الى الامراء والحكام فعروف ، وأما إمساكه عن المصالح العامة فسيبه ضعف الايمان ، وضعف وجدان الشرف وحب الكمال ، والحرمان مما يولدان من المنافع العالية والآمال العظيمة ، وليس في تربية الامة ما يحبي ذلك في نابتها هذا واننا بعد هذا البيان نقول لصاحب تلك الرسالة وغيره من أهل الغيرة ان هذا المشروع لا يرجى أن ينفذ بحسب نظامه المعروف الا اذا نجحنا فيما سعينا اليه في الآستانة ثم في مصر من تقرير اعانة له كبيرة ثابتة من وزارة الاوقاف فهذا يستقر ويوثق بثباته واستمراره ويشتهر نفعه في الامصار والاقطار ، ويرجى بعد ذلك أن يتبرع له ويقف عليه العقار والاراضي كثير من أهل الخير ، ولا سيما بعد أن يتخرج في مدرسته من يحسنون القيام بما فرضه الله تعالى على المسلمين بقوله : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) فاذا ظفرنا باعانة ثابتة من وزارة الاوقاف فذاك ، والا جعلنا المدرسة خارجية ، وأنفقنا عليها مما آتانا الله من كسب ومساعدة أهل المروءة والاخلاص مهتدين بقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا)

(١) للتنبية هنا ممتيان أسدما جعل الحامل نبيه الشان وثانيهما ايقاظ الناقل
(٢) المسؤل الضيف الحامل الذي لامروءة له

السنة وصحتها والشرعية وحياتها

رد على دعاة النصرانية بمصر

٢

﴿ تمة واستدراك - استنكار المتأخرين لبعض متون أبي هريرة ﴾

قد علم مما تقدم أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه راوية ثقة عدل وأنه من نوابغ البشر في الحفظ والضبط لما يحفظ وقوة الذكر (الذاكرة) وعلم أيضا أنه انفرد بأحاديث كثيرة كان بعضها موضع الإنكار أو مظته لغرابة موضوعها كأحاديث الفتن وإخبار النبي صلى الله عليه وسلم ببعض المغيبات التي تقع بعده ؛ ويزاد على ذلك أن بعض تلك المتون غريب في نفسه، ولو انفرد بمثله غير صحابي لعد من العلال التي يتثبت بها في روايته، كما هو المهود عند نقاد الحديث أهل الجرح والتعديل، ولذلك نرى الناس ما زالوا يتكلمون في بعض روايات أبي هريرة كما رأى القراء في [دروس سنن الكائنات] للدكتور محمد توفيق صدقي، وأول كلمة طرقت سمعي في ذلك كانت من تلميذ مسلم في مدرسة غير إسلامية ببلاد الشام، وكان ذلك في أوائل العهد بطلمي للعلم. ومن عرف ترجمة أبي هريرة معرفة تامة يحزم بعدالته وبرأته من الكذب على أحد من الناس، بله الكذب على رسول الله (ص) الذي روى هو وغيره عنه أنه قال « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ». وقد صرحوا بأن هذا الحديث متواتر

ولعل قراء المنار يتذكرون ما علقته على كلام محمد توفيق صدقي في حديث الذباب - وتطرقه فيه إلى الارتباب في رواية أبي هريرة - إذ بينت بالابحاز أنه لا مجال للطعن في أبي هريرة نفسه وأن حديث الذباب وأمثاله مما يستبعد أن يكون مسموعا من النبي (ص) لا يظهر علة نقلها عن أبي هريرة إلا إذا أحصيت تلك (المنار: ج ٢) (١٣) (المجلد التاسع عشر)

٩٨ علل الاحاديث الغريبة والموقوف الذي له حكم المرفوع [المنار: ج ٢ م ١٩]

الروايات ولا سيما ما انفرد به ابو هريرة منها ، ودقق النظر في آسانيدها وموتونها ، وما يمكن طروءه من الاحتمالات فيها ، وامهات هذه الاحتمالات أربعة :
(أحدها) أن يكون في رجال السند الى أبي هريرة من هو مجروح وان صحح
(ثانيها) أن يكون ذلك الحديث أو الأثر مرويا عنه بالمعنى وقد وقع الغلط من

أحد الرواة في فهمه فنقله كما فهمه

(ثالثها) أن يكون ما روي حديثا رأيا لأبي هريرة أو غيره ممن روى عنه وعده
بعض الرواة حديثا لا جتهاده بأن مثله لا يقال بالرأي ، فما قاله العلماء من أن قول
الصحابي اذا كان لا يقال مثله بالرأي له حكم المرفوع الى النبي (ص) لا يصح على
إطلاقه ، والناس يتفاوتون في فهم ذلك ، فما يعبده بعضهم منه لا يعبده الآخر منه ،
(رابعها) ان يكون رواه عن أهل الكتاب بالسماع ممن أسلم منهم ككعب
الاحبار أو رآه في كتبهم وهو مما لا مجال للرأي فيه فيعبده من قبيل المرفوع من
يأخذ ذلك القول قاعدة عامة ، وقد ثبت ان أبا هريرة روى عن كعب الاحبار
وأن معاوية قال في كعب الاحبار انهم كانوا يباون (أي يختبرون) عليه الكذب ، وقد
تقدم ذلك في هذا المقال تقلا عن البخاري ، وانني كنت أسمي الظن في روايات
كعب الاحبار قبل أن أرى ما رواه البخاري عن معاوية فيه ، وكذا وهب بن منبه .
ثم انني بعد كتابة ما تقدم وقيل طبعه رأيت في تفسير سورة النمل من تفسير
الحافظ ابن كثير بعد ذكر هذه روايات عن الصحابة في قصة ملكة سبأ مع سليمان
عليه السلام ما نصه :

« والاقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب مما وجد في
صحفهم كروايات كعب ووهب ساجحهما الله تعالى فيما نقلاه الى هذه الامة من أخبار نبي
اسرائيل من الاوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن ومما حرف وبدل ونسخ ،
وقد أعطانا الله عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ والله الحمد والمنة » اه
فجملة القول في هذه الاحاديث المشككة اذا كانت مرفوعة الى النبي (ص)
أو موقوفة على أحد رواة الصحابة (رض) أبي هريرة أو غيره ان يدقق النظر في
آسانيدها أولا فاذا كان في الاحتجاج ببعض رجالها مقال كفيينا أمرها وكذا اذا

كان فيها انقطاع أو ارسال، والا نظرنا في غير ذلك من الوجوه التي يكون بها الخرج كقلاط الرواة بسبب النقل بالمعنى أو غيره من الاسباب ، وأدهى الدواهي أن يكون الحديث مأخوذاً عن بعض أهل الكتاب بالقبول ولم يعز اليه ، ولا يفرنك قولهم ان مراسيل الصحابة حجة وان الموقوف الذي لا مجال للرأي فيه له حكم المرفوع ، فاذا ثبت ان أباهريرة مثلاً كان يروي عن كعب الاحبار وأن الكثير من أحاديثه مراسيل فالواجب أن يتروى في كل غريب لم يصرح فيه بالسماع من النبي (ص) فاذا كان من الاسرائيليات أو ما في معناها احتمال ان يكون قد رواه عن كعب وكان هذا الاحتمال علة مانعة من ترجيح اسناد كلام الى النبي (ص) يوقع في الاشكال .

لا يتسع هذا الموضوع لتحرير هذا البحث بالتفصيل ولكننا نذكر أهل العلم بحديث يرون فيه اكبر عبرة في هذا المقام وهو حديث الجساسة الذي حدث به تميم الداري رسول الله (ص) واخرجه مسلم في صحيحه مرفوعاً من طرق يخالف بعضها بمضاهي متنه ، فهذا الخلاف في المتن علة من بعض رواة الصحيح ، ولا يظهر حمله على تعدد القصة ، ثم ان رواية الرسول (ص) له عن تميم الداري ان سلم سندها من العطل هل يجعل الحديث ملحقاً بما حدث به النبي (ص) من تلقاء نفسه فيجزم بصدق اصله ، قياساً على اجازته (ص) او تقريره للعمل اذ يدل حله وجوازه؟ الظاهر لنا ان هذا القياس لا محل له هنا ، والنبي (ص) ما كان يعلم الغيب فهو كسائر البشر يحمل كلام الناس على الصدق اذا لم تحف به شبهة، وكثيراً ما صدق المنافقين والكفار في احاديثهم، وحديث العريين واصحاب بئر معونة بما يدل على ذلك ، وانما كان يعرف كذب بعض الكاذبين بالوحي او ببعض طرق الاختبار او اخبار الثقات ونحو ذلك من طرق العلم البشري، وانما يمتاز الانبياء على غيرهم بالوحي، والعصمة من الكذب وما كان الوحي ينزل الا في امر الدين وما يتعلق بدعوته وحفظه وحفظ من جاء به، وتصديق الكاذب ليس كذباً . وحسبك ان نتأمل في هذا الباب عتاب الله لرسوله إذ اذن لبعض المعتدين من المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك وما علله به، وهو قوله (عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين)

واذا جاز على الانبياء المرسلين ان يصدقوا الكاذب فيما لا يخل بأمر الدين ولا

١٠٠ دعوى ان الشريعة لا قيمة لها . احصاء المسلمين [المنار: ج ٢ م ١٩]

يترتب عليه حكم شرعي ولا شيء ينافي منصب الرسالة، افلا يجوز على من دونهم ان يصدقوا الكاذب في اي خبر لا تقوم القرينة على كذبه فيه؟ ومن صدق شيئاً يجوز أن يحدث به من غير عزو الى من سمعه منه . ولكن هذا كان قليلاً في الصدر الاول من الاسلام، فقد ظل المسلمون عدة قرون ينقلون كل شيء بالرواية وإن كان بيت شعر او كلمة مجنون

﴿ تنبيه مهم ﴾

ان الاحاديث المشككة الصحيحة الاسناد قليلة فما رواه ابو هريرة منها قليل من قليل، وما انفرد به منه اقل ذلك القليل ، ولا يتوقف على شيء منها اثبات اصل من اصول الدين ، والحمد لله رب العالمين

﴿ الجملة الخامسة الخاتمة لكلام الطاعن ﴾

﴿ استنتاجه من جملة دعاويه أن الشريعة لا قيمة لها في نفسها ولا في روايتها ﴾
قال بعد سرد ما تقدم عن الشبهات على رواية ابي هريرة ما نصه :

هذا هو الرجل الذي وضع مع ابن عباس اساس الشريعة . ولكن ما هي قيمتها؟ ان السؤال مهم جداً، ويطلب الجواب عليه من الثلاث مئة مليون -في الوجوديين في العالم- اه بحررقة اشتملت هذه الخاتمة على دعوى باطلة ، واستفهام إنكاري تهكي ، ووجه هذا السؤال فيها الى ثلاث مئة مليون سني^(١) أي الى كل فرد من أفراد أهل السنة الذين يسكنون في جميع الاقطار ، ويتكلمون بعشرات من اللغات ، ولماذا؟ لان السؤال مهم جداً في نظر القسيس المبشر المتصدي هو وجمعيته لتنصير كل هؤلاء المسلمين بعد عجزهم عن هذا السؤال المهم جداً!! نخرج

الجواب عن الدعوى

هذه الدعوى ظاهرة البطلان عند المسلمين وعند من له أدنى إلمام بشريعتهم

(١) قد اشتهر منذ عشرات من السنين ان المسلمين ثلاث مئة مليون وأول أوربي اشتهر عنه هذا القول عاهل ألمانية غايوم الثاني ، والظاهر ان أهل السنة وحمدهم صاروا ييلفون هذا العدد كما قالت مجلة الشرق والغرب ، وتم عشرات الملايين من الشيعة وغيرهم

وتأريخهم من النصارى وغيرهم ، سواء أراد بأساس الشريعة أصول أدلتها التي
تستلزم منها - وهو الاقرب - أو أصول مقاصدها وهي المقائد والاحكام والآداب ،
وتستغني عن بيان ذلك بما قلناه في مسألة أركان الشريعة الذي فئدنا به القضية
الثالثة من قضايا الجملة الاولى من مقاله (راجع ص ٢٨ ج ١) ثم نقول :
إن أبا هريرة وابن عباس ما وضعوا أساس الشريعة ولا أركانها ، ولا أصولها
ولا فروعها ، وإنما روينا لنا كغيرهما من الصحابة الكرام الكثير الطيب من سنة
الرسول ، وهي ثابتة الاسس والاصول

وقد بينا أن البخاري خرج لأبي هريرة ٤٤٦ حديثاً في صحيحه ، ونقول هنا
انه خرج فيه لابن عباس ٢١٧ حديثاً . وهذا القدر من روايتهما للاصول الموصولة
من الاحاديث لم ينفردا به وإنما شاركهما في رواية الكثير من غيرهما ، ولو أحصينا
ما انفرد بروايته أبو هريرة وحده من أحاديث الاحكام الشرعية لرأيناه قليلاً جداً ،
وعلمنا انه لو لم يروه لما قصت كتب الاحكام شيئاً كثيراً ، وإن ما عسى أن تنقصه
يمكن أن يعرف حكمه من قواعد الشريعة الثابتة وأصولها القطعية ، كقاعدة رفع الحرج
والعسر ، وإثبات اليسر وترجيحه ، وقاعدة كون الاصل براءة الذمة ، وكون الاصل في
كل الجبائث والمضرات الحرمه ، وفي كل الطيبات الحل ، وكون الضرورات تبيح
المحظورات ، وغير ذلك مما لا مجال لتفصيله في هذا الرد

﴿ قيمة الشريعة الاسلامية ﴾

الجواب عن الاستفهام التهكمي

لا أرى شياً لسؤال النفس الطاعن عن قيمة الشريعة الاسلامية الا السؤال عن
الشمس ما فائدتها للعالم ؟ وعن العافية ما فائدتها للناس ؟ وعن الماء والهواء ما
فائدتهما للنبات والحيوان ؟ سواء كان السؤال سؤال انكار وتهكم أو سؤال استفهام ،
وإننا نجيب عن هذا السؤال بجواب مجمل وجيز ، لان التفصيل لا يأتي الا بتصنيف
كتاب كبير ، فنقول :

(١) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ثبتت نبوة من جاء بها

بالبرهان العقلي العلمي الثابت الدائم ، وملخصه أنه رجل أمي نشأ بين قوم أميين بلغ الكهولة ولم يقرأ كتابا ، ولم يكتب سطرًا ولا حرفًا ، ولا قال شعرا ولا ارتجل خطبة ، ولا رأس قبيلة ولا ساس قرية ، ولا انتحل كهانة ولا عرافة ، ولا عرف شيئا من شرائع الأمم واديانها - ثم قام في سن الكهولة بدعوى النبوة ، وأيد دعواه بكتاب اشتمل على اخبار الغيب الماضية والمستقبله ، وسنن الله في الدين والمدنية ، وعلى أصح علوم العقائد الالهية ، المؤيدة بالبراهين العقلية والعلمية ، وأصلح علوم الاخلاق والفضائل النفسية ، والعبادات الجامعة بين المنافع الروحية والجسدية ، وأعدل قواعد الشرائع السياسية والمدنية الخ ثم انه اجتث بهداية هذا الكتاب جرائم الوثنية ، وطهر الأمم من الخرافات التقليدية واخلاق الجاهلية ، فكان للناس بذلك دين كامل وشريعة عادلة وأمة مؤلفة من جميع الشعوب والقبائل ، ودولة احييت الحضارة وامتدت من المشرق الى المغرب في جيل واحد

فكان مثل محمد النبي الامي صلى الله عليه وسلم كمثل رجل جاء بلدا مصابا بالابوثة المحتاجة والامراض المعضلة ، وادعى انه طبيب وايد دعواه بكتاب في الطب والعلاج طهر به ذلك البلد كلها من الامراض والابوثة ، فأصبح أهله متممين بكال الصحة والعافية

فكما يجزم كل عاقل بأنه يستحيل على غير الكامل في علم الطب أن يؤلف كتابا في الطب يزيل بالعمل به الابوثة ويشفي المرضى - كذلك يستحيل بالاولى أن يقدر رجل أمي على الاتيان بأخبار الغيب وعلوم الدين والشرائع والآداب فيصلح بها أديان أمم كثيرة وآدابها وأخلاقها وأحكامها وسياستها ، الا أن يكون نبيا مؤيدا بوحي الله وعنايته العليا ، بل يستحيل صدور مثل هذه العلوم والأعمال من واحد أو من جماعة تعلموا جميع علوم البشر وعلوم الأديان في أعلى مدارس هذا العصر الجامعة . دع إعجاز القرآن ببلاغته وأسلوبه وسائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم (٢) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة الجامعة بين هداية الدين الالهي

الحق ، وبين ثمرات عقول العلماء المجتهدين ، الواقفين على مصالح البشر وما يقوم به العدل بينهم ، وما سواها فاما ديني محض لا مجال فيه لعقل ولا رأي ، واما

وضعت ناقص لا يحترم في السر كما يحترم في الجهر

(٣) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي تواتر كتابها تواترا حقيقيا ، ورويت سنتها رواية متصلة الاسناد ، ودون تاريخ رواها تدويننا مبنيا على ركني النقد والتمحيص ، الذي يميزه بين الصحيح وغير الصحيح ،

(٤) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي حررت البشر وأعتقتهم من رق رؤساء الدين ، الذي أرهق الغابرين ، فلم تجعل لأحد سيطرة روحية على أحد ، فليس فيها كمنة ولا قسيسون يمتازون بمناصبهم الدينية على غيرهم ، أو تتوقف اقامة شيء من أمر الدين عليهم ، وإنما خوطب البشر بها على سواء ، فهم يتفاضلون فيها بعلومهم وأعمالهم الكسبية ، لا بمناصبهم الموروثة ولا أنسابهم الشريفة ،

(٥) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي أعتقت البشر من رق الملوك المستبدين الذين انتحلوا لانفسهم حق الحكم بمحض الهوى والارادة ، وحق وضع الشرائع والقوانين بالذات أو بالنيابة ، وحق الامتياز في الحقوق الشرعية على غيرهم من أفراد الامة ، فجعلت أمر الامة شورى بين أهل الحل والعقد ، من أهل العلم والرأي ، الذين يولون عليها من يرونها أصلح لتنفيذ شريعتها ، ولم تجعل للخلفاء أو السلاطين ، امتيازاً على أحد من الفقراء والصعاليك ، لافي حكم من الاحكام المدنية ، ولا في عقوبة من العقوبات الجزائية ، وقد وافقتنا بعض الامم في بعض هذه الاصول أو اقتبستها منها ، بعد أن ترك المتغلبون على المسلمين اقامتها ، ولكن لم يبلغ احد شأوها الى هذا اليوم ، وإنما صار بعضهم أقرب اليها ، ممن يسمون انفسهم أهلها .

(٦) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي ساوت بين اهله المؤمنين بها ، وبين الكافرين بها اذا تحاكوا اليها ، سواء كانوا من اهل ذمتها ، او من الاجانب المعاهدين لحكومتها ، او الحربيين الداخلين في امان احد من اهلسا ، فلا فرق في احكامها القضائية بين أبناء الرسول وامراء المؤمنين ، وبين أضعف أهل الكتاب أو الوثنيين ، ونحن نرى أرقى الافرنج وأشهرهم بالعدل يميزون انفسهم على غيرهم ، فلا يرون المصري والهندي مساويا للانكليزي ، ولا الاسيوي مساويا للامريكي

(٧) ان هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي رفعت شأن النساء وأعظمتهم

حقوق الاستقلال التام في التصرف بأموالهن ، وساوت يدينهن وبين أزواجهن في جميع الحقوق بالمعروف، الا رياسة المنزل وزعامة الاسرة ، وان كلمة وجيزة من كلمات القرآن الحكيم في ذلك لا يبلغ من كثير من الاسفار التي ألفت في المطالبة بحقوق النساء أو ما يسمونه تحرير المرأة ، الا وهي قوله عز وجل

﴿ وَآلِهِنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَالرِّجَالُ بِهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾

وهذه الدرجة التي أعطيت للرجل بحق — وهي رياسة البيت — لانه أقدر على الكسب والحماية ، والمطالب بجميع النفقة ، تشبه الرياسة العامة فيما شرع فيها من الشورى كما يدل عليه قوله عز وجل في مسألة ارضاع الولد وفطامه (فإن أراد ا فصلاً عن تراضٍ منها وتشاورٍ فلا جناح عليهما) وقد اهتدى كثير من الامم ببعض هدي هذه الشريعة في هذه المزية ولم يبلغ أحد منها شأوها ، ولكن أهلها قصرُوا في إقامتها ، حتى صاروا حجة عليها عند من يجهلها

(٨) هذه الشريعة هي الشريعة الوحيدة التي وضعت للحرب نظاماً حرم فيه العدوان والتمثيل والتخريب . وقتل من لا يقاتل من النساء والشيوخ والاطفال والمنقطعين للعبادة، فجعلتها ضرورة تتقدر بقدرها، وأمرت بالجنوح للسلم أن جنح العدو لها ، وقد بين المنار فضلها في ذلك على قوانين أوربة وفضل أهلها في حروبهم على الاوربيين في مقالة نشرت في مجلد السنة الماضية. وقد انصفنا أحد حكماء الافرنج بقوله « ما عرف التاريخ فاتحاً أعدل ولا أرحم من العرب »

فأين منها شريعة التوراة التي بين أيدي اليهود والنصارى وهي التي أوجبت في الفصل العشرين من سفر تثنية الاشرع استعباد جميع أفراد الشعب المسلم الذي يختار الصلح على الحرب ، وقتل جميع ذكور الشعب الذي يجارب عند الظفر به وجعل جميع نساؤه وأطفاله وما يملكه غنائم — هذا اذا كان من المدن البعيدة جدا عن شعب التوراة التي لا يسهل عليه سكنائها؛ وأما الشعوب القريبة التي يسهل عليه امتلاك بلادهم فهذا نصها فيهم « ١٦ » وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيبك فلا تستبق منها نسمة ما »

(٩) هذه هي الشريعة الوحيدة التي فرضت على الاغنياء نصيبا معلوما مما يزيد من أرواحهم عن نفقاتهم يصرف لإغاثة الفقراء والمساكين العاجزين عن كسب يدهم ، وإساعده الغارمين على ما يحملون من الغرامات للإصلاح بين الناس ، ولإبناء السبيل الذين يسبحون في الأرض فتتفد نفقاتهم قبل عودتهم الى أوطانهم ، وغير ذلك من المصالح العامة ، ولو أقام المسلمون في هذا العصر هذا الركن كما كان يقيمونه سابقهم الصالح لما وجد فيهم فقير مهين ، ولكانت حالهم الاجتماعية أفضل من حال أرقى الأمم ، ولما كان السائحون منهم لاكتشاف مجاهل الأرض وخرت بقاعها والاعتبار بأحوال الأمم فيها أكثر من سائحهم غيرهم من الأمم ، إذ حثهم الله في كتابه العزيز على السياحة النافعة بمثل قوله في سورة الحج (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) وقوله في سورة المؤمن (أفلم يسيروا في الأرض فيظنوا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) وقوله في سورة آل عمران (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا) الخ

(١٠) ان هذه الشريعة هي خاتمة الشرائع الالهية ، وحكمة ذلك أن الله تعالى قد اكمل بها الدين الحق ، فجعلها جامعة بين مصالح الروح والجسد ، ومنح الأمة حق الاجتهاد واستنباط الاحكام ، بما وهب لها من فضيلة الاستقلال ، بعد ان أعدها لذلك بسنة الارتقاء ، وبهذين كانت موافقة لمصالح البشر في كل زمان ومكان ، خلافا لما يجنيه عليها الصديق الجاهل ، وما يتجنه عليها العدو العاقل ، وقد بيناهذه المسألة في التفسير وفتاوى المنار ومقالاته مرارا ، كمقالات المصلح والمقلد ، والفتاوى الباريزية ، وتفسير (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم) وتفسير (اليوم أكملت لكم دينكم) وتفسير (لا تسألوا عن أشياء ان تبدلكم تسؤلكم) وطالما فندنا شبهات المنكرين لذلك

فهذه بعض مميزات هذه الشريعة التي يعرف قيمتها المنصفون من غير أهلها . فان أمكن لهذا الجادل فيها أن يشكك أهلها فيها بمازعه من أرباب بعض الناس في رواية أبي هريرة رضي الله عنه أو بغير ذلك من الدعاوي (وان يمكن) فلا يجني من ذلك الا انصراف ثلاث مئة مليون سني ربما يتبعهم زهاء ثلاثين مليونا من الشيعة (المنار: ج ٢) (١٤) (المجلد التاسع عشر)

وسائر الطوائف الاسلامية عن الايمان بأن المسيح عليه السلام رسول الله المعصوم وكلمته التي ألقاها الى مريم الطاهرة البتول، الى مثل اعتقاد ملاحدة الاوربيين من الانكيز وغيرهم كؤلف كتاب (نشوء فكرة الله) وؤلف كتاب (اضرار تعليم التوراة والانجيل) وغيرهم من الماديين الذين يطعنون فيه وفي أمه الطاهرة ، ويزعمون ان آداب انجيله مفسدة للبشر لانها تعلم الناس الذل بالخضوع لكل سلطة وإن كانت أجنبية جائرة ، وإدارة الخلدن اكل من يريد صفعهما ، وتدفعهم الى الفقر بتحريم الادخار والاهتمام بالمستقبل وحرمان الاغنياء من ملكوت السماء .. (مت ١٩: ٢٣)

لو كان الشك في الشريعة الاسلامية يفضي الى تنصر الشاك فيها حتما لكان للطاعن المشكك فيها — وهو داعية لدينه — عذر ظاهر في التشكيك ، ولكن لا تلازم بين الأمرين ، بل علمنا بالتجارب والاختبار أن أكثر الذين يهرقون من الاسلام يكونون ملاحدة معطلين ، وأن الافراد القلائل من المسلمين الذين دخلوا في النصرانية لا يكاد يوجد واحد منهم كان مسلما حقا ثم صار نصرانيا ظاهرا وباطنسا ، بل هم في الغالب من العوام الفقراء الكسالى الذين يظهرون النصرانية للمبشرين لاجل أن يطعموهم ، وهم على جهلهم بحقيقة الاسلام لا يفضل أحد منهم تقاليد النصرانية على ما عرف من تقاليد قومهم ، وقلما يفتح لاحد منهم باب الرزق عند المسلمين الا ويفرّ اليه مفضلا له على الارتزاق بالهناق ، وطالما سعوا الى ذلك وطرقوا له الابواب وكلموا فتح لاحد منهم باب منارات وأتاب، فأين هؤلاء الغوغاء ممن يدخلون في الاسلام من كبراء الانكيز وفضلائهم وغيرهم من نصارى الغرب والشرق كاللورد هدلي

قال حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني : ان المسلم لا يمكن أن يصير مسيحيا — وعلل ذلك بقوله — لان الاسلام مسيحية وزيادة ، أي يتضمن الايمان بالمسيح (ص) وبما جاء به بالاجمال ، والايمان بمحمد (ص) وبما جاء به بالتفصيل. وعلناه نحن بأن دين الله واحد في أصوله من التوحيد والاخلاص والفضيلة ، الا أنه سار كسائر الشؤون المتعلقة بالبشر على سنة النشوء والارتقاء فكان كماله في آخره (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) فالمسلم

ينظر الى ملة كل من نوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام كما ينظر الانكليزي الى القوانين التي كان عليها قومه في القرن السادس عشر والسابع عشر الى القرن العشرين ، ولكنه لا يترك ما ارتقى اليه من القوانين المناسبة لحال زمنه هذا الى ما ارتقى عنه من قوانين القرون الخالية، ولا يمد نفسه بما ارتقى اليه قد خرج عن كونه انكليزيا . وكذلك المسلم يؤمن بجميع الانبياء وبحقبة أديانهم وشرائعهم ومناسبتها لازمانهم وبأن الشريعة المحمدية كانت هي الخاتمة المتممة المكملة للناسخة ، والمسلمون يعظمون جميع الرسل (لا نفرق بين احد من رسله) ولكنهم يتبعون الاخير منهم

واننا نرى المبشرين يحاولون اقناع المسلمين بدلالة القرآن على تفضيل عيسى على محمد عليهما الصلاة والسلام ، ولو تم لهم هذا لما أفادهم شيئا ، فان المسلمين لا يفرقون بين الرسل من حيث انهم رسل ، وانما فضل الله بعضهم على بعض بكثرة المزايا ودرجة انتفاع البشر برسالتهم ، وقد فضّلهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعموم بعثته وإكمال الدين المطلق بما جاء به وكثرة من اهتدى به ، ونعتقد أن عيسى لم يبعث الا الى خراف إسرائيل الضالة كما قال عن نفسه (مت ١٥: ٢٤) ولو فرضنا ان عيسى أفضل بما امتاز به في خلقه وخصائصه لما كان ذلك موجبا لتترك الثابت عندنا من شريعة محمد صلى (ص) العامة المكملة الخاتمة للناسخة لما قبلها الى ما لم يثبت عندنا من شريعته الخاصة المنسوخة ، وعلماء الاصول منا يفضلون ابراهيم على موسى وعيسى (ص) ولكنهم لا يقولون انه كان يجب على بني اسرائيل ترك شريعة التوراة الى ما خالفها من شريعته كما أن من يفضل محمد علي باشا الكبير على أحفاده بخصائصه الفطرية لا يرى ذلك موجبا لتترك قوانينهم الى قوانينه ، على أن القاعدة عندنا أنه قد يوجد في المفضول من المزايا ما لا يوجد في الفاضل كما يفضل بعض أحفاد محمد علي جدهم بالعلم وبعض الاخلاق والاعمال

الحق أقول لكم أيها المبشرون المحترمون ان مجادلاتكم وطريقتكم في دعوة المسلمين الى دينكم قد جاءت الى اليوم بضد ما تريدون وتريد جمعياتكم ، فهي تزيد المسلمين استمساكا بدينهم وبعيدا عن دينكم ، وأكبر ضررها الديني في

المسلمين أنها حملت كثيرا منهم على ضد ما يجب عليهم شرعا من حب سيدنا عيسى وأمه وحواريه واثنياء عليهم بما اتى الله تعالى ورسوله (ص) فان كثيرا من الموم صاروا يعتقدون مما يسمعون منكم ويقرءون أو يقرأ عليهم من كلامكم ضد ما يقرره الاسلام من كون الرسل اخوة يجب الايمان بهم وحبهم جميعا ، بل أرى هذا التأثير قد دب الى خواص المتعلمين على الطريقة الافرنجية حتى المشهورين منهم بالتساهل الديني

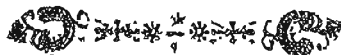
ومن العجيب ان واحدا من كبار هؤلاء، علما ورتبة صرح أمامي بأنكم بغضتم اليه المسيح ... فقلت له لا ينبغي لمثل سعادتك ان يسترسل مع وجدانه الى هذا الحد ، ولا يخفى عنك ان بغض المسيح عليه السلام كفر ، فقال ان هذا قد ثبت في نفسه ولا يستطيع دفعه

أيها المبشرون المحترمون انكم تريدون تشكيك الناس في الشريعة الاسلامية بالطعن في عدالة أبي هريرة ، وقد علمتم ان الطعن في أبي هريرة لو كان صادقا ما حط من قدر هذه الشريعة شيئا فكيف وهو باطل ، ولو لم يخلق أبو هريرة لما نقصت الشريعة شيئا ، ولكن كثيرا من المسلمين المتعلمين على المنهج الافرنجي يرون ان أكبر الشبهات على الاسلام ما أتى القرآن والرسول (ص) به على المسيح وأمه عليهما السلام ، حتى اني قلت منذ سنين ان أقوى الحجج للمسيح شهادة القرآن له ، وأقوى الشبهات على القرآن شهادته للمسيح ، فهل رأيتم قول القرآن فيه (انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته أنقأها الى مريم وروح منه) قليلا حتى طمعتم باقناع المسلمين بأن يقولوا كلمة أكبر من ذلك ، ورأيتم قوله فيه (وأيدناه بروح القدس) قليلا أيضا فطمعتم بأن تقول فيه كما تقولون وان لم نعقل ذلك ولم يقم عليه برهان مبين أيها المبشرون الغيورون انكم تعلمون أن اشتغال الناس بالفلسفة المادية والمدنية المادية قد فتن كثيرا من المسلمين بملاحدة الاوريين الماديين الذين مرقوا من النصرانية وطمعوا فيها أشد الطمع لان تعاليم الاناجيل أشد التعاليم وأقساها على الماديين اذ هي روحانية محضه ، وأما الاسلام فهو دين وسط ، جامع بين حقوق الروح وحقوق الجسد ، فلا تؤثر فيه دعوة النصرانية ، لانه كما تقدم مسيحية وزيادة

وأما يخشى على الجاهلين بحقيقته من تيار المادية، وحرية الشهوة الحيوانية، فدارسكم الافرنجية الدينية منها وغير الدينية، هي التي تكفل لكم التشكيك فى الاسلام، لا الطعن فى أبى هريرة ولا ابن عباس، فعمالوا تعاون على مجاهدة هذه تعاليم المادية، التي كانت آفتها شديدة على الاسلامى ولكنها على النصرانية أشد، ودليل ذلك انها لم تمنع كثيرا من المعلمين الباحثين من ترك النصرانية الى الاسلام، وإن الملاحظة منا أقل من الملاحظة منكم

مارأيت كلاما لاحد من الاوربيين المستشرقين فى الاسلام والمسلمين نبى هلى الخبرة والمعرفة ككلام الدكتور سنوك الهولندي، وقد بنى فى خطبته التي ألقاها منذ سنين فى مدرسة كليفورنية الجامعة فى الولايات المتحدة أن القضاء على الاسلام الدينى بالتبشير المسيحى محال، وأن المسلمين لن يكونوا نصارى أبدا، وأن طريقة اللاتين فى بث التعليم المادى فى المسلمين، اقل فى زلزال الاسلام من طريقة البروتستانت فى بث دعوة الدين، واعتبروا مع هذا ما ترونه من تفضيل أكثر المسلمين للانكليز والامريكان على اللاتين

انا لا أخاف على المسلمين من مجلاتكم ولا من كتبكم ورسائلكم، وأما أخاف على المسلمين من الفلسفة المادية والمدنية الشهوانية، ومن مناقيمهم وعباد الشهوات منهم، فهم الذين ينجون على دينهم وديانهم، وأما أوصيكم بأن تتجنبوا فيما تقولون فى مجامعكم التبشيرية، وما تطبعون فى رسائلكم وصحفكم الدورية، كل ما يثير العصبية، ويخدش المودة الوطنية، (٥ : ٥٢ لكل جملنا منكم شرعة ومنهاجا، ولو شاء الله لجلدكم أمة واحدة ولكن ليلوكم فيما آتاكم، فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم فينبئكم فيما كنتم فيه مختلفون ١٧٥ : ٨٤ قل كل يعمل على سبيله فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا)



المجمع اللغوي المأمول

دعوة الى هذه الامنية وخطوة جديدة على ذكرى بلوغ المتتطف سن الاربعين من حياته المعبدة

طالما تشوقت انفس اهل العلم والادب من المشتغلين بالتصنيف والانشاء والترجمة
بلسان العرب الى انشاء مجمع لغوي للتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي
تقتضيها حال هذا العصر . وطالما تحدثوا بهذا في انديتهم وسامعهم . وكثير ما هموا ولم
يفعلوا . وما اقدموا ثم احجموا ، وما بدأوا ثم لم يشبثوا . وقد كان عدم تسير المكان
اللائق بهذا العمل من الموانع العائقة لكثير من الذين تمنوه وتحدثوا بشأنه عن
مواصلة المذاكرة فيه ومعاودة الاجتماع لاجله . فلما انشأ الاساتذة المتخرجون من
مدرسة دارالعلوم ناديمهم منذ سنين قليلة تعلقت آمال كثير من الناس بهم ، وكان
اختيار حفي بك ناصف رئيسا لناديمهم ، مقويا للرجاء فيهم ، ثم ماعتم هذا النادي ان
خبث ناره ، واطفئت انواره ، ولكن بعد ترك حفي بك لادارته ، ومغادرته مدينة
القاهرة مرتقيا في منصبه

لاح لنا أمس بارق أمل جديد ، عسى أن نصل في نوره الى ما نريد ، فيكون
ذلك من بركات المتتطف المفيد

صدر الجزء الاول من مجلة المتتطف في مثل هذا اليوم - أول مايو - (١) من سنة
١٨٧٦ قتم له امس أربعون سنة . وقد كان مما يخطر بال كثير من أهل العلم وانصار
النهضة العربية ان يجعلوا هذا اليوم عيداً للمتتطف يحتفلون به الاحتفال اللائق
بخدمته للعلوم والفنون بهذه اللغة الشريفة التي لا حياة لنا الا بحياتها العلمية والفنية
ولكن الحرب الاوربية العامة جعلت العالم كله في ماتم ولا تكون المآتم اعياداً

وقد كان في مقدمة الذين شعروا بوجوب الاحتفال بالمتتطف صديقنا الاديب
الخطيب الشهير اسماعيل بك عاصم الحامي وقد رأى ان ما يمنع من اقامة الاحتفالات

(١) كتبت هذه المقالة في أول شهر مانو المرافق ٢٨ جادى الآخرة ونشرت في المتتطف وله
كتبت ، ثم في المتتطف ولاجله أنشئت ، وكان المنار موقوفا لعدم الورق ولم يتيسر نشرها في
الجزء الماضي منه

العامه لا يسمع من اجتماع خاص تمهينه خاصة، فأعد أس في داره الزاهية مأدبة لصاحبي
المتقطف دعا اليها صاحب الدولة رئيس الوزارة حسين رشدي باشا وصاحب المعالي
عدي باشا يكن وزير المعارف وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بنحيت مفتي الديار المصرية
وصاحبي السعادة يحيى باشا ابراهيم رئيس الاستئناف الاهلي واحمد زكي باشا كاتب
سر مجلس النظار وحضرة صاحب العزة احمد بك لظفي السيد مدير دار الكتب
السلطانية^(١) وبعض اصحاب المجلات العربية المشهورة

انتظم عقد هذه الجماعة عشاء في تلك الدار، المتألفة بالانوار فكانت سامراً
علمياً من أرقى السامر، افتتحها حضرة صاحب الدعوة بهذه الايات

يا بدوراً قد تجلى في سما العليا سناكم
حاكت الافلاك داري حين حياها ندامكم
فاقبلوا مني دعاء اسعد الله مساكم

وبعد مسامرات كان جالها في مناقب العرب وما سبق لهم من ترقية العلوم
والفنون تحلقوا حول تلك المائدة، فأصابوا مما طيف عليهم به من ألوانها الفاخرة، ثم
نهض الداعي الوفي الكريم فألقى خطبة نفيسة في الثناء على المتقطف المفيد، وعلى
منشئيه الفيلسوفين الكبيرين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر، بين فيها
خدمته الجليلة للعلم والعربية وذكر انه انشئ في بيروت ثم جذبته مصر اليها، وذكر
مقالتي نشرتا في الجزء الاول كانتا كالمرآة التي تجلى فيها كماله - مقالة في عمل الزجاج
ومقالة في القمر وتشكله منذ يبدو هلالا الى ان يكون بدرأ كاملا (قال) وكذلك
كان المتقطف فانه كالزجاج في صفائه وبهائه، وهو كالقمر بدأ هلالا ثم صار بدرأ كاملا
واسأل الله حفظه من المحاق

ثم ذكر بدء معرفته لمنشئ المتقطف من زهاء ثلاثين سنة وذكر من فضلها
وأخلاقها ما هو معروف، وأشار في خطابه الى ما سبق من احتفاله المشكور بلوغ مجلة
المنار عشر سنين، وذكر المنار في سياق الاستدراك على وصف المتقطف بالسبق في

(٢) انما ذكرنا الالقب الرسمية لهؤلاء الكبراء مخالفين لسنة المنار لان المقالة كتبت
للمقطم كما تقدم

خدمة العلوم. ثم قام كاتب هذه السطور فاستأذن الوزير الأكبر بالقاء كلمة في الموضوع هذه خلاصتها:

ورد في الحديث الشريف « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقد رأيت صديقنا الفاضل اسماعيل بك عاصم استدرك نلى وصفه المقتطف بأنه المجلة العربية الوحيدة التي قامت بما قامت به من خدمة العلم فذكر المنار وقرنه بالمتتطف وقل ان للمقتطف فضل فضيلة السبق، وذكر اني اعترف له بذلك، كما اعترف لابن معط ابن مالك، اذ قل في فاتحة الالفية:

وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا

نعم ان اعترف للمقتطف بالسبق والتبريز في العلم، وأزيد على ذلك الاعتراف بأني قد استفدت من المقتطف من أول عهدي بطلب العلم ولا أزال استفيد منه. اتني لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك أول عهدي بطلب العلم رأيت أستاذنا الشهير الشيخ حسيناً الجسر مشتركاً في المقتطف ومواظباً على قراءته، فكانت تلك أول معرفتي بالمقتطف وصرت استعبره به ذلك وقراه، فاستفدت من مباحثه فوئد عقلية وصحية واجتماعية، ولا أزال اعتمد على ما يكتبه في معرفة أطوار التجدد العالمي المصري

ان المقتطف في نظري مدرسة جامعة سيارة يستفيد منها العالم العربي في كل بلد يقرأ فيه. فان الذين يتعاملون مبادئ العلوم العصرية باللغة العربية، يحتاجون الى الوقوف على ما يتجدد فيها بالبلاد الغربية. ولا سبيل الى هذا الا بالاطلاع على الكتب والمجلات الاوربية التي تصدر في كل عام وهذا لا يتيسر الا لبعض الاغنياء المتقنين لبعض لغات العلوم الاوربية — فالمقتطف يلخص لنا في كل شهر ما لا يستغني عنه قراء العربية

من حق المقتطف على الامة العربية ان تحتفل به في الوقت المناسب ونرجو

ان يكون ذلك على رأس الخمسين من حياته النافعة

احتفل فريق من المصنفين بلوغ مطبعة المعارف سن العشرين في خدمة

الصناعة واتقانها فاذا جرينا على سنتهم كان علينا ان نقيم للمقتطف عشرات من

الاحتفالات . كان على مروحي الصناعة ان يقيموا للمقتطف مثل هذا الاحتفال لان له مطبعة أخرجت للناس من المطبوعات النافعة ، لم يخرجها غيرها فحسب ، بل لان للصناعة باباً في المقتطف فهو مرشد الى ترقيتها بجميع فروعها . وكان على المجتهدين في ترقية الزراعة ان يقيموا له احتفالا آخر لان للزراعة باباً فيه . مثل باب الصناعة ، ومثل هذا يقال في كل علم وفن ، ولكن صديقنا اسماعيل بك عاصم جمع لنا في هذه الليلة صورة مجلدة لما يجب على الامة مفصلاً

ان أكبر منقبة للمقتطف ومنشئيه انهما حجة اللغة العربية ثلثي من يتوهون أنها لا تنسج لجميع العلوم المصرية ولا يسهل تعليمها بها . فهذان العالمان الكيران تعلموا العلوم باللغة العربية واشتغلا بالكتابة والتأليف فيها مدة اربعين سنة فأفادا العلم ما لم يفده أحد من المتعلمين منا باللغات الاجنبية

هذا ملخص ما قلته . ثم ألقى أحمد زكي باشا خطبة نفيسة في فضل المقتطف ومنشئيه في خدمة العلم باللغة العربية افتتحها بما هو معروف في الفقه الاسلامي من تقسيم الواجب الى فرض عين وهو ما يطالب من كل فرد من الافراد كالصلاة والصيام ، وفرض كفاية وهو ما اذا قام به بعض الافراد سقط الطاب عن الباقين (كالفنون والصناعات التي لا يستغني الناس عنها في معاشهم) . وقال ان صاحبي المقتطف هما اللذان قاما بفرض الكفاية من خدمة العلوم والفنون (١) . ثم ذكر أول عهده بالمقتطف وانه أرسل اليه سوء الا الى بيروت ثم عهده بروية منشئيه وما يحمده من صحبته لها

وقام أيضا الشاب النجيب اميل أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء قارئ على المقتطف وذكر انه تلميذ تلاميذ منشئيه العلامةين وذكر ان والده وهو استاذه الاول كان تلميذها وكذلك كان اساتذته في المدرسة السككية من تلاميذها ثم قام صاحب مجلة المفتاح الغراء توفيق أفندي عزوز فخطب خطبة اثني فيها على المقتطف بما هو أهله وذكر استفادته منه كغيره وقال ان منشئيه العلامةين

(١) ان ما يجب على المسلمين رجوا كفاييا لا يسقط عنهم بقيام غير المسلمين به بل بأنعمون بتركه وان كان من الواجبات المعاشية كالتب والصناعات

(المثار : ج ٢) (١٥) (المجلد التاسع عشر)

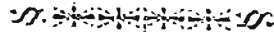
الفاضلين قد افادا بأخلاقهما كما افادا بمجتمعهما فهما باتفاقهما وتكافلتهما واخاتهما قدوة
صالحة لهذه الامة التي تشكو من التفرق والاختلاف وقلة الثبات ما هو أعظم عائق
لها عن القيام بالاعمال النافعة

وبعد ذلك قام العلامة الدكتور فارس عمر فألقى خطاباً بليغاً قال في فاتحته إنه
بلسانه ولسان شريكه واخيه الدكتور صروف يشكر أولاً لسعادة اسماعيل بك عاهم
عنايته بهذه الدعوة ويعتب عليه انه جعلها بصورة احتفال ومما قاله :

« ان حضرة رب هذه الوليمة شرف ادارتنا منذ بضعة أيام وهنأنا بمرور أربعين
عاماً على مجتمنا المتقطف ودعانا الى تناول الطعام مع جماعة من علماء مصر وأرباب
المجلات العربية الذين دعاهم احتفالاً بذلك فأبنا لحضرتة ان الوقت لا يصلح
للاحتفالات ولا خدمتنا نستحق هذه العناية ولكن ابنت مكارمه ومكارمكم أيها
السادة الا ان تخصصونا بالنصيب الاوفر من محاسن هذه الليلة وان تتحفونا بهذا
المنح الذي لا نستحقه فلحضرة صديقنا الفاضل صديق العلم والادب رب هذه
الدار ولدولة الوزير الكبير رئيس الوزراء ولعالي وزير المعارف والفضيلة مفتي الديار
المصرية وسعادة رئيس الاستئناف الاهلي وسعادة سكرتير مجلس النظار وسائر
الذين تكرموا بالثناء على المتقطف وذكروه بالخير ولبوا هذه الدعوة اكراماً له جزيل
الشكر من هذين العاجزين

ثم قال : « ان المتقطف وان كان قد انشئ في القطر السوري فقد كان معظم
انتشاره في القطر المصري وقد لقي من أعظم مصر أعظم عضد وأرحب صدر حتى
ان وزير مصر الشهر المرحوم رياض باشا كان يكاتبه منذ بدء انشائه ولما نقلناه من
سورية الى مصر رحب به رحمه الله كما رحب به الوزير الكبير شريف باشا والعالم
المرحوم شفيق بك منصور وغيرهم من أعظم مصر وأكبر علمائها . والامل وطيد ان
خدمة المتقطف على ما بها من الضعف تجدد من تأييدكم أيها السادة ما يقويها ويزيدها
اضافاً مضاعفة بموازرة سائر المجلات والجرائد العربية في عصر مولانا السلطان
المعظم الذي حققنا ان نباهي به سلاطين الشرق والغرب مما على حبه للعلم واكرامه
للعلماء ورغبته في اعلاء مناز الادب وغيرته على نشر المعارف وجوده في سبيل التربية

أدامه الله للامة العربية فخراً وأدامكم للغة العربية ذخراً
ثم دارت بعد ذلك المذاكرة في مسائل علمية ولغوية أفضت الى الكلام في
شدة الحاجة الى انشاء مجمع لغوي في مصر فقال احمد لطفي بك السيد مدير دار
الكتب السلطانية ان احمد زكي باشا كان قد اقترح عليّ ان اخصص مكاناً من
دار الكتب لذلك . واني اجبت الى ذلك فلدي الآن في المكتبة مكان لائق
كانت الجرائد ذكرت اننا فرشناه واعددناه لراغبات المطالعة من السيدات وليس
عندنا سيدات يفتشين دار الكتب للمطالعة فنعد هنّ مكاناً
فسر جميع الحاضرين بهذا وقابلوه بالثناء ورأوا ان قد زالت به عقبة من عقبات
الشروع في تأسيس المجمع اللغوي الذي بينا مكانته من النفوس في أول هذه المقالة
وزادهم سرورا ما رأوه من ارتياح الوزير الاكبر ووزير المعارف للشروع في تأسيس
المجمع اللغوي بدار الكتب السلطانية . وأرجو ان نبشر قراء العربية في مقال آخر
بتأسيس هذا المجمع بالفعل
وقد امتد هذا السمر المفيد الى منتصف الليل فانصرف السامرون مثنين على
رب المنزل اطيب الثناء



جمال باشا السفاك

كان جمال باشا من آحاد الضباط الكثيرين المنتمين الى جمعية الاتحاد والترقي
فلم يلبث ان ترقى فوق الهام والرؤوس الى مقام الزعماء على حين قد تدهور أمير
الألاي صادق بك عن منصة الزعامة العليا لها وسقط كثير من الضباط وغيرهم من
مكاناتهم العالية . واما ترقى جمال بك ببراعته وجريته على سفك دماء خصوم الجمعية،
فهو الذي دبر مكيده المذبحة الاولى في أدنه اذ كان واليا لها بعد الدستور، وهو
الذي قتل الجرم الغفير من كبراء الأستانة المخالفين للجمعية عقب اغتيال محمود
شوكت باشا ، ولأجل هذا اختارته الجمعية لقيادة فيلق سورية بعد الحرب على كونه
لا يزال ناظرا للبحرية ، وما سمعنا في أخبار دولة من الدول أن أحد وزرائها يعطى

وظيفة دون الوزارة في بلاد بعيدة عن العاصمة فيكون فيها عدة سنين في أشد أوقات الحاجة الى قيامه بشؤونها ونهايك بوزيري الحربية والبحرية في وقت الحرب ، ولكن زعماء الجمعية يأخذون المناصب العليا بعلمهم في الجمعية لا بخدمتهم للدولة نعم ان الجمعية اختارت جمال باشا لأجل ان يتم تنفيذ ما توعدت به سورية من بضع سنين في جريدتها طنين وعبرت عنه (بالدش البارد) وإنما كانت مذنبجة الكرك وتعذيب العرب برضخ رؤسهم بالصخور هي الرشوة الاولى من هذا (الدش) واننا — على علمنا بهذا الانذار وبما هو أشد منه وأوضح وعلى ذكرنا بعض تلك النذر في مقالات (العرب والترك) وغيرها في المئزر — قد ارتبنا في أول خبر بلغنا عن شفق جمال باشا لبعض نابي المسلمين في بيروت . ولا يزال أكثر المصريين يكذبون أخبار التقتيل والنفي التي تكررت بل تواترت . وقد ظفرت جريدة المقطم ببيان لجمال باشا نفسه نشرته في اليوم السابع من شهرنا هذا يصرح فيه بعمله ويحتج له . وهذا ما نشرته :

(بيان من جمال باشا)

نشر جمال باشا القائد النماني في سورية البيان التالي بامضائه في ٥ رجب سنة ١٣٣٤ الموافق ٧ مايو سنة ١٩١٦ وهذا هو نصه العربي كما نشر بحروفه — :
 لما جرى القصاص على بعض الاشخاص المنتسبين الى الحزب المتشكل في مصر والمالك العثمانية تحت تمويه عنوان « حزب الامركزية » والذين حوكموا في ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل اوغستوس سنة ١٣٣١ ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق اعوانهم الاشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلا

ان الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب المييد الذي ألقى القبض عليه أخيراً بعد ان ذكرنا في البيان فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخريين قد نور المسألة من جميع اطرافها وسبق الى ديوان حرب عاليه الاشخاص الذين ظهر ان لهم علاقة في هذه المسألة بدرجات متفاوتة مع من تبين

ان لهم دخلا في المساعي الخائنة بتنفيذهم ترتيبات الجمعية ونشأتها وأعمالها . وفي ختام التحقيقات والمحاکمات التي أجراها الديوان العرفي في عاليه صدرت الاحكام المقتضاة بحق المظنون فيهم من الموقوفين والفارين كل على حسب اشتراكه في ترتيبات هذه الجمعية التي غايتها ومقصدها سلخ سورية وفلسطين والعراق عن راية السلطنة العثمانية وجعلها امارة مستقلة . فحكم على شفيق بن احمد مؤيد العظم والامير عمر بن الامير عبد القادر . وعمر بن مصطفى حمد . ورفيق بن موسى رزق سلوم . ومحمد بن حسين الشنطي . وشكري بن بدري علي العلي ، وعبد النبي بن محمد العربي . وعارف بن محمد الشهابي . وتوفيق بن احمد البساط . وسيف الدين بن ابي النصر الخطيب ، والشيخ احمد بن حسين طباره . وعبد الوهاب ابن احمد الانكاري ، وسعيد بن فاضل عقل . وبتروبولي . وجرجي بن موسى الحداد . وسليم ابن محمد سعيد الجزائري . وعلي بن محمد حاجي عمر . ورشدي بن احمد الشنعة . وامين لطفي بن محمد حافظ . وجلال ابن سليم البخاري . بالاعدام لثبوت اشتراكهم في هذه التثبثات بالدرجة الاولى وبصورة فعلية . وعلى من تبين دخولهم في الدسيسة بصورة فرعية . سالم بن مصطفي مظلوم بالاعتقال بالقلعة خمس سنين وتوفيق بن محمد الناطور ويوسف بن نجيب سليمان بعشر سنين ، وحسين بن خليل حيدر بخمس عشرة سنة وعلي رياض ابن رضا الصلح بنفي مؤبد . وعلي الامير طاهر بن احمد الجزائري بعشر سنين في انكريك . وعلى الذين مع كونهم لم يفهموا المقصد والتثبث الحقيقي وثبت وجود مساع لهم مع هذه الجمعية بصورة محسوسة اما بسائق الجهل أو التصلف وانما لم يوجد عليهم وثائق تنور وجدان الهيئة المحاكمة وتثبت مجرميتهم واشتراكهم وهم رضا الصلح واسعد حيدر باعادتهما الى منفاهما . وأعطى القرار بمنع محاكمة وبراءة كل من محمد أفندي كامل الهاشم ، ابراهيم القاسم . سامي العظم : الشيخ جمال الدين الخطيب . عبد الحميد معلم الرسم . محيي الدين فريجه . البيطار حسين صبري . رشدي الغزي . عاصم بسيسو الغزي . عزت الاعظمي ، مصطفى الكيلائي . عبيد الرحيم حنون ، الدكتور حسام الدين . نجيب شهاب . الشيخ فتح الله . الدكتور أحمد قديري سليم الطيارة . جميل الحسيني . المقي سويد أفندي الهاني . سليم الشنعة .

سليم البخاري . فائز الخوري . رشيد الحشيمي . عمر الاتاسي . البكباشي علي رضا .
الدكتور أمين قازما ، سعيد عدوه . الدكتور عبد الحفيظ . اليوز باشي جميل . فريد
باشا اليافي . عثمان العظيم

ومن الذين صدر بحقهم حكم الاعدام وهم شفيق المؤيد . الامير عمر . شكري
العسلي . عبد الوهاب الانكليزي . رشدي الشممة . رفيق رزق . سلوم ، جرى اعدامهم
هذا الصباح في الشام . والآخرون جرى اعدامهم في بيروت ، وسائر المجرمين صار
سوقهم الى منقاهم وجبوسهم وعلى هذه الصورة تقرر اذا في سورية وفلسطين السكون
والامن المحتاج اليهما الى الابد

وها أنا اذا انشر الآن من الوثائق المهمة التي كانت اساساً لهذه التحقيقات
ما يكشف الغطاء عن حزب اللامركزية الحقيقي وسينشر كتاب حاو جميع الوثائق
على حدة مع اعترافات المجرمين المهمة وتاريخ صفيح لهذه المسألة

ومن امعان النظر في هذه الوثائق يفهم أولاً : ان هؤلاء الاشخاص قد ضحوا
بلا تردد جميع مالهيم من المتدسات الدينية والوطنية لقاء منافعهم الخسيسة والمادية .
ان هؤلاء الاشخاص قد اشركوا مساعيهم ونفوذهم وقدرتهم اعداء الدولة وسعوا في
اعداد الطاعة في الداخل تجاه تجاوزات الاعداء في الخارج

ومما هو جدير بالتقدير ان ادارة هذه التثبثات لم تتسع بالنظر لما جبل عليه
العنصر العربي النجيب من الصداقة والطاعة والصلابة الدينية العارية عن شوائب
الظنون والشكوك بأسرها بل حصرت بين بعض اشخاص مسلمين ومسيحيين
لا أهمية لهم ولا يكاد يتجاوز عددهم المائتين من المحكوم عليهم حديثاً وقديماً واجاهاً وغيباً
و بناء على الصلاحية التي تخولني اياها المادة الثانية من القانون المؤرخ في ١٤
مايو سنة ١٣٣١ المتضمن التدابير التي ينبغي للجهة العسكرية التوسل بها في وقت
النفير العام ضد الخارجين على الحكومة واجراآت فاني ساع في ابعاد اولئك الاشخاص
الذين يتخذون حقوق الدولة ومقدساتها ملعبة في سبيل منافعهم الشخصية مع من
لهم علاقة معهم من اسرهم وعائلاتهم من قريب أو بعيد الى بعض ولايات
الاناضول . وقد اتخذت الاسباب الكافلة لإعاشة هذه العائلات ورفاهيتهم في

الحال التي ينفون اليها تحت عناية الحكومة السنية وعاطفتها، وسيعطون هناك أراضي وأملاكاً قيمتها تعادل أملاكهم وأراضيهم التي يملكونها في سورية . واني أوصي جميع الاهلين في سورية وفلسطين بالسكينة والطمأنينة . على انه من الآن فصاعداً لم يبق محل لاجراء التعقيبات والابعاد الى الولايات العثمانية في حق احد مطلقاً ما لم تظهر وثائق قوية تدل على خيائته

قومندان الفيالق الرابع وناظر البحريه
أحمد جمال

[المنار] كل ما احتج به جمال باشا لسفك الدماء واجلائه الناس عن أوطانهم أباطيل . وقد قتل بعد من ذكرهم هنا عدداً ليس بقليل ، منهم السيد عبد الحميد الزهراوي الشهير ، وأول أباطيله تسمية القتل برأية ورأي ديوانه العرفي قصاصاً ! وإنما القصاص في شرع الله أن يقتل الجاني بمن قتله بغير حق . ومعناه في اللغة يدل على المساواة والممانلة .

ثم انه يقول ان التهمة الموجبة للقتل والنفي هي الاشتراك في جمعية غايتها جعل المراق وسورية وفلسطين مملكة مستقلة بعد سلخها من راية الدولة ، ونحن نعتقد بطلان هذه التهمة بأدلة كثيرة (منها) أن الحزب الذي جعله أصلاً بتهمة التي رمى بها هؤلاء الناس له برنامج معروف مطبوع ينطبق بكذب تلك التهمة (ومنها) أن هؤلاء الذين اعترفوا بالاشا بقتلهم في هذا البيان لا يوجد فيهم الا واحد أو اثنان من الداخلين في هذا الحزب (ومنها) اننا نعلم باختبارنا لبعضهم واختبار من نثق به للآخرين انهم لا يجمعهم رأي ولا مودة ولا سكنى ولا معرفة فكيف يتفقون مع ذلك على أمر عظيم كالذي اتهموا به ؟ وإنما الجرم الأكبر الذي يجمعهم وبه استحقوا العقاب هو أنهم من أذكاء العرب الذين يقولون بوجود محافظة قومهم على لغتهم وأن يكون لهم حظ من مشاركة الحكومة في ادارة بلادهم ، وان لبعضهم ذنوباً سابقة لا يفرها الاتحاديون كاهانة شفيق بك لطلمت بك ، والسعي لدم اقرض أوربة للاتحاديين عشرات من الملايين ، بضيعونها وتبقى البلاد رهينة بها للدائنين ، وتوثيق أعضاء المنتدى الادبي في الاستانة عرى الاخاء بين طلبة العرب في مدارس الحكومة فيها ، وانها تهم لصاحب جريدة اقدم التركية في نشر تلك المقالة التي قال فيها كاتبها ان الطريقة المثلى للتبكييل بعرب الجزيرة اغراء بعضهم بقتال بعض بالمال « لان العرب تبيع كل شيء بالمال حتى العرض والداموس »

ثم انه يعرض بأنهم أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم تلك التهمة باليقين ، ولو ثبتت لما جاز قتل أحدهم منهم بهما شرعاً ولا قانوناً لانها عبارة عن رأي سياسي لم يدع قائلهم انهم شرعوا في تنفيذه بالخروج على الدولة في أثناء النفي العام الذي حاكمهم بقانونه . وكيف يعقل أن يقوم نفر قليل كهؤلاء بالخروج على الدولة والسواد الأعظم من قومهم بخالفهم فيه باعتراف جمال باشا نفسه والدولة تحكمهم بلا هم بالاحكام العرفية القاسية وجميع شبان الامة وكهولها جنود مسلحون بين يديها ؟ وباليات شمري ما تلك المنافع المادية الحسيسة التي ضحى أولئك الأذكاء الفضلاء دينهم ووطنهم لاجلها ؟ ان كانت ما ذكره من غاية جمعيتهم الزعومة ، فذلك غاية سياسية عالية لامادية حسيسة ، وان كانت غيرها فما هي ؟

باب المراسلة والمناظرة

الكتب المعزوة الى غير مصنفها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد فكثيرا ما طبعت كتب ونسبت الى أكار علماء الاسلام - وهم برآء منها - إما غلطا وإما قصدا ، لتكون نافقة في البيع أو لإدخال أشياء في دن الاسلام ليست منه ، ولا يكون لقائلها من ثقة المسلمين به ما يؤهله قبول قوله عندهم ، فيختبئ وراء اسم أحد الأئمة المقبولين عند المسلمين ، وينجله كتابه ، وذلك لما ضاق بلزادة الامر وحصرت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في دواوين معروفة ، وبين فيها الصحيح من غيره ، فلم يتمكنوا من وضع الأحاديث عايه كما كانوا يفعلون في أول الاسلام قبل تدوين الحديث ، ومفردة هذه الكتب ظاهرة للعيان

رأيت كل هذا فعزمت بحول الله تعالى وقوته على بيان الاغلاط الواقعة في نسبة بعض الكتب المطبوعة الى غير أهلها نصيحة للمسلمين ، وتزكية لأئمة الدين ، وخدمة للتاريخ ، فكلما عثرت بشيء منها نشرته في مجلة المنار الفراء

ثم اني لا أقصد ببياني هذا طعنا في أحد من طلابي هذه الكتب فلا يجرجنهم ذلك فانما قصدي بها وجه الله تعالى والله الموفق لهادي الا هو

(١) من الكتب المدخيلة الموضوعه قصدا كتاب يسمى (سر العالمين) (١)

ألفه أحد الزنادقة من الفرقة الباطنية ، ونجمله حجة الاسلام أبا حامد الغزالي رضي الله عنه ، وأدخل فيه كثيرا من عقائد الباطنية التي كان الغزالي أشد أعدائها ، ومن أكثر العلماء ردا على معتقديها ، وأدخل فيه كثيرا من علوم السحر ، ثم أراد أن

يحتق نسبة الكتاب الى الغزالي فصار دائما يحيل في بعض المسائل على كتب الغزالي كالأحياء والرد على الباطنية وغيرها، ويقول «فيما كتبناه في كتاب كذا» أو نحوه، ويذكر كتابا من تصانيف الغزالي، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد أن يفضحه ويبين كذبه كرامة للغزالي وغيره على حجة الاسلام فانه قال في صحيفة (٨٣) من الطبعة المصرية «أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب» الخ وهذا كذب فاضح، فان أبا العلاء المعري مات سنة تسع وأربعين وأربعمائة، أي قبل أن يولد الغزالي بسنة أو سنتين، فانه ولد سنة خمسين وقيل سنة إحدى وخمسين وأربعمائة فليحذر الناس من الثقة بهذا الكتاب وأمثاله فهي مفسدة للدين، وليتق الله طبعها ولا يفرروا بعامة المسلمين، وليتحرر أحدهم صحة نسبة الكتاب الى المنسوب اليه

(٢) ومن الكتب المنسوبة قصدا للنفاق كتاب يسمى (كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان) ^(١) نسب الى الامام الجليل شمس الدين ابن القيم رضي الله عنه، وهو كتاب لا بأس به فيه فوائد أدبية، ونكتب بلاغية، فصيح العبارة، ويظهر أن مؤلفه كان من الكتاب المنشئين، لا العلماء المحققين - أمثال إمامنا ابن القيم - فان له في بعض المسائل تحقيقات واختيارات سخيفة لا يقوؤها من شام للعلم بارقة

لولم يكن لشمس الدين ابن القيم بين أيدينا كتب غير هذا لقلنا كاتب يتسخر ويظن أنه محقق، وأحق يتسكبس ويظن أنه عاقل، ولكن كتب ابن القيم تنادي بقوة نظره، ودقة بحثه، وكثرة علمه، وبعد غوره، والله دره من امام جليل، وحاش لله أن يقول في اعجاز القرآن كما قال مؤلف هذا الكتاب فانه قال في صحيفة (٢٥٥) بعد أن حكى الاقول في وجه الاعجاز مانعه: «قال المصنف عفا الله عنه: والاقرب من هذه الاقاويل الى الصواب قول من قال ان اعجازه بحراسته من التبديل والتغيير والتصحيف والتحريف والزيادة والنقصان، فانه ليس عليه ايراد ولا مطعن» هذا اختياره وحكاية مثل هذا تعني عن رده وضرب الامثال على بطلانه ^(٢)

(١) طبع أيضا في مصر سنة ١٣٢٧ (٢) المنار: مزبة حفظ القرآن من التفسير لم تظهر الا بمرور

الزمن، فلا يتجدد النبي (ص) بها الرب

وأعرب من هذا القول قوله في الصحيفة نفسها بعد أسطر : « وقال قوم اعجازه من جهة أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي و صفة قائمة بالذات وأن العرب اذا تحدوا بالتماس معارضتهم له ولا تيان بمثله أو بمثل بعضه كانوا ما لا يطاق ومن هذه الجهة وقع عجزهم وهذا القول أيضا حسن » هذا كلامه بنصه واني أترك للقارى فهم معنى التحدي بالصفة القديمة وذلك مما يتصرعتلي عن دركه

وقد اتصل بي أن النسخة الخطية التي طبع عنها هذا الكتاب كانت نسبتها فيها الى ابن القيم مكتوبة عليها بخط جديد غير خط الاصل فقبل لطابعه لا تنسبه لابن القيم فلعل كاتب هذه لم يتحرر النسبة خصوصا وان الكتاب غير معروف في كتب ابن القيم ، فأبى ونسبه اليه ، فحسبنا الله ونعم الوكيل

(٣) ومما يلحق بهذا وان لم يكن منه تماما ما وقع في مختصر البخاري للزبيدي المسمى « التجريد الصريح لاحاديث الجامع الصحيح » فقد كتب على طرته في النسخ المطبوعة بالمطبعة الاميرية والمطبوعة بالمطبعة الخيرية والمطبعة باليمنية مانصه « للحسين بن المبارك الزبيدي » وهذا غلط فان مؤلفه هو أحمد بن أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي المتوفى سنة ٨٩٣ هجرية . وأما الحسين بن المبارك الزبيدي فشيخ ذكره المؤلف نفسه في خطبة كتابه في اسناده الى البخاري ، وبين المؤلف وبينه ثلاثة شيوخ . والفريب أن كاتب الحواشي التي بهامش النسخة الاميرية ذكر في أول صحيفة منها اسم المؤلف على الصواب ، فلا أدري كيف كتب هذا وغفل عما في طرة الكتاب . وأما المطبعتان الاخيرتان فتبعتا المطبعة الاميرية من غير تحري ولا نظر . وحصل مثل هذا في نسخة شرح الشرفاوي عليه الذي طبع بالمطبعة الميمنية فانهم طبعوا بهامشه المتن ونسبوه في طرته الى الحسين بن المبارك الزبيدي مع أن الشارح في أول الخطبة ذكر اسم المؤلف على الصواب انتهى

كتبه

ابو الاشبال

عفا الله عنه

دعوة اللجنة التحضيرية

﴿ لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

تتشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظرکم الى منافع هذا العمل المسطورة بايجاز في (ذيل) هذا الكتاب آملا من غيرتکم التفضيد المادي والادبي قدر جهودکم حتى اذا اجتمعت الاعانات الضامنة للنجاح منکم ومن أمثالکم أبرز المشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملوكية الآسيوية » التي هي من أعظم الهيئات العلمية الباحثة في آداب الشرق . ولا يخفى على حضرتکم المظهر الجليل والفائدة الكبرى من تحقيق هذه الامنية في أكبر عواصم العالم . وقد لاحظنا أن للمعضدين ميولا مختلفة ما بين عامل أدبي أو علمي أو وطني أو ديني ، فلعلکم مدفوعون بعامل أو أكثر من هذه العوامل لخدمة آداب اللغة الفصيحة العربية ، والسعي في نشرها بواسطة هذه الجمعية الدولية التي تعمل اللجنة على تأسيسها وتوطيد دعائها .

هذا ولو أن الظروف الحاضرة الاستثنائية ربما عدت غير ملائمة، إلا أن فلاح مثل هذا العمل كما تبين لنا بعد درسه يستدعي بذل مجهولات كثيرة تستغرق زمنا غير وجيز فمن الصواب اذن عدم التأجيل . فبذا لو ظفرنا بموازرتکم لنا ، فجلائل الاعمال إنما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد ما

كاتب سر اللجنة
المحمدي أبو سادي

رئيس اللجنة التحضيرية
د. سي. هر هيليو

﴿ مقاصد الجمعية ﴾

- (١) أن تستخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مالية الجمعية
- (٢) أن تشجع تعلم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وأن تنمي في أعضاء الجمعية ملكة الترجمة من وإلى العربية وسواها من اللغات حبا في الفائدة العامة .
- (٣) أن تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيا العظمى والمستعربين بها ، وكذلك بينهم وبين علماء العربية في جميع أقطارها وبين المستعربين في الممالك الأخرى لتبادل المنفعة الأدبية . اهـ

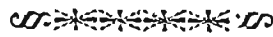
مصائبنا بالزهرراوي والكيلاني

فجمعتنا الجرائد المصرية في يوم واحد بنعي الصديقين الوفيين المصلحين السيدين الجليلين عبد الحميد الزهرراوي شهيد بني الاتحاديين ، ومحمد وجيه الكيلاني شيخ اسلام الفيلبين . جاءتنا بذلك في أثر تلك الانباء التي شقت المرأه ، واستنفدت الدموع من المهاجر ، انباء تقتيل جمال باشا لصفوة أبناء سورية وأركان النهضة الاجتماعية فيها ، فالآن الآن قد صار الفؤاد في غشاء من نبال ، فاذا اصابته سهام أخرى تكسرت النصال على النصال

خسرت أمة الاسلام وديار الشام وحزب الاصلاح بالزهرراوي والكيلاني رجلين من أفضل رجال مصر عقلا وذكاء وأخلاقا وعلما وأدبا واهتماما بالمصالح العامة ، وتقديما لها على المصالح الخاصة ، وبهذه المزايا تنهض الامم ، وبفقدها تسقط في مهاوي العدم نبت كل منهما في بيت من أكرم بيوتات القطر السوري شرفا وسؤددا وعلما ومجدا ، وتربي كل منهما في نشأته الاولى تربية علمية دينية ، وأوتي نصيبا من العلوم والفنون المصرية ، واختبر حال الزمان وأهله ، وعرف شدة حاجة بلاده الى التأليف بين المختلفين فيها بالاديان والمذاهب والآراء والمشارب ، فكانا ركنين من أركان الوفاق ، وعاملين من أنفع عوامل الاصلاح ،

فهذا ما اتفق معناه في هذان الصديقان الكريمان ، وأما ما اختلفت فيه نشأتهما وسيرتهما فهو ان السيد الزهرراوي قد تفرس بالسياسة في حداثة فغلبته على الاشتغال بغيرها مما كان مستعدا له كالتوسع والتصنيف في الفلسفة وعلوم الاخلاق والاجتماع ، فكان أفضل ما يرجى نفعه فيه ما وصل اليه من انتخاب أهل بلاده إياه نائبا عنهم في مجلس المبعوثين ، ولا أقول ثم تعيين الحكومة إياه عضوا في مجلس الاغيان ، لان هذا قد كان بعد جعل الاتحاديين مجلس الامة بقسميه آلة لجعل ما تقرره جمعيتهم قوانين نافذة ، وأعمالا منسوبة الى الامة ، وكان الغرض منه خديعته وخديعة العرب به ، الى أن تسنح الفرصة لتنفيذ ما قرره الجمعية من قبل من التنكيل

بالرب والفتك بزعمائهم كما أشرنا اليه في موضع آخر وسنعود الى بيانه
 وأما السيد الكيلاني فقد تخرج بالاعمال الادارية الشرعية فكان من موظفي
 مشيخة الاسلام في الآستانة ، وبهذا وما سبق من مزاياه كان أفضل من يختار لما
 اختبر له من جهله شيئا للاسلام في جزائر الفيليبين ، وكان يتقي شر السياسة بالمغازاة
 حتى أنه لما عرج على مصر في ذهابه الى الفيليبين تجاهل معرفة المنار وصاحبه ، وهو
 على مذهبه الاصلاحى ومشر به ، لانه كان يرجو المساعدة من الخديو وحكومته ،
 وكان الخديو مفضيا لصاحب المنار من بضع سنين . وقد اخبرني بعد ذلك انه كان
 يفضل طلب المنار من صديقنا السيد محمد بن عقيل المقيم في سنغافوره على طلبه من
 مصر ، وانه قد تجدد له من الحاجة اليه في منصبه الجديد ما لم يكن يعلمه من قبل .
 وسنعود الى الكلام في سيرة هذين الصديقين ان شاء الله .



مسألة الأزياء والعادات

من مشخصات الامم

زى الامة من مشخصاتها ينبغي لها أن تحافظ عليه وتحترمه وتحتقر من يحتقره كما
 تحترم العلم الذي هو شارة حكومتها ، فالعلم لا يحترم لشكله ولا لوانه أو ألوانه ، وليس من
 العقل ولا من الحكمة أن تدم الاعلام أو تمدح اشكلها أو ألوانها ، وكذلك أزياء الامم
 من حيث هي أزيؤها ، ولكن بين الزى والعلم فرقا واحدا وهو أن الزى يقصد به من
 المنفعة ما لا يقصد بالعلم ، فاذا اشترك مع العلم في أن كلا منهما مشخص للامة مهما
 يكن شكله ولونه وصفته فانهما يفترقان في أن بعض الأزياء لا تقى بما يقصد بها من
 وقاية الجسم من أذى الحر أو البرد أو سهولة القيام بالاعمال العسكرية والصناعية
 والزراعية .

ومن الناس من يرجع في اختيار الأزياء الى مراعاة الذوق والجمال ، ولكن
 هذا ليس له قاعدة ثابتة ، وإنما يستحسن جماهير الرجال في كل أمة ما يختاره كبارؤها
 وحكامها ، وإنما يعنى بالذوق والجمال في الزى النساء وهن في كل أونة يستحدثن

زيا جديدا يطلن به ما كان قبله مستحسننا ، ولا يرجع ذلك الى فضيلة في زي اليوم على زي أمس تثبت بدليل علمي أو عقلي . وانما فائدة الجديد لمن جذب الانظار الى السابقات اليه ، وفائدته المالية لتجار الانسجة وصناعة الخياطة لا تخفى ، ويقابل ربح هؤلاء من الأزياء خسارة المسرفات فيها ، فكم من بيوت خربت بمثل هذا الاسراف من أكبر جنایات الافراد على أمتهم أن يحتقر أحد منهم زياها ، ويستبدل به زي أمة أخرى تقليدا وتفضيلا لها ، فاذا كان بعض أزيائها ضارا بها ، فالواجب في استبدال غيره به أن يكون برأي أهل الحل والعقد فيها ، الذين يراعون في التغيير المنفعة دون التقليد الذي يثبت في الامة الشعور بمبادئها وتفضيل غيرها عليها . وقد وفينا هذا الموضوع حقه من البيان في المنار وقبل المنار في كتابنا (الحكمة الشرعية) الذي كتبناه في عهد طلب العلم ، واقتبسنا منه نبذا في المنار اذ طرقتنا باب هذا البحث مرارا .

ولست أبحث الآن في أزيائنا هل يحسن تغيير شيء منها وكيف ينبغي أن يكون التغيير ، وانما أريد أن أقول ان بعض الافرنج ينفرون من أزياء الشرقيين ويكرهون أن يأكل في مطاعمهم الخاصة بهم وبالأغنياء المتفرنجين منا من لا يلتزم عاداتهم وآدابهم في الطعام ، ومنهم من يرى ان كل من لا يلبس الزي الافرنجي لا ينبغي أن يأكل في تلك المطاعم ، ولهم في ذلك أعذار ومارب ، وقد روت جريدة (وادي النيل) الاسكندرية أن اثنين من المعممين دخلا مطعا افرنجيا فطردا منه لانهما معلمان ، وقالت في لومهما انه لا يبعد ان يكونا ذهبا منه الى آخر مثله لعله يقبلما . وأشارت أيضا الى انتقاد صاحب المطعم الافرنجي . أما نحن فاننا نخص باللوم فريقين من أمتنا : فريق الذين يتصدون لمواكلة الافرنج في مطاعمهم ، وهم لا يلتزمون آدابهم وعاداتهم . ومنهم من لا يلتزم الآداب الاسلامية التي هي أرق الآداب ، وفريق المتفرنجين الذين يحتقرون زي أمتهم وعاداتها وآدابها ، ويستبدلون بها غيرها تقليدا للاغيار وتفضيلا لهم على أنفسهم ، ويكونون آلة لا ضفاف مشخصات أمتهم ومقوماتها وهم لا يشعرون ما وراء ذلك كما يشمر به غيرهم . ومن أراد أن يعرف رأي الافرنج في ذلك فليقرأ خطبة الدكتور سنوك المستشرق الهولندي في

الاسلام ومستقبله التي ألقاها في جامعة كولومبيا من الولايات المتحدة ، وقد نشرنا ترجمتها في المجلد السابع عشر من المنار مع تعليق طويل عليها (١) ومن أراد أن يعرف قيمة هؤلاء المتفرجين في نفس الافرنج فليقرأ ما كتبه في شأنهم لورد كرومر في كتابه (مصر الحديثة)

من أهان أمته باحتقار شيء من مقوماتها أو مشخصاتها بإزاء احترام ما يقابل ذلك من أمة أخرى فقد احتقر نفسه أشد الاحتقار ، وما قيمة الرجل الذي ليس له أمة محترمة في نفسه ، ومن ذا الذي يكرم من يحتقر نفسه باحتقار أمته * ومن لم يكرم نفسه لم يكرم *

إذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

يجب على كل من أوتي نصيباً من الفهم أو حظاً من الشرف أن يقاوم جهد طاقته كل ما فيه احتقار لأمة هو ما يكن رأي المحقر وقصده ، ومن ذلك ان لا يأكل احد من المصريين في مطعم يهين اصحابه مصرياً ازيه أو عاداته أو غير ذلك ، ولا ان يشتروا شيئاً من تاجر يهين مصرياً ، ويجب على أمثال هؤلاء ان يبذلوا جهدهم لمنع الاهانة عن أمتهم وإغنائها عن معاملة كل من يقصر في احترامها ، وانما يتيسر هذا بتعاقد الاندية والجمعيات الادبية والشركات التجارية

كانت شركات البواخر الافرنجية في الخط الذي بين الهند وخليج فارس وشط العرب تحتقر المسافرين فيها من العرب والفرس ولا تسمح لهم بالاكل على مائدة الدرجة الاولى فلما أنشأ تجار العرب في بومبي شركة البواخر العربية زل ذلك الاحتقار وبطلت تلك المعاملة

واتفق لي منذ بضع عشرة سنة أنني دخلت مطعماً سوريا في القاهرة وقت العشاء وجلست الى مائدة من موائده فطلب رجل انكليزي أن أترك تلك المائدة لانه يجلس اليها للطعام ولا يحب ان يأكل مع شيخ أزهرى ، فلم أبال بطلبه ، فطلب من صاحب المطعم ذلك فاعتذر انيه بأنه لا يمكنه ذلك . وقد سألت عن اسم الرجل وعمله وذكرت ذلك لصديقي مستر منشل أنس الذي كان وكيلاً لنظارة المالية

وقمتذ فاستاء من ذلك وكتب كتابا الى رئيس ذلك الرجل في مصلحة السكة
المدنية كفة فيه ان يلزمه الاعتذار الي، واخذت الكتاب بنفسه وعدت راضيا بما
ولا يخفى على عاقل أن ما يحتاج الى اقتباسه من علوم أوربة وفنونها وصناعاتها
لا يقضى هذا التفرنج الذي نذمه ولا يأتي من طريقة بل ينافيه، لان التفرنج تقليد
في الآزير، والمعادن يحدث اتفرق في الأمة والتحلال روابطها، واقتباس العلم النافع
والعمل الراجع يجب ان يكون بطريق الاستقلال لا التقليد، وان تراعى فيه حاجة
الأمة في العمل ويقصد به ترقية ثروتها وعزة دولتها، ولم نر هؤلاء المتفرنجين من الترك
والمصريين ساروا على ذلك الدرب ووصلوا الى هذه الغاية، بل هم الذين نسفوا ثروة
بلادهم وقطموا روابطها حتى وصلت الى ما هي عليه، وليس في بلادهم شيء من العمران
الا وقد كان يعمل الاجانب ومعظم فائدته لهم، وانما سار على ذلك شغب اليابان
الذي شرع في اقتباس الفنون الأثرية بعد الترك والمصريين مناه فكان طلاب العلوم
منهم في أوربة يتلقون العلوم العملية، اذ يتلقى الطلاب من العلوم النظرية والسياسية،
وكانوا مثال الجد والعمل والاقتصاد، اذ كان أكثر طلابنا مظهر الفسق والسرف والفساد
واليك من المبرة هذا المثال: كان بعض الأوربيين والأوربيات مع بعض
اليابانيين في بلاد اليابان فخلع ياباني نعله في المجلس، فأنكر عليه ذلك بعض
الأوربيين لان خلع النعال أو الجلوس بغير نعالين مستعجن في عاداتهم ولا سيما
حيث يوجد النساء. فقال الياباني: انا ياباني لا أوربي وهذه البلاد يابانية لا أوربية
فبأي حق تطالبوننا باتباع عاداتكم في بلادنا والواجب عكسه؟ أوقال كلاما بهذا المعنى.
في هذه هي الوطنية لا ما يتشدد به المتفرنجون الذين لا يمتثلون عاقبة ما يأتون وما يدعون
قلنا ان اقتباس الفنون النافعة من الغربيين - وكذا ما يستلزمه من اعترافنا بجهلنا
وبحاجتنا الى علمهم - لا يعد احتقارا للأمة بل اصلاحا، ونقول أيضا اننا في
حاجة الى الإصلاح في كثير من المعاديات الضارة، وأن ذلك لا يعد احتقارا
للأمة وطالما كتبنا في ذلك. ومن أبواب المنار الواسعة باب (البدع والخرافات
والتقاليد والمعادات) وانما الواجب أن نعتمد في هذا الإصلاح على شريعتنا وهي
أكمل الشرائع وآداب ديننا وهي أكمل الآداب

ببشر عباده الذين يستمعون القول
فيقبولون أحسن أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولو الألباب

الملكوت

١٣١٥

الألباب
فقد أتوا خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو
الحكمة من بينا ومن يوفى الحكمة

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوي و « منارا » كذا الطريق

مصر سبتمبر شوال ١٣٣٤ - ٦ السنبلة (ص ٣) ١٢٩٤ هـ ش ٢٩ أغسطس ١٩١٦

آراء الخواص في المسألة العربية

(واستقلال الشريف في الحجاز)

في ليالي رمضان وأيام هيمه الفطر تيسر لي أن أعرف من آراء أهل العلم والرأي
بمصر في المسألة العربية واستقلال الشريف أمير مكة في الحجاز ما لم يكن يقيس
في وقت آخر من السنة ، لكثرة التزاور في هذه الليالي والأيام ، وتوسع الناس فيها
بالكلام كتوسعهم بانظام ، وقد جرت فيها بيننا وبين كثير من أساتذة الأزهر
والمدارس العليا وكبار القضاة والمحامين والأطباء وغيرهم من أهل الرأي مذاكرات

ومحاورات طويلة في هذه المسألة جدية بأن تنشر وتدون لأنها ربما كانت أهم مسائلنا الحاضرة ، ووقائع تاريخنا التي نحفظها لأهتأبنا الآتية ، فرأينا أن ننشر في المنار أطول محاوره منها وأجمعها للمقاصد ، ثم نلخص في الخاتمة صفوة الآراء كلها ، وبذلك تم الفائدة من تلك الأحاديث بنير تكرار ولا عيب وهذه المحاوره كانت بيننا وبين أستاذ معروف بأعبدال الفكر واستقلال الرأي ؛ وقد وقعت في اليوم الثالث بعد عيد الفطر ، وما هي ذي - ونعبر عن الأستاذ بحرف ذوهن نفسنا بحرف ذ :
 ذ - ما رأى الأستاذ في استقلال الشريف أمره مكة بالحجاز ، فاني رأيت كثيراً من إخواننا ومعارفنا لا يعد ذلك أمراً ذا بال ، ومنهم من لم يصدق أخبار الجرائد ، حتى ان أخانا الشيخ . أ. قال لي في إحدى ليالي رمضان عقب نشر البلاغ الرسمي عن استقلال الشريف إنه لا يعرف أحداً صدق هذا الخبر من قبل ، وإنه هو لم يصدقه أيضاً إلا بعد نشر البلاغ الرسمي ، وإن من الناس من لا يصدق البلاغ الرسمي نفسه ! وما أظن ان الأستاذ على رأى هؤلاء ، ولا انك تقول ان هذا الأمر ليس بندي بال

ذ - صدقت ، ان هذا الأمر لنو بال ، وإنه قد شغل مني البال وهيج البال .
 وإنني مخالف لهؤلاء الناس الذين أصبحوا لا يهتمون بشيء من الأشياء ، ولا يصدقون من الآباء إلا ما يلد لهم ، ولا يقبلون من الآراء إلا ما يوافق أسوأهم ، ولذلك راج بينهم رأى تلقوه بالقبول ، وهو ان الشريف لم يعلن الاستقلال إلا لضرورة انقاذ البلاد من المجاعة التي أوقعتها فيها الحصر البحري أو كاد ؛ فقد امتنع بذلك وصول الأنوار إليها من مصر والسودان والهند وجل قوتها من هذه البلاد ، حتى قبيل ان أردب القمح صار في مكة ببضعة جنهات ، فمدر الشريف في اظهار دهمى الاستقلال جلي ظاهر ، وهو لا يزال مخلصاً للحكومة التركية في الباطن وليس له غرض في ايجاد حكومة عربية ، ولا طمع في خلافة قرشيية ، ولولا ذلك لتأثرت الدولة هذا هو الرأي الرابع في البلد

أما أنا فلا أجزم بقبول هذا الرأي ولا برده ، وان كان ممنولاً في نفسه ، لأنني أعلم أنه قد وجد في ظم السهامه مسألة تسمى المسألة العربية ، ولكن لم أقف على

١٤٦ هل يمكن أن يكون الحجاز موطن ملك مستقل (المنار: ج ٣ م ١٩)

كنها ومبلغ قوتها ، ولا على مكانها من الشريف ومكان الشريف منها ، وأعلم أيضاً أن الحجاز ليس فيه الاستعداد المطلوب لانشاء دولة ، ولا القوة التي يعوقف عليها استقلال الخلافة ، وحواة أهله موقوفة على الدولة التي تملك التصرف في البحار والدولة ذات السيادة على بلاد الشام ، فإذا منع هنسه القوت من هنا وهناك مات أهله جوعاً ، ثم إن المشهور أن أمراء جزيرة العرب وزعماءها متحاسدون متباغضون « بأسهم بينهم شديد » ولولا سيطرة الدولة العثمانية عليهم لآفتى بعضهم بعضاً . والشريف - إذا كان يأمن بطش الدولة الآن فهو لا يجهل أنها إذا بقي لها استقلالها بعد هذه الحرب أمكنها الانتقام منه وإزالة امارة الحجاز وجعله ولاية عثمانية محضة . وإذا زال استقلالها وفرضنا انه أمن على استقلاله من صاحب عسيرة صاحب نجدانه ليس بالذي يكون الملك المستقل الذي يطلبه العرب ، ولا بالذي يحدد الخلافة الإسلامية التي يحرص على استقلالها جميع مسلمي الارض ، لان الاستقلال بأمر الملك والخلافة يعوقف على الثروة والقوة وأين هما من الحجاز وأبن الحجاز منها ؟ فلهذه الأفكار تراني مضطرباً في هذه المسألة ، وأنا أعلم أن عند (السيد) من أخبار هذه المسألة والاختبار فيها ما ليس عندي ولا عند أحد من المصريين ، فهو أعلم مناقب وشؤون جزيرة العرب وشؤون أمراءها ، وأعلم مناقب الحركة العربية وباطنها وأحوال أجزائها وجمعياتها . كأنه أوسع مناعلماً بأحوال الدولة الدولية وأوسع اختباراً لها وأكثر تنبهاً لما يتجدد من أخبارها ، يترقب له بهذا من يقرأ بروية وامعان ما يكتبه في هذه المسائل في مجلته ، وانني أود أن أقف على ما عنده في مسألة الحجاز من رأي ورواية بالتفصيل ، وقد تعرضت لهذا غير مرة فلم تسكن حالة المجلس أو الوقت ، اسمح للسيد بالافاضة في ذلك ، فمسي أن نستشهد الآن ما فاتنا من قبل .

د - لم أنس ان باب الحديث في هذه المسألة قد فتح بيننا مرتين قبل هذه المرة ، فكان الكلام فيها وجيزاً لضيق وقته ، على أن الحديث شجون ، والافئسان يفتكر في وقت ما ينساه في آخر ، فاذا ذكره مجده ته تذكر ، وانني لا أبخل على الاستعاذ بما عندي في هذه المسألة من رأي أو خبر أرى فيها فائدة له ، فاذا حدثته بشيء لم يره كافياً فله أن يستزبدني من الحديث بالسؤال عما يريد منه ، ولا بأس

بإعادة شيء مما كنا أئمننا به من قبل ، وابدأ بدون ما عندي في مسألة استقلال الشريف فأقول :

ان الشريف لم يدع ملكا ولا خلافة فلا كلام لنا في ذلك وما ذكرته لي من الرأي الذي دار بين كثير من المصريين في سبب استقلاله في الحجاز وتلقوه بالقبول قد صحفته من غيرك أيضاً . وهو رأى كما قلت معقول ، وعذر الشريف فيه مقبول ، ولا سيما ان كان الاستقلال صورياً كما تظنون ، فانه مسؤول عند الله وعند الناس عن إتخاذ سكان حرم الله تعالى وحرم رسوله ﷺ من الهلاك ، وإزالة الموانع التي منعت أكثر المسلمين من الحج إلى بيت الله الحرام ، ولا سبيل إلى هذا وذلك إلا بإزالة الحصر البحري عن نفور الحجاز ، الذي كان سببه وجود الجنود التركية فيها ، فان دولة انكثرة كانت صرحت باستثناء سواحل الحجاز من الحصر البحري الذي ضربته على جميع السواحل العثمانية ، وصححت بنقل الاقوات من الهند وغيرها إلى تلك البلاد المقدسة . ثم انها علمت بإرسال أنور باشا لكثير من الجنود التركية إلى الحجاز منعت إرسال الاقوات اليه لان الجنود يستفهمون منها ، وقد كان من المستغرب تموينها لبعض بلاد أهدائها ولكن تمويها لجهوشها غير معقول ، وإنما المعقول ضده ، ولولا احترامها للبلاد المقدسة لضربت سواحلها بمدافع أسطولها وجمعائها من مهادين الحرب أيضاً ، ولكن إزالة الشريف أسهر مكة للسبب الذي أوجب الحصر ، ومنع القوت والحج ، مناواة لدولة التركية أو الأتجاهية لانه تصد لقتال جنودها ، ورفع سهادتها عن البلاد التي هو أميرها فالشريف قد اضطر إلى الاستقلال بالأمر في الحجاز وتبديسيادة هذه الحكومة الاتحادية ظهرياً ونحن نخالف من يرى من المصريين ان هذا الاستقلال صوري وانه كان بالتواطؤ بينه وبين الدولة ، ومن يرى أنه لا يزال مخلصاً لهذه الحكومة وأنها هي راضية عن فعله وحادرة له فيه ، لأننا نعلم أن إزالة معق القوت ومنع الحج ليس هو الباعث على هذا الاستقلال ولسكنه من لوازمه ، وهناك بواعث وأسباب أخرى له سنلم بها في حديثك ذ - اذا لا يزال المجرم الدولة جيشاً لقتاله ؟ ولماذا حاصر هو الجيش التركي حصاراً ولم يهاجره القتل ؟

و - أما الشريف فيمنعه دينه من الاقدام على سفك الدم في أرض الحرمين الشريفين من غير ضرورة ملجئة لا مندوحة عنها، وأما الدولة فالمانع لها من إرسال جيش جديد لقتاله إما العجز وإما العقل، أما للعجز فهو الآن غير بعيد، لأن جنود الدولة مغفوقون في عدة مهادين من أوربة وعدة مهادين في الأناضول وإيران والعراق وسورية وسيناء فهي لا تسعني عن جيش كبير يصلح ماعطل من سكة حديد الحجاز ويبقى قسم منه في مواضع متفرقة من الطريق لحمايتها، وبسيرة قدم منه لانتفاذ حامية المدينة ثم الزحف منها إلى مكة مع حفظ طرق مواصلاته من مراكز نموذجية وإمداده في الشام إلى مكة. وأما العقل فيقتضي عدم التصدي لقتال الشريف الآن حتى في حال القدرة وانتفاء العجز، لأن قتاله يضعف الدولة في الميادين الأخرى، وربما يستقيم خروجه حرب الجزيرة كلهم أو جلاهم عليها، فيمتنع الخرق على الراقع، والسكوت عنه لا يضر الدولة الآن، فإن انتهت الحرب بظفرها مع أحلافها أمكنها أن تقتصر في الحجاز بما تشاء، وإن انكسرت مع أحلافها فلامعنى لاهتمامها بأمر استقلال الحجاز، إذ يفرق المنتصرون حينئذ شمل وحدتها، ويخشى أن يزيلوا ما كان من استقلالها، بل المصقول أن يتمنى كل مسلم من ترك الدولة كبرها أن تسلم بلاد الحجاز وسائر بلاد العرب من الوقوع تحت تصرف الحلفاء المنتصرين في هذه الحالة، ولولا أن الدولة في أيدي الأنجاديين لرجحنا أن العقل يمنعها من قتال الشريف إن لم يمنعها العجز، وأما الأنجاديون فقد جعلوا من أصول صوابهم إضعاف العرب حتى لا يكون لهم حقوق مع الدولة إن بقيت، ولا استعداد للاستقلال بأنفسهم إن سقطت؛ ولسان حالهم مع العرب في هذه الحالة يقول:

اقتلوني ومالكاً واقفلوا مالكاً

وقد سمع من أفواههم كثير من طلاب الإصلاح من العرب ما يدل على مثل هذا من مقاصدهم عند ما كانوا يتكلمون معهم في حقوق العرب في الدولة، وفي أحوال أخرى، ألا ترى أنهم اتخذوا حالة الحرب ذريعة لتنفيد مقاصدهم في العرب، فكان المقول أن يثبتوا العرب الولايات صدق وعودهم بالإصلاح وبفوا لهم بعهودهم التي عقدوها مع السيد الزهراوي عقب عقد المؤتمر العربي، ويهددوهم على ذلك من

الاصلاحات الداخلية ما يمكن به قلوبهم كما ملكوا أبدانهم وأموالهم فاستعملوها في هذه الحرب كما شاؤا ، وفي أمثالنا العربية « عند الشدائد تذهب الاحقاد » ولكن امثالنا لا تصدق على طباعهم وأخلاقهم ، بل تضادها وتناقضها ، فالشدائد قد كانت عندهم مظهرة للأحقاد في أقبح مظاهرها وأشنع مناظرها ، فبعد أن جندوا جمع شبان سورية والمراق وقرقووم في الميادين البعيدة هن بلادهم كالردنوبل والبلقان والآنضول - وبعد أن صادروا الاموال والعتال في تلك البلاد ، طفقوا يتكلمون أولى العلم والعرفان وكبار الضباط وسائر أرباب العقول والافكار في كل من القطرين (السوري والعراقي) وينفون الكبرياء والافخياء ، ويستولون على ديارهم وأموالهم .

وبعد أن رأوا ما ربههم هذا قد تحقق بنير معارضة ولا مقاومة ولوا وجوههم شطر الحجاز ، لا لاجل الصلاة إلى المسجد الحرام ، ولا لاجل الطواف بين الركن والمقام ، فانهم لم يكونوا من الطائفين ولا المصلين ، ولكن ليفعلوا في الحجاز ما فعلوا في العراق والشام ، حتى إذا تم لهم هذا الارب ، أجهزوا على بقية جزيرة العرب ذ - إني أعلم أن السوء سببه الاعتقاد في دين هؤلاء الاتحاديين وفي سببهم ، وقد قرأت كل ما كتبه في السنين الخالية عنهم ، ولكنني رأيت قد سكت هن ذلك الطمن الشديد فيهم بعد حرب البلقان ، ثم تدمت هطفه عليهم من بعض ما كتبه قبول دخولهم هذه الحرب وفي أثنائها ، وكنت أظن أنه كجهور المصريين لم يصدق أخبار المقطم والاهرام ، هن فظائع جمال باشا في بلاد الشام ، حتى قرأت المقالة التي نشرتموها في الشهر الماضي فعلمت أنكم مصدقون لتلك الاخبار ، وتؤمنون أن يكون لها تأثير - بيء في الحجاز وسائر جزيرة العرب

د - نعم إنني تركت تلك الحملات على الاتحاديين بعد حرب البلقان وفي أثناء هذه الحرب لان الحملة عليهم تمت حملة على الدولة ولا ينبغي ذلك في أثناء الحرب وإن كان بنية صالحة وبمقصد اصلاح كما بينت ذلك في المقالة التي نصحت بها بمثل هذا المسعى سورية قبيل دخول الدولة في الحرب ، ثم انني صدقت ما أتوه من الضمير بالعرب في الشام ، لانه ثبت عندي بالنواتر فكتمت تلك المقالة وأطلعت عليها

بعض إخواننا قبل أن نجئنا البرقيات بنياً استقلال الشريف وإن نشرت به ذلك ، ثم علمت بعد نشرها أن أنور باشا مازار سورية والحجاز في أوائل هذا العام إلا يتولى بنفسه إرسال الجند والسلاح إلى الحجاز لتتضاء على سلطة الشرفاء فيه . وإن قول أنه جاء بصنيمه جمهته الشريف على حيدر من الآستانة إلى الشام أو المدينة ليجهله خلفاً لشريف حسين أو أميراً للحجاز في المدينة . فإذ أصبح هذا الظهور فالغرض الصحيح منه أن يضربوا الحديد بالحديد لما في ذلك من المفسد الكثيرة التي يطلبونها ، فإذا أمكن لشريف حيدر وأخيه الشريف جعفر أن يؤلبا بمض عرب الحجاز على الشريف حسين بحال الدولة الذي يؤبدان به نفوذهما سهل على قائد الجنود التركية بعد اضداد هرب الحجاز أن يستبد بالفوز في الحجاز من غير خسارة تذكره ولا صيت قبيح ينشر ، ثم انهم بعد الفتح بالشريف حسين وأولاده يتفكرون بالشريفين حيدر وجعفر ، كما فتكروا بصد يقى الشريف حيدر (عبدالكريم قاسم الخليل والسيد الزهر اوى) إذ لولا وساطة هذا الشريف لما أمكن لعبدالكريم أن يقنع الزهر اوى بالمجيء من باريس إلى الآستانة بعد أن أندر المرة بعد المرة بأن في ذهابه إليها خطر أعلى حماته ، ولم يكن الشريف ضامنا له إلا من على حياته فقط بل كان ضامنا له الإصلاح الذي وعد به الأنجاديون وأكثر مما وعدوا ، وقد رغب إلى هو وعبدالكريم أن أكتب إلى الشريف حيدر كتاب شكر لحسن سهمه في هذه السبيل

إنني على ما أفلم من سوء نية الأنجاديين وخبث ما أضمره للعرب قد كنت أحسنت الظن بأنور باشا عندما جاءنا المقطم بخبر زيارته لسورية والمدينة المنورة ، ولعل الأسياد يذكرون أنني قلت له حينئذ : إن أنور باشا ما جاء سورية وفلسطين والمدينة إلا ليهلح ما أفسده جمال باشا حتى لا يصل سوء تأثيره إلى جزيرة العرب ، وليستعين بعرب الحجاز وغيرهم على هذه الحرب ، فإن أنور باشا هو الذي تولى في أول هذه الأزمنة استمالة عرب الجزيرة بما كتبه إلى أمراءهم وزعمائهم من المكتوبات العربية ، المزينة بالآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، وقد اطلعت على صور بعض هذه المكتوبات الباطنة والخاصة ، ومنها الكتاب الذي حمله رسول خاص إلى عدوهم الذي لم يمتروا له بصفة رسمية قط - أعني السيد الأدرسي - وهو يعظمه فيه ويجهله

ويظهر الثقة به ، ثم هلمت في هذه الأيام أنه كان طلب من الشريف أمير مكة المكرمة
فجدة هزبية لمساعدة حملة سيناء على مصر ، وان الشريف أرسل الحملة إلى المدينة
المنورة وهي التي تمحصرها الآن ، فان الشريف لما رأى الجنود التركية ترسل إلى
الحجاز بمشيرات الألوف وتوزع في مدينتها وثغورها وهو يعلم كما تعلم وتعلم الدولة
أن الحجاز ليس عليه أدنى خوف من الدول الأوروبية ، فلم يبق لأرسال الجنود إليه
سبب يمثل - والدولة في أشد الحاجة إلى الجنود - إلا الضمك بمره والفتك
بشر فائه انماماً لبر فابح جمهية الأنحاد والترقي الذي يعرفه الشريف كما تعرفه ،
وقد كانوا حاولوا البدء بالشريف قبل هذه الحرب إذ أرسلوا الضابط وهيب بك
أحد غلاتهم المتحمسين خفية إلى الحجاز ، وبعد وصوله إلى مكة أظهر التقليد الرسمي
الذي معه بولاية الحجاز وقيادة حاميتها ، وكان من أمر خذلان عسكريه في العجرش
بقتال العرب ومحاوله الفتك بالشريف ما هو مشهور ، فلهاذا تحولت الحملة الحجازية
التي ألفت اجابة لطلب أتور باشا لاقتال مع جنوده في سيناء إلى حملة تمحصر جنوده
في المدينة المنورة وتقاتلهم إذا قاتلوا

ذ - إذا كان الشريف عالماً من قبل بما نضمه جمهية الأنحاد والترقي للعرب
طامة ، وله ولأهل بيته خاصة ، فلماذا كان ينصر الأنحاديين حتى انه حارب السيد
الادريسي لأجلهم وكاد يحارب أمير نجد ابن السمود كذلك

د - لا أدري متى عرف ذلك معرفة لأتعمل التأويل ، وقد كان أولاً يتأول
للأنحاديين ويرجو صلاحهم حتى كان بعض رجال النهضة العربية يتهمونه بمشايبتهم
وبكرامة السيد الادريسي أن يكون ذات سلطة في هجره ، وينقل عنه وعن أهل بيته
انهم يقولون انهم لا يؤيدون الأنحاديين فيما تقوم به جموعهم من الأعمال وإنما
يؤيدون الدولة نفسها فيما تقرره ويرون أن الاهتمام بها وإن جارت على العرب
وغيرهم أرجح من مقارنتها ولو سراً لئلا تفضى المقاومة إلى الفترق الذي يضيع
به العرب مع الترك ، وإن الطريقة المثلى لتفاني ما يرى ضاراً من أعمالها انما هي
طريقة السعي لديها والاجتهاد في اقناعها بضرر الضار ونفع النافع ، وهذا الرأي
والمسلك لم يكن مرضياً عند الاحزاب السياسية العربية من كل وجه ، بل كانوا

برون انه يجب أن يكون الشريف أمير مكة مخلصاً للدولة ومؤيداً لها فيما صار في حيز الأمور التنفيذية فقط إلا فقال العرب ، وأما ما لم يصل إلى حيز التنفيذ فونبش أن يكون حربه فيه معارضاً لحزب الاتحاديين بعد ظهور عصبيتهم الجنسية وظلمهم للعرب ، ولكن فجأة جهوت مكة المكرمة كان مع سائر مبعوثي الحجاز من الاتحاديين ، وكذلك أخوه الشريف ناصر المصطفى في مجلس الأعيان من حزبهم ولم يكن كل هذا شيئاً ، ولا صد الاتحاديين من محاولة تنفيذ ما كانوا يضمرون للشريف الأكبر وأهل بيته ، وإنما يكرهون هذا الشريف وأولاده لأن لهم من النفوذ في حرب الحجاز ما ليس لغيرهم من الشرط ، قلت آنفاً إنما لا ندري متى عرف الشريف الأكبر حقيقة حالهم وبنس من صلاحهم ، وقد ظهر لنا أنه بنس من بقاء الدولة العثمانية أيضاً وأمله لولا هذا اليأس ما نهض بهذا الأمر

ذ - ان من الناس من يرى ان الدولة ما سلمت من خطر اليأس وعظم الرجاء فيها إلا بدخولها في هذه الحرب ، إذ صارت به ركناً من أركان أحد الحلفين المظومين اللذين تتألف منهما الدول الأوربية الكبرى ومشايخاتها من الدول الصغرى ، وقد نقل إلينا المقطم ان من شروط محالقتها لألمانية ان لا تقبل هذه صلحاً إلا بشرط حفظ استقلالها ، والصلح لا بد فيه من رضاه الفريقين وإن كان أحدهما مغلوباً ، فاستقلال الدولة المليمة مضمون على كل حال ، فكيف يمثل أن ييأس منه الشريف وهو من أركان الدولة الذين هم أهل منابحها وبشروط محالقتها التي منها ما ذكر

د - إذا كان في الناس من يرى ان استقلال الدولة مضمون وإن غلبت مع أحلافها في هذه الحرب ، وكان أهداؤها المقررين لشرط الصلح ، فإن في الناس من يرى ان هذا الاستقلال قد زال بالفعل ، وان انقصر الالمان مع أحلافهم ونحسكوا في شروط الصلح ، أما بقاء استقلال الدولة بعد انكسارها وانكسار أحلافها فهو ممقول ، وأما الرأي الذي يقابله في القرابة وهو زوال استقلالها في حال انقصارها وانقصارهم فلا صحابه وجه جدير بالقائل ، وهو أن الدولة قد غرقت في بحر الجحيم من الديون وخسرت أكثر الشبان العاملين في المملكة ، وأفقرت الأمة كلها بمصادرة أموالها واستنزافها بأسماء متعددة ، وكان حيز ميزانيتها قبل حرب البلقان وهذه

لحرب الثان أفقرناها وأفقرنا أمنها يسد باقتراض الملايين في كل عام ، وقد زادت ديونها الآن زيادة كبيرة حتى صار ربح الدين يستغرق معظم التبرانية التي لا بد أن تفاهى عما كانت تقصاً فاحشاً ، ومن البديهي أنها لا تجيد بمه الحرب من يفرضها كما كانت تجيد قبلها ، وليس أمامها من الأمم الفنية إلا الامه الألمانية وقد ذهبت قروض الحرب لدواتها ودول أحلافها بمعظم ثروتها ، فلن تقرض دولة وصلت ماليها إلى حد الافلاس ما نلم به شئها إلا إذا جعلت مالية الدولة وجميع موارد الثروة في المملكة تحت تصرف دولتها يدبرها رجال الامان الماليون والفنيون — فإذا تدبرنا هذا وعللنا أيضا أن الدولة قد جعلت حريتها وبحريتها في أيدي الالان وجعلت قلم لعتهم بجباريا في جميع مدارس المملكت الامهريه وغيرها ، وتذكرنا أن الالان يملكون حشرين كيلومتر على جانبي سكة حديد بغداد في خط يمتد من ضفاف البوسفور إلى بغداد ، فأى استقلال يكون للدولة بمد قبض الالان على إدارة الهالمة والحربية ، والمعادن والمناجم مع امتلاك هذه الاراضي الواسعه التي تضاهي مساحة مملكتهم ؟

كان لبعض الالان المقيمين في بلجيكا قبل الحرب ملبب أو ملاعب الكرة يلمب فيها أهل البيت والعيال ، فلما اقتحم الجند الالاني بلاد البلجيك المضمون استقلالها منهم ومن سائر الدول الكبرى ظهر أن ملبب الكرة إنما بنى بطرينة فنية هندسية ليكون مركزاً للمدافع الضخمة المكموم خبرها عن غير أركان الحرب من الالانيين ، وان المسافه بين الملبب وبين الحصون البلجيكية هي مسافه مرمى تلك المدافع التي دمرت تلك الحصون . فإذا كنا قد استفدنا من عبر هذه الحرب أن ملبب الكره لعيال الالاني في زمن السلم كان خطراً على الدولة التي ملك الالاني في بلادها ذلك الملبب مع أن دولته ضامنة لاستقلالها ، فهل نقصور أن نسلم من الخطر دولة ملك الالان التصرف في جميع قواها الهاليه والحربية والعلميه والفنية ، ويملكون في قلب مملكتها تلك الالوف من الاموال التي هي محل العمران المنتظر فيها ؟

ولدينا عبرة أكبر من هذه العبرة وأظهر وهي ماقله الينا المتطلف في جزء مارس من هذه السنه من مقالة كونس ورك (الاميرة الاندكازيه) فنواهب الملك الاندكازي وأمراطور الالان) قلت فيها عن الملك ادوارد ما نصه :

« وزارني مرة قبل وطفه بثلاثة أشهر لتناول الشاي عندي ، وتكلم عن الإدارة الألمانية فقال « لو كانت بلادنا تتهار كاندرا ألمانية لاستفدنا فائدة كبيرة ويحبذا لو حكمتنا الألمان المدة الكافية لاصلاح إدارتنا» قال ذلك وصمت قليلا ثم قال وهو يضحك « ولكن المصيبة أنهم إذا أواليجحكونا تعذر علينا انخلاص منهم» وهذا آخر حديث جرى لي معه لأنني لم أره بعد ذلك» اه واستقلت الالهة بهذا الحديث على أن الملك لم يكن يضرر العداء لألمانية . وإثبات هذه القضية هو الذي كتبت لاجله مقاله

فاذا كان هذا الملك السياسي العظيم يقول إن دولته التي هي أعز الدول وأعظمها دهاء وتديرا يمتدح عليها انخلاص من الألمان إذا دخلوا عاصمتها لتنظيم الإدارة وهي في جزيرة بحميتها أقوى أسطول عرفته البحار منذ خلقها الله تعالى ، فهل يتيسر للدولة العثمانية الضعيفة انخلاص منهم بعد ما ذكرنا من تعسفهم المنتظر بعد الحزب إن كان لهم الظفر ، وما تصرفهم فيها الآن بقليل ؟

هذا وإن همة الحرب الحتمية هي الفنازع الاستعماري ولم يبق في البلاد القابلة للاستعمار ما يشبع مطامع ألاتها ويتسع مجاله لشعبها الكثفر ، وفنونها وصناعاتها إلا البلاد العثمانية ، وقد كانت دول الاحلاف تعارضها في استعمارها الاقتصادي مع إبقاء للدولة العثمانية على استقلالها السياسي الصوري ، فاذا انتصرت في هذه الحرب لم يبق لها معارض من الترك ولا من الأوربيين .

ذ - والله ان هذا الكلام معقول في نفسه ، ولكن لا يعقل أن يجهل الأنحدون فكيف رضوا إذا بموالاته الألمان ؟ أيعقل أن يكون في يد أناس ملك عظيم فيهبذوا دماهم وأموالهم لاجل إضاعته ؟

د - لو كان رجال البيت السلطاني وكبراء علماء الدولة وسروانها من قدماء الوزراء والاعيانم الذين قرروا بالتشاور بينهم القتال مع ألاتية ونحكيمها في الدولة لكان هذا السؤال أكثر اتجاهاً ، والجواب عنه متعسراً ولا أقول متعذراً . أما وزعماء الأنحديين هم القائمون بذلك وهم أوشاب لا تعرف لغير الأسرائيلي الاصل منهم أنساب وصلوا إلى ما وصلوا اليه من الاستبداد بهذا الملك بمساعدة اليهود

الجرماتين - فاجواب سهل ولناس فيهم وأيان يؤخذ من كل منها جواب
سبب تسلب الاتحاديين الدولة للامان

(الرأي الأول) رأى صمغ كثرها من خصومهم، وهو أنهم جماعة من طلاب المال والثروة عليهم أعلم البشر بطرق تجميعها - وهم اليهود - كيف يكونون من أغنى أهل مصر بسلب ثروة هذه الدولة ثم يبيعونها لدولة الألمان الفتنه ، ويستشهد أصحاب هذا الرأي على صحته بأنهم لو كانوا يريدون بقاء الدولة وتميزها لبدوا عليهم فيها بوضع ماليتها على أساس ثابت يكثريه الدخل ويقس الخرج، ولو أرادوا ذلك لكانوا أقدر الناس عليه بمساعدة أساندهم واخوانهم من اليهود الاصليين والدونيه (الذين منهم جاويد بك الذي جعلوه ناظر المالية وفوضوا اليه عقد القروض) ولكنهم اغتموا فرصة ماسمويه (حركة الارتجاج) فمزقوا السلطان عبد الحميد ونهبوا من أمواله وجواهره ونجفه ما تقدر قيمته بالملايين السكثيرة ، وقد حدثني الثقات من أهل الإسقانة انهم كانوا يدخلون قصر (بلديز) فيملئون جيوبهم من نجمة المرصعة بالجواهر حتى ان بعض ضباطهم رؤى بعد امتلاء جيوبه يضع العلب والمسدسات المرصعة وأمثالها في حذائه الطويل (جزمة السوارى) ثم اغتموا فرصة وصول جيش البلغار إلى شطالجه فسلبوا ما هو أعظم من ذلك من جواهر ملك آل عثمان وتحفهم المحفوظة في قصر قسطنطين إذ زعموا انهم انما يريدون اخراجها من مأمنا وارسالها إلى الاناضول لئلا يدخل البلغار الاسقانة فيغنموها ، وقد عقدوا القروض بعشرات الملايين ولهم من كل قرض سمسة مشهور أمرها وكثر الكلام في الاسقانة فيها ، ثم إن ما يصل إلى الخزينة منها بقصرون فيه بضروب من القصر منها النفقات السرية التي لا تذكر في الميزانية وأعظمها ما يخصص للحربية والداخلية ، وهم يشترون السلاح والذخائر والخياب والاحذية للمسكر بشمن ويبيدونه في دفاتر الحربية بشمن آخر فيربحون من ذلك مبالغ كبيرة ، والدليل على هذا أنهم أنفقوا في فظارة الحربية خمسين مليوناً من الجنيهات قبل حرب البلقان ثم كان أهم أسباب انكسار جيش الدولة في البلقان قلة الذخائر وقلة الطعام وسائر ما يتوقف عليه القتال وقد أذكر لنا مسادرتهم الأمة في هذه الايام بما كانوا

يصادرون به الاغنياء منذ صار أمر الدولة في أيديهم - إذ كانوا يهددون كل من بالانتقام منه لانه من الحزب الحميدى الاربعى إلا أن يقتدى نفسه بما يناسب مقدار ثروته ، فأخذوا من على رضا باشا الذى كان ناظر الحربية فى العهد الحميدى مئتي ألف ليرة ومن زهدى باشا ٣٠ أو ٤٠ ألف ليرة وعلى ذلك فقس ، ثم اتهم فروضا على كل من دخل جمعيتهم دفع اثنين فى المئة من جميع دخله وذلك فوق ما فرضه الله من الزكاة على الاغنياء فيما فضل عن نفقاتهم وبلغ النصاب وحال هاتيه الحول ، نعم ان الالوف من الذين انتسبوا إلى الجمعية كانوا يكتمون عنهم ما يمكن كتمانهم من دخالهم ، وبما لا يمكن كتمان شيء منه رواتب موظفى الحكومة وقد دخل كلهم أو جلهم فى الجمعية ، وقد باعوا البوسنة والمهرسك وطرابلس الغرب بمئتي مائة الف فالذين يعرفون سيرتهم هذه بالفضل يمتقدون أن زعماء الجمعية لا هم لهم من حوائجهم إلا جمع الثروة وهم لا يضمنون بقاء الدولة لهم ولذريتهم من بعدهم فلذلك باعوها للألمان بهذه الصفة التى استعملوا فيها جميع قوى الدولة فى قتال أهدافهم ، وستكون كذلك فى أبدى الألمان ان انصرفوا يستعملون نفوذ الأنحاديين وقوتهم على السلطان ودولته فى استعمار المملكة العثمانية ويؤيدون الأنحاديين على خصومهم السياسيين من الترك والعرب إلى أن تنشب براثنهم فى كل شيء ويستغنون عن الاستفادة من اسم الدولة ونفوذها الدينى ويأمنون معارضة الدول فهصرحون بإزالة هذا الاستقلال الصورى الخادع

(الرأى الثانى) رأى أصدقاء الأنحاديين - وهو مبنى على رواية لا يكاد يعرفها إلا قليل منهم - عند كرها فى بيان هذا الرأى - وهو أنهم لم يبيعوا المملكة بتماماً ولم يفرطوا بشيء من حقوقها ، وكل ما أخذوه من الاموال للجمعية تصدرا به ان تكون الجمعية غنية لتتمكن بقوة الثروة من الفوز على خصومها من رجال العهد القديم المحافظين على العقائد المعهنة المنافية لما يريدون من التجديد المدنى للدولة والامة ، وخصومها من الاحزاب السياسية الخالفة لها فى مذهبها السياسى والاجتماعى كالتريك العناصر وغير ذلك ، وأما ما أعطى لبعض زعماء الجمعية كالدكتور ناظم وحيد رضا نفوذ قويين ما خسر رافى سهل الجمعية ، وما هذا ذلك كسيرة القروض والامتهانات

فرو قانوني. ولما رأوا أن الدولة ضعيفة فقوية لا يرجى أن تنهض بنفسها، والأمة التركية جاهلة متمسبة للقديم ولا سيما إذا كان من أمر الدين فلا يرجى أن يكون نهوض الدولة من قبلها، ولا يمكن ترقيتها هي أيضاً من قبل الدولة والدولة كلها على هذه الحالة. لما رأوا أن الدولة والأمة كما ذكر جزموا بأن العلاج الوحيد للدولة التركية والأمة التركية هو أن تتولى دولة أوروبية قوية تنظيم الدولة وترقية الأمة وجعلها كالديل الأوروبية والأمم الأوروبية من كل وجه، ولم يجدوا دولة من الدول المعطى ترضى بأن تقوم بهذه الخدمة للترك إلا ألمانية. وهي ارتاهن علماً وقوة عسكرية. فإزالوا بخطوبهم ودها حتى عقدوا معها اتفاقاً سريراً قبل هذه الحرب بسنين على تكوين دولة تركية جديدة على طراز الحكومات الألمانية لتكون تابعة للاتحاد الألماني في السياسة الخارجية والحروب وغيرها مما لم نعلم تفصيله، وإنما نعلم منه بالأجمال أن الترك يكونون من الألمان بمنزلة أبناء عمهم المجر من النسة، ولذلك تكثر جرائمهم من المقابلة بين الترك والمجر وتبادل مما قدم أولئك وأخرم وهم من أصل واحد.

ومن المعلوم بالبداية أن مثل هذا الاتفاق لا يمكن تنفيذه بصفة رسمية إلا إذا صديق عليه مجلس الأمة من المبعوثين والأعيان، وأن الأتحماديين ما كانوا يعجزون على عرضه على المجلس خوفاً من انتقاص أكثر أفراد حزبهم عليهم وانضمامهم إلى الأحزاب المعارضة وبذلك يقضى عليهم قضاء لا مرد له، فكانوا يجهدون السبيل إلى جعل مثل هذا رسمياً بأعمال كثيرة لا تتم عادة إلا في سنين كثيرة، لأن السواد الأعظم من الأمة يراه خطراً بل قضاء على استقلال الدولة وعلى دين الأمة، وقد كان المعارضون في المجلس أقوى، ومهظم الأمة على مذهبهم ولذلك أستقطوا الأتحماديين وانزعوا منهم السلطة، وليكن حزب الحرية والائتلاف الذي انفرمها لم يعول أمرها ولا تيسر له أن يكفل وزارتي الشينيين مختار باشا وكامل باشا، فذلك تيسر للأتحماديين بقوة ثروتهم وتكافلهم ومساهمة اليهود وألمانيه لهم أن يعودوا إلى انزعاج السلطة من وزارة كامل، ومن الغريب أن انسكتهم وروسية وفرسية المعارضات لسياسة ألمانيه في الدولة لم ينصرون الأحزاب المعارضة للأتحماديين ولا وزارتي مختار

١٥٨ طلب جعل الترك من الألمان كالمجر من النمسة (المنار : ج ٣ م ١٩)

باشا وكابل باشا فكان هذا ضمنا من حيث هو رجحان للسياسة الألمانية في الدولة ، وقد كان الميالون الى تفضيل مودة انكارترو ومن عساه يكون معها من الدول على مودة المانية وأحلافها أكثر عددا وأرسخ في الدولة قدما ، ولكنهم خذلوا بخذل الدول التي يميلون اليها للدولة في حرب البلقان .

والكلام في إيضاح هذا الرأي وتفصيل المسائل التي تفتلق به يطول فنكتفي منه بما لا يخرج به من موضوعنا ، وعلخصه أن الأنحاديين يعتقدون مع الألمان من قبل هذه الحرب تسنين على وضع زمام الدولة بأيديهم ليرفعوها بملء وهم وفنونهم العسكرية وغيرها فكانت هذه الحرب وسيلة لتنفيذ ذلك الاتفاق السري الذي كان يظن أنه لا يمكن تفهده إلا بعد تهميد السنين الطوال لكي قلنا آنفا . وانتي قد سمعت خبر هذا الاتفاق السري في الآستانة إذ كنت فيها سنة ١٣٢٨ من يظن اطلاعهم على مثل ذلك وهم قليل ، والمخالفون منهم للأنحاديين كانوا يظنون أن تفهده مستحيل ولهذا كنت جازما عند وقوع الحرب بأن الدولة ستدخل فيها قطعا إذ كان سفير الانكارترو في الآستانة ورجال حكومته في لندن يظنون أن بين زعماء الأنحاديين خلافا في ذلك وان بعضهم يميل اليهم وإلى أحلافهم — كما هلنا ذلك من الكتاب الأبيض بعده فكان خداهم للأحلاف في هذه الحال وخداهم لفرنسة قبله إذ أقرضهم هشرات الملايين مما ينخرون به وما هم في هذا الفخر بملء بين

مكان زعماء الأنحاديين من الدين

ذ — يظهر أن زعماء الأنحاديين قد أوتوا حظا عظيما من الذكاء فكيف خفي عنهم ما قررت من الخطر على للدولة في تسليم أزمة أمورها الألمان ، وكيف خفي عنهم الفرق بين الترك والمجر حتى ظنوا أنهم يمكن أن يكونوا من الألمان بمنزلة المجر من النمسة ؟ ألم يعلموا أن المجر يشاركون النموسيين بأعظم المنومات الاجتماعية وهو الدين فلا يمكن أن يكون الترك المقصوبون في الإسلام الذين تمثل دولتهم العلاقة الإسلامية متعديين بالألمان المقصوبين في دينهم المعجدين في نصير المسلمين في مستعمراتهم الأفريقية ومنع انتشار الإسلام فيها كما علم ذلك من الأوراق التي اكتشفها الانكارترو هذا العام في نواصي الحكام الألمان بذلك : وقد تذكرت بها كلاما لقيصر الألمان في هذا

المعنى نشرته الجرائد منذ سنين أظن أنه في الحث على اتفاق مبشرى الألمان البروتستانت مع الكاثوليك على تنصير المسلمين (١)

د - اعلم أيها الاستاذ أن زعماء الاتحاديين الذين كلامنا فيهم ملاحدة لا يدينون دين الإسلام ولا غيره ، وهذا ثابت من أقوالهم وأفعالهم يعرفه جماهير العلماء والكبراء في الآستانة وغيرها وجميع السياحيين في أوربة ، وهم يطمنون خروج الشعب التركي من الإسلام ولو بالتدريج الممكن إلى الوثنية بشرط أن يبقى تركها ، لأنهم يظنون أن الإسلام هو العلة المانعة من مساوانه للشعب المجري وغيره من الشعوب الأوربية . ويشاركهم في هذا الرأي غيرهم من ملاحدة الترك .

ولما كنت في الآستانة نشرت جريدة (إقدام) الشهيرة - وكانت معارضة للاتحاديين - مقالة في المقابلة بين الترك والمجر ، وتساءلت عن سبب ما بينهما من الفرق في العلم والمدنية مع الاتفاق في النسب ، ورغبت الترك في التشبه بالمجر واتباع طريقتهم والاتحاد بهم . وقد رغبت يومئذ إلى السيد الزهراوي رحمه الله تعالى في كتابة ردعها بما يقال فيه إن أعظم الفروق بينهما الدين واللغة فهل تنصح للترك بأن يتركوها مما لم يكونوا كالمجر في كل شيء أو يتركوا الدين الإسلامي أو

(١) المنار : اننا نشرنا في ص ٧٢٠ م ٧ انه كتب اليونا من بعض المستعمرات الألمانية أن ألمانيه تكره الناس هنالك على التقتصر وتفرى العداوة بين العرب المهاجرين الى تلك المستعمرة وبين الاهالي لان العرب أشد تمسكا بالإسلام وجذبا لله ، وجعلنا هذا العمل مرشدا الى تفضيل انكثرة على ألمانيه . ثم نشرنا في ص ٧٩٩ منه أنه كتب اليونا من دار السلام ان حكومتها الألمانية هدعت مسجدين المسلمين ونضطهد العرب وتمنعهم من ركوب السوارت الحسنه . ومن الغريب ان وكالة ألمانيه السهاميه بمصر بلغننا بعد نشر ما ذكر بيضمة أشهر أنها كتبت الى دار السلام تسأل حكومتها عن حقيقة ما هزمى اليها وأنها أجابت بأن منع العرب من ركوب المركبات لأصل له ، وأن هدم المسجد كان بطلب المسلمين لبعده عن بيوتهم ، وأن الحكومه بدلعتهم به مكانا آخر قريبا وأعطتهم مالا وافرا . ولكنها لم تنكذب خبر القنصل بالاكراه الذي نشر في جزئه آخر .

اللغة التركية لاجل ذلك؟ فقال ان الحكومة لا ترضى بنشر مثل هذا . وكان الاتحاديون يتقربون الى الاوربيين بالاحاد وبمكاشفتهم باعتقادهم ان البقاء على الاسلام مانع من ترقى الترك . واجتهدوا فى استماله نصارى السوريين اليهم بهذا وبإيهامهم أن العرب المسلمين لن يثقوا معهم لقمصيم الدينى

أمامذهب الاتحاديين السياسى فهو انشاء دولة تركية محضة معقدة بالعصاف الالمانى ، وان الترك لا يمكن أن يندغموا فى الالمان بسبب هذا الاتحاد بحيث يفتنون فيهم لأن المحافظة على اللغة التركية تمنع من فناء الشعب التركى المؤلف من عشرات الملايين فى الشعب الالمانى أو غيره

د - أين عشرات الملايين من الترك والمشهور انهم لا يكادون يبلغون فى الدولة ستة ملايين ؟

د - أنهم يعدون مسلمى القوقاس وتركستان منهم ويظنون انهم سيأخذون هذه البلاد بقوة المانية ، وأنهم لا بد أن يكرهوا جميع الشعوب المانية على ترك لغاتهم إلى اللغة التركية حتى للعرب وبذلك يكون لهم امبراطورية كبيرة منظمة على النمط الالمانى ، ومن أمانيهم فى هذا الخيال أن يملكوا مع الالمان الشرق كله أو العالم كله ، وأما الخلافة الاسلامية فيستخدعون نفوذها الدينى فى سلبهم وحرابهم إلى أن يتم لهم افناء الأمة العربية وتكثير النابذة التركية التى يربونها على الاتحاد وتخرىف الاسلام عن أصله بجمل القرآن تركياً وتفويه بمثل ما رأينا فى كتاب (قوم جديد) وغيره من كتبهم ، ويسقنوا عن مخادعة المسلمين والاستفادة منهم باسم الخلافة والاسلام ، فبند ذلك يبنذونها بنف النواة ، ويحملون يوم إلتاسها عهداً من الأعماد ، فحاجتهم اليها مؤتفة كحاجة أحد ظراف السوريين إلى البرنيطة

د - بعيتك فكيفنا يجبر برنيطة هذا السورى الظريف لعله يدفع عنى الرعب

الذى كاد يساورنى من تصور هذا الخيال التركى الاتحادى الغريب

د - هو الدكتور . . قال انه بايى البرنيطة لأنها تزيد فى ربحه وفى احترامه كما ثبت له ذلك بالتجربة ، وإنه يعنى أن يستغنى عنها ، وقد وعد أصدقائه بأن يدعوم عندما يثبت عنده ذلك الاستغناء إلى احوال عظيم حتى إذا ما انقلم عهد

(المنار: ج ٣ م ١٩) دين الاتحاديين الجديد الذي يدعون الترك اليه ١٩١١

اجتماعهم يو قد ناراً يحرق بها البرنيطة أمامهم ويرثيها بأحسن مما رثى به الفارياق حماره ، ويسمى ذلك الاحتفال احتفال احراق البرنيطة

ذ - أود أن تخبرني ببعض ما لديك من الدلائل التي لا تحتمل التأويل على كفر زعماء الاتحاد ، فإن بمض ما يدل على ذلك قد يحتمل التأويل ، وهذه مسألة لا يجوز الأخذ فورها إلا بالهتقين

د - إن ما عندي في ذلك كثير جداً إذا أردت بسطه ودفغ ما يمكن أن يورد عليه من الشبهات فلا يتم لي ذلك إلا بتأليف سفر ~~كبير~~ ، وإذا أردت أن أحصى في هذا الباب جميع ما أعلم من أقوالهم وأفعالهم المنافية لدين ، وما نشره في كتبهم الجديدة وصحفهم من المبارات المنفرة عن الاسلام أو الدالة على مذهبهم السياسي الذي ذكرته آنفاً - فلا بد لي من تأليف عدة أسفار ، ولا بد أن تكون قد قرأت ما ترجمناه من كتاب (قوم جديد) في - ص ٥٣٩ - ٥٤٤ م ١٧ - سنة ١٣٢٢ من المنار^(١) ورأيت كيف حرف فيه القرآن وجعل الصيام والصلاة والحج والزكاة والعمل بكتب فتنه الأئمة الأربعة هو دين قدماء المسلمين الذين يمبر عنهم بكلمة (قوم عتيق) وصرح بعدم جواز العمل بملك الكعب وهال ذلك بأنها ملوثة بالنفاق والشقاق ، وبين في مقابل ذلك أركان دين (قوم جديد) وهي العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة والجهاد مالا وبدناً والسعى لاهداد لوازم الحرب بالاتحاد تحت راية الخلافة الاسلامية العثمانية . وصرح بكفر جميع المسلمين من رعيا دول النصرى والذين تحت حمايتهم ، وبأن المسلمين الحقيقيين هم الذين حاربوا في البلقان « تحت إمرة أنور ورضا وأسمد وجاويد ورؤف صلى الله تعالى عليهم وبقية رجال جمعية الاتحاد والترقى المقدسة » ثم صرح بأن هدد الذين ينتمون الى الجمعية في حرب البلقان لا يتجاوز مئة ألف وهم المسلمون الحقيقيون قال « أما الباقون فكانوا من المرتدين المنتمين الى الائتلاف (أى حزب الحرية والائتلاف) والبطر كخانات ، وهو يفضل أنور وطلعت وجمال وغيرهم

(١) نشر المقطم مقالة لبعض العرب العثمانيين في هذه السنة ذكر فيها بعض الجمل من هذا الكعاب فظن بعض الناس ان ذلك قول مخترع ، وقد ذكر هذا الكعاب في الجزء الثاني من منار سنة ١٣٣٢ الذي صدر في يناير سنة ١٩١٤

١٦٢ فرض الأنحاديين من الطعن المشوه في الاسلام (المنار : ج ٣٢ : ١٩)

من زعماء الجمعية على الخلفاء الراشدين وجميع الأئمة والأولياء الصالحين ، بل هو
يقدم جميع الترك التابعين لهؤلاء الزعماء بمثل ما تراه في تلك النبذة المترجمة منه
(ص ٥٤ م ١٧) فانه بمد مخاطبته للترك بأن الله قدسهم وبأن تعظيمهم لخلفاء
العرب ووضع اسمائهم في المساجد يعد إذلالاً للخلفاء الترك « الذين قدسهم الأحاديث
النبوية بزعمه ، وبعد إنكاره عليهم تعظيم الأولياء من العرب كالجيلاني والبدوي
وغشهم للترك بأنه سيخرج من العرب مهدي ، بمد تفصيل هذا وزعمه إنه تمهيد للترك قال
« أما ستم الآية (والماديات ضبحا) فان الله قدس بهذه الآية الجيوش
التركية ، فعمل هذه الجيوش هي أشرف وأقدس أضماً مضاغفة من شرافة وقداصة
رؤساء وأشرف الشعوب الأخرى الذين قدسوتهم وتحترموتهم » اه وليس هنالك
رؤساء شعوب كثيرة يحترمهم الترك بل رؤساء شعب واحد وهو الشعب العربي -
الذين ذكر انهم يملقون اسماءهم في المساجد وهم : النبي ﷺ والخلفاء الراشدون
الأربعة والحسن والحسين رضوان الله عليهم .

وقد جعل الأنحاديون عبيد الله افندي مؤلف هذا الكتاب مدرساً في جامع
أيا صوفية لينشر هذه الأفكار في شهر رمضان وجعلوا حوله الجلاوزة والشرطة
(البوايس والضابطة) يحمونهم من اعتداء المسلمين عليه ، ولكن من يطعن في جهيتهم
أو يمس زعمائهم فلا جزاء له إلا القتل اغتياً أو صبراً أو بحاكمة قضائية أو عرفية ،
ذ - ان مؤلف هذا الكتاب مجنون أو معقوه ، وتمحرفه للقرآن أشد تشويهاً
وأظهر بطلاناً من تحريف الباطنية ، فكيف يظن هو وزعماء الأنحاديين أن
مسلى الأترك يتلقونه بالقبول فيؤثر في نفوسهم ؟

د - حقاً ان هذا الرجل يكاد يكون مجنوناً ، وبمحمل أن يكون سبب غلوه
هذا من خبث ودهاء ، والذي يظهر لي أن لهم في مثله غرضين (أحدهما) فتح باب
الجرأة للملاحدة الترك على التصريح بالكفر قولاً وكتابة ليكون مجال القول عندهم
واسعاً في الطعن في النبي ﷺ وفي الخلفاء الراشدين وأئمة آل البيت النبوي
وأئمة الفقه والصوفية ، ولهم كتاب آخرون سلكوا غير هذه الطريقة في هذا
الباب كالدكتور هبده الله بك جودت صاحب مجلة (اجتهاد) التركية وأحد مؤسسي

جمعة الأتحداد والترقي الأولى فانه بترجمه بالتركية مطاعن (كابقاني) المؤرخ الايطالى
فى النبى ﷺ ونشر كتابه فى هذه السيرة التى شوه جمالها وانقص كلها بيهتانه
وسوء تأويله ، فكان له رواج وتأثير قبيح هند طلبة مدرسة الطب وغيرهم فى
الآسمانه (والفرض الثانى) نشر ذلك بين عوام الترك الذين لا يعرفون من الاسلام
إلا اسمه لعلمهم بأنهم يقبلون كل كلام يقر أهلهم فى كتاب ، وتؤيد فيه المسائل بما يسند
إلى الله ورسوله من الآيات والاحاديث ، وما تكن معرفة ، والكلام فى هذه المسألة يطول
فأكتفى منه فى هذا المجلس الذى طال علمك بروايتين من علماء الآسمانه وبعض النضاة
الأتحدادين (الرواية الأولى) كان اسماعيل حقي المناستري (رحمه الله تعالى) من أشهر علماء
الترك فى الآسمانه وهو الذى ترجم (الرسالة الحميدة) بالتركية ، وكان واعظا فى جامع
(آيوضوفية) وسدرسا فى دار الفنون (المدرسة الجامعة التركية) وهو الذى صلى بالسلطان
محمد شاد إماما لأجمعه فى (قصوره) عند زيارته لها ، وكان اسمه الأتحدادون بعد الدستور
بجمله عسرا فى مجلس الاحوان وجعل ولده كاتب السر لطلعت بك ، فكان جمهور علماء
الآسمانه يصفونه بالنفاق بدعوى أنه مال إلى الأتحدادين وأنه لا ينكر عليهم فيمنع العوام
أنه راض عنهم ، ولكن هذا الشيخ الكبر للماهر فى حق المعرفة ووثقى كان لا يبرع عن
الأتحدادين فى الحديث معى بداره إلا بقلب «الملاحدة» وقد سألنى عن رأى فى فطين
افندى: أمسلم هو أم زنديق ملحد؟ فقلت: ما الذى أثار هذه الشبهة فى نفسك حتى شككت
فى إيمان رجل من أهل العلم؟ فقال: يا سيدى يظهر لنا أن الجمعيه تثق به ثقة تامه .
فهذا العالم الجليل المحمدرهم حقى الاختبار كان يعتقد أنهم لا يثقون ثقة تامه؛ و من مسلم
أما فطين افندى هذا فهو من (الصفطاء) طلاب العلوم الدينية وقد عنى بالعلوم الرياضيه
فصار مديرا للرسيد الفلكى الذى أنشئ فى ضواحي الآسمانه وهو ذو همم ونشاطه
وسمى فيه أنه كان يريد استخدام نفوذ الجمعيه لبعض المقاصد التى يراها نافعه فيخدمها
لهذا خدما نافعه ويقومهم أنه قد يقوم بعض اعوجاجها كما يعلم من الواقعه التى أقصها عليك:
أقيت فهاين افندى مره يتكلم مع (الدكتور ناظم) المرخص المسئول لأجمعه
وأعظم رجالها نفودا فيها ، فلما أقيت عليها قال قد كور هذا فلان يحكم بيننا ، ثم
قص على أنه اختلف مع الدكتور فى مسألة مهمه قال: الدكتور يقول إنهم يسهل علينا

الترقى المطلوب إلا إذا نبذنا كل قديم ، اتبنا خطوات فرنسه (؟) في تجديد شباب الدولة والملة (أى الأمة) وأنا أقول اننا محتاجون إلى اقتباس الفنون عن الاوربيين طامة لان فرنسه خاصه لأجل ترقية صناعتنا وحرابتنا ومايتنا ، وأما الامور المعنويه كالآداب والفضائل والشرائع فاننا نقتبسها من ديننا وما عندنا فهو أكمل مما عند غيرنا وهو خير لنا ، ولكن الدكتور قال إن هذا كله قد صار رتأباليا لا ينفع فلا يبد من التجديد في كل شيء ، هذا ملخص حديثها ولا حاجة إلى بيان ما أبدت به رأى فطانت افندى بل أقول لك إننى أكبرته من ذلك اليوم ، ولكن العبرة في شك الشيخ اسماعيل حتى في عتميدته لأنه رأى أن زعماء الجمعية يثقون به وإن لم يعرف درجة هذه الثقة ، وقد هرقت رأى جمهور علماء الآستانة في اسماعيل حتى هذا ، وكذلك رأيت كثره من المقدينين يعتمدون أن زعماء الجمعيه كلهم ملاحدة لادين لهم ، ومن هؤلاء كثيرون كانوا محافظين على الانتساب إلى الجمعية برون أن في هذا خيراً لهم أو مصلحة لسهولة والأمة ، ومنهم ألوف تركوها إلى حزب الحرية والائتلاف .

(الروايه الثانيه) لما جئت بيروت عائداً من الهند إلى مصر من طريق العراق وسوربه زارنى قاض من قضاة القرك الاهليين ببيروت اسمه (شوكت بك) كان كثير اللهب بالجامعه الاسلاميه وإيهاهم مسلمى بيروت وغيرهم أن الأنحاديين يرهون بسواستهم إلى هذه الجامعه ، وكان ذلك في عهد وزارة مخفار باشا والناس يجاهرون بلعن الأنحاديين ولا سبيل إلى استماتهم اليهم إلا بإيهاهم انهم يخدمون الاسلام ويجتهدون في جمع كلمه أهله ، فكان أول حديث شوكت بك معى - بعد مجاملة السلام - السؤال عن مسلمى الهند وإظهار الاهتمام بشأنهم . وانتقل من ذلك إلى مسأله لجامعه الاسلاميه وما برعته من ميل الأنحاديين إليها ، فقلت له : ان فاقد الشيء لا يعطيه ، فاذا كان الأنحاديون أنفسهم ملاحدة غير مسلمين إلا في الاسم فقط فكيف يقومون بهذه الخدمه في الاسلام . قال : إن الحكم عليهم جميعهم بالاحاد فيه مبالغه وامل الملحدين منهم لا يزيدون على ثلاثين في المئة قلت : الظاهر أنك أسوأ ظناً منى فيهم ، فأنا أعنى بمن حكمت عليهم بالاحاد زعماءهم لاجميع من انقضى إلى الجبيهه ، فان لي أصدقاء كثيرين ممن دخاوا في هذه الجمعيه لا ريب عندى في إسلامهم ولا في

صلاحيهم ، منهم من تركوا بعد العلم بحقيقة حالها ومنهم من يرى من المصلحة العامة أو انطوائه بقاءه فيها ، وقد صرح لي بذلك كثير منهم . وذكرت له انني اخبرت أكبر أولئك الزعماء بنفسى فى الآستانه ووقفت على ما كان من اختصار أصدقائهم وغير أصدقائهم لهم ، وذكرت له رأى الزعيم الأكبر الدكتور ناظم الذى ذكرته فى الروايه الأولى قال نعم : ان الزعماء لأدين لهم «دين سز» ولكن مسألة الجامعة الاسلاميه تنفيذ الدولة فائدة سياسيه عظيمه فهم لذلك يهتمون بأمرها ، قلت : اننى أهدم انهم يشتغلون بتأسيس جامعه تركيه لا اسلاميه عامه وقد بثوا دعواتهم لهذه الجامعه فى القوقاس وتركستان ... ولو كانوا يريدون الجامعه الاسلاميه لاعتنوا بتعليم اللغة العربيه ونشرها ولكنهم يجتهدون فى إيمانها ، وكيف يتعارف المسلمون بغير لغة يتفاهمون بها ، اننى طفت كثيراً من تلك الهند فلم أدخل بلاداً منها إلا ووجدت فيه كثيرين يتكلمون معى بالعربيه ، ولا يكاد يوجد فيها أحد يعرف التركيه ، ولا توجد داهية تحفزهم لتعلمها ، وأما اللغة العربيه فداعية تعلمها الدين ، وهى زداد فى هذه الايام انتشاراً فى الهند وجاوه الخ

(خلاصه المحاوره وفصل الخطاب فيها)

د - عند أسالت عليك وأخذت حظاً عظيماً من وقتك ، وقد اقتضت مما سمعت منك بأن هؤلاء الأنحاديين ملاحدة لا يدينون بدين وأنهم مقهورون يسوق لهم الضرور أنهم يستعملون أن يهدوا وابتداء هذه الدوله وهذه الأمة ثم يبنونها بتساء آخر زينه لهم اليهود ووضع رسمه لهم الالمان ، وأن ذلك يتم لهم فى سنين معدودات ، ولذلك لم يسلكوا طريقه التدرج التى مضت بها سنة الله فى خلق الارض والسموات ، وأحب أن تلخص لى كلامك بجمل مختصرة

د - : (١) إن الشريف أمير مكة المكرمه يستمد أن الأنحاديين ملاحدة يكفون للدين الاسلامى على ما لهم فهم من المنافع السياسيه والماليه فمثلهم كمثل المعتصم فى حسن عدوه وهو يرى أنه لا بد له من تركه ويخشى أن يصير إلى عدوه فهو على ابتغائه ببنائه وبما فوه من الخيرات يضع الالمام تحتة ليذهب عند ارادة تركه

(٢) انه يعلم أيضاً أنهم أشد الناس عداوة للعرب وان بعضهم لهم أشد من يقتضيهم لروم والارمن لسببين ، أحدهما أنهم أعظم أركان الاسلام وأنصاره ،

وثانيتها أنهم أكبر الشعوب العثمانية وأكثرها هدداً ، وأنه قد وجد في بلادهم الحضرية كثير من أصحاب المعارف العصرية والأفكار النيرة وما زالت بوادهم والبلاد التي هي أقرب إلى البداوة ذات بأس شديد وقوة حربية لا يستهان بها . فلا يتم لهم ما يتخيّلونه من تأسيس دولة تركية لادين لها الأمة تركية محضة إلا إذا أبادوا هذا الشعب العربي الكبير الناصر للاسلام ، ولذلك عقدوا النية على تتركب بلادهم الخصبية المتعلمة بالقوة القاهرة وعلى اذلال أهل الجزيرة العربية الاشداء باضماهم ونزع السلاح منهم وإلقاء العداوة بينهم ، وجعل بلادهم المقدسة تحت سلطة عسكرية اتحدية لادين لها حتى لا يستطيعوا أو يقوموا بعمل ديني ولا دنيوي

(٣) أن الشعب التركي غيور على الاسلام وشديد التعصب له وقد عرف عنه من المبالغة في التعصب ما لم يعرف مثله عن العرب ولكن حضوره للقوة التي تسود عاصمة بلادهم أنهم من خضوع سائر الشعوب العثمانية ؛ بل هو شعب لا يعمل الا بالقوة العسكرية ولا تعمل به الا القوة العسكرية ، وقد غلب حزب ملاحدة الأتباعيين حزب العلماء وجميع الاحزاب الياسية العثمانية بقوة الجند والمال كما علم من كلامنا السابق ، فلم يعد الشريف يرجو من اسقاط قوة الأتباعيين امداء الاسلام والعرب بقوة الاحزاب التركية ما كان يرجوه من قبل ، فانحصر وجوب مقاومتهم في الحرب وحيدهم

(٤) أن الشريف يعلم كما يعلم العارفون وكل من له إلمام بأحوال الدولة ان ملاحدة الأتباعيين قد سلّبوا سلطان الدولة وخلقها نفوذهم وجميع حقوقه حتى ما هو مدون في قانونهم الاساسي ، فأصبح المسلمون بغير امام شرعي لاحقوقهم مستوف للشروط الشرعية ، ولا متغلب يطاع لضرورة جمع الكامة ، وانما المتصرف في الدولة جمعية الأتباع والترفى الملعدة ، فالسلطان محمد رشاد لا نفوذ له الآن في المملكة ولا في قصره ، ويصحبه أهل الاسفانة (المهر دار) لجمعية ؛ أي صاحب الختم الذي وظيفته أن يفتح ما كل ما تأمر بفتح من الاوراق ، وهم لا يسمحون له بأن يفتحار رئيس الكفار ، وأمين السر له حديثي سبدي بك أحد سرة الآسفة الكبار عن رجل من أعضاء البيت السلطاني أنه كان يقرب السلطان في حفلة قراءة المولد النبوي الشريف في قصر (ضولمه بنجه) فرأى (الباشكاتب) قد جلس معكثراً والسلطان منعصب بنذابة الادب على سببه

وكبر سنه فلما رآه السلطان قد اتكأ قال متبرماً : إذا كان هذا ... (فسيت القتب
القبهج الذي ذكره به) لا يجرى أفلا يحترم حضرة فخر الكائنات صلى الله عليه وسلم ؟
(٥) أن الشريف يعلم أن هؤلاء المنهوبين قد عرضوا استقلال الدولة للزوال ،
وأن الخطر عليها في انتصار الألمان أشد من الخطر عليها في انتصار الحلفاء ، فإن
الظاهر أن الحلفاء يرضون باستقلال بلاد العرب ، ويظن أيضاً أنهم يرضون بجعل
الولايات التركية إمارة أو سلطنة تركية مستقلة ، فغاية انتقامهم من هذه الدولة أن يجعلوها
أجزاء بعضها مستقل بنفسه تمام الاستقلال وبمضاهم استقلال تحت حماية بعض الدول ،
كالولايات الأرمنية ، الظاهر أنها تكون تحت حماية روسه ، ويقال أنهم لا بد من أخذ
شيء منها لأنفسهم وتختلف الآراء في مصير الآستانه . وليس هذا من موضوع حوارنا
(٦) أن ملاحظة الانحاديين شرعوا في تنفيذ خطتهم بالذلال العرب التي هي
مقدمه أو دله لا ذلال الاسلام كما ثبت في الحديث الصحيح عند أبي يعلى « إذا
ذلت العرب ذل الاسلام » فبدأوا بالعراق والشام ثم مدوا برأيهم إلى الحجاز ،
فاضطر الشريف إلى دفع شرم عن العرب بمقاومتهم في الحجاز . واستقلاله بالسلطة
فوه من دونهم لمجموع ما تقدم من الأسباب .

ذ - يظهر مما قررته أنه لا يمدد مقاومته للانحاديين خروجا على السلطان ولا عهدا للدولة
ففسها لانه يرى انهم جانون على الدولة والسلطان قبل جنابهم على العرب في الحجاز وغيره
د - نعم هذا هو الظاهر بل المتيقن ، ومن وقف على الحقائق يرى أن
الشريف قام بأعظم خدمه للاسلام والمسلمين ، وذلك أنه لما رأى الخطر قد أحاط
بالدولة كما هو واضح مما شرحناه كان من الضروري أن يخاف وقوع القضاء بها فجأة
فيكون حرم الله وحرم رسوله وسياجها من جزيرة العرب مما يه قط بسقوطها ، وتزول
السلطة الاسلاميه منها وعن غيرهما مدة فترة السقوط أو مدة أطول منها يكون
الحرمان وغيرهما فيها من قبيل التراث الذي يحكم فيه الفاتحون بما يشاؤون . فهو
باستقلاله هذا قد جعل الحجاز تحت سلطة اسلاميه خالصه ، ويوشك أن يكون هذا
مقدمه لسوله عربيه اسلاميه كبيره ، وما ذكره الأستاذ في أوائل حديثه من تضاد

أمراء جزيرة العرب وكونه بحول دون تأسيس دولة عربية عزيزة فغير مسلم ، فالموادة بين أمراء الجزيرة وزعمائها لم تكن منذ قرون كثيرة خيراً منها الآن ، فلم يبق بين أحد منهم شيء من ذلك الداء إلا ما بين امام اليمن والسيد الأديبي ويرجى أن يقدر الشريف على تلافى ذلك وعقد اتفاق بين الجميع على قاعدة (اللامركزية) وصفوة القول إن استقلاله هذا لا ضرر فيه على الهوية الثمانية ولا على الأمة التركية ، وإنما هو كبح لجح هذه الجمعية الباغية على الاسلام والدولة والعرب ، فان سقطت الدولة في هذه الحرب لم يكن استقلال أمير الحجاز أحد أسباب سقوطها وإن سلمت من الحرب ومن هزلاء الملاحدة رعات دولة اسلامية قوية لم يكن ما تقدم من استقلال الشريف ما نمانا من العودة إلى الوفاق والاعتصام ، هذا ما يخص ما عندى في هذه المسألة ، فإذا كان لديك أسئلة أخرى فلتكن في زيارة أخرى .

انتهت المحاوره مع الاستاذ بما ذكرنا من الاقتناع وكذلك المحاورات الأخرى في الجملة فخلاصة ما ارتفنا عليه من الآراء في المسألة العربية واستقلال الشريف الأكبر أن المسلمين هنا لا يرتاحون إلى هذا الاستقلال إلا إذا أسكن أن يستتبع تأسيس دولة عربية قوية مستقلة تمام الاستقلال لانفوذها بالدولة الأجنبية يضعف استقلالها ، وإمكن منهم من يشك في إمكان ذلك ومنهم من يشك في سهولة حصوله دون إمكانه ، ولكل منهم دلائل نظريه لا يتسع هذا الجزء لبعثها ان كان من الممكن نشرها ثم ان كل فرد ممن تكلمنا معهم أنصف الشريف في استعسان وتوقفه بهذا الاستقلال عند حد منع الضرر عن أهل الحرمين وغيرهم من العرب عملاً بما ثبت عندنا من روح نية الاتحاديين بحيث كان استقلاله غير مضمف لدوله إلا بقدر ما يجنى عليها الاتحاديون إذا أرادوا الاستمرار على قتاله بجهوشها المنظمه وتيسر لهم ذلك ، فعمل الشريف يصدق عليه أنه إما ان ينفع نفعاً هاماً أو خاصاً بالحجاز وإما أن لا يضره ولا يوجد عائق يشك به على هذا ويذمه ، وكل مسلم عرف كنه سياسة الاتحاديين في الاسلام صار هداهم وأقدم أعدائهم في هذا علماء الآسفانه والمتدينون فيها وفي سائر بلاد الترك . وما كان مستلهم العرب إلا متأخرين عنهم في ذلك . وكل عربي مصري أو غير مصري عرف كنه سياستهم في العرب صار عدواً لهم ، وأقدم من عرف ذلك السورون المسلمون ثم غيرهم

منهم ومن العرب ، ولو كان المصريون يصدقون أخبار المقطم والأهرام عن فظائهم في سوريه لأجمعوا على ذلك ، وقد انفتحت لهم أبواب أخرى للاقتناع . وما قلت لأحد منهم ان ما أتاه جمال باشا من التتمهل والقصليب والتغريب عن الوطن نبتت عندي من طريق الأسرى العثمانيين ومن طريق أمريكا وأوربه ، ثم من طريق الحجاز لإقباله مدعنين ، ولعنوا جميع الأنحاديين ، وسأني يوم يصدق فيه الجميع هذه الأخبار ولعله ليس ببعيد .

السيد عبد الحميد الزهراوي

كان الشهيد السعيد نابغة من نوابغ السوريين ، لا يكاد يزلّ به في مجموعة من أياه قرين ، ما عرفت بلاده كنهه ، ولا قدرته قدره ، على انهنم تقصر في تنظيمه وتكريمه ، وفي الاحتفال له والحقاوة به أيام سفره وأيام قدومه ، ذا عرف الجمهور منه في أواخر سنّ حياته كما كان يعرف الآحاد ، انه أحد أشراف البلاد المنصرفين لخدمة الأمة بكفاءة واستعداد ، من معرفة المصاحبة وفصاحة اللسان ، وروعة الحجّة وجرأة الجنان ، وما كان لمقل الجمهور أن يدرك كنهه المزاجيا والفضائل التي بها كان الزهراوي في حقيقة جوهره من الحكمة الربانية ، والفلاسفة الاجتماعيين ؛ وإن قضت عليه الأيام بالانقضاء في سلك السياسيين ، تلك الفضائل التي عرفها له كل من عرفه من العقلاء المنصفين ؛ وهي استئلال الرأي وصدق القول وقوة الإرادة والاختلاص في العمل وإيثار الحق على الهوى ، وتوجيه الهم والهمة إلى المصالح العامة ، وترجمتها عند التعارض على المنافع الخاصة ، بل لم تعلم عنه انه اشغل في طور من أطوار حياته لمناقمه الخاصة ، وإنما فعل عنه انه بدأ حياته العملية منذ بلوغ الرشد بإفشاء (جريدة المنير) السرية التي كان يطلبها في حمص بمطبعة الجلايين وبيوزعها في البلاد السورية سرّاً لخدمة جمجمة الأنجاد والترقي الادلي والسعي معها لانقاذ الدولة من الادارة الجهورية المستبدة ، فمعلق بالسياسة من ذلك الحين وظل مشغولاً بها طول حياته

كان بيننا وبين هذا الصديق العزيز تشابه في النشأة والتربية ، ومشاكلته

الاستعداد والفريزة ، وتقارب الفكر والرأي ، تعارفنا به بالمكاتبة قبل اللقاء ، ثم كان بعد اللقاء كالمحبة والوداد ، لم يزد بالمعاشرة إلا ثباتاً ورسوخاً ، كان كل منا مهلاً إلى الاشتغال بالاصلاح الديني والاجتماعي وهلافة ذلك بالسياسة لا تخفى ، ولكن تيسر لكل منا من أمر الاشتغال بالسياسة أو الاصلاح ما لم يتيسر الآخر ، إذ كانت هجرتنا إلى مصر وهجرته إلى الآستانة

وفي سنة ١٣١٥ التي أنشأنا فيها المنار كان هو محرراً في إدارة جريدة (معلومات) العربية في الآستانة ، وكان ما يكتبه فيها موافقاً لمشرب المنار ، ووقع بيننا ما يشبه المناقشة في المسائل الاصلاحية (راجع ص ٩٥٠ من الطبعة الثانية لمجلد المنار الاول) ثم نفته أفكاره من الآستانة إلى وطنه ، وفي سنة ١٣١٩ كتب وهو في دمشق الشام تحت المراقبة السياسية رسائله الاصلاحية الثلاث (الفقه والتصوف) التي نشرناؤها في المجلد الرابع من المنار ثم قرظنا فيه المجموع لما طبع على حدته في مصر ، وقد كانت هذه الرسائل أشد ما كتبنا كنهه في موضوعها نقداً على سعة الحربه هنا وشدة الضغط هناك ، فهاجت عليه حملة المأمم في دمشق ، وأشد ما أنكروا عليه فيها القول بالاجتهاد وبطلان التقليد ، فبيجوا عليه الحكومه فاعتقله في الشام ثم أرسل إلى الآستانة ، ولم يكن سبب ذلك التشديد عليه ، والاعضاء عن انهموا بالقول بالاجتهاد وابطال التقليد منه غيرة من الحكومه على الفقهاء والصوفية ان يوجه اليهما انتقاد ، ولا مجرد الارضاء امصيبة الحشوية الجامدين في الشام ، وإنما سببه الباطن انه كان نشر في المقلم مقالته في الخلافه بأضواء (ع . ز) وهو إضواء الرمزي لكل ما كان ينشره بمصر ، وقد رجحت تلك المقالة معه هند القبض عليه وحاول تمزيقها . وقد أشار الاستاذ الامام إلى هذه الواقعة في فصل (الاسلام اليوم) من كتاب (الاسلام والنصرانية) وإننا نذكر عبارته هنا لما فيها من تأييد هذا الصديق الشهيد وهي :

الم يسمع بأن رجلا في بلاد اسلاميه غير البلاد المصريه كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه إلى ما ذهب إليه أئمة المسلمين كافة ، ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفيه وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مازي . به ، أو ما يقرب من هذا ، وهو قول قال به جمهور أهل السنه من قبله ، فلما طبع مقاله في مصر تحت اسم

هاج عليه حملة المأم ، وسكنة الأتواب المباعب ، وقالوا إنه مرقى من الدين ، أو جاء بالآفك المبين ، ثم رفع أمره إلى الوالى فقبض عليه وأناه في السجن ، فرفع شكواه إلى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله إلى العاصمة ليثبت برأته بما اعتلق عليه بين يدي عادل لايهور ، ومهيم على الحق لايحيف ، إلى آخر ما يقال فى الشكوى ، فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله ، فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ، ولم ينف عنه إلا بعد شهر ، مع انه لم يقل إلا ما يتفق مع أصول الدين ، ولا ينكره الفارى والكاتب ، ولا الآكل والشارب ، اه أرسل الرجل إلى الآقانه فاعتقلته السلطنة الحميدية هذه لك أشهراً ، بعد جعله تحت مراقبة الجواسيس زمناً ثم أرسل إلى بلدة (حمص) ليكون مقبلاً فيها تحت المراقبة لايبرحها (ويسمى مثله فى عرف الدولة الرسمى «مأموراًمة») فبقى فيها إلى أن فر إلى مصر سنة ١٣٢٤ وبقى فيها يشتغل بالتحريير فى المؤيد ثم فى الجريدة إلى أن أعلن الدستور سنة ١٣٢٧ فماد إلى سوريه فانقخب مبعوثاً عن لواء حماه وكان من أمره فى المجلس وبده ما كان .

لو كان الزهراوى من طلاب المنافع الشخصية لأمكنه أن ينال منها فى عهد هيد الحميد ما نال من كانوا دونه من أرباب الأفكار وحملة الأقلام الذين استأنهم السلطان هيد الحميد وأعوانه وغمرهم بالأموال والرتب وأوسمة الشرف ، ولم يكن جهاده القانونى للاستبداد الذى انقلبت إليه جمعية الاتحاد والترقى بعد الدستور بأضعف من جهاده للاستبداد الحميدى مع الجمعية فى إبان صلاحها ومع غير الجمعية أيضاً ، نصرها فى الأيام الاولى من عهد الدستور كأنصرها قبله ، وجاهدها بعد أن صار أمر الدولة كله فى يدها ، ولو كان من طلاب المنافع الشخصية لنال بمسايرة الجمعية منها ما كان يعلم انه لاينال بمعارضتها ، وما كنت أرى - وأناى لآستانة - أحداً من المعارضين للجمعية يرى قوتها فوق ما كانت عليه إلا الزهراوى ، كان من أشدهم معارضة لحزب الجمعية فى المجلس وفى جريدة الحضارة التى أسسهاى الآستانة ، على كونه من أشدهم اجتماعاً بقوة الخصم وبعداً عن الضرور بما كان يروى عن ضمهفه ، فجمحة القول فيه أنه بدأ حياته بخدمة الامه والدولة وثبت على ذلك طول حياته ، وان جعل عمله كان مع جموة الاتحاد والترقى ، فهو بعد تلك المعارضه فى زمن المبعوثية

اعتقد أن الدولة صارت بيد الجمعیة ؛ وأنة لا يوجد في الأمة حزب يرجى أن ينتزها منها ، فلم يبق من طريق الخدمة الدولة والأمة الاطربتها ، وهذا الاعتقاد هو الذي حمله على قبول منصب الاعیان أخيراً كما سنبينه بالبرهان ، وكان جزاؤه من الجمعية التي أفنى حياته في خدمتها أن قتلته شر قتلة ، وأبقت جثته مصلوبة في الشام ١٢ صاعه ، لم يعلم كل عربي براها أو يسمع خبرها كيف تكون عاقبة العربي المفكر ، والخطيب المؤثر ، والكاتب المحرر ، عند هؤلاء القوم الذين جعلوا من أصول سيماءهم نحو العربية من سورية والعراق ، وحرم البداة على عرب الجزيرة وإيقاع الشقاق الدائم بينهم الى أن يبدي بعضهم بعضاً

كان قبول السید الزهراوی لمنصب الاعیان من الحكومة الانجادية. ثم الاستيلاء به ، وطلاب الاصلاح ومحبي الاصلاح الإلمة العربية العثمانية وسبب السوء الظن فيه ، وكثير القول بأنه يتحول عن سيرته التي كان عليها طول عمره فأثر منفعة الشخصية على مصلحة أمته العربية ، فتحول ذلك الجمهور الذي كان ينوره به ويصدق له الى الخوض فيه ولو كان عقل الجمهور يدرك كنه تلك الفضائل التي وصفناه بها بحق لما صدق أن مثله يتحول بمد سن الحنين من همرة الى ضد ما ثبت عليهم من أول نشأته ، وما الذنب على العامة في ذلك وإما الذنب ذنب خواص الاذكياء والمتعلمين الذين سارعوا الى الخوض فيه فقبضهم المصامه ، وكان يجب عليهم التروى والتثبت في أمر هذا الحدث الجديد لهذا العامل المستقل هند فيه واجهه اذ أم لا ؟ ثم التثبت والتروى في الطعن بمثل هذا الرجل منهم إن ثبت لهم أنه مجرم سياسي متعمد ، لا يجتهد مصيب أو مخطئ ، فإنه أول نتائج الطعن في مثله - وقل ان يوجد مثله في طهارة سيرته الشخصية والسياسية هي زوال ثقة الأمة من زعمائها بقواس أنزه الصادقين على أخس المنافقين ، وما أولئك الطاعنون الا حاسد ينم من الزهراوی ما يفتني مثله لنفسه ، أو تقى ساء ظنه لسوء نيته ، وفعله ، أو غير شديده المصيبة ، قابل الرويه ، يبادر الى ارضاء حميته ، ولا يحسب حساباً لعاقبة قوه وعمله لم يكن الزهراوی من أهل الامهواء الذين يجملون مصلحة الأمة والدولة فيما

للأغراض ، وعرضة للمواطن والاحتقاد ، بل كان يجب العمل المبني على القواعد
المقبولة والرغائب المأبودة ، فلما رأيت أن الاتحاديين يجادلون إجابة أغراضهم الضارة
بالأمة العربية وبوحدة عناصر الدولة - بقوة مجلس المبعوثين أحب أن يجارهم
بسلحتهم فكلمت من المؤسسين للحزب الحر المعتدل ثم لحزب الحرية والائتلاف الذي
تكون من هذا الحزب الذي أكثر أفراد من العرب ، ومن حزب الاهلي الذي أكثر
أفراده من الترك ، وكان لزهراوي وكهل الرئيس في هذا الحزب ، وقد فطر هذا
الحزب بالاتحاديين لجذب اليه الجمل الغفير من مفكرهم وضباطهم ، ثم أمتد وزاراتهم
واستبدل بها وزارة مختار باشا التي لم تكن هي ولا وزارة كامل باشا التي جاءت بعدها
ائتلافية ولا اتحادية ، وإنما كانت على كراهتهما لسيرة الاتحاديين ، غير متصنتين
بضرورة الائتلافيين ، ولا وافقتين لهم في كل شيء ، ولذلك سهل على الاتحاديين
استقاط وزارة كامل باشا ، وقد أخطأ الائتلافيون بعدم جعل الوزارة من حزبهم
وقعت حرب البلقان في أيام وزارة مختار باشا فأكسرت الدولة فيها وألفت
وزارة كامل باشا القصدارك أمر الدولة بالصليح ، وفي أثناء ذلك جاء الزهراوي مصر قاصداً
الذهاب الى الأستانة لقرب موعد فتح مجلس المبعوثين وقد أقتنناه بأن لا بد من
السفر الى بخشي من وقوع الفتن بالاستاء وقد وقع ما كنا نتوقعه بهجوم الاتحاديين على
الباب العالي وقتلهم ناظر الحربية فيه وامقاطهم وزارة كامل باشا والقبض على لؤنة
الحكومة ، ولكن صاحبنا كان يصر على السفره بظن ظلياً كاد أو كان يسميه بقمنا
بأن الاتحاديين لا يثبتون أصبوعا حتى تستعظم الأمة وتسدل بهم غورهم فأقتنناه بأن
يصبر حتى تصدق الأيام ظنه أو تكذبه ، وما اقتنع منا إلا بالذلال الصداقة على أنه كان
يرجع عن رأيه الى رأي صديقه هذا كما نص على ذلك في كتابه الآتي ، وإنما صرحت
بهذا لأنه من مقدمات الحجج التي أذكرها بعد نشر ذلك الكتاب .

وفي أثناء حرب البلقان تأسس حزب اللاصكرتية بمصر ولم يدخل هو في
الحزب ، لأنه لم يكن ينوي الاقامة بمصر ، وإنما رشحه الحزب لرياسة المؤتمر العربي
لكافته الطموه والاجتماعيه ، وموافقته للحزب في مقاصده الاصلاحيه - فانه نخب
وأيضا في باريس ، وعقد معه الاتحاديون ذلك الاتفاق المشهور

كان فى مدة إقامته فى باريس أيام المؤتمر وبمدها يكتب حزب اللامركزية
ويعمل برأيه ، ولم يسافر إلى الأستانة إلا بعد إذنه ، فقد استشار الحزب فخيره
بين مصر والأستانة ، وكان هو يرجح الثانية والحزب يرجح الأولى ، وكان يكتب
من الأستانة إلى رئيس الحزب كل ما يدور هناك فى مسألة إعطاء العرب حقوقهم
من الإصلاح والوظائف ، ويكتب إلى صديقه (كاتب هنا) مثل ذلك ، وما وراء
ذلك ما كان يكتبه من البعض أو من كل أحد كما يعلم من كتابه المطول الآتى .
كان من فضائل الزهراوى الشخصية التى تمد هيوباً فى السياسيين أنه لحسن
نيتة وصفاء سريرته يبالغ فى حسن الظن بكل أحد يظهر له إرادة الخير والحق ،
فلما قال له الاتحاديون أنهم يترفون بما كان من خطابهم فى تغيير العرب منهم وفى
محاولتهم تترك جمع العناصر العثمانية وأنهم يرغبون فى إصلاح ما أفسدوا فى ذلك
لثواب تجديد قوة الدولة عليه - صدقهم فى ذلك لأنه مقبول عنده ، وعهد توجبهم
منصب الاعيان إليه على ما كان من شدة معارضته لهم برهاناً على صدقهم ، وصار يرى
أنه ينبغى لطلاب الإصلاح المخلصين أن يمدوا أيديهم إليهم ويساعدوهم على الإصلاح ،
وأنهم إذا أحجموا حل محلهم المنافقون وطلاب المنافع ، وكان معافاً مع صاحبه
عبد الكريم الظهلى على ذهاب صاحب المنار ورفيق بك المظم إلى الأستانة لهذا
الغرض . أما أنا فكان يغلب على ظنى أن جعله من الاعيان أحبولة يريدون بها
اصطياد المخلصين من طلاب الإصلاح فى خارج المملكة ليفتكروا بهم بعد جلبهم
إليهم جملة واحدة ، وأن وجوده وحده هناك واق له ، وفيه فوائد منها أنه تجربة
للإتحاديين وحمية عليهم

قبل منصب الاعيان بتلك النية الصالحة من غير مشاركة للحزب ولا لأحد
من أصدقائه ، وإنما أخبرنا بما كان وبنيتة فيه ، فلما على تعجبه ، ولكن الحزب
أجاز عمله ، واتفق الرأى على أن يضى فى هذه التجربة ، وأن لا ينضم إليه أحد
من المتبين خارج المملكة ، وكان أول ما كتبه إلى فى ذلك قوله من كتاب مؤرخ
فى ٦ صفر سنة ١٣٢٢ (٦ يناير سنة ١٩١٤) ما نصه :

وأخوكم عبيد بنون الله وهما بنو مجلس الاعيان فبشررتى بأنكم راضون

عن قبولي بها ، والله يشهد إنني إنما قبلت لاتمام العمل وتاملون قلة الرجال عندنا
يا أخي ، يفترض بمض المسجلين فالامر في هذا متروك لخطكتكم وحميتكم . بل أرى
ان تقديم شكر للصدارة يكون مؤيداً لاتمام العمل ، ومن الله سبحانه التوفيق »

وقد كتب الى الحزب بنحو هذا فأجيب طلبه لان فرض الحزب الاصلاح
لا المشاغبة ولاعداوة الثرولة ، ولكن لم يكن يحسن الظن بالأتهاديين أحد وقد دار
بيننا وبين هذا الصديق في هذه المسألة وما يتعلق بها مكاتبات ومكاتبات لم تخل
من عدة مفاضيات ، واتي انشر الآن منها كتابا مطولا كعبه في ١٦ صفر سنة ١٣٣٢
وكتب في أعلاه مكتوم كله عن كل أحد ، وهذا نصه بمد العنوان

﴿ كتاب سرى من السيد الزهراوي ﴾

سهي الأخ الرشيد الولي الحميم الحميد

تحية من الله ومن أخيك ولا برحت المكرمات تحببك لقد عظم شوقى إليها
الأخ ومضت الايام وأنا أمني النفس بقرب التلاقي وما زلت راجياً ذلك
يظهر يا عزيزي أن هتبك على تأخري هنا عظيم عرفت هذا من كتابك
الى الاخ الأستاذ . . . ويظهر أن قطعك الكتاب عنى عمد ، استنبطت هذا
من طول مدة القطع ، وقد حملت هذا على كثرة عمالك التي أهرقها ، ثم تذكرت
ما عهد من وفرة نشاطك والحمد لله ، وأن كثرة عمالك مع تلك الوفرة من النشاط
لا تنفق في سبيل ما تزم عليه ، فاستنتجت من هذا التماس - سبحانه الله - على رأى
ابن حزم - أنك تمتدت عدم الازم في الكتابة أو هزمت على عدم الكتابة
وقد ظهرت هنا شائمة أن اللامر كزيبين في مصر مشتمزون من بقائى هنا ، وأنهم
قطعوا علاقهم بي ومكلا بهم لي ، أنا لم أصدق هذه الشائمة وإنما خشيت أن يكون
بعض الجوابين هناك بصرح نمة مثل هذه التصريحات وكدت أخشى أن يكون
. . . مثلاً قد شاهد شيئاً من تأفكم لتأخري فبني على مشاهدته كلاماً كعبه
الى بعض معارفه هنا فشطر ههنا وخس

هذه كلها ظنون واستغفر الله تعالى منها ، وأرجوكم مسامحتي عليها ، ومن الشرح

يظهر لكم سر تقديمها بين يدي هذه التفاصيل المهمة التي جاء أوانها :

كنت قد فصلت لكم إذ جئت باريس كيف وجدت أمر مؤسسى فكرة المؤتمر فوضى وكيف تعبنا فى ستر الأمر وإيجاد المؤتمر مرونا بتوفيق من الله تعالى فوق الأموال، وبعد انقضاء المؤتمر تفرق الجمع الذى لفق تليفياً، ثم بمد قليل نقد صبر البهراء توين فذهبوا إلى بلادهم عن طريق استانبول، وبقية يعزبى وحدى أمثل الفكرة، وبقى خليل زينية وأيوب ثابت وهما لمبرشفا من مشرب الجامعة العربية ولا تطرة واحدة، حتى ولا من الجامعة السورية، وإنماهما بيروت وحدها لاشريك لها ولكن لأنها مقامان سايرانى وسابرتها وتوادينا جيداً حتى سفرى، ولم يكن مثل هذا القواد ولا ربه بينهما وبين رقتهم البيرونيين المسلمين

لو عجبت تلك الأيام ورجعت على الفور إلى مصر لبعثت المسألة مقطوعه ببراءة، إذا يكثر استهزاء الأفراد والجماعات والأقوام بأشخاصنا وجماعتنا وقومنا، لكن الله سبحانه سلم من هذا، وأقدرنى على الصبر هناك ممثلاً للفكرة مدة خمسة أشهر - وما هى بالقليلة ولا بالكثيرة - ونهت المدة كانت، وقفت فيها على كثير، وعظم فيها اختبارى لأوربا، وما أحوجنا إلى مثل هذا الاختبار - جئت بمد ذلك إلى استانبول لأرى ما جد فيها لان المعرفة بالتقديم لا تنفى، والمعرفة عن بمد كثير من ما أخذها فهم صحيح، وما أضر العلم المبني على ماخذ غير صحيح

بمد وصولى بقليل عرفت كثيراً من الاحوال الحاضرة هنا، وبمد مدة أخرى عرفت اكثر وكدت أظننى الكفوية وأحطت كل الاحاطة ولكن الآن تبين لى أنه لولا الصبر والتأنى الانسان مكفى الفاطر سبحانه منهما الرجعت بمعرفة غير كافية ولذلك أصبحت لا أجسر أن أقول نمت إحاطتى وإنما أقول أصبحت يجوز لى أن أفصل وأشرح بشئ من العلم ندينه، وان تأخير هذا التفصيل والشرح كان أنفع وجاء اليوم فى وقته.

الشرح هنا يتعلق بثلاثة مواضع (أو موضوعات) (١) أوربا والمانية (٢) الاتحاديون وغيرهم (٣) رجال الاصلاح الحقيقى وأبناء العرب هنا وفى الجهات الأخرى. وانى أبدأ لكم بالاول نقصر البحث فيه وأشفع بانثانى وأخرت الثالث لطوله وطولته اتوقف التفاهم وكثير من أعمالنا على الاحاطة بهذه الحقائق المشروحة نيه (أوربا والمانية) لقد كشفت أوربا آخر سقار من ستر السياسة فى المسألة

العثمانية وقررت التداخل في سائر شئونها وإنما لا يزالون مختلفين بعض الاختلاف في كيفية هذا التداخل وكيفية وصورة توزيعه فيما بينهم ، وليس في أوروبا اليوم موضوع مقدم على هذا الموضوع ، ولا بمعنى ثلاثة أشهر حتى تهبط الياالي فذلك ذلك الشكل الجديد الذي يتفقون عليه ، والذي أظنه ان الدولة ستبقى بعد ذلك وتعيش أحسن مما كانت هائشة لأن بعض التداخل طب واست مغالياً إذا ذهبت إلى أن الموت أقرب إليها مع هدم التداخل البقية منه مع شيء من ذلك ، فاننا إذا قلنا بدم التداخل البقية فينشد تخلق كل واحدة سبباً لانشاب الحرب عليها فتؤخذ بداء السكته دفعة واحدة .

الاتحاديون وغيرهم : الاتحاديون معروفون فمن غيرهم ؟ لا يوجد الآن حزب سياسي آخر إلا أن يكون خفياً ولم أشم شيئاً من هذا ، وحينئذ لا نجد مقابل الاتحاديين إلا جماعات الأجناس كجماعات الروم وجماعات الأرمن وجماعات العرب فمرف أن لروم جماعات وللأرمن جماعات فهل للعرب مثل هذا ؟ هل ننظر : أولاً - الروم كلهم جماعة واحدة يرأسهم البطارك ولكيلا يستبد رباطوه بهجسين روحاني وجسماني ، وهكذا الأرمن ، أما العرب فليس لهم مثل ذلك وثانها الروم والأرمن لهم جماعات سياسية منظمة مرتبة غنية وليس للعرب مثل ذلك ، اللهم إلا جماعتنا في مصر وجماعتنا في بيروت ، إذن غير الاتحاديين هم الروم والأرمن وجماعتنا في مصر وجماعتنا في بيروت .

فالاتحاديون هم أولياء الأمر مباشرة وهم اليوم يتسلحون بمزائم شديدة ماضية وناوون نية قاطمة أن يجددوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف ، ويشعرون أن يخلص اليهم العرب ويساعدوا فضلاً عن في هذا السبيل ، ويمترفون بخصميتهم الماضية وينوون أن لا يعودوا إلى مثلها بقدر الامكان ، أنا مؤمن بنيتهم وأقولهم هذه كل الايمان لأدلة كثيرة ظهرت لي ، والسكنى صرنا من جهة قابليتهم لتطبيق العمل على النية ، وعلى كل حال أرى أن عدم تركهم وعدم خسر من تركهم ، ويرجى به أن تقوى قابليتهم ، فان شئتم أن نخطبوني بتحصين الطان إلى هذه الدرجة - كما أشرتم إلى ذلك في كتاب ... فان لا أخطبكم بالمحطنة لأن أجل رأيكم أكثر

من رأي ، وإنما أرجو أن يكون في خطأي شيء من البركة ، أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه « فمسي أن تكروهوا شيئاً ويحمله الله فيه خيراً كثيراً » .
 هذا وصف الاتحاديين بما هم عليه اليوم . أما الروم فقد قلوا في المملكة وقصارا ثم أن يحافظوا على ما بيدهم من امتيازات البطر كية وحق المبعوثية وسبق الالتمات إليهم ، وأما الأرمن فهم اليوم آلة بيد روسية وسيتم لهم في المبعوثية حظ قريب مما يملكون ، وأما نحن معشر العرب فإن أحوالنا الآن يعتبر ممثل جماعتنا وقد فصلت ما تم علي يدي في الكتاب الذي أرسلته إلى الاخ الرفيق في البريد المفاني وههنا سأزيد

(٢) رجال الإصلاح الحقيقي وأبناء العرب هنا وفي الجهات الأخرى :

مأظنكم .. استغفر الله .. ما أعتقد أنكم في حاجة إلى بيان أن رجال الإصلاح الحقيقيين غير كثيرين ، وما أعتقد أنكم تعرفون منهم أكثر من ثلاثة أربعة ، أعني رجال الإصلاح الحقيقيين من جموع في موضوع الإصلاح بين صدق النظر وصدق العمل ، من كثرت تجاربهم ومررت رويتهم وصحت عزيمتهم وشهد ما ضيقتهم من كثر اختلافهم بمختلف الطبقات ، ووقوفهم على متباين النزعات ، وصبرهم على متنوع العقبات ، من استرجعت روحهم بحسب النظام الذي يحبه الله وكره الفساد الذي يكرهه الله واسترجعت سيرتهم بأخبار مما مع الجهاد الإصلاحى . من اشربت أفكارهم فهم معنى الرابطة وأقصدتهم بحبها وتمسكها . فنحن لقاها هؤلاء واقفون أمام حاجتين عظيمين - الحاجة إلى تكثيرهم ، والحاجة إلى اشتغال هؤلاء مع من ليس من جنسهم وطبيعتهم . ثم نحن مع قلنتهم وصعوبة اشتغالهم مع غيرهم أمام مشكلتين عظيمين ، الأول السبات الذي الأمة فيه والثاني الجشم الذي أوربا فيه .
 أترك تفصيل هذا الاجمال لحكمتكم وحسبناهي في كل موضوع ، وأخذ الآن بحكاية حال أبناء العرب هنا لأنكم علقتم الأمل مرارا على صنف منهم ههنا

العرب هنا ثلاثة أصناف : متاجرون ومنتعلون وما مورون ، فالصنف الاول لاني الغير ولا في النفي من جهة السياسة والإصلاح ، ثم هو في غاية القلة ، والصنف الثاني أولاد في ماشئة العمر لا يلقون للسياسة ولا تليق لهم ، والصنف الثالث أربعة

اقسام الضباط والمأمورون المنصوبون فى بعض الوظائف والمأمورون المتقاعدون المقيمون هنا والمأمورون المعزولون الذين جاءوا لينصبوا :

فأما الضباط فلا تجربة لهم فى هذه المسالك البتة والاولى عدم دخولهم فيها فان هذه التجربة القليلة التى ساقصها الان زهدت فى كل سياسة يشترك فيها الضباط منا: ذلك أن... ناظم اليوم على الحكومة فيستهدى لاجل هذا عزة الدولة ونسبها نسفاً، وهو لاجل ذلك ناظم على ائتلافنا مع الحكومة ومضاد له لانه على زعمه يؤخر حركات العرب، ولا أدري ما هى حركات العرب وأين تسير وأين ترسى وهذا يجتهد أن يجمع حوله بعض أولئك الاولاد وينفرهم منا ومن صديقنا ولكن لا ينجح بحوله تعالى، ومن جهة أخرى هو يحافظ على ظاهر الصداقة بيننا، وقد أردت اختباره فوجدته ينجح إلى مصالحة أولياء الأمور وحينئذ يرضى من كل شىء فانظر يا عزيزى الى الذين يهدون أنفسهم فى مصاف رجالنا .

أما المأمورون المتقاعدون فمثلهم كمثل المعجزة لا يرضين شىء ولا يستطعن عمل شىء.. وأما المأمورون المنصوبون فلا هم لهم الاحتفاظ بالمنصب

وأما طلاب المأموريات فبإيعاق مساكين لا يفهمون من الاصلاح الامور المأمورية، إن جاءت فقد جاء الاصلاح وإن لم تجيء فقد منع الاصلاح ومن هذا التفصيل يظهر لك أن العاصمة فى حالتها الحاضرة ليس فيها أبناء عرب تستطيع جهافتنا أن نعتد على أحد منهم، أو أن تشمل صلة ورابطة مع أحد منهم، اللهم الا أن يكون (فلان و فلان) وكل ما أخبركم منه (فلان) فهو مراب ببيعة جاءه أخوكم الظمان فلم يجده شيئاً. وبعض أولئك الاولاد يحسدون الشاب عبد الكريم وبعضهم لم يتمكن من انالتهم أرباباً لا يهيم أو أخيهم أو ابن مهمم مثلاً، فن هنا أكثروا عليه من قيل وقال وكله هراء وهواء

وأما العرب فى الجهات الأخرى فهم أهل سورية وأهل العراق وأهل الجزيرة الخالص فالسوريون والعراقيون حضر قد انقوا الذل وتعودوا الاستخذاء والاستكانة لا يفهمون ولا يريدون أن يفهموا، لا يساعدون ولا ينوون أن يساعدوا، الا يهبون ولا يروق لهم أن يوفظوا. وأما أهل الجزيرة الخالص فهم الاهل وقاهم الله الخير

١٨٠ طلب الزهراوى تضييقنا له في اقامته بالاستقانة (المنار: ج ٣٣ ١٩)

وتد سوا عدم، اولئك يجب وصل الرابطة بهم من غير أن نقطعها من الحضرة على قلة
فنائهم . وقد ثبت من كقاب الأخ (فلان) كثر او استنبطت كثر او لو كان في وسع
البشر أن تتوزع ارواحهم على أمكنة متعددة لكانت روحى أوزاعا على اليمن وعسير
والحجاز ونجد وحضرة موت ولكن نظرية الصوفية في هذا الباب لا يمكن تطبيقها (١)
أنظر يا عزيزى أنا لازم هناك كما تشير ولازم الى هنا فان هنا محل عمل ليس
بقليل ، فاني أرجو أن يكثر بوجودى هنا عدد رجالنا الذين يعتمد عليهم فان رضيت
من هذا الرأى فمليك هملان ممحلان وعمل يمشى مع الزمان وأنا معك فمسه على
بند المقر ، فالاول من المجملين تبشيري بملفراف عن رضائك خاصة وهو الامم ،
ورضاء الرفاق هامة وهو مهم ، والثانى منهما حلك الرفاق على تقديم تلفراف للصدارة
يحبذون فيه هذا التعميم ويحملونه دليل إقدامهم على تنفيذ الرغائب كلها بعبارة
رتيقة تشويقية ، أما الثالث فهو ما بيننا من أمر إيجاد الرجال الذين يعتمد عليهم
وتوزعهم بقدر ما يساعد الزمان والمكان لبث الاصلاح العلمى والعملى
وإن لم ترض من هذا الرأى فاكعب الى مفصلا ومبيننا كل جهة من جهات
الموضوع ، وأنا من عهدت من يدع رأيه أخيرا الى رأى وليه . . .

هذه هي الخلاصة المفصلة وإليك خلاصة الخلاصة ، وهي أن اليأس لا يجوز
بها من الاحوال ، ولكن الأمة في كل أطرافها ليست بحالة يعتمد عليها في شيء
وأنه مع هذا لا يجوز اهمالها ، وكذا لا يجوز اهمال من يهدم أمر المملكة وتركهم
وعدم ، وأنه لا بد لنا من رجال ههنا ، وأن أكثر ما يقصر به الرواة من الاختبار
غير صحيح ، وإنى منتظر أصركم بسرعة ، وأن شه فى عظيم

والسلام على الأخ السيد صالح وجميع المعارف سلم الله تعالى الجميع ؟

عبد الحميد الزهراوى

(١) كنت كتبت الى الأخ الذى أشار اليه ثم اليه هو أن عرب الجزيرة هم صنفوة
العرب وأهملهم استعداداً فان كان هناك اصلاح عربى فيجب أن يكون لهم حظهم ، وأن
تنتهى بشأنهم أكثر من غيرهم

(المنار) من هذا الكتاب وكتب أنفري يمعناه يعلم رأى الرجل الذي يتى عليه
ابتهاديه ، ومنه أنه مؤمن بحسن نية الاتحاديين ، وثنيتهم الاتفاق مع العرب ، وبهذا
كان يحاول إقناعنا ، ولم يكن يخفي هذا على الاتحاديين ، ولذلك نجزم بأنهم قلوه لأنه
من أنجب نجباء العرب لا لذنوب آخر (والله عزير ذو انتقام)

وإنما نشرت هذا الكتاب السرى من كتبه بنصبه فلم أحذف منه إلا أسماء
الأحياء ليكون حجة على فريقين من الناس - فريق الذين قد يظنون أن
الاتحاديين ما قتلوا مثل هذا السيد الجليل بمد أن رفوه إلى مقام الأعيان إلا
لأنهم عرفوا له ذنباً كبيراً كأنه كان له لدولة أو لجمعية المتصرفه في الدولة . وفريق
الذين ظنوا أنه خان قومه العرب بتركه الدفاع عن حقوقهم بمنصب الأعيان الذي
رشاه به الاتحاديون ، وإنما يتم ظهور هذه الحجة ، ببيان ما كان بينى وبين هذا
الصدق الصديق من الصلة والرابطة

يرى قارىء كتابه أنه قال لي فيه عن نفسه « وأنا من هدت من يدع رأيه
أخيراً إلى رأى ولله » وقد أشرت إلى هذه الكلمة في المقدمة التي قدمتها على هذا
الكتاب وأقول إنه يعنى بهذا اننى إذا حتمت بعد المناقشة معه في الموضوع وجوب
تركه لمنصب الأعيان واشتغاله بعمل آخر في غير الاستغناء فانه يقبل ذلك .

وقد كانت طريقتنا فيما يختلف رأينا فيه أن يدلى كل منا بحجته ، فن نهضت
منا حجته قبلها الآخر ، فاذا لم ترجح إحدى الحجتين وكانت المسألة مما يترقب عليها
عمل يرجع هو في العمل إلى رأى أخيه . ويدل على مكانة هذا الاخ عنده جملة
ورضاه عنه في هذا الامر أهم من رضاه الحزب الذي كان سبب ذلك ، وهو صادق
في قوله هذا وقوله ذاك لا ريب عندي في صدقه ، وما قلت هذا في بيان كلمته إلا
ليعلم المطلع عليه أن الرجل لو كان يكذب ويخدع لم يكن يكذب على ولا يخدعنى ،
ولو كان يفعل ذلك لمحاول إرضائى بأنه يامل الاتحاديين ، مثل ما ياملوننا به من
الخلابة السياسية ليستفيد منهم في طور ضعفهم وحاجتهم إلى استرضاء العرب بمض
النفوسى ، وما كان يكذب على - وهو معتقد اننى ساخط عليه ، ومعتمد ترك
الكتاب لهم - انه مؤمن بحسن نية الاتحاديين وصدقهم في هذه المرة ، ولكنه كتب

هذا وهو يعلم أننى أعدته سداجة منه وغلوا فى حسن الظن
وأزيد على هذا اننى عاتبته على بعض ما جاء فى هذا الكتاب وغيره عتاباً ثقيلاً
جاءت فوه كلمة جارحة فكتب إلى رقة أودعها كتاباً له قال فيها مانعه :
« كلمات بيننا »

« فى كتابكم الأول كلمة لا أكنم عنكم أنها كسرت قلبي ، إذ لو كنت هذا
لكان خيانة للاخاء النظيف الصافي ، ذلك أنكم بنيت على نظرية إغراقى بحسن الظن
بالقوم أن هواء الاستغناء طمس على عقلى وقلبي
« أخوكم يعزبى قد عرفتموه بعد أن كان عاش فى هذا البار سنين ، وعرفتموه
فى الاستغناء نفسها ، فلولا ذلك لرجعت الى نفسى لأرى تغافل أثر البوسفور فيها
« ولكن كما لم أكنمكم هذه الحقيقة أنحدث أمامكم بما من الله تعالى به من حل
حديثكم للقلوب هذه على ما يشبهها من حديثكم اللسانية التى نأفس بها أنفسنا بجلدكم
الذى هو أغلب وأصدق دلالة على كرم قلبكم . على اننى أؤكد بشرفكم أن انكسار
القلب الذى أشرت اليه كان آتياً وأعقبه تذكر حقيقةكم العالية . أما تأخروا كتبنا
فقد كان عاماً حتى شمل الوالد ، فلا نحملوه على ذلك السب ولكن أبى كرمكم إلا
يطوب القلب فأخصكم بشكر على هذا » اه

فن كان بينهما مثل هذه الحريه فى الخطاب والعقاب لا يفس أحدهما الآخر
لو كان من دأبهما النفس . وأحمد الله تعالى اننى لم أبتل بهذه الرذيلة ، واننى أبرئ
منها صدق الشهد السعيد كما أبرئ نفسى .

هذا واننى لم أكف بما دار بينى وبينه قدس الله روحه من المكاتبات فى هذه
المسألة بل دهوته إلى زيارتنا بمصر فأجاب ، وكنت أهدم معه مجلسين لمدتشة فى
كل يوم وليلة : مجلساً قبل النوم ومجلساً فى الصباح . فرأيت بعد ذلك كله معتقداً
أن الانحاديين هازسون على إرضاء العرب ، وأنه يجب مسابرة المقلاء منا لهم على
ذلك ، واننا ننال بهذا من الحقوق ما لا يرجى أن نناله بالسعى مع محافظتهم
وقد وافقته على بقاءه فى منصب الاعمان والاسعمرار على هذا السبب لانه إما
أن ينفذ وإما أن لا يضر

المشانق في سورية - شفق الزهراوي

جاء في جريدة الأهرام تحت هذا العنوان مانصه :

تلقت المقتنيات التي يوثق بروايتها أن الشهيد عبد الحميد الزهراوي حوكم في دمشق أمام المجلس العسكري فحكم عليه بالموت شنقا فشنق . ولربما خفف من لوعة الآسى عليه شفق من تقدموه من هطاء الأمة السورية وأمراء المسلمين على وجه التخصيص كالأمير عمر الجزائري ابن الأمير عبد القادر وشفق بك المؤيد من أكبر رجال سورية ورشدي بك الشمة من صفوة أعيانها وشكري بك المسلي وعبد الوهاب بك وعبد المحمدي وسليم بك الجزائري وعبد الغني العريسي الخ ولكن الزهراوي كان يمثل طائفة خالية وفكرة نابذة وحياة جديدة تتراوح بين طائفة هلاء الدين الاسلامي وغيرها من الطوائف الراقية، والبحث في شؤون طائفة الزهراوي في سورية وبلاد العرب من المباحث الخطيرة الجليلة التي تبين الصلة بين الماضي والحاضر والقديم والحديث ، بل تظهر التدرج الذي كان ينظر على يد أولئك الذين أزهقت الجبال أرواحهم ، وأودت بعمالهم وعلمهم ، وأماتت غيرهم قبل أن ينبت وبما نبت منه قبل أن يزهر ويشمر

فالمسلمون في سوريا تأخروا عن إخوانهم النصارى واليهود والدروز في طلب العلم . لأن القدماء من أكابرهم وأغنيائهم كانوا يعتقدون أن طلب العلم إنما يراد لطلب الرزق ، والوجيه الكبير المتوافر رزقه كان يعد من العار هلى أبنائه أن يطلبوا العلم للارتزاق « من شق القهصبة » وضاعف في ذلك أن المدارس كلها كانت نصرانية ، إما للأجانب وإما للمسيحيين الذين تأدبوا بأداب الأوربيين فحدثوا حذوهم وساروا في العلم سبيلهم . وقد لقيت هذه الفكرة تشجيعا من الحكومة بل ربما غرست الحكومة نفسها هذه الفكرة في الصدور حتى ينظر المسلمون على حالهم فلا يظنون إصلاحا ولا يظالبون بحق ، وليس للمسيحيين وسواهم ممن يتعلمون تأثير أو نفوذ لأنهم الأقلية ، ولهذا السبب لم يتمتع أحد من أبناء مسلمي سورية بذلك الانعام الذي أنعم به إبراهيم باشا بن محمد علي باشا على لبنان وسورية بأن يعلم طائفة

منهم في مدارس مصر العالية، وانحصرت تلك النعمة حتى ههد الاحتفال بأبناء
المسيحيين السوريين وخدم
وظلت الحال على هذا المنوال ولا مدارس ولا مكاتب للمسلمين في سورية
حتى ان دخل أوقاف المدارس والمكاتب فيها كان يجبي للأسفانه إلى أن زاد
احفالك القوم بالأوربيين ورأوا بأهولهم ومساوا بأيديهم فائدة التعليم فطلبوا لا ينأهم
إما في مدارس الأجانب في بلادهم، وإما في مدارس الأسفانه، حتى ان بعض طلبة
القوم الدينيه سبوا إلى ذلك سوام أو ماشوم في هذا السبيل ولكن على غير رغبة
الحكومة وإرادتها، فكانت تسبغ النعم على من يذم العلم وعلما الأجانب كالشيخ
النبهاني الشهير بدم مدارس النصارى.

ومن هؤلاء الطلبة الدينيين السيد عبد الحميد الزهراوي من أشرف حصص
وسلالة بيوتها الكبيرة. بدأ علمه في بلده وأتمه في الأسفانه، وتعلم هناك من
السطاء الترك الاهتمام بالشؤون السياسي والاجتماعي، فكان أول ظهوره برسالة
ألقاها في المعتقد الديني لم ترق في هون مشايخ الطرق، فسماوا به إلى السلطان عبد
الحميد حتى نفاه وأقصاه إلى دمشق^(١) ولكن الوسطاء توسطوا له - وكان الظلم
في ذلك العهد يدفع بالوساطة خلافا لما نراه اليوم - فتركه حراً، وأطلقه من كل
يد، فعاد السيد الزهراوي إلى الأسفانه واشترك بالمظاهرة الودية التي قام بها فريق
من العلماء والكتاب أمام السفارة الانكليزية بعد انتصار الانكليز على البوير
في الترנסفال فلم يفر له ولرفاقه السلطان عبد الحميد تلك المظاهرة لالانهم عنأوا
انكثرا بنصرها، بل لانهم مثلوا الأمة العمانية والشعب ولم يكن يفضيه أمر كذا
الامر، حتى أنزقوا الصحف والمطبوعات (المكتوبية) حذفوا من قواميس اللغة
كلمة (وطن) و (شعب) و (أمة) و (جمهورية) الخ وما شاكل ذلك من الالفاظ،
فصور السلطان على أولئك المتظاهرين مدة ثم فرق شملهم وأرسل كل واحد منهم
إلى جهة إلى أن تمكن السيد الزهراوي من الفرار إلى مصر كما فر قبله السيد عبد
الرحمن السكاكبي وكل حر في تلك البلاد من هربي وتركى وغيرهم

وبما تمتاز الزهراوي وأمثاله من رجال الدين المصلحين على سواهم من المسلمين أنهم غير صفة بين طوائف الشعب وفرقة فهم يخدمون العقائد المقدسة لكل طائفة وهم في الوقت ذاته يؤيدون المصلحين في اصلاحهم، فقد كانت طائفة الامم العربية في سوريا تجمع المشور والنذور وترسلها الى أغانخان في الهندلان معقدها ومنهجها بتقضى عليها بذلك، فحدث بعد إعلان الدستور ان هذه الطائفة الصغيرة جمعت ما تبلغ قيمته نحو عشرة آلاف ليرة فصادرتها الحكومة ولكن السيد الزهراوي الذي كان يومئذ من أعضاء مجلس النواب انتصر لتلك الطائفة وقام الحكومة وجاهد في هذا السبيل حتى قرر مجلس النواب أن تنفق تلك الاموال في تعليم تلك الطائفة ولا تصادر خزانة الحكومة كما فعلت وزارة الداخلية ولكن القرار لم يعبر عن الورق وكان السيد الزهراوي يقول بأتماد الطوائف العربية يعامل اللغة والمنفعة والاصل والسلالة فأنشأ جريدة المنارة لهذا الغرض، وكان من محرري جريدته رزق افندي سلوم الذي شفق في دمشق وهو فتى من حمص كان قد تهرب ولكنه خلع ثوب الرهينة وسار على آثار مواطنه بجمعة ووجد الاثنان كليهما في هذا السبيل فكانت لسانين دينيين على دهوة واحدة وطنية وكان الزهراوي ككثير اذيب في بلاده اتحاديا يمتد على مذهب الاتحاديين الاولين الذين قالوا الدستور « للاتحاد والتمزيق والفتنة » ولكن لما ذهب أولئك الاتحاديون الأولون ومزق شملهم وخولقت مبادئهم ومذاهبهم اتفق مع الخوجبة شكري أفندي الذي توفي في مصر منذ عهد قريب على تأليف حزب الاهالي، ثم ضمت الفرق كلها وأنت منها حزب الائتلاف على قواعد ومذاهب فرقة الاتحاد والتمزيق كما كانت هي عهد زمامة صادق بك واخوانه وأقرانه، إلى أن فشلوا في مهمتهم، فوجه نظره شطر العرب حيث لا أحزاب ولا فرق بل مطالب اصلاحية فاهدتها انتفاع البلاد بما يجبي منها من الضرائب وبواقفها، فرأس المؤتمر العربي الذي عقد في باريس - لأنه لم يسمح لهم بمقده في بلاد الدولة - وهناك كتب الوثيقة المشهورة مع مندوبي الاتحاديين وعاد الى الاسكندرية مع رسول الاتحاديين هبة الكريم تاسم الخليل الذي كان أول المنشورين في سوريا والهادي الذي تلاه والشيخ أحمد طباره الذي حكم عليه بالاعدام، فبين الزهراوي

في مجلس الأعيان إلى أن شنق

وبما امتاز به هؤلاء جميعاً شدة عصبونهم العربية ، وشدة عصبونهم الجفسيية
العثمانية ، حتى كان الزهراوي يقول عند ذكر مطمع دولة من الدول في أملاك
الدولة العثمانية « ان هذا ينال منا بعد أن تزهرق أرواحنا » وله في ذلك مغاضبات
شديدة مع أصدق أصدقائه (الصواب مع بعض معارفه لا أصدق أصدقائه)
فقال هذا لا تأبيناً للشهد الزهراوي بل بياناً للحقيقة عن تلك البلاد وأهلها
ومبول زعمائها الذين ذهبوا جملة لاجربة إلا أنهم طلبوا إصلاحاً يقيمهم البلاد واتقاء
مطامع الطامعين في أرضهم وبلادهم ، حتى أن الشيخ أحمد طباره لما عاد من أوروبا
غير منزعج سواسته وبعد أن كان يتمعض لذكر المدينة الأوربية أخذ يكتب ويبحث
أمنه على الانتباس من محاسنها فكان يكرر قوله : « إنا لانقد بلادنا ووطننا إلا
بالسير على مناهجهم » تلك طائفة ذهبت اليوم ولاكن هذه الطائفة مذاهب ومبادئه
إذا بقي في قومها وعشيرتها من يحبها ويعمل بها قد تكون نتيجهتها خيراً وإلا فقد ذهبت
الرؤوس وبقي القوم كالقطيع من الأغنام بدون راع تساق فتسهر إلى حيث يراد منها
لا إلى حيث تريد لأنها بعد قطع رؤوسها باتت بلا إرادة

(المنار)

هذا ما نشر في جريدة الأهرام عند وصول نبأ شنق السيد الزهراوي إلى مصر
وفي بعضه نظر أو إبهام ، تختلف فيه الافهام ، وقد رأينا من حق صدقنا رفيق
رزق سلام الذي ذكرته الأهرام في كلامها عن السيد الزهراوي أن تقول في
نشأته كلمة وجيزة تحفظ في تاريخه ويظهر بها سبب شفته وشنق جورج الحداد من
شبان نصارى سوريه مع من شنق من زعماء المسلمين ونايغتهم بنهمة للسياسة العربية

﴿ رفيق رزق سلام المحامي ﴾

نبت هذا الفتى في بيت من أكرم بيوت الروم الأرثوذكس في حصص وتانيق
التعليم الابتدائي في إحدى مدارس الطائفة فيها ، ثم أرسل إلى دير البلند بالكورة
(لبنان) فألبس لباس خدمة الدين ودخل مدرسة الدير الدينية ولكنه لم يخلق

مستعداً للرهبانية والخدمة الكنيسية ، وإنما خاق كبير الاستعداد للحياة الاجتماعية السياسية ، فلم يتم مدة المدرسة بل خرج منها ودخل المدرسة الكاثوليكية الأمريكية في بيروت ، ثم سافر إلى الآستانة بعد الانقلاب العثماني فدخل أحد مدارسها الإعدادية ثم مدرسة الحقوق وقد أخذ الشهادة الدراسة منها واختار أن يكون محامياً

كان رفيقاً مرابطاً وتلهذا الزهراوي في أفكاره الاجتماعية ، فاشهره فعلم منه وهو أنبغ رجل من أشرف بيت في حصص أن في مسلمي البلاد فئة تسمى للإصلاح الوطني سمياً لاشائبة فيه للمصيبات والاحتقاد الدينية ، ولما جاء الاستانة بمساعدة الزهراوي رأى جميع طلبة المدارس الرسمية العالية وكانهم من المسلمين على هذا المشرب الذي شرب كأسه الأولى من يد الزهراوي فانتظم في سلك أعضاء المنتدى الأدبي وانتهز وكلاً للرئيس فيه ، وكان حظه من اللغة العربية أوفر من حظوظ جمهور إخوانه أعضاء المنتدى الذين لم يتعلموا شيئاً في غير مدارس الدولة ، فكان خطوباً مفوهاً وشاعراً مؤثراً ، ورغبه السيد الزهراوي في الكتابة إنشأها وترجمه وكان يصصح له ما ينشره في جريدة الحضارة فحذت كتابته

تمكنت النزعة العربية من نفس هذا الشاب المهدب بما كان يسقى غرسها في نفسه مما كان يسمعه من كلام مدرسي الترك وطلابهم في مدارس العاصمة من الحث على المصيبة التركية ، وما يقولون في العرب والعربية ، وما كان يقرأه في جرائدهم وكتبهم ؛ وما يقف عليه من أخبار جماعاتهم ، فكان يقابل غلو متمسبي الترك بمجنون خان وهلاكه خان المفسدين الذين دمروا المدنية العربية الإسلامية بنظم التصائد في مدح النبي العربي الأعظم ﷺ وإنشادها في احتفال المولد النبوي الشريف في المنتدى الأدبي ، فهذا هو السبب الحامل لجمال باشا السفك الانحادي على شفق رفوق رزق معلوم مع السيد الزهراوي وإخوانه وأخذانه من مصلحي العرب ، ولا نعلم له ذنباً إلا هذا ، فإنه قضى حياته السياسية كلها في الآستانة ، وكان على رأى أستاذه الزهراوي في وجوب السعي إلى ترقى العرب في حيز الدولة العثمانية . وكان جورج حداد على هذا المشرب أيضاً . ولكنه كان من أعضاء حزب اللاهركزية ، وكفى بذلك ذنباً هنيئاً جمال باشا بقتضى القتل والصلب

البلاغ الانكليزي اللى سبى

فى شأن العرب والسلطة الاسلامية

أرسل قلم المطبوعات البلاغ الألى الى الجرائد فى القطار المصرى

مصر فى ٢٨ يوليو سنة ١٩١٦

نشر فى لندن اليوم البلاغ التالى :

« منذ سنين والعرب المعبودون بسوء الحكم التركى ينتظرون اليوم الذى يتمكنون فيه من استرجاع حريتهم السابقة وقد قاموا فى الماضى بثورات عديدة ضد الاستبداد التركى فى البلاد العربية

« وقد أدى سوء تصرف الحكومة الحالية فى الآستانه وخضوعها التام لسلطة الالمان الى دخول تركيا مضطرة فى حرب مشؤومة أوصلت الاحوال فيها الى حد النهاية ، فرأى شريف مكة وغيره من الزعماء فى البلاد العربية أن الاوان قد آن نلجع النير التركى من أعنائهم والمناداة باستقلالهم

« وكانت بريطانيا العظمى تعطف دائما على العرب فى أمانهم ولكن صداقتها التقليدية لتركيا اضطررتها فى الماضى الى البقاء على الحياد . أما الآن وقد انصرفت تركيا الى صف الدول الوسطى فقد أصبحت بريطانيا العظمى حرة فى اظهار عطفها هل أولئك الثورت الذين انخرطوا فى جانب الحلفاء ضد العدو المشترك

« على أن بريطانيا العظمى ستبقى محافظة على سياستها الثابتة فى الابتعاد عن أية مداخل فى الشؤون الدينية ، وعلى بذل جهدها فى بقاء الاماكن المقدسة أمينة من كل طارىء خارجى

« ومن النقط التى لاتقبل التغيير والتبديل فى سياسة بريطانيا العظمى

هو أن تبقى هذه الاماكن المقدسة فى أيدي حكومة اسلامية مستقلة

« ولا ينبغي ان أحوال الحرب الحاضرة تلقى العقبات الكثيرة والاضطراب فى

سبيل الراغبين فى القيام بفريضة الحج ولكن العمل الذى قام به شريف مكة يجعل

الامل كبيراً في اتخاذ التدابير اللازمة التي تمكن الحجاج في المستقبل من زيارة الاراضي المقدسة بسلام واطمئنان» اهـ

(المنار) قد أسمعنا العاصمة البريطانية هذة أصوات في المسألة العربية والبلاد الاسلامية المقدسة كان أولها برقية لرونز يؤكد فيها أن انكثرة لا تتوى أن تأخذ شيئاً من بلاد العرب ، ولا تسمح لأحد بالاعتداء على شيء من البلاد الاسلامية المقدسة . ثم دار في هذا المعنى وفي مسألة الخلافة كلام كثير بين أعضاء مجلس الاعوان والنواب ، ولكن لم يكن شيء من ذلك بلاغاً رسمياً في معنى قطعي يوثق بعدم الرجوع عنه كالبلاغ الذي نشرناه اليوم دون جمع ماسبقه مما هو جدير بأن يحفظ أيضاً وإن لم يبلغ درجة هذا البلاغ في الاعتبار

في هذا البلاغ تصریح قلنا يصدر عن دولة ؛ وهو قد صدر عن أدق الدول في تحریر العبارات الرسمية وجعلها مقيدة لغيرها بقيود قلما يستطيع العفلت منها مع بقائها هي في عالم الاطلاق . ألا وهو التصريح بأن من أصول السياسة البريطانية التي لا تقبل التغيير والتبديل بقاء الاماكن الاسلامية المقدسة في يد حكومة إسلامية مسعدة . ومعنى كون هذا لا يقبل التغيير والتبديل أنه متفق عليه من جميع أحزاب الامة لا أتدأ أي الحكومة الحاضرة ؛ أو حزبها - حزب الاحرار - وحده فيكون عرضة للرجوع عنه بتغيير الوزارة أو تحويلها إلى حزب المحافظين . وبهذا التغيير يظهر غلط الذين قالوا إنه لا يوجد في السياسة شيء لا يقبل التغيير والتبديل ؛ فيكون هذا النص لتوا لا معنى له حتى نقرر به . وقول هؤلاء حسبنا أنه لا يتغير ولا يتبدل إلا بتغيير رأي الامة الانكليزية كلها وهي أثبتت الامم وأبظاها لجهراً ونحوها في كل شيء .

على أن أم ما في هذا التصريح فهو لا نصه ، وأعني بخوله اعتراف الدولة البريطانية باستقلال الدولة الاسلامية التي تتصرف على هذه البلاد إذ انزلت سيادة الدولة السنيانية عنها بما ينشئ أن يجعل بها من قدر الله تعالى ؛ فهو يتناول مسألة السلطة الاسلامية في هذه الحالة وهي أم ما بهم جميع مسلمي الارض ، وسنكتب فيها مقالاً نبين فيه ما يسمح لنا الوقت ببيانته إن شاء الله تعالى

الانتقاد على المنار

سيدى الأستاذ محرم « المنار »

اطلعت على دعوتكم الى نقد « المنار » وعلى فاتحة المجلد التاسع عشر فلم يسعنى إلا تحرير هذا الكتاب لفضيلتكم ورائدى الاخلاص وتمضيده ما ينفع الناس .
فأما من نقد « المنار » فحسبى أن أقول إن المجلة التى كادت تبلغ ربع قرن من حياتها لا بد وأن تكون قد جمعت من أسباب الحياة ما فيه الكفاية وإن ما ألم بها أخيراً من العسر المالى الذى يرجع بعضه إلى أزمة الحرب ليس غير مجرد مرض عاوى إذا « ورجع علاجاً ناجماً عادت إلى المجلة نضرتها السابقة ، وعندى أن هذا المرض محصور فى اضطراب إدارة المجلة وفى عدم تشبها مع الزمن بخلاف عاداتها صانف السنين ، ولبيان ذلك أقول ان إدارة المجلة على ما يظهر لى كثرة التساهل مع المشتركين فاني لا أتذكر أنى تلقيت أخيراً من حضرة مدير « المنار » طلباً يدفع الاشتراك كما هى عادة جميع المجلات الراقية عربية كانت أم أجنبية . وقد كنت أباهى بشدة ندقيقى فى حسابى ولكن شواغل الحياة متى تعددت أصابت الانسان بالنسيان وسلبه بعض نظامه مهما يكن يقظاً ، فبت ولا أدري بماذا أدين الحكم . والنقطة التى تنفقونها فى سفول تذكري كل مشترك مرة فى السنة ، ووعدهم بجدد اشتراكه لا يساوى شيئاً فى جنب الفائدة المادية التى يحصلون عليها . ولولا أن هذه الطريقة الادارية ذات نتيجه محسوسة لما استمرت على انبعاثها جميع الصحف المتبعة زد على ما تقدم أن المجلة لا ترسل الى « بانظام وهذا ضار بمصلحتها ، لأنى إذا كنت لا أتردد لحظة فى دفع ما تطلبون إلى دفعه حتى ولو استلمت عدداً واحداً فقط منها فى السنة كما معصداً على جمع بقية الأعداد منكم معى عدت الى القاهرة ، فلا شك عندى أن كثيرين غيرى يتصلون من الدفع بهذه الحجة ففكون خسارتكم حينئذ غير قليلة . هذه نقطة جوهرية يحسن بسيادتكم النظر فيها لأن نظام العمل من أقوى الدعائم لنجاحه .

مباحث المجلة فى تعريفكم ليست لأمره على فلسفه الدين بل هى تشمل أيضاً

شؤون الاجتماع وال عمران ، ولكنكم تلمتطبون ذلك . لا أنكر أنكم أحسنتم كثيراً
بنشر المقالات الصحفية المفيدة التي وضمها الدكتور توفيق صدقي ، كما أن لكم
جولات رائدة في غير مباحث الدين ، ولكني لا أعرف لكم أبواباً ثابتة في كل
عدد سوى باب تفسير القرآن ، بخلاف ما أشاهده في مجلات الدينية المسيحية الراقية التي تصدر
أو «الهلل» وبخلاف ما أشاهده في المجلات الدينية المسيحية الراقية التي تصدر
بالانكليزية ، حتى كأن تلك المجلات الدينية تخوض في كل علم وترى إلى تطبيق
العلم على الدين . ومثل هذا التطبيق في رأى بعض المفكرين تضليل . ولكني
لا أرى ذلك إذا كان المطبق مخلصاً في عمله ، لأن رجل الدين متى اعتقد أن العلم
هو أحد أركان الدين وجب عليه أن يجمع بينهما حتى يخلص المعتقدات الدينية من
خرافات الجهلاء المدعين الذين يتاجرون باسمها أو يبنون شهرتهم الكاذبة على
حسابها ، وقد لاحظ كثير من محاشيكم ايضاح «المنار» بالصورة حتى رسوم من توفوا
من علماء الاسلام فعد ذلك دليلاً على كره الاسلام للتصوير في العصر الحاضر أيضاً
وأما من دار الدعوة والارشاد التي تصدون بها تربية أساندة تهذيب العامة
ونشر المبادئ الأدبية النافعة والقضاء على أباطيل الأولين ، فلا يحاربها رجل بمهية
النظر حتى ولا من أنكر ذات الخالق ، لاني إذا قلت أن الطبقة المتعلمة من الأمة
قد تجردت من تمايمها العالی المبادئ الأدبية الكافية لصيانة أخلاقها ولو كانت غير
مقدنية بدين سماوي ، فيصعب على جداً أن أنصور جواز هذا الحكم على
غامة الناس الذين لا تثمر مبادئ الاتحاد بينهم إلا فوضى أدبية مريضة . فيجب
إذن تمضيده رؤساء الأديان الذين يسيرون بها دائماً إلى الامام وتقدم العلم
والتربية : وإذا عد نفر من الناس أن صلاح العالم هو في القضاء على الأديان فلا
أدرى كم بعد مئات من السنين يتحقق هذا الحلم . فإذا فرضنا أن تحققة في حكم
المستطاع — والناس كثيراً ما يخلفون حتى على البديهيات . وفي خلال كل هذا الزمن
يلبث الدين قرين اللغة من شخصيات الأمة ومظهر من مظاهرها — فخرى بكل
ذی وطنية صحیحه أن یمن النظر فی هذه المسألة الحيوية .

هذا وإني لأذهب من مذهب مكاتبكم الفاضل في خاتمة المجلد السابق بل لا

أثك في حسن مستقبل الشرق ؛ ولكل أمة دور من صعود وهبوط ، ولا خوف
عندي على مثل « المنار » أو « دار الدعوة والارشاد » فلا بد أن يأتي وقت
قريب يعطى فيه خليفة الامام محمد عبده حبه من الانصاف على ماخدم به الأمم
الاسلامية من الارشاد النافع حتى صارت فتاويه مرجع كل مصلح اجماعى جرى .
وبات « تفسير المنار » ممدوداً أعظم تفهيم للقرآن الشريف لجمعه بين علوم السلف
وانطلف ، ولما تضمنه من خلاصة العلوم الحديثة التي يجب أن تكون هدى المفسر
لكتاب يمد قانون الله الذي خلق الكون ودبره . فما العلوم الطبيعية إلا خلاصة
ما وصل اليه العقل الانسانى في درس سنن الكائنات بتدقيق وأمانه . لهذا
كانت تفاسير القرآن التي خطها الجاهلون بهذه العلوم أولى بالتلف منها بالصيانة ،
فأما طار لعلم والدين معاً

فاسمح لى إذا يا سيدي الاستاذ أن أهنيكم على استقبال « المنار » لسنة
جديدة من سنى حياته المباركة ، راجياً أن تكون فاتحة رقى متواصله ونجاح ثابت
ونصرة للفضيلة والآداب

أحمد زكى أبوشادى
(طبيب)

نادى مستشفى سانت جورج
بلندن

(المنار) نشرنا رسالتكم برمتها وان كان موضوع باب الانقضاء على المنار خاصاً
بانقضاء مسائله دون إدارته . ونشكر لكم تهنئتم وثناءكم وكل ما كتبتهم بمداد الاستقلال
والاخلاص ، ولا أنكر ما عرض من الخلل على إدارة المنار ولا سيما إهمال التحصيل ،
وأذكر من سببه خيانة بعض الوكلاء وتربى الاشراف عليها ، وتمدد من تولى
أمرها منذ الانقلاب العثماني الذي فصح لى أبواب الاسفار الى سورية ثم الاسقانة
ثم الهند وعمان والعراق ، والاشغال بمشروع الدعوة والارشاد ، وسعود إلى
الانتظام في هذا العام إن شاء الله تعالى

وأما سبب قلة تنوع موضوعات المنار كتشوع غيره من المجلات فهو أن محرره
واحد له اعمال كثيرة أخرى ومحرروها كثيرون . ولا يتسع هذا الجزء للخوض معكم
في سائر المسائل التي أودتتموها في رسالتكم المفيدة

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

الملك

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستهون بالقول فَيُمَيِّزُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ مَدَّاهُمْ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و «منارا» كشار الطريق

مصر ٣٠ ذي القعدة ١٣٣٤ هـ - الميزان (خ ١) ١٢٩٥ هـ ٢٨ سبتمبر ١٩١٦

مناسك الحج

أحكامه وحكمه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَلَلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ
فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (سورة آل عمران - ٩٦:٣)

إِنَّ الصَّنَاءَ وَالسَّرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ
فَلَا جُمَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا (سورة البقرة ١٥٣:٢)

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعَاوِمَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ. وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا
فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (سورة البقرة ٩٣:٢)

أما بعد حمد الله والصلاة والسلام على خاتم رسله محمد صلى الله عليه
وسلم فيقول محمد رشيد بن علي رضا صاحب مجلة المنار: اتى في شهر ذي
القعدة سنة ١٣٣٤ عزمتم على أداء فريضة الحج في خدمة والدتي، وكنت
أتمنى ذلك منذ سنين ولم يتيسر لي، لوانع بعضها من قبلها وبعضها من
قبلي، وقد خضرت لي قبل السفر من مصر بثلاث ليال أن أكتب شيئاً
مختصراً في أحكام المناسك وحكمها سهل العبارة، مأخوذاً مما صح في
السنة، مع الإشارة إلى أقوى مسائل الخلاف، وأن أطبعه وأوزعه على

من أسافر بصحبته من الحجاج، تعليماً للجاهل، وتذكيراً للغافل، ولكن لم يتيسر لي الشروع فيه إلا في منتصف النهار من اليوم الثاني والعشرين من الشهر — وموعد السفر ٢٤ منه —

✽ الحج والعمرة ✽

الحج أحد أركان الإسلام الخمسة، وهو عبادة بدنية مالية، والصلاة عبادة بدنية فقط وكذلك الصيام، والزكاة عبادة مالية فقط، ومعناه التقصد إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة لاداء النسك فيه وفيما جاوره من الأماكن الشريفة، وهذا نسك منه أركان وواجبات، وسنن مندوبات ومستحبات والعمرة كالحج في أركانه وواجباته وسننه إلا الوقوف بعرفة فإنه ركن من الحج غير مشروع في العمرة، وتكون في أشهره وفي غير أشهره كما سيأتي . وهي واجبة عند بعض أئمة العلم وسنة عند الآخرين ويجوز الجمع بين الحج والعمرة بأن ينويهما ويبي الله تعالى بهما معا عند الاحرام، ويسمى هذا [قرانا] وأن ينوي الحج وحده ويابي به ثم يدخل عليه العمرة، ويسمى [إفرادا] وأن ينوي العمرة وحدها أو مع الحج ثم يتحلل منها بعد أداء أركانها، ثم يحرم بالحج بمكة، ويسمى هذا [تمتعا] لأن صاحبه يتمتع بمد التحلل من احرامه بها بما يتمتع به غير المحرم من لبس الثياب والطيب وغير ذلك من محرّمات الاحرام، وعليه فدية وهي ذبح شاة أو صيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام إذا رجع من الحج أو اطعام ستة مساكين من أوسط طعامه، ككفارة اليمين وزكاة الفطر واختلف علماء السلف والخلف في الأفضل، وأقوى الأقوال في ذلك أن التمتع أفضل مطلقاً أو لمن لم يسق [الهدى] إلى الحرم .

[الهدي] ما يهدى الى الحرم من الانعام ليدبح فيه تقربا الى الله تعالى، فمن ساقه من بلده أو طريقه فالأفضل له القران. وعلى هذا يكون التمتع هو الافضل والايسر لامثالنا - من الحجاج المصريين وغيرهم ممن لا يسوق معه هديا - أن نحرم بالعمرة وحدها أو مع الحج ثم نأتي بأركان العمرة كما يأتي بيانه، ثم نتحلل منها فنستبيح كل ما يباح لغير المحرم، ونذبح شاة حتى اذا كان يوم [التروية] - وهو الذي قبل يوم عرفة - نحرم بالحج من مكة، ولبن أحرم بالحج وحده أو بالحج والعمرة معا أن يتحلل بعمرة ثم يحرم بالحج كذلك

﴿ الاحرام والتلبية ﴾

لكل قطر من الأقطار مكان يسمى [ميقات الاحرام] لا يجوز تجاوزه بغير احرام لحاج ولا لمعتمر، وفي غيرها كقاصد الحرم للتجارة خلاف، فمتى بلغ الميقات أحرم عنده بأن ينوي الحج والعمرة أو أحدهما، ويأبي بما نواه بأن يقول: لبيك اللهم عمرة أو بعمرة، أو لبيك اللهم حجاً، أو لبيك اللهم حجاً وعمرة، أو بحج وعمرة. وتقدم أن الافضل لامثالنا الاحرام بالعمرة فقط. ومن أحرم احراماً مطلقاً قاصداً النسك الذي فرضه الله تعالى في حرمه من حيث الجملة جاهزاً لهذا التفصيل صح احرامه، وعند اداء المناسك يأتي بواحد من الثلاثة التي ذكرناها. والاحرام بالمعنى الذي ذكرناه - وهو نية النسك من حج وعمرة فرض فيهما وهو ركن عند الجمهور وشرط على الراجح عند الحنفية

ويستحب الاغتسال للاحرام ولو لحائض ونفساء، وكذلك التطيب قبله، وأن يكون بعد صلاة إما صلاة فرض واما صلاة تطوع، وأن

يحرم في ثوبين نظيفين— وكونهما أبيضين أفضل— وفي نعلين لا يستران الكعبين، وان يكون أحد الثوبين ازارا يلف على النصف الاسفل من البدن والآخر رداءً يوضع على العاتق ويستر النصف الاعلى منه دون الرأس فان ستره حرام على الرجال. فلا يجوز للمحرم لبس العمامة ولا غيرها مما يوضع على الرأس ولا لبس القميص والقباء (التفطان) والبرانس والجبّة والسراويل والخف والحذاء الذي يسمى الجزمة أو الكندرة. ولا ما في معنى ذلك من الثياب المفصلة المخيطة ومن لم يجد الازار والرداء أو النعلين لبس ما وجد؛ ففي صحيح مسلم عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب بعرفات يقول « السراويل لمن لم يجد الازار والخفان لمن لم يجد النملين » ولا فدية عليه عند الشافعي وأحمد لانه لبس ذلك للضرورة فاذا زالت الضرورة في أثناء النسك بأن وجد الازار والنعلين وجب عليه نزع السراويل والخف ونحوهما، فان لم ينزعهما وجبت عليه الفدية وهي شاة يذبحها. وعند أبي حنيفة ومالك تجب عليه الفدية وان لبس ذلك للضرورة. ولا بأس بشد المنطقة أو الهميان الذي توضع فيه النقود في الوسط. ولا بأس بعقد الازار في وسطه أيضاً واذا كان يخاف سقوطه بغير عقد يتأكد العقد

والاصل في هذه المسألة حديث ابن عمر في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عما يلبس المحرم من الثياب فقال « لا يلبس القميص ولا العمام ولا السراويلات ولا البرانس ولا الخفاف الا أحد لا يجد نعلين فليلبس الخفين وليقطعهما أسفل الكعبين. ولا تلبسوا شيئاً من الثياب مسه الزعفران ولا الورس » هذا لفظ مسلم. وفي حديث ابن

عباس المرفوع أنه صلى الله عليه وسلم لم يشترط في ترخيصة ببس الثياب لمن لم يجد التعلين قطعهما . فبعض العلماء جعل هذا الاطلاق على حديث ابن عمر وقل لا بد من فطمهما ، وبعضهم قال ان حديث ابن عباس ناسخ لحديث ابن عمر لانه بعده

ولا يجب على الرجل كشف غير الرأس من بدنه ، ويجوز له أن يستظل بالظلة (كالشمسية) وغيرها مما لا يمس رأسه ، ولكن يستحب له أن يعرض رأسه للشمس ما لم يتأذ بذلك ، لان النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم لم يكونوا يستظلون في الاحرام ، وقد رأى ابن عمر رجلا ظلل عليه فقال له : ايها المحرم أضح لمن أحرمت له . أي أبرز للشمس لاجل من أحرمت له . يقال ضحى الرجل يضحى ضحىً ، وضحا يضحو ضحواً وضحياً اذا برز للشمس أو أصابته الشمس .

وأما المرأة فلم ينهها النبي صلى الله عليه وسلم الا عن وضع النقاب على الوجه ، لبس القفازين في اليدين فاحرامها في وجهها ويديها . والنقاب ما تستر به المرأة وجهها فلا يبدو منه الا محاجر العينين ومثله البرقع . قال العنقاء فان سترت وجهها بشيء لا يمسه فلا بأس . وأما ستره عن الرجال بمظلة ونحوها فلا شبهة في جوازها ، ويجب اذا خيفت الفتنة من النظر . ومن أضره لباس الاحرام فله أن يتقي الضرر ولو بتغطية الرأس ومتى زالت الحاجة الى ذلك تركه

وأما التلبية فصيفتها المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » وكان صلى الله عليه وسلم يلبى من حين يحرم يرفع بها

صوته ، فرفع الصرت سنة للرجل ، فيرفع المحرم صوته بحيث لا يجهده نفسه ، والمرأة ترفع صوتها بحيث تسمع نفسها وكذا جارتها ومعنى التلبية المبالغة في إجابة دعوة الداعي الى الحج ، ولا يزال العرب يجيبون من يدعوهم الى شيء بكلمة ليك ، وأول من دعا الناس بأمر الله الى هذه العبادة ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام . وذلك قوله تعالى له (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) والرجال هنا جمع راجل وهو الماشي على رجليه ، أي يأتوك مشاة وراكبين على الرواحل الضامرة البطون التي تأتي من الفجاج والطرق البعيدة . فمعنى « ليك اللهم » اني أجيب الدعوة الى هذا النسك خاضعاً لامرك متوجهاً اليك مقبلاً لخدمتك المرة بعد المرة . والتلبية واجبة عند المالكية ومسنونة عند الجمهور

وهذه التلبية الماثورة هي العبادة القولية التي تتكرر من أول الاحرام بالنسك الى الانتهاء منه . ويستحب تجديدها بتجدد الشؤون والاحوال كالصمود والهبوط والركوب والنزول واجتماع الناس وتلاقي الرفاق

﴿ دخول مكة والطواف ﴾

يستحب الاغتسال لدخول مكة ، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يفتسل له ، وكان يبيت بـ [بذي طوى] وهو موضع عند الآبار التي يقال لها آبار الزاهر ، فن تيسر له المبيت فيه والاعتسال فقد أصاب السنة . والافضل دخول مكة نهرا ، وان يقصد المسجد الحرام ترواً ، والافضل أن يدخل من باب بني شيبه ؛ وروي في حديث ضعيف ان النبي (ص) كان يقول اذا رأى البيت (أي الكعبة المعظمة) « اللهم زد هذا البيت

تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو
اعتمره تشريفا وتعظيما وتكريما وبرا» وروي ان عمر رضي الله عنه كان
اذا نظر الى البيت قال: اللهم انت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام»
واعلم أن ما يذكر في المناسك من الدعاء والثناء وما يلقيه المطوفون
للحجاج قلما يصح فيه حديث مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنه
ما هو من أقوال الصحابة وغيرهم من سلف الامة .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمع أصحابه يدعون الله تعالى
ويثنون عليه في النسك بما يلهمهم الله تعالى فيقرهم على ذلك . فعلم من ذلك
أن ما لم يصح عن النبي (ص) من ذلك لا يكلفه أحد ولا يمنع منه ، ولكن
لا يجعل شعارا عاما يلقيه كل الحجاج ويلتزمونه دائما بصفة خاصة ، لان
الشعائر لا تثبت الا بنص الشارع ، والظاهر ان الشارع ترك هذا الامر
للناس ليدعو كل منهم ويثني بما يلهمه الله ويخشع له قلبه . ويسن أن يصلي
بعد الطواف ركعتين

والثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد الحرام يبدأ
بالطواف ، والطواف الاول من الحاج أو المعمار يسمى طواف القدوم
وهو واجب عند المالكية وسنة عند الائمة الثلاثة

ويراعي في الطواف شروط الصلاة كالوضوء وطهارة البدن والثياب
وستر العورة لما رواه الشافعي والترمذي - واللفظ له - من حديث
ابن عباس مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم «الطواف بالبيت مثل
الصلاة الا انكم تتكلمون فيه فمن تكلم فيه فلا يتكلم الا بخير» ووردت
آثار في النهي عن كثرة الكلام في الطواف أي وان كان بخير لم تسم اليه

الحاجة ، لأنه يشغل القلب عن الخشوع في هذه العبادة
ولما كانت الطهارة شرطاً لصحة الطواف امتنع الطواف على الخائض
والنفساء فهي تؤدي جميع أعمال الحج سواء فتربص به إلى أن تطهر ،
ويبتدىء من الحجر الأسود : يستقبله ويستلمه ويقبله إن أمكن من غير
إيذاء نفسه أو إيذاء أحد بالمزاحمة والا اكتفى باستلامه بيده - أي مسحه
بها - وتقبيلها فإن لم يمكن أشار إليه بيده . ثم يشرع في الطواف فيجمل
البيت عن يساره فيطوف به سبعة أشواط أي مرات . ويستلم من
الأركان اليمانيين لأنهما على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام
دون الشاميين لأنهما في داخل البيت

والركنان اليمانيان هما الجنوبيان ويسمى الذي فيه الحجر الأسود منهما
[الركن الأسود] إذا ذكر وحده وإذا ذكر الآخر وحده قيل الركن اليماني .
والشاميان هما الشماليان فإذا ذكر كل منهما وحده قيل [الركن الشامي] وهو
المقابل لبلاد الشام [والركن العراقي] وهو المقابل لبلاد العراق ، وإنما يقال
في تثنيتهما اليمانيان والشاميان من باب التثنية

هذا وإن في الحج ثلاثة أطوفة : طواف التقدوم الذي ذكرناه ،
وطواف الإفاضة وهو ركن من أركان الحج باتفاق الأئمة ووقته بعد
الوقوف بعرفة ، وطواف الوداع وهو واجب عند الجمهور ومندوب عند
المالكية . والحاج وغيره أن يكثّر من طواف التطوّع ما استطاع

﴿ السعي بين الصفا والمروة ﴾

السعي بين الصفا والمروة ركن من أركان الحج والعمرة عند الجمهور ،
وعند الحنفية واجب غير ركن ، ويشترط أن يكون بعد الطواف . وعند

المالكية يجب ذلك وليس بشرط ، ويجب عند الموالاة بينه وبين الطواف، وقال الجمهور انه سنة لا واجب. ويطلق على السعي اسم الطواف والظوف كما ثبت في القرآن والاحاديث ؛ واختار الفقهاء اسم السعي للفرقة بينه وبين الطواف بالبيت

وكيفيته أن يبدأ بالصفا فيصعد اليها ويستقبل البيت (الكعبة) فيهل ويكبر ويدعو الله تعالى ثم ينزل ويذهب الى المروة فإذا انتهى اليها توجه الى جهة المسمى ليكون مستقبلاً للبيت ويدعو الله تعالى كما دعاه عند الصفا؛ فهذه مرة، ثم يعود الى الصفا ثم الى المروة الى أن يتم سبعة أشواط يرمل في ثلاثة منهن بين الميادين الأخضرين (وهما عمودان في جدار الحرم) والرمل سرعة في السعي، ولا يشترط في السعي ما يشترط في الطواف من الطهارة ولكن يستحب، ويجوز السعي راكباً ومشياً والمشى أفضل للقادر عليه .

روى مسلم وغيره من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما دنا من الصفا قرأ (ان الصفا والمروة من شعائر الله) وقال « أبدأ بما بدأ الله به (وفي حديثه عند النسائي « ابدؤا بما بدأ الله به ») فبدأ بالصفا فرقي عليه حتى اذا رأى البيت استقبل القبلة فوحد الله وكبره وقال : « لا إله الا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : لا إله الا الله وحده . أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده » ثم دعا بعد ذلك فقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل الى المروة » - الحديث؛ وفيه انه فعل في المروة كما فعل في الصفا . فينبغي ان يحفظ هذا وان يدعو الساعي بعده بما يفتح الله به عليه لنفسه وأهله واخوانه وأُمَّته

(تذييه) ان المكان الذي كان يرفى النبي صلى الله عليه وسلم اليه على
الصف قد بني عليه والصعود اليه ليس شرطاً لصحة السعي فمن وصل الى
أسفل البناء هنالك وسعى ولم يصعده أجزاءه ذلك ولكن الافضل ان
يصعده لموافقة السنة في الصعود

﴿ الوقوف بعرفة ﴾

يخرج الحجاج من مكة يوم التروية (وهو الذي قبل عرفة ويسميه العوام بمصر
والشام [يوم العرفة] ويسمون يوم عرفة [يوم الوقفة] محرمين لان من كان متمتعاً
يحرم في ذلك اليوم كاحرامه من الميقات ، والسنة أن يحرم كل واحد من المكان
الذي هو نازل فيه ، وله أن يحرم من خارج مكة ان كان غير مكّي فان المكّي انما يحرم
من أهله ، والسنة أن يبيتوا بمنى ولا يخرجوا منها حتى تطلع الشمس كما فعل النبي صلى
الله عليه وسلم ، وأن يسبروا منها الى [نمرة] عن طريق [ضب] من يمين الطريق
وهو موضع في حدود عرفة بـ [بطن عرنة] . فيقيموا فيها الى الزوال ثم يسبروا منها الى
بطن الوادي وهو الذي صلى النبي صلى الله عليه وسلم فيه الظهر والمصر قصراً وجهاً
وخطب ، فيصلبها الحجاج كذلك ويخطب بهم الامام . وهناك مسجد يقال له
مسجد ابراهيم بنى في أول دولة بني العباس ثم يذهبون الى عرفات والمدول عن
هذه الطريق الى طريق [المأزمين] ودخول [عرفة] قبل الزوال كلاهما مخالف للسنة
ولكن لا يجب به شيء ، لانه ليس تركاً لشيء من واجبات الاحرام .

ويقفون بعرفات الى غروب الشمس فاذا غربت خرجوا من بين العلمين
أو من جانبيهما . ويجتهد الحجاج في الذكر والدعاء في هذه العشية فهي أفضل الاوقات
لها وأرجاها للمغفرة والرحمة . ولم يمين النبي صلى الله عليه وسلم لعرفة دعاءً ولا ذكراً
ليجتهد كل انسان في ذلك بقدر معرفته وحسب حاجته . فيهلل ويكبر ويدعو
ما شاء الله من الادعية الشرعية . ويسن الغسل يوم عرفة ، ولا يسن الصعود الى
الجبل الذي هنالك الذي يسمى جبل الرحمة ، - وهو جبل الال - ولا دخول
القبة التي فوقه التي يقال لها قبة آدم ولا العملاة فيها . والسنة أن يفيضوا من عرفات

عند الخروج على طريق [المأزمين] فإن النبي (ص) خرج منها على هذه الطريق لأنه دخلها من طريق [ضب] فسنته في المناسك كسنته في الاعمال والمواضع ، اذا جاء من طريق رجوع من أخرى ، كما كان يدخل المسجد من [باب شيبة] ويخرج بعد الوداع من [باب حرورة]

﴿ المبيت بمزدلفة ورمي الجمار بمنى ﴾

يسن المبيت بمزدلفة بعد عرفة فهي المشعر الحرام الذي قال الله فيه (فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام) والوقوف عند [جبل قزح] أفضل ، ثم يفيضون من المزدلفة بعد صلاة الفجر فاذا أتوا منى رموا [جرة العقبة] بسبع حصيات ولا يرمون يوم النحر غيرها : وكيفية الرمي ان يستقبل الجرة بحيث يكون البيت عن يساره ورمي عن يمينه ويرفع يديه بالرمي ويكبر مع كل حصاة . وان شاء قال مع ذلك : اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعيًا مشكوراً وذنباً مغفوراً . ويستحب تكرار التلبية بين المشاعر كالذهاب من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى ، ولم يصح في السنة التلبية في عرفة ولا مزدلفة ، فاذا شرع في رمي الجرة استقبل التكبير بالتلبية — أي جعل التكبير لا يبد بدلا من التلبية للحج ، لانه حينئذ بشرع في التحلل الذي تنتهي به المناسك . ومتى رمى جرة العقبة نحر هديه ان كان معه هدي . وكل ماسبق من الانعام من الحل الى الحرم فهو هدي بالاتفاق ويسمى أضحية أيضا ، وأما ما يذبح يوم النحر في الحل فانه أضحية وليس بهدي . وأما ما يشتري في منى أو غيرها من أرض الحرم ويذبح فيها فهو ليس بهدي عند المالكية وعند الاثنية الثلاثة يسمى هديا . ويقول عند نحر الابل وذبح غيرها : بسم الله والله أكبر . اللهم منك ولك اللهم تقبل مني كما تقبلت من ابراهيم خليلك .

﴿ الحلق أو التقصير ﴾

بعد رمي جرة العقبة يحلق الرجل شعر رأسه أو يقصره بأن يقص منه مقدار الأملة أو أقل أو أكثر ، وتقص المرأة ولا تحلق ولا تزيد على قدر الأملة . والحلق أو التقصير ركن من أركان الحج لا يتم الا به في مذهب الشافعي وعند الجمهور

واجب لاركن. وبالحاق أو التقصير يكون التحلل الاول من الاحرام فيحل به للمحرم ما كان محرما عليه بالاحرام الا النساء
وبعد هذا يأتي الحاج مكة فيطوف طواف الافاضة الذي هو طواف الركن
كما تقدم فاذا طاف هذا الطواف حل له كل شيء مما ذكر حتى النساء
ثم يرجع الى منى فيرمي بقية الجمرات ، والافضل ان يرميها في أيام التشريق
الثلاثة وله ان يرميها في يومين لقوله تعالى (واذكروا الله في أيام معلومات فمن
تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى)
ويستحب في رمي الجمار ان يكون بعد الزوال وان يبدأ بالاولى وان يكبر مع
كل حصاة . ويدعو فيطيل الدعاء . واذا قال في دعائه : اللهم اجعله حججا مبرورا
وسميا مشكورا وذنبنا مغفورا - فهو حسن

﴿ طواف الوداع ﴾

تقدم حكمه وينبغي ان يكون هذا الطواف آخر عهد حجاج الآفاق بمكة
ليكون مسك الختام
انتهت الاحكام ولم نشأ نشر [حكم المناسك واسرارها] في هذا الجزء من
المنار لانها منشورة في [باب الفتوى] من المجلد السادس عشر فليرجع اليها من
شاء في ص ٦٧٥

مَدِينَةُ
دَارُ الدُّعْوَى وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صديقي

١٣

الدرن Tuberculosis

يراد بهذا الداء تكوّن أجسام صغيرة في عضو أو أكثر من أعضاء الجسم (١) ويسمي الأطباء المحدثون هذه الجسيمات بالدرنات أو الدرّن (٢) وهي تنشأ من باسيل اكنشفه العلامة الألماني كوخ سنة ١٨٨٢ ميلادية
أوصاف هذا الباسيل — هو عصيات مستقيمة أو منحنية قليلا طولها نحو ٣ ميكرونات وعرضها ٥٥٠ من الميكرن، ذات أطراف مستديرة في كل منها نقطة لامعة أو أكثر ظن سابقا انها حبيبات للميكروب ، والحقيقة انه لا يتوالد الا بالانقسام وهو عديم الحركة ولا أهداب له (خلافاً لما ذهب اليه بعض الباحثين) ويعيش في الهواء وفي غيره من الغازات بل في الفراغ ، وأحسن حرارة تناسبه ما كانت درجتها ٣٧ سنتجراد ولكن نموه بطيء جدا

تركيب الدرّن — تتكون كل درنة من خلايا تحيط بها تشبه كريات الدم البيضاء وفي داخلها خلايا تشبه خلايا البشرة وفي مركزها خلية أو أكثر كبيرة ذات نويات عديدة . وقد يوجد بين هذه الخلايا منسوج آخر دقيق جدا يؤلف بينها ، ويوجد الميكروب بين هذه الخلايا أو فيها خصوصا حول الخلية المركزية الكبرى أوفيا كما في درن الحيوانات. وفي بعض الأحوال تكون هذه الخلية

(١) قد يصيب أي عضو من الجسم أو أي جزء منه وتكثر اصابته للرتين
ويقل للشغاف (العشاء المحيط بالقلب) (٢) أصل معنى الدرّن في اللغة الوسخ
(المنار: ج ٤) (٢٩) (المجلد التاسع عشر)

معدومة وفي البعض الآخر تكون الخلايا البشرية كذلك معدومة فتكون الدرنه من خلايا كالكريات البيضاء فقط . وقطر الدرنه الواحدة عادة مليمتر واحد أو اثنان . وتشاهد الدرنات في هذا المرض بوضوح في الرئتين أو الكبد أو الكليتين وكما كبرت الدرنه مات وسطها وذلك اما لعدم وصول أوعية الدم إليه أو لسبب الميكروب أو للسبين معاء فاذا مات الوسط صار مصفرا وقوامه كالجنين وهذا الوسط الميت يزداد اتساعا بينما محيط الدرنه يُغِير على ما أحاط به من الانسجة وهلم جرا . وهذه الدرنات تنشأ بسبب تهيج العضو بالميكروب فتكاثرت الخلايا حوله بانقسامها الى عدة أقسام . وتهرع اليها الكريات البيضاء لمقاتلتها فتحيط بها فيصيدها ماذكر . وباجتماع هذه الدرنات بعضها مع بعض تتكون درنات كبرى فينشأ من ذلك أخرجه (جمع خراج) في العضو المصاب

وقد تتحول الدرنه الى مادة كلسية (جيرية) برسوب فسفات الكالسيوم فيها على الاكثر فيموت الباسيل ويشفى العليل وهذه الدرنات تحدث تهيجا في الاعضاء وقد يكثر حولها المنسوج اللينى الضام . ويجوز أن يغير هذا المنسوج على الدرنه ويطبق عليها فتضمر وتتناقص حتى تستحيل الى نقطة ليفية وبذلك يشفى الدرن أيضا

أما اذا كانت قوى المريض ضعيفة فتلتهب الانسجة حول الدرنات وتزداد حالة العليل سوءا فوق سوء ، وفي آخر الامر تتقيح الدرنات وما حولها ويشترك مع هذا الميكروب ميكروبات أخرى فتكون أخرجه وكهوف كما يحصل كثيرا في رئة السلواين

الاسباب - ميكروب هذا الداء منتشر كثيرا بين الناس وبعض الحيوانات . ولمعرفة كيفية العدوى به يجب أن نقسم البحث هنا الى مسألتين : -

(الاولى) الاستعداد الشخصي : للوراثة تأثير عظيم في العدوى بهذا الداء فانه يغلب حدوث هذا المرض في أولاد السلواين . ولا يتوهم أحد أن الذي ينتقل من الوالد الى ولده هو الميكروب بل استعداد خاص فقط اللهم الا في أحوال نادرة جدا ، ولذلك كثيرا ما يولد الولد في صحة لا بأس بها أو جيدة ثم يصاب بعد ذلك بالدرن

وهناك مهيئات كثيرة للعدوى تسبب نهاكة القوى فيضعف الشخص عن مقاومة الميكروب فيقهره ، وأهم هذه المهيئات (أ) الازدحام وفساد الهواء بأي سبب كان (ب) قلة الاغذية (ج) اجهاد قوى الجسم فوق طاقته بأي عمل كان ككثرة العدو أو الانهماك في الجماع أو في السهر أو جلد عميرة أو المطالعات الطويلة والمباحث العقابية العنيفة خصوصا اذا صاحبها القتر وفساد الهواء (د) كثرة الحمل والولادة أو الارضاع (هـ) كثرة التردد الى الأماكن الرطبة المظلمة التي يندر دخول الشمس فيها (و) الحمى التيفودية (ز) الاسراف في شرب الخمر (ح) البؤوال السكرى (ط) الزهري اذا أهمل حتى أفسد البنية

هذه هي المهيئات العامة وهناك مهيئات أخرى خاصة بالعضو المصاب ويسمونها بالمهيئات الموضوعية مثل كثرة النزلات الشعبية أو الرئوية وتهيج الرئة ببعض الغازات أو بغبار بعض المعادن وغيرها كما يحصل في المصانع

وللعمر تأثير كبير أيضا في العدوى فترى ان الدرن كثيرا ما يصيب الصغار ففي الاطفال تشاهد كثيرا إصابتهم بدرن السحايا أو البريتون أو الغدد اللعابية أو العظام أو المفاصل ، وفي الشبان كثيرا ما تشاهد الدرن الرئوي (وهو المسمى بالعربية السِّل أو الهُلَّاس) وأما الاشخاص الذين عمرهم فوق الاربعين فتقل إصابتهم بالدرن ولا ينافي ذلك أنه يصيب الشيوخ أحيانا قليلة وفي تلك الحال يغلب أن تكون إصابتهم مزمنة أي ان المرض بدأ فيهم قبل الاربعين

(المسألة الثمانية) مدخل الميكروب : يدخل الميكروب الجسم من طريق الجلد

أو الرئتين أو القناة الهضمية

(أ) طريق الجلد وهو نادر الوقوع غير انه يشاهد أحيانا ثؤلول في أيدي المشرحين لجثث المسلولين ، وفي هذا الثؤلول توجد ميكروبات الدرن وقد تنتشر منه الى الرئتين أو غيرها

وهناك درن يصيب الجلد يسميه الافرنج [لوپس Lupus] اخذا من كلمة لاتينية معناها [الذئب] لان هذا الداء يصيب كثيرا الوجه فتأكل أجزاء كثيرة منه تأكلا يشبه نهش الذئب . ولكن هذا الدرن الجلدي قل أن ينتشر

ميكروبه في الاحشاء . وهذا الطريق الجلدي غير مهم في الغالب
 (ب) طريق الرئة وهو طريق مهم جدا . ولا يكفي لحصول الداء من هذا
 الطريق مجرد استنشاق بعض نفس المسلول أحيانا ، ولكن يحدث المرض اذا كثر
 الاختلاط بالمرضى والقرب منه حتى يشتشق الانسان الهواء المشتمل على ذرات
 تخرج من صدر المسلول أثناء سعاله فتنتشر في الهواء المحيط به ، أما نفسه الهادئ
 فلا يوجد فيه الميكروب . واذا بصق المريض على الارض أو غيرها وجف البصاق
 تطايرت منه أجزاء فيها الميكروب وتكون خطرا شديدا على مستنشقيها
 ويكثر وجود الذرات التي فيها الميكروب على بعد نصف متر من فم المصاب
 فاذا بعدت عنه مترا ونصف متر فقل أن بصيبك منها شيء
 وهناك بعض الحيوانات الداخلة التي تصاب بالدرن كالبيغاء وتكون أيضا
 سببا في العدوى بهذا الداء من هذا الطريق
 ومن الحيوانات الاخرى الداخلة التي تكثر اصابتها به الخيل ويقل وجوده
 في الكلاب والقطط
 (ج) طريق القناة الهضمية وهو أهم الطرق فان كثيرا من الحيوانات التي
 تؤكل يوجد فيها هذا الداء اذ انه كثيرا ما يصيب البقر والخنازير والدجاج والارانب
 وخنازير الهند ، أما المعز فقل أن تصاب به وكذلك الضأن
 وابن هذه الحيوانات يشتمل كثيرا على باسيل الدرن اذا أصيبت ضروعها به
 ولما كانت معرفة الضرور المصابة عسيرة في أول الامر كان من الواجب اتقاء شرب
 اللبن الا بعد عليه مدة خمس دقائق على الاقل . وقد يوجد الميكروب في لحم هذه
 الحيوانات وأحشائها . ونظرا لانتشار الدرن في البقر يشاهد هذا الداء كثيرا في
 بطون الاطفال الذين ير بون بلبنها . وقد دلت التجارب أن الحيوانات الصغيرة اذا
 ابتلعت ميكروب الدرن نفذ في جدر أمعائها وأصاب غدد المساريقا فينشأ عنه
 مرض هذه الغدد أو تدرن معوي أو بري توني وقد يصل بعد مضي زمن الى أجزاء
 الجسم الاخرى فيصيب الغدد العنقية ويحدث داء الخنازير وقليل ما يصيب رثي
 الصغار . أما الشبان فاذا نفذ الميكروب خلال أمعائهم لم يصيبها بشيء حتى يصل

إلى الرثمين فيحدث السل الرثوي . وهذا الفرق يشاهد أيضا بين الصغار والشبان إذا حتموا بذرات من الكربون (الفحم) فتبقى في بطن الصغار وتصل إلى رثة الكبار . ومن ذلك استدلل بعض العلماء على أن الرثمين قد تصابان بالسل من طريق البطن إذا أكل الشخص لحما أو لبنا مصابا بل رجح هؤلاء العلماء أن إصابة الرثمين بالسل من هذا الطريق هي أكثر حدوثا من طريق التنفس

وفي أكثر الاحوال تكون الإصابة بالدرن موضعية في أول الامر يعني أنها تكون قاصرة على عضو واحد ومن ثم قد تنتشر تدريجيا إلى الأعضاء الأخرى إما بسير الميكروب خلال الأنسجة أو بسيره في الأوعية اللمفاوية . وهناك درن عام تصاب به فجأة أعضاء كثيرة من الجسم دفعة واحدة ولكن يكثر في مثل هذا النوع أن يكون مسبوقا أيضا بإصابة صغيرة موضعية كدرن الخصية مثلا أو غدد العنق أو غير ذلك

ومما سبق يعلم أن أهم أنواع الدرن اثنان — الدرن العام والدرن الرثوي :

الدرن العام أو الدخني

سمي هذا النوع بهذا الاسم لان الدرناات تكون منتشرة في جميع أجزاء الجسم تقريبا وتشبه حبات الدخن اذا نثرت فيها

الأعراض — هذه الأعراض تكون في أول الامر مبهمه فيشتكى المريض من ضعف عام ونحافة واقهء (فقد شهوة الطعام) وصداع وحى وقد يوجد آثر من الزلال في البول ونسوء حال المريض شيئا فشيئا ثم تظهر أعراض أخرى تعين إصابة الرثمين ككثرة السعال والبصق أو يصاب الشخص بأعراض تعين إصابة البطن كالاسهال المتماصي والمنغص أو بأعراض أخرى تعين إصابة السحايا كالتشنجات والشلل . والمراد بذلك ان تكون أعراض انتشار الدرن في الأعضاء المذكورة أظهر من انتشارها في غيرها وان كانت كلها مصابة به

ويحصل الموت في مدة تتراوح بين ٣ أسابيع إلى ١٠ ولا يعلم باليقين أن أحدا أصيب بهذا الداء وشفي منه

المعالجة - عديمة الجدوى وإنما تعالج الاعراض فقط ، وبمطى المريض السوائل المغذية وبعض المنعشات مع بعض مركبات الافيون لتسكين الألم والسعال، ومن المنعشات النافعة جدا النوشادر، ويجب أيضا ان تكون سكنى المريض في الاماكن التي تكون طلقة الهواء وتمخلها الشمس كثيرا

الدرن الرئوي أو السِّل

هذا الداء يصيب الرئتين بسبب تهيج باسمله لمنسوجها فتكون الدرنات ويلتهب ما حولها فيتصلب منسوج الرئة ثم يتقيح ويتحول الى تجاويف مملئة بمدة وصديد تسمى بالكهوف . ويكون ميكروب الدرن مصحوبا بميكروبات أخرى من الانواع البزيرية غالبا اذا حدثت هذه التغيرات المذكورة أخيرا فانها تساعد في احداثها

الاعراض - سير هذا الداء مختلف فبعضه يكون سريعا والبعض الآخر

يكون بطيئا فيمكث عادة من ستة أشهر الى بضع سنين وأهم أعراضه السعال وضيق النفس والبصق الصديدي والنحافة الزائدة والحى ونزف الدم من الصدر

وتبدأ هذه الاعراض بطرق مختلفة ، ففي كثير من الاصابات تبدأ بالسعال وبصق المخاط مع الصديد زنا ماء، وكثيرا ما يتوهم الشخص أن داءه من البرد فلا يعبأ به كثيرا في أول الامر ، وفي حالات أخرى تبدأ بالنزف الرئوي، وفي هذه الحالات قد يكون الشخص متمتعا بالصحة فيندهش بمفاجأة النزف الرئوي له بعد سعال خفيف فيخرج منه بضعة دراهم أو أوقية وقد يزيد الدم الى نصف لتر وبعد زمن تظهر باقي الاعراض ، وقد يهاوده النزف عدة مرات . وفي حالات قليلة يبدأ المرض بشكل التهاب رئوي أو التهاب بليوراوي مع انسكاب في الصدر . وهناك بعض الحالات التي تبدأ باضطراب في الجهاز الهضمي فيصاب الشخص بالاقهَاء مع القيء المتكرر والنحافة ثم تتم باقي الاعراض المذكورة

مضاعفات هذا الداء

الجهاز التنفسي - يصاب بالتهاب الحنجرة، فيصح صوت المريض وفي بعض

الاحوال النادرة قديكون ذلك أول ما يلاحظ على المريض. ويصاب هذا الجهاز أيضا بالتهاب البلبورا كما سبق مع الانسكاب المصلي أو الانسكاب الصيدي أو الدموي أو تخترق الرئة فيدخل الهواء في تجويف الصدر وبذلك يبطل تنفس الرئة المصابة الجهاز الدوري — يصاب القلب بالضمف والتدد في الاحوال المزمنة . وقد يصيب الشرايين بعض شرايين الرئة فيفجرها ويحصل بسبب ذلك نزف شديد قد يكون سببا في الموت العاجل

الجهاز الهضمي — يصاب كما قلنا بالإقياء والغثيان والقيء وعسر الهضم والاسهال وهو كثير الحصول في درجات المرض الاخيرة . وقد يصاب البريتون أيضا بالتهاب ، وقد تصاب الكبد والطحال والكليتان والامعاء بتغير مخصوص في أنسجتها يسمى عند الأطباء [الارتشاح الشمعي Waxy degeneration]
و يشاهد أحيانا ناسورا في الشرج بسبب هذا الداء أيضا

الجهاز العصبي — قد يصاب بدران في السحايا وقد تصاب أعضاء أخرى بالدرن فتزيد المرض شدة فوق شدته نهاية المرض — يحصل الموت بهذا الداء بالطرائق الآتية : نهاكة القوى أو الثرف أو اختراق الرئة أو التهاب السحايا أو انقباض الامعاء أو التسمم البولي الانذار — اذا اكتشف هذا الداء في أول درجاته فقد ينجح فيه العلاج ويشفي منه المريض غير أن أثر الدرنت يبقى في الرئة . وفي بعض الاحوال يسرع الموت الى المريض في أشهر قليلة وقد يمكث المصاب به عدة سنين قد تمتد الى الخمسين

المعالجة — لا يوجد دواء لهذا الداء محقق النفع ، وإنما يتلخص العلاج في الكليات الآتية . يوضع المريض في أصح الاهوية وأجودها وأكثرها تعرضا للشمس ، ويكثر من الراحة والنوم لتوفير قواه وكذلك يكثر من الاغذية الجيدة السهلة الهضم كاللحم والبيض والسمك واللحوم بأنواعها الى غير ذلك ، واذا اشتدت الحمى أو أصاب المريض الاسهال وجب عليه الاقتصار على الاغذية السائلة . وبالاختصار يجب اتباع جميع القوافين الصحيحة حتى تقوى البنية فتغلب على المرض

ويعطى للمريض الادوية المقوية كزيت السمك والحديد (بشرط ان لا تكون حرارة المريض مرتفعة جدا) والزرنيخ والكينين وغير ذلك ، وهناك ادوية مطهرة للصدر يعرفها الاطباء ، فلا حاجة لذكرها هنا

ويجب أثناء المرض ان يبادر الطبيب بعلاج كافة الاعراض والمضاعفات بجميع الوسائل الممكنة السريعة التأثير حتى لا تنهك قوى المريض

الوقاية - تكون بما يأتي :-

(١) يتجنب المريض البصق على الارض أو في أي مكان يمكن أن يتسلل منه الميكروب الى الاصحاء . ومن أحسن الوسائل أن يكلف المريض بالبصق في مباحق خاصة (منها ما يحمل في الجيب) ويوضع فيها محلول مطهر كحامض الفينيك بنسبة ٣ من الماء . واذا بصق في منديل وجب حرقه أو غليه غليا طويلا قبل أن يمسسه أحد

(٢) يجب على كل شخص أن يتقي القرب من المريض حتى لا يكون في طريق الذرات التي تتطاير منه أثناء السعال وغيره فلا يجوز النوم معه في الفراش أو الجلوس بالقرب منه . ويجب على المريض أن يتحاشى الزواج خدمة لنفسه حتى لا تضرب قواه ولا يأتي بنسل ضعيف وخدمة الامة بهدم عدوى النساء وبهدم إيجاد ولد له يكون ضعيفا أو مصابا بالسل مثله

(٣) يجب تهوية الاماكن التي يسكنها المسالون وتمريرها بشعاع الشمس كثيرا وتنظيفها دائما بالمحاليل المطهرة وغلي كل ما فيها من أواني وملاآت وغيرها

(٤) يجب ان تتقي الامهات المسلولات ارضاع أبنائهن

(٥) يجب على الناس كافة طبخ لحوم الحيوانات طبخا جيدا وتقطيع اللحم الى قطع صغيرة مع اطالة مدة الغلي حتى تصل الحرارة إلى ما قد يكون في باطنها من ميكروب الداء، فقد ثبت أنه اذا زادت قطعة اللحم عن ستة أرطال فلا تكون درجة الحرارة في باطنها كافية لقتله. وكذلك يجب غلي اللبن غليا جيدا مدة خمس دقائق على الاقل . واذا علم أن حيوانا مصابا بالدرن وجب اجتنابه وتحاشي أكله أو شرب لبنه وابعاده عن الحيوانات الاخرى السليمة . وهناك طريقة لتمييز الحيوانات المصابة

بالدورن عن غيرها ، وذلك باستعمال (التيوبركيواين) وسيأتي الكلام على ذلك تفصيلا . وللاحظ عدم الفلوف في غلي اللبن كأن يوضع في اناء مغلق وتطول مدة الفلي فانه قد ثبت أن ذلك يفسد بعض مواده الضرورية لحياة الجسم ، فاذا اقتصر الشخص على شرب مثل هذا اللبن المبالغ في تعقيمه كالأطال مثلا فقد يصاب بداء الكساح أو بالاسكر بوط ، فلذا يجب الاعتدال في تطهير اللبن

وإذا خيف على الطفل من هذين الداءين فيحسن تغذيته بالأشياء الآتية مع اللبن وهي القشدة وزيت السمك وعصير البرتقال المحلى بالسكر أو بالعسل ومرق اللحم ، وإذا كان للطفل بعض أسنان فلا بأس في اعطائه قليلا من الموز بعد عجنه ولو باليد النظيفة

(٦) يجب على كل شخص أن يتجنب كل ما يتهك القوى ويفسد الصحة كالسكنى في الأماكن المفسدة لهواء أو الامهك في الدخول الى الأماكن المكتظة بجماهير الناس كالمسارح و[دور الصور المتحركة] ونحو ذلك ويتجنب السهر الطويل واجهاد الجسم أو العقل وكثرة الجماع أو جلد عميرة وادمن الخمر ، وينبغي الاكثار من الرياضات البدنية مع الاعتدال واستنشاق الأهوية القوية — كاني في الفلوات والبحار — وتعاطي الاغذية الجيدة السهلة الهضم والاكثار من النوم واتقاء شرب الدخان واستنشاق الغزات والابخرة المتصاعدة من النيران والمصانع وغيرها ، وبالجملة فالواجب التزام قواعد الصحة كافة وعدم التهاون في شيء منها .

العرب والاسلام

والترك الاتحاديون

ان قراء المنار بعد الانقلاب العثماني يعلمون أن الجرائد الاسلامية الهندية أول من رمى الاتحاديين بالتفر والإلحاد ، وان المنار كان أول الصحف الاسلامية دفاعا عنهم ، ولما كثرت الخلاف في أمرهم رحلنا الى الآستانة بعد تمهيد مع جمعية الاتحاد والترقي المركزية للقيام بمشروع الدعوة والارشاد في الآستانة والسعي في التوفيق (المنار: ج ٤) (٣٠) (المجلد التاسع عشر)

بين الترك والعرب وكانت نواجم الخلاف والتخاصم قد نجمت وامتدت من العاصمة الى الولايات . وقد اقيمت في الاستانة سنة كاملة اختبرت فيها الاتحاديين اختبارا تاما لا ازال ارى في كل سنة من الآيات ما يؤيده وتقنني بأنني قد سبقت الى إدراك ما لم يدركه كاه العثمانيون ولا لاجباب

ولو كنت ممن يبيع دينه وقومه باللئال والجاه كالشيخ عبد العزيز جاووش لامكنتني ان انا في الآسنة من الاتحاديين أنفسهم . ما لامطع عربي في ابل مثله . فقد مناني الاتحاديون اعظم الاماني لانهم كانوا يظنون اني مادافعت عنهم ورددت على من سبق الى رميهم بالكفر والالحاد وفساد هذه الدولة الا لان اسلامي سياسي يدور مع المنفعة الشخصية انى دارت

ويدلم قراء المنار انني قد حملت على الاتحاديين بعد عودتي من الاستانة حملات منكرة لم يحمل عليهم أحد بتلها في الشدة ، كما يعلمون اني لم اكتب شيئا يذ في مصلحة ندولة العماية نفسها ، ولا شيئا يذ في الإخاء الديني بين العرب والترک ، فانا لم أعاد الدولة ولا الترك ببيان فضاخ الاتحاديين . بل أعتقد أن كل ما كتبه كان خدمة للاسلام وللدولة ، وان الموافقين لي عليه من علماء الترك وجمهور المتدينين فيهم أضعاف الموافقين لي عليه من العرب ، لان الذين كانوا يعرفون مقاصد الاتحاديين الاحادية من العرب قليلين جدا واعلمهم لم يكثروا الا بعد أن رأى من رأى خواص العرب في سورية مصلوبين في أعظم مدنها عمراننا وسمع من سمع بأخبارهم ثم بما كان من أمرهم مع الشريف الا بر أمير مكة المكرمة

وقد كتب بعض العرب العثمانيين من اسرى الحرب وغيرهم مقالات في متاصد الاتحاديين وعداوتهم للعرب وللإسلام نشرها في المقطم والاهرام فظن كثير من المصريين انها مقالات مصنوعة افتحرها كتاب الجريدتين حتى ان منهم من لم يصدق ما نقل عن كتاب [قوم جديد] وكتاب [اتحاد اسلام] وانما لم يصدق هؤلاء هذه الاخبار لانهم لا يريدون ان يصدقوا ما لا يلد لهم تصديقه ، ولو كانوا ذوي خبرة على الدولة والدين وحرص على بقائهما كحرصهم على لذتهم وراحة بلهم لتحرروا وبخثوا عن أصل كل ما يقال في هذا الموضوع ليكونوا على بصيرة من أمر

أعظم الاشياء، ووقعا من أنفسهم وأهمها لديهم
كان مقصد الاتحاديين خفيا ثم عرف رويدا رويدا، ثم اشتهر وتواترت أخباره
في جميع الامم. واننا ننقل من ذلك عن جريدة الاهرام ما يأتي:

الاسلام والجامعة الطورانية

كيف يسمى الاتحاديون للاشاة الحضارة الاسلامية (*)

كتب مراسل شركة [سنتراك نيوز] الخاص يقول:

في خلال بضع السنوات الاخيرة بدت في بلاد تركيا طلائع حركة جديدة
تعرف بنهضة «بني طوران» أو [الطورانية الحديثة] وغرضها هدم المدنية الاسلامية
واحياء العصبية التركية على انتقاضها والجمع بين العناصر التركية التتيرية والشعوب
المنتسبة اليها ومنها الامة البلغارية. أما القائمون بهذه الحركة فهم قوم مشهورون بهدائهم
للإسلام وتمصيبهم عليه، وكثيرا ما يجاهرون بأقوالهم وكتاباتهم بذلك الكره بحجة ان
الاسلام يسهى لقتل العصبية القومية ويجعل دون نشوء المدنية التركية ولذلك فهم
يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام كل الاستقلال

وما يقولونه أيضا ان الاسلام لا محل له في المدنية ولا يمكن ان يعيش طويلا
الا اذا أدخلت عليه تقييدات عديدة تلائم المذاهب التركية القومية

ولهذه النهضة وجهتان احدهما أدبية والاخرى سياسية. فغاية الوجهة الاولى
تمجيد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها المجيد. وغاية الوجهة الثانية القضاء على
العصبية العربية. فمخبر خا. هو في نظرم نموذج الملوك ورجال السياسة فكل مملكة
ينشؤونها يجب ان تقوم على لمثال الذي رسمه. وأما العرب في نظرم فهم مصيبة
على الاتراك. ولذلك يجب القضاء عليهم أو ادماجهم في العنصر التركي حتى ينسى
العالم تاريخهم وتقاليدهم. أما لغتهم فلا بد من محوها واحلال اللغة التركية محلها في
كل صقع وناد

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الاهرام في يوم الخميس ١٦ ذي القعدة

والغريب ان كتاب الاثريك الحاليين الذين يدعون بأنهم وطنيون بكل معنى الكلمة ينشرون اليوم المقالات الضافية ويحثون أبناء قومهم على الطواف بجميع أنحاء السلطنة للمناداة بهذه البدعة الجديدة ومن أغرب ما يروى من هذا القبيل ان أحد الاثريك طاف حديثا بسوريا وهو ينادي بهذه الضلالة

والحكومة الاتحادية تؤيد الآن جمعية « بني طوران » وتعززها بالاعانات المائية المدينة وتسمي تلك الاعانات « باعانات المائية التركية » وجميع كبار الاتحاديين أعضاء فيها وهم بهيئون عن الاسلام بعد الارض عن السماء. والمسلمون ينكرونهم لما يرون منهم من الاعتداء على حدود الشريعة الغراء

ولا يخفى ان الالمان هم الذين يؤيدون الاتحاديين في هذه السياسة الخرقاء فقد ثبت لهم الآن انهم لا يستطيعون اخضاع الاسلام لسياستهم ولا هم نجحوا في اثارة المسلمين الخاضعين لفرنسا واكثرها على هاتين الحكومتين. فانقلب زعمهم العطف على الاسلام الى كره شديد له. وأخذوا يسعون ضده مستعينين على ذلك بالجامعة الطورانية الجديدة. وقد علم العالم أجمع ما كان من أمر المذشورات الالمانية التي اكتشفها الجنرال [سهطس] في موشي والتي كان غرضها سحق الاسلام في المستعمرات الالمانية، ولذلك فالمانيا هي أكبر خطر على الاسلام مع انها تتظاهر بالغيرة على المسلمين

« * »

ليس من ينكر فضل الاسلام على العالم وما كان لمدينته من الآثار المجيدة. أما الشعوب الطورانية فليس في التاريخ ما يدل على انها عملت عملا واحدا أفاد الانسانية بل بالعكس كانت جميع أعمالها ترميرا ونخريرا فالطورانيون لم يستنبطوا شيئا للمنفعة بل كانوا حينما حلوا أخرجوا معالم المدينة ومحو آثارها واستعبدوا الشعوب التي يقهرونها بأساليب هي في غاية الهمجية

أما ادعاء دعاة الجامعة الطورانية بأن الاسلام قد حال دون نشوء المدينة التركية فقير صحيح. ولا يخفى ان المدينة العثمانية هي خليط من آثار المدينت العربية والفارسية والبيزنطية والشعوب الطورانية التي لم تدخل في الاسلام لا مدينة لها على الاطلاق وانما هي استعمرت شيئا من مماله الحضارة الصينية ولو ان السلطنة العثمانية قد

اعتمدت على المدنية التركية لكانت قد أصبحت في خبر كان منذ أجيال عديدة لان المدنية التركية كما قلنا هي تخريرية لا تعبيرية والشئ الوحيد الذي يفوق به الطوراني غيره هو الظلم والجور واضطهاد جميع العناصر التي لا تسمح بحمد الطورانية وتمهدل . وسبب ذلك اعتقاده بأن جميع تلك العناصر وقفت حائلينيه وبين ترکان آذربيجان والقوقاز .

هذه رسالة شركة سنترال نيوز وقد نشرت الصحف الانكليزية كلها هذه الرسالة وبسطت فيها الكلام بسطا ضافيا

الاسلام والطورانية الحديثة

ما يفعله الاتحاديون لمقاوة الاسلام (*)

نشرنا منذ بضعة أيام فصلا عن الاسلام والطورانية الحديثة ضمناه ما نشرته الصحف الانكليزية نقلا عن شركة « سنترال نيوز » الصحافية . وقد وقفنا الآن على مقالة ضافية في هذا الموضوع نشرتها مجلة الشرق الادنى فرأينا أن نورد خلاصتها لحضرات القراء قال الكاتب :

بدت طلائع الطورانية الحديثة في الاستانة في عام ١٩١٣ ثم أخذت تمتد وتزداد جلاء حتى أصبحت نهضة عامة في جميع أنحاء السلطنة العثمانية . وخلاصة ما يعرف عن هذه النهضة أنها تركية محضة غرضها الاصلى الانفصال عن الاسلام ولها أغراض أخرى عديدة ينحصر أهمها في ما يأتي :

- (١) جعل الجنسية التركية مستقلة عن الاسلام
- (٢) ترقية الروح العسكري في الاتراك
- (٣) انشاء علاقات تجارية وغيرها مع مسلمي اذربيجان وروسيا الامسيوية وروسيا الجنوبية

(*) نشرت في العدد الذي صدر من الأهرام في يوم السبت ١٨ ذي القعدة

(٤) تطهير اللغة التركية من كل ما هو عربي أو فارسي
 (٥) محو الجنسية العربية وادماجها في الجنسيات الأخرى
 ويرمي القائمون بهذه الحركة إلى جعل التركي يعتقد أنه تركي قبل كل شيء
 ومسلم بعد ذلك . ويقوم بمساعدة هذه النهضة جمعية « الملة التركية » التي تؤيدها
 الحكومة الاتحادية . بالاعانات المالية . ومن مبادئ هذه النهضة تربية الأجيال
 الحاضرة والمستقبل على الروح الطوراني بإنشاء مدارس طورانية بحتة . وبناء عليه
 يجب التوسع في تعليم التاريخ باللغة التركية وإنشاء فرقة كشافة (سكوتس) من
 الأولاد الأتراك تحت إشراف أنور باشا . وقد أنشئت الآن هذه الفرقة وشرع
 الأولاد الذين فيها يتربون تربية عسكرية توطئة لدخولهم في الجيش . أما شارات
 الفرقة وراياتها فأخوذة عن رموز ترجع إلى ما قبل الإسلام . والأولاد الذين لهم
 أسماء عربية تستبدل أسماء تركية بحتة

ولهذه النهضة وجهة لغوية أيضا ولذلك أخذ زعماءؤها يترجمون كثيرا من
 المؤلفات العلمية والتاريخية إلى اللغة التركية البسيطة وقد كان في نيّتهم أن يترجموا
 القرآن أيضا ولكن علماء الإسلام قاوموا تلك الفكرة بكل عزم وحالوا دون تنفيذها
 ويعزى نشوء هذه النهضة إلى عدة أسباب نذكر منها السببين الآتيين وهما :

(١) اللغة

لا يخفى أن أحرف اللغة التركية مأخوذة عن الأحرف العربية والأصطلاحات
 التركية تزداد كل يوم تعقدا وصعوبة في نظر الطبقة الساذجة
 (٢) كتاب المسيو [ليون كاهون] عن تاريخ الترك والمغول من أقدم الأزمنة
 إلى سنة ١٤٠٥ للميلاد وقد توجت الأكاديمية الفرنسية هذا الكتاب ، واتفق أن
 ناظم بك سكرتير جمعية الاتحاد والترقي العام قرأ هذا الكتاب فوضع أساسات
 النهضة الطورانية التي نحن بصددتها

ولا شك أن نهضة كهذه مما تهتم العالم الإسلامي قاطبة وتمم أيضا انكلا ترا
 وفرنسا وروسيا وإيطاليا اللواتي يحكمن على الملايين من المسلمين . والذي يشجع
 الأتحاديين على ترويج هذه النهضة اعتقادهم صحة النظرية التي ابتدعها [فبيري] وهي

أن الاسلام يناقض فكرة الجنسية . فالأتخاديون يقولون ان الاسلام بالاتحاد مع العوامل العربية والفارسية والرومية والبيزنطية قد جعل الاتراك « مسلمين ليفانتيين » وحال دون نشوء حضارتهم . على أن هذه الدعوى هي عكس الحقيقة تماما فان الاتراك الذين جاءوا أصلا من حدود الصين وانتشروا في مجاهل آسيا حتى ضفاف [الاوركوس] لم يكن لهم دين معروف أو حضارة راقية لانهم كانوا قبائل رحل يوجرون سيوفهم لسكل من يطلب معونتهم . ولم يحاول أحد من قواد الاتراك أن يخضع جميع القبائل التركية . نعم ان [جنكيزخان] كان يحلم بنشر سلطته عليها ولكنه لم يفعل . وقد اشتهر بأنه كان يقتبس عن الصين والمعجم العربية وبيزنطة وجرمانيا كل ما كان يروقه فيها من آثار الحضارة . ولا شك أن أهم ما اقتبسه هو الاسلام فالاسلام لم يحل دون نشوء الحضار التركية إذ لم يكن للاتراك حضارة خاصة بهم وكل ما لدى الاتراك من حضارة هو بفضل الاسلام ، ولما كان التركي مشهورا بروح الخضوع المسكري لمن يقوده فقد جعل نفسه سيفا في قبضة الاسلام ان العنصر الطوراني لم يشتهر بشيء من قوة الابتداع . وما تاريخه سوى تاريخ وتدمير . قبائل [بوثي] أخرجت مستعمرات بكثريا اليونانية . وقبائل [الهون] اجتاحت رومية الشرقية ورومية الغربية اجتياحا همجيا وقبائل [أفار] سمت لسحق الشعوب السلافية في مهدها ، و[هولاكور] ردم أقية بابل وجعل أخصب بقاع الدنيا بلادا قاحلة حتى الآن ، والعمانيون أبادوا الحضارة البيزنطية التي ربوا عليها واكتبوا منها شيئا من العلم والمعرفة . هذه هي القبائل الطورانية التي تباهي « باتيلا » الذي كان نعمة الله على العالم ، و« جنكيزخان » الذي سمي نفسه « غضب الله تعالى » ولما شرع الالمان بحاربون البلجيك وغيرها من دول أوروبا رأوا أن يقتبسوا أساليب جنكيز وأتيلا وتيمورلنك



ومما يدل على ان العقل التركي ليس عقلا مستنبطاً انه لم يات بمحدث في الاسلام . بل هو اتخذ الاسلام ودان به كما هو . ولو كان مخلوقاً مكرراً لرايناه بعد اتخاذه الاسلامية يزيد عليه أو ينقص منه ولكنه لم يفعل شيئاً من ذلك اعجز مخيلته عن الاختراع

امبراطورية تركية

وما تسعى اليه نهضة الطورانية الحديثة انشاء امبراطورية بحرية واسعة الارجاء تضم تحت الويتها جميع قبائل التتر والمغول الخاضعة لروسيا اولاً دولة اخرى . « اما الجنسية العربية فيجب ابادتها وادماجها في الجنسية التركية المحضه لانها خطر كبير على الجنسية التركية . ومن أمثلة الاتراك من هذا القبيل قولهم : واذا لم نعامل العرب كما نريد عاملونا بما نستحق » . ان ذلك تراهم يسعون « لتريك » العناصر المصرية بحسب الاساليب البروسية

وما يستحق الذكر أن جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير قال في كتاب حديث الفه ما يأتي : « ان بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين . وما لامندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الاقطار العربية الى اقطار تركية لان الجيل العربي الحديث قد صار يشعر الآن بعصيته وهو يتهددنا بنكبة عظيمة فيجب أن نحتط للامر من الآن »

وكتب أحمد شريف بك مقالة في [طابن] جاء فيها ما يأتي : « لابزال العرب ياهجون بغتهم وهم يجولون الامة التركية جهلاً تاماً كأنهم ليسوا تحت حكم الاتراك . فن واجبات [اباب العالي] أن يجهلهم ينسون لغتهم ويجهروهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم . فاذا أهل الباب العالي هذا الواجب كان كمن يحفر قبره بيديه لأن العرب ان ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم . بل سيسعون لاسترجاع مجد مملكتهم واعداد ترميمها على انقاض دولة الاتراك »

وجاء في نبذة وزعها الاتراك في القوقاز . « ان العرب هم بلية علينا مع أن حصان التركي خير من أي نبي ظهر في العالم »
هذا وقد عاقت لجنة الشرق الأدنى على هذه المقالة بتوجيه نظر العالم الاسلامي الى الخطر الذي يتهددهم ان هم تباطأوا عن الاحتياط لدرء ذلك الخطر

منشور شريف مكة وأميرها

انمرت الجرائد المصرية اليومية في آخر الشهر الماضي منشور شريف مكة وأميرها الذي وجهه الى العالم الاسلامي ، وانه منشور كتب بمداد الحكمة واصالة الرأي وشرف الغاية . وخصصه ان الشرفاء (أمراء مكة المكرمة) كانوا أول من اعترف بسلاطة سلاطين آل عثمان الكرام لما كانت أحكام دولتهم قائمة على أساس الشرع الاسلامي حبا في الوحدة الاسلامية وكراهة للشقاق وتفرق الحكامة ، وان صاحب المنشور نفسه قد بانغ في الاستمسك بعروة الدولة حتى انه حمل بجنده من العرب على العرب وقتلهم لاجل الدولة

ثم اتقل من ذلك الى سيرة فئة الاتحاديين الباغية فين انها قد جنت على الدين والدولة والامة فأحرفت عن صراط الشريعة وأبطلت بعض أركان الاسلام وغبرت أحكام القرآن ، وحجرت على الساطان حتى منعتهم من التصرف بشؤون خاصته وقصره . ونكالت بالامة ، فلم ترع حقوق الاسلام ولا عهد الذمة ، وخصت العرب بالاضطهاد فصابت في التام كثيرا من أهل العلم والرأي والفضل ، وامتحتت مصادرة الاموال وخراج النساء الخنزرات والاطفل من ديارهم وأموالهم ونفتهم الى بلاد الاناضول من غير ذنب وبغير قيم شرعي . ثم ذكر تقحمهم بالدولة في هذه الحرب وتعرضهم اياها للخطر وواجبوه على البلاد بذلك ، وذكر ما حل بالحجاز من جراء ذلك وان الضيق قد بلغ بأهل الدرجة الوسطى الى بيع أثاثهم ثم بيع خشب بيوتهم حتى الابواب والسقف

ثم بين ان بلاد الحجاز اضطرت بسبب تلك الجرائم والمفاسد العمارة التي احترحها الاتحاديون الى اعلان استقلالها بنفسها دونهم حرصا على دينها وعلى جفسيتهما العربية لان الاتحاديين يتعمدون فساد هذا الدين ومحو هذه الامة العربية من لوح الوجود . وذكر ان المامسة التي وضعها الاتحاديون بمكة أرادت الانتقم من أهل البلاد فأنقت قد نشت مدافعهم من حصن حجاب على الحرم الشريف فأصابته يد الله عز وجل وقتلت كثيرا من الطائفين والمصلين فيه

قل «وحسبنا برهاناً على ما تكفنه صدورهم نحو الدين والعرب ومبهم للبيت العتيق الذي أضافته العزة الأحدية لذاتها السبحانية في قوله تعالى ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ ﴾ وهي قبة المسلمين وكعبة الموحدين يقبلتين من قبل مدافعهم التي بحصن جواد أثناء قيام البلاد بالمطالبة باستقلالها وتمت احداها فوق الحجر الأسود بنحو ذراع ونصف والثانية تبعه عنه بمقدار ثلاثة أذرع التهمت بنارها أستار البيت حتى هرع الآلاف من المسلمين لاطفاء لهيبه بالضحيج والنحيب واضطرب الخيال إلى فتح باب البيت والضمود إلى سطحه لانه من اطفاء لهيبه ، وما انتهى أمرهم بهذا حتى عززوا الاثني عشر بشلة في مقام ابراهيم ، وهذا عندما وقع منها في بقية المسجد الذي اتخذوه هدفهم الوحيد في غالب مقدراتهم بالقتال والرمحاض ، وما زالوا يفتنون الثلاثة والأربعة في نفس المسجد كل يوم حتى تمذرعوا على العباد القرب من البيت ، وفي هذا من الاستخفاف والازدراء بالبيت ونعظمه وجرمته ما نترك القول والحكم فيه أيضا لعنوم المسلمين في مشارق الارض ومغربها»

وهذا المنشور يؤيد ما شرحناه مرارا في المنار من سيرة هذه الجمعية الباغية في الدولة والامة ، ومن اطلع عليه من قراء المنار يوجب ان يرى أكثر مسائله في المحاوره التي نشرناها في الجزء الماضي ، وسبب ذلك انها حقائق يعرفها جميع خواص العثمانيين وكثير من عوامهم فكيف تخفى على أمير مكة المكرمة على مكانته في الذروة العليا من الامة والدولة ، وأهل بيته منهم الاعضاء في مجلس المبعوثين كمنجله الشريف عبد الله وفي مجالس الاعيان كأخيه الشريف ناصر

وقد أعجب أهل الفضل بنزاهة المنشور ومحافظته على كرامة الدولة العثمانية وسلطانها العظيم وكرامة الشعب التركي أيضا وحصره السيئات التي يشكو منها جميع العثمانيين وكل غبوا على الدولة في سيرة الاتحاديين فيها

ومن حكم لوروة والانصاف في سيرة الاتحاديين يستدل من موقفه هذا المنشور لكثير من المطعن التي قيلت فيهم على أن أخبارها قد بلغت حد التواتر بالذمرة مصادرها فالشريف الأكبر لم يستمد ما ذكره في منشوره من الجرائد المصرية ولا الأوربية ولعله لم يطلع على شيء منها قبل كتابته ، بل يستمد بيناته من الأقوال

والاعمال الرسمية . مثال ذلك ما ذكره من الشواهد على جنائتهم على الدين وجزأتهم على هدم أركانه والعبث بأحكامه . فانه ذكر منه أمر سلطاتهم العسكرية بالزام جنودهم انقيمة في الحجاز وغيره من الامصار الفطر في رمضان وأمرهم تقاضي مكة بعدم الاعتداد بشهادة المساهين بعضهم على بعض الا ما كتب منها في محكمته ، وأما أخبار فتكمهم بأهل الفضل والنبل من مسلمي سورية تقيلا وتصليبا ومصادرة الاموال ونفي الذم والاطفال فلا شك في أخذه إياه من الجرائد السورية الرسمية وغير الرسمية وان لم يصرح بذلك . ودللي على ذلك ان أول كتاب جاءني من وكيل المنار في الحجاز قد نقل فيه عن تلك الجرائد اسما من قتلوا وصلبوا في الشام من كبراء العرب ومنهم السيد زهراوي وشفيق بك المؤيد وغيرها

وقد تذكرت بهذا أنه لما ذكرت الجرائد المصرية أول نيا عن صلب فضلاء العرب ببيروت وعم الاحد عشر الذين منهم النابتة محمد المحمصاني وعبد الكريم قاسم الخليل أرسل لي فؤاد الخطيب برقية من الخرطوم ذكر فيها ارتياعه واستغفائه للخبر وشكته في صحته والرغبة الي في ارسال برقية اليه ببيان رأي فيه وقال انه لا يثق به الا اذا كنت مصدق له . فأرسلت اليه برقية قلت فيها اني لا أثق بشيء من ذلك . ثم جاءت جرائد أوربة فجرائد أمريكة نثبت الخبر ، وفي جرائد أمريكة العربية السورية نقل له عن جرائد سورية . ثم انني كنت مارا مرة بنظارة الحربية فرأيت فيها رجلا قد أسره الانكليز من سيناء فسأته عن بلده وعن أخبار سورية فقتل انه من القدس ، وأخبرني بخبر الذين صلبوا في بيروت ، فقلت هل تعرفهم قال لا بل أعرف بعضهم بالاسم ، قلت ممن علمت بخبر شقهم ؟ قال من جريدة القدس الرسمية . لاجل هذا قلت في المحاوره التي نشرت في الجزء الثالث ان خبر صلب من صلب في سورية قد ثبت عندي بالتواتر

لقيت أول من أمس صديقا لي من رجال القانون أعرف منه استقلال الرأي فتكلمنا في هذا الموضوع فقال انه يحب ان يجعل نفسه كاتقاضي في هذه القضية فلا يحكم فيها . قلت بل يحب ان يجعل نفسك بمكان المؤرخ المنصف الذي يحص الأخبار ، ثم يجزم بالنفي أو الاثبات ، فأنا لم أكن خصما للانحاديين بل كنت صديقا

لم قبل المنصور وبعده ، وكنت أول من دافع عنهم لما حملت عليهم جرائر الهند
الاسلامية وورثتهم بالكفر والاطحاد ، وادة ط خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد لاجل
ابطال الحكم الاسلامي ، ولما شاع أمر حبسهم بالدين وتصببهم على العرب وغيرهم
تثبت في الحكم عليهم وذهبت الى الآمنة فأقت فيها سنة كاملة معهم ساعيا في
خدمة الاسلام عامة وفي التأليف بين الترك والعرب وعلمت بالاختيار الطويل ان كل
ما قيل فيهم دون الواقع كما بيته في المنار

وجلة القول ان منشور الشريف الذي كان قبل استقلاله في المهجاز اعظم
الامراء العثمانيين هو اعظم المحجج على ملاحدة الاتحاديين ، كما أنه تأييد من سيد
العرب لطلاب الاصلاح من العرب ، لانهم بنوا معهم على أساس المحافظة على
الدولة العثمانية ، ومن قروا عدم ان لا يكونوا سبيا من أسباب ضعف الدولة ولا تمزيق
وحلها . وقد انسلخ من الدولة عدة ممالك وولايات بسوء سياسة الاتحاديين :
البوسنة وهرسك وطرابلس الغرب والبانة ومكدونية : كريت وجزائر الارخبيل
الرومي ، - دع ولاية البصرة . ولولايات الارضية والانصولية التي ذهبت في
هذه الحرب - ولم يكن العرب سبيا في زوال شي منها . فهذه أكبر حججنا على
مؤلا المحررين

باب الامر اسئلة والمناظرة

حال المسلمين الاجتماعية

(وفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر)

للفاضل القيود - م . ن - صاحب الرسالة التي نشرت (في ج ١٠ م ١٨)

حضرة حنيم الاسلام السيد الامام الاستاذ السيد محمد رشيد رضا صاحب

مجلة المنار الاسلامية ١

السلام عليكم ورحمة الله . وبعد فلست صحفيا ولا من المشتغلين بالتحريير
ولا بجمع وقت فراغي كتابة المقالات ، وتنسيق العبارات ، فان في أعمالى اليومية
اشغلا شائلا . فان اكتب اليكم فاما اكتب مدفوعا بعامل القيام بفريضة « الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر » التي عفا أثرها من بين المسلمين . اذ لولا صوت
المنار الحلي المرتفع الذي يدوي في الآفاق فيفتق أغشية الآذان ، ويرقق حجب
القلوب ويفتح الأدهان ، ويوظف النائم ، وينبه الغافل — لولا ذلك الصوت المنعش
للنفوس المحرك للهم ، لصح أن يقال ، ولا عتب في المقال : ان الامة الاسلامية
شبح بلا روح

كتبت رسالتى الماضية في موضوع الدعوة والارشاد ولم يكن لي غرض سوى
العمل بهذه الفريضة واقامة الحجية امام الله تعالى على المسلمين الذين تهاونوا فيه
وفى كل عمل اسلامي . وانه وان لم يكن الذي كبير أمل في أن يقدم المسلمون في
الحال ، ما يحتاج اليه مشروع من المال ، فقد كان رجائي نظما في النجاح التدريجي
الذي يؤدي الى النجاح التام . ولكني ما كنت أظن أن يكون نصيب هذه الدعوة
الصمت والجمود اللذان يدلان على شدة ما تعاني الامة الاسلامية من أدوائها
الاجتماعية .

اذلك حدثتني نفسي بعد طول الانتظار بأن أبعث اليكم بهذه الرسالة الثانية
زيادة في التدبير ، وتأكيذا للانداز والتحذير ، ولأبين ان المسلمين غير معذورين
في البقاء في هذه البؤرة النتنة ، وان وسائل النجاة والحياة في أيديهم والامر كله
متعلق بمشيتهم . وهذه هي الرسالة :

دعوت المسلمين في رسالتى الماضية لتنفيذ مشروع الدعوة والارشاد وما كنت
لأدعواهم الا الى حق وأرضحت لهم خطورة الحالة التي نحن فيها وما كان لي أن
أكذب . وأقت لهم الدليل على أن المشروع كافل لاصلاح الحال ، وما كنت
الا صادقا . وانتظرت ماذا يكون من أمر هؤلاء . وأطلت الانتظار فأفيتهم صموا
عن النداء ، واختاروا البقاء في الشقاء ، وما كنت مكرها لهم على ما ثقلت عنه
نفوسهم ولا اكراه في الحق

انه ليحزني أن تخيب دعوتي وليس ذلك لانها صادرة مني فما هي الاحدى
لاصوات صاحب المشرع ومن نصره فيه من قبلي . وانما حزني وأسفي لحرمان
الامة الاسلامية من الخير العظيم الذي كان ينتظرها ان هي اجابتها ، ولكن ما حيتي
وقد دعوت ونصحت وما فرطت ، والامة أعرضت وجمدت واستكبرت . وقد
فشلت دعوة الكثيرين من أهل الخبرة والاخلاص من قبل فلم ينتص إعراض
الناس عنها من قدر الحق ولا من قيمة مادعوا اليه شيئا ، اذ الحق حي بذاته لا يضره
أن يكفر الناس به كما لا يرفعه أن يغفلوا فيه . وان في ضياع صوت أستاذنا العظيم في
فضاء غفلة هذه الامة الجاهلة اميرة وذكري للمتشائمين المتسرعين

انه يقع الانسان في الخبرة ويأخذه المعجب لحبسة دعوة الحق بين المدايين
وفيها خيرهم وفلاحهم ونجاح دعوة الشرفيهم وفي اجابتها هلاكهم وشدة وهم . فما أشد
ظلمهم لاهل الحق الذين يفارون على الامة ويريدون لها الرشاد ، وظلمهم لانفسهم
باتباعهم أهل الضلال الذين يسعون في الارض بالفساد . ولقد ود المصلحون لو
أن الامة عرفتهم فأنزلتهم منزلتهم وسمعت نقولهم واقفت أثرهم فتهضت بهم .
لابسال هؤلاء الامة أجرا على عملهم فالحق والعمل الصالح إعلان أن يقوما بشي
من حطام الدنيا . وان أخذوا أجرا في الظاهر فليس هو في الحقيقة بأجر وما هو من
قبل من شيء ، مباع ولكنه مال يسدون به عوزهم ويستعينون به على عملهم الذي يقيمون
به الخير الامة وسعادتها . انما أجرهم على الذي فطروهم وهو وحده الذي يقر عملهم
ويكافئهم عليه في دار غير هذه الدار . أما أهل الباطل والضلال فهم يفتنون السم
في النفوس والارواح بما ينشرون من رأي ، ويدعون اليه من عمل ، ويسلبون أموال
الامة أجرا على هذه الضلالات ، انهم لا يرجون عند الله ثوابا ولا بعد هذه الحياة
حياة . فهم لذلك يمحالون على جمع المال بأي وسيلة تمكنهم منه ، فهو غرضهم الذي
اليه ينتهي الامل ، والسبب الوحيد الذي يحركهم للعمل . هؤلاء هم رسل الشهوات
وأعوان الهوى وأولياء الشيطان ، وأولئك هم دعاة الفضيلة والاصروا الحق وحزب الرحمن .
فيايت شعري أي الفريقتين خير مقاما وأهدى سبيلا . ومن منهما أولى
بالاتباع وأقوم عملا وأحسن قيلا ؟ فياخلف خير أمة أخرجت للناس أن تبدلون

الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ وتندفعون الى الاوهام والفضلالات مختارين
وآتسلون الى الشر؟

ود كثير من الناس لو يعرفون سبب هذا الجفاء بين المسلمين وأهل الحق
والصلاح وهم المحبون الصادقون ، وعلّة هذه المودة بينهم وبين أهل الباطل والفساد
وهم الاعداء الظاهرون . فإنه لا بد ان ذلك من سبب ومتى عرف السبب زال العجب .
ليس العيب الذي تقدم ذكره هو الوحيد في المسلمين . والا فلماذا يمادي
هؤلاء المسلمون أنفسهم ويعطفون على أعدائهم؟ ولِمَ يمرضون عن مصالحهم
ويسارعون الى هلاكهم؟ وما الذي حسن اليهم الباطل وبغضهم في الحق؟ وأي
شيء سوغ اليهم ارتكاب السيئات وترك الحسنات؟ ولأي سبب يصالحون الشيطان
ويغضبون الرحمن؟ وما السبب الذي هبط بهذه النفس الانسانية الى درك الحيوانية؟
انه يوشك أن تكون جميع تصرفات المسلمين مخالفة للمقل والنقل وأحوالهم
مردولة غريبة الشكل . وانما هذه التصرفات والاحوال هي أعراض للمرض العام
الذي سكن في جسم هذه الامة فأضعف قوتها الحيوية وأسدل الحجب على بصيرتها
قبحت ما ليس بالقبيح ورأت حسنا ما ليس بحسن . فرض الامة هو سبب كل
ما تنكر من مبواها وحركاتها وسكناتها . فاذا عرف المرض عرف السبب

المرض أو السبب هو كما قال السيد الامام هو ضعف استعداد الامة وحرمانها
من الزعيم . وهو قول حق لا ريب فيه ، اذ لو وجد الاستعداد والزعيم معالتهضت
الامة من كبوتها وحييت حياتها الطيبة وانفارقها الشقاء ، وزال عنها ما نزل بها من البلاء
ولكن الى متى نسكت على هذا الضعف فينا ولا نباشر علاج أنفسنا؟ الآن وقد
عرف كنه المرض الذي أصابنا وسبب الضعف الذي أنهك قوانا فمن السهل معرفة
علاج هذه الحالة أيضا . انه وقد أمكن تشخيص الداء فما علينا الا أن نصف الدواء .
للعلاج لضعف استعداد الامة الا في أمر واحد وهو العلاج القديم الذي
ثبت صلاحه وتأكد نجاحه رابع في كل زمان وفي كل مكان وسار على سننه
الانبياء عليهم الصلاة والسلام في تبليغ رسالات ربهم عز وجل ، وكذلك الصالحون
من بعدهم . ذلك العلاج هو اقامة فریضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »

ان الناس أفلحوا وسعدوا ما عملوا بهذه الفريضة وخابوا وشقوا ما أهملوها .
فكما أن دانا في تركها كذلك علاجنا في اقامتها . وقد جعل الله تعالى العمل بهذه
الفريضة شرطا ضروريا لصحة الايمان وهي أعظم ما فرض العليم الحكيم على أتباع
أنبيائه عليهم السلام ، فكانت ولا تزال اقامتها عنوانا على هداية الناس وسعادتهم ،
واهمها دليلا على صلاحهم وخسرتهم واستحقاقهم للمنته « لتأرن بالمعروف ولتنبن
عن المنكر أو ليرسلن الله عليكم شراركم فبدعوا خياركم فلا يستجاب لهم » (لمن
الدين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا
وكانوا يعبدون » كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون)

تركت الامة الاسلامية العمل بفريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر »
من عدة أجيال فتقدت بذلك قوتها الحقيقية التي كانت نحوي بها الاموال والاعراض
والعقول والقلوب والاخلاق والدين من فتنك الشهوات وهجمات الشياطين . وماذا
يفعل الاعزل من السلاح ، في ميدان النزال والكفاح ؟ صار أفراد المسلمين بعد
ذلك - وقد خفت صوت الامة وارتفع صوت الشهوات والهوى والشيطان ،
كالعقد الذي تبثرت حباته أو كذرات الرمال التي تتجاذبا الرياح والاهواء المختلفة
فضل الناس في الفهم والرأي والعمل ولا منكر ولا مرشد ، وانحلت الرابطة
وتفرقت الكلمة ، وتناكرت العقول والقلوب ، وضاعت الفضيلة ، وحلت محلها الرذيلة ،
واستبدل الجهل بالعلم ، وأوشك أن يكون الدين المعمول به عند الجماهير الآن
مجموعة خرافات وأوهام وضلالات ، وبدع ومنكرات وتقاليد وعادات ، وبالجملة
ان الحال قد تحول الى ما يرى كل انسان ، وليس الخبر كالعيان . تلك عاقبة الدين نسوا
حظا بما ذكروا به باهمهم هذه الفريضة فتولدت بذلك في الامة الامراض والعلل ،
التي أضفت استعدادها للفهم والعمل ، فضل فيها صوت المصلح ، وخابت دعوة
الحق ، وما ربك بظلام للعبيد

وان تعجب فعجب أن يمتد القادرون على الاصلاح عن اغتالهم ذلك الواجب
العظيم باعراض الامة عن الحق والخير وانصراف عقول أفرادها وقلوبهم الى الباطل
والشر ، ونسوا ان الامة ما سقطت في هذه الهوة السحيقة ، الا بسبب اهمال هذه

الفریضة . كما غفلوا عن كونها أحوج الى الارشاد في هذه احالة منها في سواها . ان ما وقع من الامة من التفريط في جنب الله لا ينبغي أن يستل عنه سواها وان عليها ان تتحمل وحدها أثقاله وتتجرع مرارته (ولا نزر وازرة وزر أخرى) . فلا يصح أن يؤدي تفريط الامة في واجبها الى تفريط المؤمن في واجب « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » الذي فرضه الله عليه ، ولا يسقط عنه الا بأدائه ، سواء استجاب له الناس أم لم يستجيبوا . ما كان ضعف استعداد الامة للحياة أو بعبارة ثالثة ضعف قوتها الحيوية الذي هو نتيجة طبيعية لما كسبت أيديها كما تقدم ليفير من موقف المصالح أمامها ، فهو مطالب على الدوام بأن يصدع بالحق وان كان غريبا عن عقول وقلوب أكثر سامعيه ، وان يقرر الحقيقة وان لم يقفها الا نفر قليل منهم ، ولد عوته مع ذلك حجة على الطائع والفاسق ، وما الاخير لقلته استمداده بمدور (كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » وقالوا قلوبنا غاف بل امنهم الله بكفرهم قليلا ما يؤمنون » يس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء » ما على الرسول الا البلاغ) وقد دعا كثير من أنبياء بني اسرائيل قومهم الى الحق فكذبوهم وقتلوهم . وما كذبوهم وما قتلوهم الا لانهم لم يفقهوا دعوتهم أو لم يقبلوها . وكذلك كان شأن الناس مع كثير من المصلحين . فما من دعوة الى حق الا وصادفت في أول أمرها إعراضا عظيما ومقاومة كبيرة ممن جاءتهم ، حتى قيل انه لا أمل في قبولها . ومع ذلك لم يكن ذلك الاعراض وذلك التكذيب وتلك الشدائد لوثر في همة أولئك الهداة وعزمهم ، أو ترجمهم عن قصدهم ، فمن ذا الذي يجسر ان يقول ان عملهم كان لغوا لان الناس لم يكونوا مستعدين له ؟ كلاب بل هو كل الحق والصواب وعين ما أمر الله به وأوجبه عليهم وهو سبب كل ما وجد وما يوجد من خير واصلاح في العالمين وعللة الحركة والحياة في الناس أجمعين .

ان كل دعوة لحق تصيب الفرض سواء أجيبت في الحال أم لم تجب وسواء أدرك لداعي نجاح دعوته في حياته ، أم حصل النجاح بعد وفاته ، فهي محدثة أثرها على كل حال . فمثل الكرم الطيب والعمل الصالح وتأثيرهما في النفوس كمثل التفاعلات الكيماوية سواء بسواء ، فان التفاعل الكيماوي حاصل وان كان أحيانا

(المنار : ج ٤) (٣٢) (المجلد التاسع عشر)

يسير ببطء بما لحالة المود وطبيعتها وقوة تأثيرها بعضها في البعض الآخر . وكثيرا ما تجري الحوادث الكونية بحيث لا تدر كها الابصار ولا تناولها الحواس ، فاذا مضت الايام أو الشهور أو السنون أو القرون فوجى الغافلون بالتأج الصغيرة أو الكبيرة التي نشأت عنها ، وبالجملة انه كما ان لكل حركة اثر في مجموع ما يحيط بها من الاشياء كذلك لكل كلمة طيبة أو كلمة خبيثة فعلها في رديع الناس هن الشر أو اغرائهم به . أفليس من الوجوب علينا الاكثار من الكلم الطيب دعوة للخير ومقاومة لدعوة الشر التي كثرت واستفحل أمرها ؟

ان الباطل عدو الحق كما أن الحق عدو الباطل . وهذه العداوة قديمة من عهد ان عرف حق وباطل وتبقى مستمرة الى ما شاء الله تعالى . فقلنا ان نفهم هذه الحقيقة ولا يطعم من أحد في التوفيق بين عدوين هما أكبر خصمين في الوجود . انه لا ضرر على الحق من هذه المداورة أو الخوض التي لا مفر منها ، فالباطل أضعف من ان يقف امام حق والحق أقوى من ان ينازل باطلا وما كان لباطل ان يوجد مع حق في ساحة فأين وجد حق لا يوجد باطل وان الباطل ليتضامل امام أشعة الحق كلما اقرب منه كما تتضامل الظلمة امام الضوء . ان الحق ثابت بنفسه والباطل ساقط بذاته أو بعبارة أخرى ان حياة الحق مستقلة باستقلال الحق ولا حياة للباطل الا باستناده الى الحق فهو أشبه بالخيال منه بالحقيقة . انه لا يطلب الباطل الا الحق فالباطل قوي ما غاب عنه الحق وكما انه لا سلطان لحق على حق كذلك لا قوة للباطل على باطل وكما ان الباطل يذهب لتقدم الحق فانه لا يترك مكانه للباطل مثله . فيلزم مواجهة الباطل بالحق على الدوام فموت الباطل في قرب الحق منه وحياة الحق في خفاء الباطل . ان الحق حق ولا يمكن ان يكون الاحقاء والباطل باطل ولا سبيل الى جملة حقا ، فلا بد من الخلاف والتصادم بينهما . ولما كانت مهمة الحق ازهاق الباطل ودأب الباطل الفرار من امام الحق والانتشار في الساحات التي لا سلطان له فيها ، وجب ان يتعقب الحق الباطل أينما حل وسار ، لينم له الانتصار .

لا عيب في الحق وانما العيب فيمن يدهون اتهم أهله اذا تصروا في القيام به ونصره ، والا فقيم يخشى أهل الحق أهل الباطل وهو لاء ضمفاء بضمف ما لديهم

من باطل ، وأوائك أفويا بما لديهم من الحق ؟ لا يجوز لاهل الحق ان يدعوا هؤلاء المبتلين آمنين مغرورين بزخرف الباطل مفتونين بظواهره الكاذبة حتى لا يكون ذلك اقرارا منهم لباطلهم ، بل ان الواجب اطلاق بلهم وقذفهم بالحق دائما بدون رافة أينما ذهبوا أو حلوا أو وجدوا ، في غدوهم ورواحهم ، في نومهم وبتظتهم ، في أعمالهم وراحتهم ، الى ان يذهب نور الحق بظلمة الباطل ، ويعرفوا انهم لم يكونوا الا واهمين . ان نور الحق متى ظهر للناس لا يستطيعون نكراته وان استطاعوا انكاره فلا يقدرّون على المجاهرة به . وان الاصرار على الباطل بعد أن يفضحه الحق قليل في الناس ، وانما يصر الا كثرون منهم على ما يصرون جهلا منهم وتوهمها أنهم على حق ، لا عذر في السكوت على الباطل فيجب أن لا يصد داعيا الى الحق صادّهما عظمت المهمة وبعدت الشقة ، واذا بعد الناس عن الحق أو قل عدد الراغبين فيه منهم أو فقدوا في بعض الازمنة أو الامكنة فان ذلك لا يجعل الحق غير حق ، ولا ينبغي ان يكون مانعا من الدعوة اليه اذ الباطل لا يصح ان يرضى به على أي حال . ان الحالة قاضية بتنبية المسلمين الى الخطر المحقق بهم ، وأن يقال لهم في وجوههم بصوت جهوري : انكم في هوة انحطاط سحيقة تجب المبادرة الى انقاذ أنفسكم منها . ولا يمكن أن يقال لهم غير ذلك . ينبغي أن يقال للمسلمين : « يامعشر النساء ويامعشر الرجال انتم على باطل وضلال . وأن تقاليدكم وعاداتكم التي تدينون بها وتحرسون غاية الحرص عليها انما هي من مخترعاتكم ومخترعات آباءكم ، وأن العقول ينكرها وشرع الله يتبرأ منها . وهذه القبور وما حوت من عظام والاشجار والاحجار لا يمكن أن تتخذ وسيلة الى العالم الملام ، ولا سببا لقضاء الحاجات أو شفاء الاسقام ، وهذه الافكار الفلسفية والنزعات المادية التي اتبستم فيها سفهاء الافرنج بدعوى المدنية لم تكن الا نزغات شياطين . وهذا الفسق والفجور والعصيان من عمل الشيطان ولا يتفق مع رضاء الرحمن . وأن خطتكم التي تسيرون عليها الخطّة عوجا ، وهي سبب ما نزل بكم من البلا . وارجموا الى أصل الدين تكونوا من المهتدين » يجب أن يقال ذلك وماشاكاه للمسلمين وأن يبين لهم ما يقال تقريرا للعقول والافهام . فمن قام بذلك فقد قام بواجبه وايس عليه أن يبحث في مبلغ تأثير

كلامه في نفوسهم فليس عليه هدام وإنما الهدى هدى الله .
 قد يفقه المسلمون القول ويدركون الغرض المقصود منه في الجملة فيهمون أن
 يفتجروا عيونهم للنظر ويتحركوا للعمل ولكن قد تغلبهم الشهوات فيعرضون ،
 ويوسوس لهم الشيطان فينكصون ، وعن اتباع الحق يعدلون . انهم عصوا لضعف
 استعدادهم ولكن ما حيلة الداعي وأمر استعدادهم بأيديهم ان شاؤا أصلحوه وان
 شاؤا زادوه ضعفا ؟ وما ذنبه والمرء لا ينفعه زجر زاجر ما لم يكن له من نفسه وازع
 (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)
 ان الناس مسؤولون عن ضعف استعدادهم كما أنهم مسؤولون عن ضياع كلمة
 الحق بينهم . وان ضعف استعداد الامة ناشئ عما ارتكبته من السيئات ، فيكفي منها
 الإقلاخ عنها وعمل الصالحات لييدها الله تعالى من فضله حسنات . ما عذر هؤلاء
 المسلمين في هذا الانحطاط الذي انفردوا به وفيهم كتاب الله تعالى ، وأمامهم سنة
 رسوله (ص) وبن أيديهم آثار أهل الحق ورجال الإصلاح ، وتحت أنظارهم
 الأمثال الحسية على قيمة العمل وعلو الهمة فيما يشاهدونه حولهم من المجهودات
 العظيمة التي تقوم بها الامم العريزة القوية ؛ ان المريض وان اشتد به المرض قد
 يجد الى الشفاء سبيلا باتباع أوامر الطبيب والعمل بارشاده . فلماذا لا تطلب هذه
 الامة شفاءها في القرآن الذي ما فرط الله فيه من شيء ففيه شفاء للناس ؟ ولم لا
 تستوضح ما أشكل عليها من سنة الرسول (ص) والمأثور عن السلف الصالح ؟ كل
 ذلك ميسور لها سهل عليها . بل ما الذي يمنها من الاصغاء لنداء أهل الحق
 والإصلاح الذين يمن الله تعالى بهم على المسلمين من وقت الى آخر رحمة بهم اذا
 اشتدت الحاجة اليهم وزاد الكرب وضاع اللب وبلغت الروح التراقي ؟ لقد رزق الله
 الامة الاسلانية من هؤلاء في أقل من نصف قرن ثلاثة أقطاب كل واحد منهم يكفي
 للنهوض بالامة وامعادها لو وجدوا منها سميةا وناصرها وطيعا . انه قضى منهم اثنان وها هو
 ذا الثالث يترع بالحجة ويصدع بالحق تسعة عشر عاما فهل وزن قوله بميزانه وعرف
 له حتى الآن قدره ؟ ان صوت المنار لهو حجة الله الناطقة في الناس في هذا العصر وأنه
 وان ضاع حتى الآن بين أهل هذا الزمان فانه لا يضيع عند الله ولا في مستقبل الأزمان

أفلا ينظر المسلمون الى حالتهم ويرجعون الى أنفسهم ليجدوا أنهم ضلوا ضلالاً بعيداً وهل شيء أدل على ضعف دينهم وأحلال قوتهم من قيام قسيس في هذين اليومين يطعن في السنة وأشهر رواياتها وحملتها وينشر شبهته في مجلة سيارة ويدعو الى الرد عليها ثلثمائة مليون من المسلمين ؟

فأي برهان على فتر الامة من الرجال أقوى وأظهر من سكوت علماء عن رد مزاعمه وإبطال شبهاته سوى رجل الاصلاح الاوحد ناصر الاسلام السيد الامام ؟ ان القسيس ما كان ليتحدى برسالته صاحب المنار فهو يعرف من هو، وكان يتمنى طبعاً لو لم يرد عليه بحرف واحد. فهل الامة كلها صاحب المنار؟ وهل عدم المسلمون وهم يعدون بمئات الملايين من يستطيع ابطال الشبهة ورد الفرية سواء؟ قد يكون ذلك صحيحاً وباللاسف وقد لا يكون صحيحاً. ولكن الذي يلزم الاعتراف به هو ان الامة سكمت لمن ادعى انه هدم الاصل الثاني من اصول دينها وهو السنة النبوية وقد وقف أمامها يدعوا افرادها كافة الى الكلام، ويطلب منهم وهو فرد ضعيف الخروج جميعاً الى الميدان فهل نصدق بعد هذا دعاوي من تصدروا لارشاد الامة وسما أنفسهم رجال الدين وأئمة؟ وهل يغتر الغافلون بتظاهر أهل العمامم والفرجيات من علماء هذا الزمان بالتقوى والصلاح والغيرة على الدين والعمل لمصلحة المسامين؟ ألا يت شعري بماذا يعلنون سكوتهم وقد وجب النطق واستنصر الحق؟ وبأي شيء يؤولون اهملهم فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وهم اولى الناس باقامتها ؟

لا جواب على ذلك الا ان الهم مصر وفة الى غير تلك السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل لم تفقد الامة الاسلامية استعدادها للعمل فقدما تماماً اذ هي لا تخول من استعداد لقبول دعوة الخير الى حدماً والآ لكانت شرّاً محضاً. ولا يوجد في الكون محض شر والآ لزال على الفور. فالذي نشكوه وعناه السيد الامام هو ضعف الاستعداد لا فقدته تماماً. وانما ترفض الامة الضعيفة الاستعداد دعوة الحق ولا تلبها في وقتها لتعصر في النظر وقلة في الفهم، وضعف في القلب. وليست معذورة في ترك العمل لضعف استعدادها وحرمانها من الزعيم أو الزعماء كما تقدم، فان ذلك الضعف وذلك الخزمان منها وهي التي والديهما كما تلد الام ولدها

ألا ان الاستعداد لا يوجد في الامة من نفسه ولا يوهب لها كما يوهب المتاع. ولكن الامة هي التي توجد به تمهيد الاسباب له كما ان وجود الزعماء تابع لحركة الحياة فيها ، فهم أبقاؤها وهي التي تلدهم . فالامة هي التي توجد استعدادها كما تلد زعماءها ، وقد يكون الزعيم موجودا وهي لا تراه لعله في باصرتها أو بصيرتها فاذا زالت العلة بتقوية الاستعداد للاصلاح والتوجه لطلبه وجدته بين يديها وأمام عينها فالامر كما راجع الى الامة وهي التي عليها أن تحضر الدواء وهي التي عليها أن تعطاه . فهي المريض ومنها الطبيب . وبعبارة ثانية ان الامة متى وجد فيها الاستعداد للحياة أوجدت طبيبها واستعدت لقبول دوائه ، فهي المطالبة باعداد الطبيب أو الاطباء وهي المطالبة بتجهيز الدواء وباستعماله في مقاومة الداء . انها هي المطالبة وحدها باقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فان عجزت فقد عجزت عن الحياة ولا دواء ولا شفاء

لست أعني بهذا اني اثبتت من حياة هذه الامة ، بل مرادي أن أقول ان حياتها لا تكون الا في العمل بهذه الفريضة التي هي العلاج الوحيد لمرضها . انه ما كان للسيد الامام وهو طبيب الامة الا وحده أن يباشر علاجها الا من هذا الطريق الطبيعي الامين ، وان يستعمل سلاحا لقطع عرق الفساد من أصوله غير ذلك السلاح الماضي . فلقد أحيا هذه الفريضة ونصرها بلسان المنار الذي أنشأه وبلسانه على منابر الخطابة وفي الجمعيات والحفلات وفي مجالسه العامة والخاصة وقد ربي المنار رجالا يحبون الاصلاح ولكنه على ارتفاع صوته وعظيم قوته المستمدة من قوة الحق لا يزال عدد من رباهم قليلا واستعدادهم ناقصا . ولا يدل ذلك على تقصير لمار بل هو علامة على استفحال الداء في جسم الامة . ولما رأى الرجل زاده الله علما وهدى أن تيار الفساد يشتد اشتدادا ، وأعوان الضلال وأولياء الشيطان يزدادون ازديادا ، أدرك أن الامر يقضي بتربية فئة من المسلمين تربية عملية أخلاقية دينية عصرية ليجمع منهم سدا امام ذلك السيل الجارف الذي ينذر بأمر خطير وشر مستطير . انه أراد بتأسيسه [جمعية الدعوة والارشاد] أن يهب الامة كنزا ثميننا لانفاد له لتأخذ منه على الدوام حاجتها من الرجال القادرين على اقامة

هذه الفريضة التي لا قوام لها بدونها .

انه كان حقيقا بالمسلمين وقد أصبحوا على حافة الهاوية ان يشتروا حياتهم باحياء هذا المشروع . ان الحياة أغلا من ان تقوم بمال . فهل كثر على المسلمين ان يشتروا حياتهم بفلس لو قُسم على كل فرد منهم ما أصاب الفرد بارة واحدة ؟ اهم بخلوا بهذه الدرهمات ولذلك مات المشروع فمات بموته آمال عظام . انه مات صدقا ولكن ذلك لا يفرغنا فسيخلفه الله خالقا جديدا وما ذلك عليه بعزير . نعم مات المشروع بعد ان عاش أربع سنين عيشة مضطربة ، ولكنه سيعود باذن الله تعالى على أيدي أناس آخرين جديرين باحراز فخر القيام به . انه مات ولكنه في الحقيقة لم يموت ، فقد مات بشكله الذي انشأ عليه وعاد للحياة بعد تحوير في شكله الاول بقدر ما سمحت به الوسائل لصاحبه وسيبقى ما شاء الله تعالى حاكما على الامة بالضعف وللإستاذ بعلو الهمة والاخلاص . مات المشروع ليحيا المشروع . مات وحقيقة الامر انه حي لانه من الحق والحق لا يموت ابدا . ليكن مات في الظاهر ولكن صاحبه بفضل الله لم يموت وسيبقى بتوفيق الله تعالى بالرغم من حسد الحاسدين سيما مسولوا فوق رقاب المفسدين ، وحمجة لله تعالى على المجرمين ،

ليس غرضي الآن ان أعود فادعوكم لى نصرة المشروع وقد رفضتم الدعوة من قبل وما أغتكم النذر ، وانم أدعوكم الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » فانظروا ماذا أنتم صانعون . اني أطلبكم باقامة هذه الفريضة التي لا مجال فيها للتأويل ، ولا للقل والقليل ، انه في اقامة هذه الفريضة علاجكم الوحيد فلا يصح ان تتوانوا في طلبه والا فقدتم حياتكم .

ان الحالة وان اشتدت وتماظمت لا يجوز ان ييأس باشتدادها المؤمنون ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .

نم أنكم قطعتم في سبيل الضلال شوطا بعيدا وسطقتم في مهواة الخلية والخسران سقوطا شديدا ، وصرتم أحط أهل الشرق والغرب ، وضجت من أفمالك الأرض واستغاثت السماء وهضب الرب ، ولكن العلاج لازال ممكنا وطريق السلامة أراه مفتوحا آمننا . ولا يعوزكم لا السرعة في العمل ، قبل ضياع الأمل . فان نار الشهوات

والهوى التي أحرقت أجسامكم وأرواحكم تكاد تأكل ما بقي من رمق فيكم، فاحفظوا هذا الرمق وانجوا بأنفسكم والأهلكم كما هلك من كان قبلكم وما أنتم بمعجزين .
يؤلفي انه اذا دعا المسلمين داع لا يعرفون من المقصود منهم بالكلام فكل ينتحل لنفسه الاذار ويرى انه غير معني بقول ولا مكلف بعمل ؛ ذلك بأنه لا جامعة تجمعهم ولا سائل ولا مسؤول ؛ ولكن الله يعلم ورسوله وملائكته وأهل الحق يعلمون ان لا وظائف في الاسلام ولا رسوم ، فكل مسلم مخاطب بكامة الحق مطالب بالصل بكتاب الله وسنة رسوله ، والامة كلها متضامنة في مسؤولية الرضاء بالحالة المعاصرة ، وعلى ذلك فأنا أوجه خطابي الى الامة جميعها ، وأعني به كل فرد من أفرادها ، واقصد بنوع خاص أهل العتل والفهم الذين لهم آذان يسمعون بها وقلوب يفقهون بها ، اني أدعو هذه الامة الى اقامة فريضة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » وأخطب في شخصها المسلمين كافة صغيرهم وكبيرهم سواء منهم المعم والمطربش ، الكبير والمحقير ، الغني والفقير ، التاجر والصانع ، صاحب الملك والمزارع ، الخاهي والعامي ، البدوي والحضري ، العربي والمجبي ، اني اطالبكم جميعا باقامة هذه الفريضة فان أجتم فان الله يمدكم من لدنه مغفرة وأجرا عظيما وان يرفع عنكم هذا البلاء ، ويفيض عليكم رزقا ورحمة من السماء ، وان تولوا فحسبكم ما أنتم فيه جزء في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى

أدعوكم أيها المسلمون الى اقامة هذه الفريضة ولا أخيركم بين اجابة الدعوة ورفضها لانه ما كان لي أن أخيركم بين الصحة والاعتلال ، والهدى والضلال . ولكم فيما عدا ذلك أن تعدوا وسائل العمل بحسب ما يروق لكم . ولكن ذلك لا يمنعني أن أكرر النصح لكم بأن أقرب الطرق الى اقامتها على وجهها هو تنفيذ مشروع [الدعوة والارشاد] الذي دعوتكم الى تعضيدته في رسالتي الماضية . فان كنتم في ريب منه فأتوا بمشروع خير منه أو مثله للقيام بهذا الواجب الاكبر ، وتخليص الامة من هذا الكرب العظيم ان كنتم صادقين ، فان لم تفعلوا وان تفعلوا فاعلموا أن مادعاكم اليه امامكم هو الحق المبين وانني لم أكن في ترديد دعوته غير ناصح أمين .

نشرنا هذه الرسالة ومنتشها المنار قد ذهب الى اداء فريضة الحج فتوجه اليها نظر المسلمين ونخص صاحب (الانتقاد على المنار) ص ١٩٠ ج ٣
صالح رضا

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٢٩ ذي الحجة ١٣٣٤ — ع المغرب (خ ٢) ١٢٩٥ هـ ش ٢٧ أكتوبر ١٩١٦

فوائد شتى (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

العمل بالحديث الصحيح

قال السندي في حواشيه على فتح القدير من كتب الحنفية: الحديث حجة في نفسه، واحتمال النسخ لا يضر فإن من سمع الحديث الصحيح فمسل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يلفه الناسخ، ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح: لا يعمل به حتى يعرضه على رأي فلان وفلان، فاما يقال له: انظر هل هو منسوخ أم لا. أما اذا كان الحديث قد اختلف في نسخه فالعامل به في غاية العذر، فان تطرق الاحتمال الى خطأ المفتي أقوى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث. قال ابن عبد البر: يجب على كل من بلغه شيء أن يستعمله على عمومته حتى يثبت عنده ما يخصه أو ينسخه، وأيضا فان المنسوخ من السنة في غاية القلة حتى عده بعضهم احدا وعشرين حديثا، واذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال الخطأ المفتي كيف لا يسوغ له الاخذ بالحديث اذا فهم معناه وان احتمل النسخ، ولو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسوغ العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطا في العمل بها وهذا من ابطال الباطل، وقد اقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله عليه وسلم دون آحاد الامة ولا يعرض احتمال الخطأ لمن عمل بالحديث وأقوى به بعد فهمه الا وأضعاف أضعافه حاصل لمن أقى بتقليد من لا يعلم خطؤه من صوابه ويجري عليه التناقض والاختلال ويقول القول ويرجع عنه ويجكي عنه في المسألة عدة أقوال

وهذا كله فيمن له نوع أهلية أما اذا لم يكن له أهلية ففرضه ما قال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) واذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتبه له المفتي من كلامه أو كلام شيخه وان علا فلان يجوز اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالجواز ولو قدروا أنه لم يفهم

(من جمع الشيخ أحمد شاكر بن الشيخ محمد شاكر والحواشي والمناوين من وضع صالح رضا

[المنار: ج ٥ م ١٩] الفقه والاجتهاد. السؤال عما لم يقع. حديث ان الله الخ ٢٤٧

الحديث فكما لو لم يفهم فتوى المفتي يسأل من يعرفها فكذلك الحديث . انتهى
كلام السندي ملخصا وقد أطال من هذا النفس العالي رحمه الله تعالى ورضي عنه
الفقه في الدين والاجتهاد

قال الامام قتي الدين ابن دقيق العيد من أئمة الشافعية في خطبة [شرح
الامام] كما نقله عنه السبكي في طبقاته في ترجمته : ان الفقه في الدين منزلة لا يخفى
شرفها وعلاها ، ولا تحتجب عن العقول طواغيتها وأضواها ، وأرفعها بعد فهم كتاب
الله المنزل ، والبحث عن معاني حديث نبيه المرسل ، اذ بذلك تثبت القواعد ويستقر
الاساس ، وعنه يقوم الاجماع ويصدر القياس ، لكن شرط ذلك عندنا أن يحفظ
هذا النظام ، ويجعل الرأي هو المأموم والنص هو الامام ، وترد المذاهب اليه ،
وترد الآراء المنتشرة حتى تقف بين يديه ، واما ان يجعل الفرع أصلا ويرد النص
اليه بالتكلف والتجمل ، ويجعل على أبعس المحامل بلطافة الوهم وسعة التخيل ،
ويرتكب في تقرير الآراء الصعب والذلول ، ويحتمل من التأويلات ما تنفر منه
النفوس وتستنكره العقول ، فذلك عندنا من أردأ مذاهب وأوسوأ طريقة ، ولا نفتقد
أنه يحصل معه النصيحة للدين على الحقيقة ، وكيف يقع أمر مع رجحان منافيه ؟
وأني يصح الوزن بميزان مال أحد الجانبين فيه ؟ ومتى ينصف حاكم ملكته غضبة
النصيبة ، وأين يقع الحق من خاطر أخذته العزة بالحمية الخ (الفتوى في الاسلام
ص ٤٤)

السؤال عما لم يقع

قال الحافظ البيهقي : وقد كره بعض السلف للعوام المسألة عما لم يكن ولم يمض
به كتاب ولا سنة ، وكرهوا للمسؤل الاجتهاد فيه قبل ان يقع لان الاجتهاد انما
أصبح للضرورة ، ولا ضرورة قبل الواقعة وقد يتغير اجتهاده عند الواقعة فلا ينعينهم
ما مضى من الاجتهاد ، واحتج في ذلك بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم « من
حسن اسلام المرء تركه ما لا يفنيه » انتهى (الفتوى في الاسلام صحيفة ٤٥)

معنى حديث ان الله خلق آدم على صورته

سئل أحمد بن عطاء أبو عبد الله الروزبادي المتوفى سنة ٣٦٩ قال الحافظ ابن

عساكر وفي مروياته أحاديث وهم فيها وغلط غلطا فاحشا عن قول النبي صلى الله عليه وسلم « ان الله خلق آدم على صورته » فقال : ان الله جل ثناؤه خلق الخلق مرتبة بعد مرتبة ونقله من حال الى حال كما قال (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين) ثم جماعناه نطفة في قرار مكين - الى قوله - فتبارك الله أحسن الخالقين) وخلق آدم ليس على هذه الاحوال وانما خلق صورته كما هي ثم نفخ فيه من روحه فلاجله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته اه (مختصر تاريخ ابن عساكر جزء ١ صحيفة ٣٩٤)

نشوء علم الفلسفة

قال الامام الذهبي في تذكرة الحفاظ في آخر الكلام على الطبقة السادسة من طبقاتهم : وكان في زمان هؤلاء خلائق من أئمة الحديث ومن أئمة المقربين كورش واليزيدي والكسائي واسماعيل بن عبيدالله المكي القسط ، وخلق من الفقهاء كفقيه العراق محمد بن الحسن وفقهيه مصر عبد الرحمن بن القاسم ، وخلق من مشايخ القوم كمشيقي الباقني وصالح المري الواعظ والفضيل والدولة لهرون الرشيد والبرامكة ثم بعدهم اضطربت الامور وضعف أمر الدولة بخلافة الامين رحمه الله فلما قتل واستخلف المأمون على رأس المائةين نجم التشيع وأبدى صفحته وبرز فجر الكلام وعربت حكمة الاوائل ومنطق اليونان وعمل رصد الكواكب ونشأ للناس علم جديد مرد مهلك لا يلائم علم النبوة ولا يوافق توحيد المؤمنين قد كانت الامة منه في عافية ، وقويت شوكة الرافضة والمعتزلة وحمل المأمون المسلمين على القول بخلق القرآن ودعاهم اليه فامتحن العلماء فلا حول ولا قوة الا بالله ؛ ان من البلاء أن تعرف ما كنت تشكر وتتكلم ما كنت تعرف ، وتقدم عقول الفلاسفة ويعزل منقول اتباع الرسل ، ويمارى في القرآن ويتبرم بالسنن والآثار وتقع في الخيرة ، فالفرار الفرار قبل حلول الدمار واياك ومضلات الاهواء ومجارات العقول ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم (تذكرة الحفاظ جزء ١ ص ٣٠٥)

كتاب المذهب للذهبي

وجدت بدار الكتب المصرية كتاب [المذهب] للذهبي بخطه وعلى ظهر المجلد

الاول ما نصه بخطه رحمه الله تعالى « المجلد الاول من كتاب المذهب في اختصار السنن الكبير تأليف الامام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي رحمه الله تعالى اختصار كتابه محمد بن أحمد بن عثمان ابن الذهبي فخر الله به، ونحت ذلك بخطه رضي الله عنه أيضا ما نصه

« وقال ابن الذهبي : لم أختصر من أحاديث الكتاب شيئا بل اختصرت الاسانيد فان بها طال الكتاب ، وبقيت من السند ما يعرف به مخرج الحديث وما حذف من السند الا ما قد صحح الى المذكور فاما متونه فأتيت بها الا في مواضع قليلة جدا من المكرر قد أحذفها اذا قرب الباب من الباب وآتى ببعض المتن وقد تكلمت على كثير من الاسانيد بحسب اجتهادي والله الموفق، وقد رمزت على الحديث بمن خرجه من الائمة الستة [خ م د ت س ق] ولم أتم هذا فان فسح الله في الاجل طالعت عليه الاطراف لشيخنا أبي الجمال الحافظ ان شاء الله تعالى، وهذا امر بين هين كل من هو محدث فانه يقدر على رمز أحاديث الكتاب من الاطراف وما خرج عن الكتب الستة فقد بينت لك اسناده وخرجه فاكشف عليه ان شئت من كتب الجرح والتعديل فالرجال ثلاثة اما موثق مقبول واما مضعف غير حجة واما مجهول، لكن كل قسم من الثلاثة على مراتب في القوة واللين والجهالة، انتهى . والنسخة نفيسة جدا كلها بخطه خمسة مجلدات تنقص الثاني والوجود منها أربعة وفقى الله لنا من يطبعه وينشره آمين

كتاب الجمع بين الصحيحين

وجدت بدار كتب رواق الاروام بالازهر جزء من الجمع بين الصحيحين للحميدي وهو السادس وقد أحببت نقل خاتمته لما فيها من النفاث قال رحمه الله

تعالى : —

« تم جميع الكتاب بحمد الله وعونه ، نسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجهه انه ولي التوفيق وهو على كل شيء قدير وهو حسبي ونعم الوكيل » ثم قال عقب ذلك

« وهذه الاصول تتصل بآخر ما في الصحيحين من مسند الصحابة رضي الله عنهم

وهو آخر ما قصدنا اليه من الجمع بين الصحيحين وتمييز ما انفقا عليه من المتون
المخرجة فيهما وما انفرد به أحدهما منها مستقصى على شرطنا مرتباً على ما بدأنا به
ربنا مع الاختصار الممين على سرعة الحفظ والتذكار، ولم يبق للباحث المجتهد الا
النظر فيها والتفقه في معانيها ومراعاة حفظها واقامة الحجة بها، فالى هذا قصد المتقدمون
من أئمة الدين في حفظ اسنادها للمتأخرين لتكون حاكمة بين المختلفين وشواهد
صدق المتناظرين رضي الله عنهم أجمعين ووفق التابعين لهم باحسان الى يوم
الدين . فأما اسنادنا في هذين الكتابين فقد روينا كتاب الامام أبي عبد الله
البخاري بالمقرب عن غير واحد من شيوخنا بأسانيد مختلفة متصل بأبي عبد الله محمد
ابن يوسف بن مطر الفربري عن البخاري، ثم قرأته بمكة أعزها الله على المرأة الصالحة
كريمة بنت أحمد بن محمد بن حاتم المروزي غير مرة لعلو اسنادها فيه كأننا قرأناه
على أبي ذر عبد بن أحمد الهروي عن أبي الهيثم بن المكى بن محمد بن زراع
الكشميني عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مهزب بن صالح بن شير بن
ابراهيم الفربري عن أبي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري رحمة الله عليه وأما كتاب
الامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري فسمعناه بالفسطاط قراءة على الشيخ
الصالح أبي عبد الله محمد بن الفرج بن عبد الولي الانصاري وهو روايته عن أبي العباس
أحمد بن الحسن الحافظ الرازي سمعه منه بمكة سنة ست وأربعمائة قال : ثنا أبو
أحمد محمد بن عيسى بن عمرو بن منصور الجلودي قال : أنا الفقيه أبو اسحق
ابراهيم ابن محمد بن سفيان النيسابوري، قال : سمعته من الامام أبي الحسين مسلم بن
الحجاج النيسابوري رضي الله عنه

فصل

« وقد استشرف بعض الطالبين الى معرفة الاسباب الموجبة للاختلاف بين
الأئمة الماضين رضي الله عنهم أجمعين مع اجماعهم على الاصل المتفق المستبين حتى
احتجج الى تكلف التصحيح في طلب الصحيح وقررت على هذا الطالب معرفة
بعض العذر في اختلاف المتأخرين لبعدهم عن المشاهدة وانما تعذر عليه معرفة الوجه

في اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم مع مشاهدتهم نزول التنزيل وأحكام الرسول صلى الله عليه وسلم وحرصهم على الحضور لديه والكون بين يديه والاخذ عنه والاتباس منه ، وهذا الذي وقع لهذا الطالب الباحث قد وقع لمن قبله انطوض فيه والبحث عنه ، وخرج في هذا المعنى بعض الأئمة من علماء الأمة فصلا رأينا أثباته ههنا (كذا) ^(١) هذا الشبه عن هذا الطالب الباحث وعن غيره ممن يخفى ذلك عليه ويتطلع الى معرفة الوجه فيه وبهذا الفصل يتصور (كذا) لك كل ^(٢) صورة وقوع ذلك منهم وكيفية اتفاهه لهم حتى كأنه شاهده معهم.

وهذا أول الفصل المخرج في ذلك أوردناه بلفظ مصنفه رحمة الله عليه: «قال لنا الفقيه الحافظ أبو محمد بن علي بن أحمد بن سعيد البزدي الفارسي رضي الله عنه في بيان أصل الاختلاف الشرعي وأسبابه»
سبب التورن والفتيا بما يخالف القرآن أو السنة

« نطلعت النفس بعد تيقنها أن الاصل المتفق عليه المرجوع اليه أصل واحد لا يختلف وهو ما جاء عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم اما في القرآن واما من فعله أو قوله الذي لا ينطق عن الهوى فيه لما رأت وشاهدت من اختلاف علماء الأمة في ماسبيله واحدة وأصله غير مختلف فبحثت عن السبب الموجب للاختلاف ولترك من ترك كثيرا مما صح من السنن فوضح لها بعد التفتيش والبحث أن كل واحد من العلماء ينسب كما ينسب البشر ، وقد يحفظ الرجل الحديث ولا يحضره ذكره حتى يفتي بخلافه وقد يعرض هذا في آي القرآن

« ألا ترى أن عمر رضي الله عنه أمر على المنبر ألا يزداد في مهور النساء على عدد ذكره ميلا الى أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزد على ذلك العدد في مهور نسائه حتى ذكرته امرأة من جانب المسجد بقول الله عز وجل (وآتيم احداهن قنطارا) فترك قوله وقال : كل أحد أعلم منك حتى النساء . وفي رواية أخرى : امرأة أصابت ورجل أخطأ . علما منه رضي الله عنه بأن النبي صلى الله عليه وسلم وان كاد لم يزد

(١) ربما سقط من الاصل كلمة هي « لازالة » أو ما في معناها وان « هذا » محرف عن « هذه »

(٢) لعل كلمة « كل » زائدة من النسخ

في مهور النساء فإنه لم مع مما سواه والآية أعم، وكذلك أمر رضي الله عنه برجاء امرأة ولدت لستة أشهر فذكره عليّ قول الله تعالى (وحمله وفصاله ثلاثون شهرا) مع قوله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين) فرجم عن الأمر برجاءها وهم أن يسطو بهيئة بن حصن إذ جفا عليه حتى ذكره الحر بن قيس بقول الله عز وجل (وأعرض عن الجاهلين) فأمسك عمر . وقال رضي الله عنه يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله مامات رسول الله ولا يموت حتى يكون آخرنا حتى قرئت عليه (انك ميت وانهم ميتون) فرجم عن ذلك ، وقد كان علم الآية ولكنه نسيها لعظيم الخطب الوارد عليه فهذا وجه عمدته ^(١) (كذا) الخلاف للآية أو للسنة بنسيان لا بقصد

«وقد يذكر العامل الآية أو السنة لكن يتأول فيها تأويلا من خصوص أو نسخ أو معنى ماء، وان كان كل ذلك يحتاج الى دليل ولا شك أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بالمدينة حوله عليه السلام مجتمعين، وكانوا ذوي معاش يطلبونها وفي ضحك من القوت فمن متحرف في الاسواق ومن قائم على نخلة ويحضره عليه السلام في كل وقت منهم طائفة اذا وجدوا أدنى فراغ مما هم بسبيله ، وقد نص على ذلك أبو هريرة رضي الله عنه فقال : ان اخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق وان اخواني من الانصار كان يشغلهم القيام على نخلهم وكنت أمرا مسكينا أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مل بطني . وقد قال عمر رضي الله عنه : أهاني الصفق بالاسواق في حديث استئذان أبي موسى ، فكان عليه السلام يسأل عن المسئلة ويحكم بالحكم ويأمر بالشيء ويفعل الشيء فيحفظه من حضره ويغيب عن من غاب عنه فلما مات عليه السلام وولي أبو بكر رضي الله عنه كان اذا جاءت القضية ليس عنده فيها نص سأل من بحضرته من الصحابة فيها فان وجد عندهم نصا رجع اليه والا اجتهد في الحكم فيها ، ووجه اجتهاده واجتهاد غيره منهم رضي الله عنهم رجوع الى نص عام أو الى أصل اباحة متقدمة أو الى نوع من هذا يرجع الى أصل ، ولا يجوز أن يظن أحدا أن اجتهاد أحد منهم هو أن يشرع شرعية

باجتهاده أو بفتح حكما لأصل له، حاشي لهم من ذلك، فلما ولي عمر رضي الله عنه فتحت
الامصار وتفرق الصحابة في الاقطار فكانت الحكومة تنزل بمكة أو بغيرها من البلاد
فإن كان عند الصحابة الحاضرين لها نص حكم به والا اجتهدوا في ذلك - وقد يكون
في تلك القضية نص موجود عند صاحب آخر في بلد آخر - وقد حضر المدني ما لم
يحضر المصري وحضر المصري ما لم يحضر الشامي وحضر الشامي ما لم يحضر
البصري وحضر البصري ما لم يحضر الكوفي وحضر الكوفي ما لم يحضر المدني
كل هذا موجود في الآثار وتقتضيه الحالة التي ذكرنا من مفيب بعضهم عن
مجاهسه عليه السلام في بعض الأوقات وحضور غيره ثم مفيب الذي حضر وحضور
الذي غاب فيدري كل واحد منهم ما حضره ويفوته ما غاب عنه، وقد كان علم
التيهم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قالوا: لا يقيم الجنب ولو
لم يجرد الماء شهرين، وكان حكم المسح على الخفين عند علي وحذيفة ولم تعلمه
عائشة ولا ابن عمر ولا أبو هريرة على أنهم مديون، وكان توريث بنت الابن مع
البنت عند ابن مسعود وغاب عن أبي موسى، وكان حكم الاستئذان عند أبي
موسى وأبي وغاب عن عمر، وكان حكم الاذن للحائض في أن تنفر قبل أن
تطوف عند ابن عباس وأم سلمة ولم يعلمه عمر وزيد بن ثابت، وكان حكم تحريم
المتعة والحر الأهلية عند علي وغيره ولم يعلمه ابن عباس، وكان حكم الصرف عند
عمر وأبي سعيد وغيرهما وغاب ذلك عن طلحة وابن عباس وابن عمر، وكذلك حكم
اجلاء أهل الذمة من بلاد العرب كان عند ابن عباس وعمر فنسيه عمر سنين
فتركهم حتى ذكر بذلك فذكره فأجلاهم. ومثل هذا كثير. فمضى الصحابة رضي الله
عنهم على هذا

ثم خاف بعدهم التابعون الآخذون عنهم وكل طبقة من التابعين في البلاد التي
ذكرنا فانما تفقهوا مع من كان عندهم من الصحابة فكانوا لا يتعدون فتاويهم، لا
تقليدا لهم، ولكن لانهم أخذوا ورووا عنهم، الا اليسير مما بلغهم عن غير من كان في
بلادهم من الصحابة رضي الله عنهم، كاتباع أهل المدينة في الاكثر فتاوى ابن عمر،
واتباع أهل مكة فتاوى ابن عباس، واتباع أهل الكوفة في الاكثر فتاوى ابن مسعود،
(المار: ج ٥) (٣٥) (المجلد التاسع عشر)

ثم أتى من بعد التابعين فقهاء الامصار كأبي حنيفة وسفيان وابن أبي ليلى بالكوفة وابن جريح بمكة ومالك وابن الماجشون بالمدينة وعمان البتي وسوار بالبصرة والاوزاعي بالشام والليث بمصر فجزوا على تلك الطريقة من أخذ كل واحد عن التابعين من أهل بلده وتأبعوهم عن الصحابة رضوان الله عليهم في ما كان عندهم وفي اجتهادهم فيما ليس عندهم وهو موجود عند غيرهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها. وكل من ذكرنا مأجور على ما أصاب فيه أجر بن وماجور فيما خفي عليه ولم يبلغه أجرا واحدا. قال الله تعالى (لا نذكركم به ومن بلغ)

وقد يبلغ الرجل ممن ذكرنا نصان ظاهرهما التعارض فيميل الى أحدهما بضرب من الترجيحات ويميل غيره الى النص الذي ترك الآخر بضرب من الترجيحات أيضا كما روي عن عثمان في الجمع بين الاختين: أحلتها آية وحرمتها آية. وكما مال ابن عمر الى تحريم نساء أهل الكتاب جملة بقوله تعالى (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) وقال: لا أعلم شركا أعظم من قول المرأة ان عيسى ربها. وغلب ذلك على الاباحة المنصوصة في الآية الاخرى ، ومثل هذا كثير

فعلى هذه الوجوه ترك بعض العلماء ما تركوا من الحديث ومن الآيات، وعلى هذه الوجوه خالفهم نظراؤهم فأخذ هؤلاء ما ترك أولئك وأخذ أولئك ما ترك هؤلاء ، لا قصدا الى خلاف النصوص ولا تركا لطاعتها كذا، ولكن لأحد الاعذار التي ذكرنا - إمام نسيان واما أنها لم تبلغهم واما لتأويل ما واما لاخذ بخبر ضعيف لم يعلم الآخذ به ضعف رواته وعلمه غيره فأخذ بخبر آخر أصح منه أو بظاهر آية وقد يشبه بعضهم في النصوص الواردة الى معنى ويلوح له حكم بدليل ما وينيب كذا غيره . ثم كثرت الرّحل الى الآفاق وتداخل الناس واتقدبت أقوام لجمع حديث النبي صلى الله عليه وسلم وضمه وتقييده ، ووصل من البلاد البعيدة الى من لم يكن عنده وقامت الحججة على من بلغه شيء منه ، وجمعت الاحاديث الميينة لصحة أحد التأويلات المتأولة في الحديث ، وعرف الصحيح من السقيم ، وزيف الاجتهاد المؤدي الى خلاف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ترك عمله ، وسقط المدر عن مخالف ما بلغه من السنن يلوئها اليه ، وقيام

الحجة بها عليه، فلم يبق الا العناد والتقليد
وعلى هذه الطريقة كان الصحابة رضوان الله عليهم وكثير من التابعين يرحلون
في طلب الحديث الايام الكثيرة طالبا للسنن والتزاما لها، وقد رحل أبو أيوب من
المدينة الى مصر في طلب حديث واحد الى عتبة بن عامر، وقد رحل علقمة والاسود
الى عائشة وعمر، ورحل علقمة الى أبي الدرداء بالشام، وكتب معاوية الى المغيرة
اكتب الي بما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومثل هذا كثير.
(قال أبو عبد الله) فقد بينا والحمد لله وجه من ترك بعض الحديث والسبب
الموجب للاختلاف وشفينا النفس مما اعترض فيها ورفعنا الاشكال عنها والله عز
وجل المعين على البحث والهادي الى الرشيد بتمته

وبهذا البيان الذي كشف به هذا الامام في هذا الفصل صورة الحال في أسباب
الاختلاف الواقع بين الصحابة فمن دونهم صح الأئمة المتقدمين رضي الله عنهم
أجمعين وجوب طلب التصحيح للتصحيح الواردة في شرائع الدين، لتقوم الحجة بما
صح منها على المختلفين، وقد قام الكل منهم في ذلك بما قدر عليه، وانتهت
استطاعته اليه، الى أن انفرد بالمزية في الاجتهاد، والرحلة الى البلاد، في جمع هذا
النوع من الاسناد، بعد التبع والانتقاد، الامامان أبو عبد الله البخاري وأبو الحسين
مسلم بن الحجاج النيسابوري رضي الله عنهما، فجازا قصب السبق فيه في وقتها، ولفرط
عنايتهما وبلوغهما غاية السعي والتشمير فيه قويت همهما في الاقدام على تسمية
كتابيهما بالصحيح، وعلم الله عز وجل صدق نيتهما فيه ومشقة قيامهما به وحسن
انتقادها له، فبارك لها فيه ورزقهما القبول شرقا وغربا، وصرف القلوب الى التعويل
عليهما والتفضيل لهما، والافتداء في شروط الصحيح بهما، وتلك عادة الله فيمن أحبه
أن يضع له القبول في الارض كما جاء في الخبر الصادق عن المبعوث الحق صلى الله
عليه وسلم، فهيننا لهما، ولمن اهتدى في ذلك بهداهما، والواجب علينا وعلى من فهم
الاسلام، وعرف قدر ما حفظا من الشرائع والاحكام، أن يخلص الدعاء (١) لهما،
ولسائر الأئمة الناقلين اليهما والينا قواعد هذا الدين، وشواهد احكام المسلمين. ونحن

نبتل الى الله تعالى في تعجيل الغفران لها ولهم ، وتجديد الرحمة والرضوان عليهما
وعليهم ، وأن يوتى الكل منهم في أعلى درجات الكرامات ، من غرفات الجنات ،
وأن يوفقنا أجمعين للاقتداء بهم ، والسلوك في سبيلهم ، والدعاء اليه والى رسوله ، والالتقاد
لمحكيات تنزيله ، والتفقه في دينه ، والاخلاص في عبادته ، والالتقاط اليه ، وصدق
التوكل عليه ، حتى يتوفانا مسلمين مسلمين ، غير مبدلين ولا مغيرين ، وأن يفر لنا
ولآبائنا ولجميع المسلمين .

تم الجزء السادس وبتمامه تم الكتاب . والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا
محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه . وافق الفراغ من نسخه لخمس ليال بقين من ذي
القعدة سنة ثلاث وعشرين وسمائة

فَتَاوَى الْمُنَارِ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على
السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه
بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا
وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير
مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة
فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

(س ١ - ٧) من صاحب الامضاء بأبي زعبل (من القليوبية)

استاذي الفاضل الشيخ محمد رشيد رضا

السلام عليكم ورحمة الله أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو وقد
علمنا وعلم الناس انكم حفظكم الله خليفة الاستاذ الامام في القيام بأمر الدين الخالص
ودحض الباطل عنه ، فان العلم الدليل ، وليس العلم بالكم الطويل ، وقد طوحتني

المقادير الى بلدة ألين بلاد الله تربة ، يسكنها قوم أحلامهم دقاق ، ودينهم نفاق ، يأخذون من العلم العشورة ومن الاخبار الموضوعة ومن العقائد الخرافية ، فهم أشاه الرجال ولارجال ، يكفرون من قال بالمعراج بالروح ، ومن أنكر وجود الجنة والنار ، ومن نفى رؤية الإله في الآخرة ، ومن منع رجوع الشمس بعد مغيبها عند إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بقدم العير ، وعدم مجيء بيت المقدس بين يديه (ص) وعدم وجود الزناة وأكلة الربا بين مكة وبيت المقدس ورؤية النبي (ص) لهم ليلة الأسراء كل ذلك لحجج عنده من أن هذه عقائد لا تثبت الا بالقطع ، وبعض هذه الاشياء لم يجد (كذا) فيه دليل أصلا ، وبعضها قام عليه دليل غير يقيني مع قيام دليل العقل على خلافه ، ولما كنتم بآرك الله فيكم أوقفتم أنفسكم على تحقيق مثل هذه المسائل فعا للامة وخدمة للدين وقد شاهدنا غزارة علمكم وسعة فكركم وكثرة اطلاعكم ورسوخ ملكتكم العلمية التي قل ان توجد لاحد من معاصريكم - رجوت أن تكشف لي بقيت أبدا (؟) عن غطاء هذه المسائل وترجمها الى أصولها وتبرزها في صورتها الحقيقية غير مشوبة بخرافات المخرفين ، بأدلتها من العقل أو الكتاب أو السنة المتواترة أو المشهورة كما هو شأنكم في جميع المسائل ، لازلت ينتفع به الاسلام والمسلمون

تحريرا في يوم الثلاثاء ٥ شعبان سنة ١٣٣٤ هـ
 كاتبه

ولدم محمد عليه

[المنار] يؤخذ من هذا الكتاب بضع مسائل ينبغي بيان الحق فيها ، وها نحن أولاء نتكلم عليها واضمين لكل واحدة منها عنوانا

١ - تكفير المسلم بما لم يصح عنده من مسائل الدين ﴿

قد اعتاد الناس الجرأة على التكفير بغير علم حتى ان بعض المؤلفين في الفقه توسعوا في المكفرات فزادوا الناس جرأة على تكفير من يخالف مذاهبهم وتقاليدهم وان لم تكن من الدين في شيء . وقد بينا من قبل أن الاصل في ارتداد المسلم عن دينه هو جحده أو تكذيبه شيئا أو شكه في حقيقة شيء يعلم أن النبي (ص) جاء به من أمر الدين ، اذ يكون بذلك غير مؤمن بما جاء به الرسول (ص) ولما كان الجهل في

دار الاسلام غير عذر جعل العلماء أمور الدين قسرين [أحدها] ما لا يندر أحد في دار الاسلام بجهله وان كان عاميا وهو المجمع عليه المعلوم من أمر الدين بالضرورة كفرضية الصلاة والزكاة والحج وكتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن كالقتل والزنا وشرب الخمر والسرقه والكذب والخيانة . فمن جحد عن هذا القسم شيئا كفر وعد مرتدا عن دين الاسلام . وانما يندر بجهل بعض هذه المسائل من كان قريب عهد بالاسلام لم يمر عليه من الزمن بعد اسلامه ما يكفي لوقوفه على ذلك، ومن نشأ بيذا عن دار الاسلام كشاهق جبل (كما يقولون)

[الثاني] ما شأنه أن لا يعرفه الا المشتغلون بعلم الدين من فروع المسائل وأصول الاحكام وأدلتها ، فهؤلاء العلماء يؤخذون بحسب علمهم ، فمن جحد منهم شيئا من الدين يعلم أنه ثبت في كتاب الله أو سنة رسوله أو أجمع عليه الصحابة ولم يكن متأولا في جحدته كان بذلك مرتدا كما هو ظاهر

واما من جحد أو أنكر شيئا مختلفا في أصله أو دليله أو في دلالة ذلك الدليل عليه لانه لم يصح عنده أو لمعارض رآه أرجح منه بضرب من التأويل فلا يعد مرتدا بذلك، ولكنه اذا انتهى به التأويل الى مخالفة جماعة السلف الصالح من أهل الصدر الاول عد مبتدعا وان كان موحدا مقبلا لاركان الاسلام

ولم يكفر أهل السنة من أنكر خبر المعراج ولا من قال إنه كان الروح فقط بل قال بذلك بعض أهل السنة ولا من قال إن الجنة والنار لم يخلقا بعد وإنما بخلقان يوم القيامة ، ولا من قال ان المؤمنين لا يرون ربهم في الجنة، فقد قال بذلك جمهور من الجهمية والمعتزلة ولم يكفرهم علماء السلف به كما تردونه في أشهر كتب العقائد التي تدرس في الأزهر وغيره من المدارس الاسلامية في جميع الاقطار

واذا كان لا يكفرون من ينكر أصل المعراج الا اذا انكر الاسماء المتصوص في القرآن ولا يكفرون من ينكر رؤية الباري تعالى في الآخرة المصرح بها في الاحاديث المنفق عليها فكيف يكفرون من ينكر رجوع الشمس للنبي (ص) بعد غروبها والحديث فيه غير صحيح أو ينكر بحجى بيت المقدس الى الحجاز ويكون لمذنبين الذين رأهم النبي (ص) يمدبون كانوا موجودين باجسادهم بين مكة وبيت

المقدس ولا نص على هذا في كتاب ولا سنة وما عهدنا احدا من علماء المسلمين
يجمله من عقائد الدين ، وسرى معنى ذلك في المسائل الآتية

﴿ ٢ - المراج روي أم جسدي ﴾

قد فصلنا القول في مسألة المراج في المجلد الرابع عشر من المنار فيراجع في
ص ٦٦٤ و ٧٣٢ منه وفيه ان عمدة من قال ان المراج كان في المنام حديث شريك
عند البخاري

﴿ ٣ - رؤية النبي (ص) بيت المقدس ﴾

ان رؤية النبي (ص) لبيت المقدس ووصفه اياه للمشركين وهو بمكة ليس
معناه ان بيت المقدس انتقل الى مكة وانما معناه انه مثل له كما مثلت له الجنة في
عرض الحائط ولفظ الحديث في ذلك كما ورد في حديث جابر في الصحيحين انه سمع
رسول الله (ص) يقول « لما كذبتني قريش قمت في الحجر فحلى الله لي بيت المقدس
فطلعت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر اليه » هذا نص حديث الشيخين ومعنى جلاه
أظهره ، وقال بعض العلماء : معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته . قال الحافظ
في الفتح : ووقع في حديث أم هانئ عند ابن سعد « فحلى لي بيت المقدس ^(١) فطلعت
أخبرهم عن آياته » فان لم يكن مغبرا من قوله « فحلى » وكان ثابتا احتمل أن يكون
المراد انه مثل قريبا منه كما قدم نظيره في حديث « أريت الجنة والنار » وتاول قوله
« جيء بالمسجد » ^(٢) أي جيء بمثاله - والله أعلم . ووقع في حديث شداد بن أوس
ما يؤيد الاحتمال الاول ، ففيه « ثم مررت بعير لقريش » - فذكر القصة -
ثم أتيت أصحابي قبل الصبح فأتاني أبو بكر فقال : أين كنت الليلة ؟ فقال « اني
أتيت بيت المقدس » فقال انه مسيرة شهر فصفه لي ، قال « ففتح لي صراط كأنني
أنظر اليه لا يسألني عن شيء الا أنبأته عنه » اه المراد من عبارة الفتح . وأما لفظ
حديث أم سلمة عند مسلم « فرجع الله لي بيت المقدس أنظر اليه » فيتنفق مع

(١) حلى اليه بمعنى مثل له أي رأى خياله ومثاله . وفي رواية لها عند أبي يعلى وابن عساكر
« فأتاه جبريل فصوره له في جناحه » (٢) أي في حديث ابن عباس الذي ذكره قبل ذلك
وهو عند أحمد والنسائي والبيهقي وفيه انه جيء بالمسجد حتى وضع دون دار عقيل

ما تقدم بمعنى انه رفع اليه مثاله ، وقد غفل من زعم أن بيت المقدس نقل من مكانه الى مكة عما يترتب على ذلك من استحالة وجوده عند دار عقيل كما ورد في رواية ابن عباس لان وضع الجسم الكبير في المكان الصغير الذي لا يبلغ عشره محال ، ومن كون وجوده بمكة يستلزم أن يراه جميع الناس ولو وقع ذلك لتواتر ، ومن كون نقله يستلزم علم جميع أهله ومن حولهم به ولو وقع ذلك لتواتر نقله عنهم . وقد غفل من مال الى ترجيح ذلك اللفظ على ما هو أصح منه وأقرب الى المعقول عن كل ذلك واكتفى بأن هذا أبلغ في المعجزة وأن الله قادر عليه ، وهو لم يكن مما وقع به من التعدي ولا ترتب عليه ايمان أحد . فهل يبطل الله تعالى سنته في الكون عبثاً ؟ وهذا التوجيه يحتاج اليه في رؤية بيت المقدس من اعتمد قول الجمهور ان الاسراء فقط أو الاسراء والمعراج معا كانا في حال اليقظة بالروح والجسد كما قال ان ذلك رؤيا منامية أو مشاهدة روحية وقعت حال اليقظة ، لأن سؤال قریش النبي (ص) أن يصف لهم بيت المقدس انما كان في اليقظة قطعا بغير خلاف

﴿ ٤ - رؤية النبي (ص) المذنبين يعذبون ﴾

اذا كانت رؤية النبي لبيت المقدس من قبيل الكشف الذي يحصل بادراك النفس للشيء بغير واسطة العينين أو بجعل الله تعالى مثال ذلك أمام العينين فالظاهر ان رؤية من رآهم يعذبون بذنوبهم من قبيل رؤية المثال بالاولى ، لان بيت المقدس من عالم الشهادة وعذاب المذنبين بما روي في الحديث من عالم الغيب ليس له مكان في الدنيا يشاهد بين مكة وبيت المقدس . وكل ذلك من آيات الله التي أراه اياها في ليلة الاسراء . ومن هذا القبيل رؤيته الجنة والنار وهو يخطب كما روي في الصحيحين . وتعبيره عن ذلك في بعض الروايات بأنها مثلنا له في الجدار . وقد وصفت الجنة في القرآن بقوله تعالى (كعرض السموات والارض) فهل تجتمع هي والنار في جدار المسجد ؟ وورد أن من أولئك المعذبين من تتناقل رؤوسهم عن أداء الصلوات — والصلوة لم تكن شرعت — فقد مثل له (ص) عذابهم قبل وتوعه بالنسبة الى أمته

ان رؤية البشر الروحية لبعض الموجودات الغائبة عن أبصارهم قد ثبتت بالتجارب الكثيرة في جميع الاقطار ، ومنها ما ثبت للدكتور شبلي شميل من علماء العصر الماديين ، وقد ذكرنا في بعض مجلدات المنار خبره مع المريض الذي كان يعالجه ويسمع منه الاخبار الكثيرة عما يدركه بنفسه غائبا عن حسه كإخباره عن قريب له في الاسكندرية بأنه سافر منها الى القاهرة في القطار الذي يتحرك من الاسكندرية في ساعة كذا ثم إخباره بوضوله الى محطة القاهرة وركوبه العربة منها قاصدا دار المريض ثم بوضوله الى باب الدار ، وكان الامر كما قال

وأذكر مما وقع لي من ذلك في الصغر أنني هربت مرة من الكتاب واختبأت في بستان لجدتي أم والدتي وكنا نحن مصطافين في بستان لنا يبعد عن هذا البستان مسافة زهاء ربع ساعة وكانت جدتي في بستاننا فتمثلت لي خارجة منه حتى كأنني أنظر اليها متبعا خطواتها من أول الطريق الى آخره حتى إنني ناديتها عند ما وصلت الى مدخل بستانها وقبل أن تدخله ويقع بصري عليها فأجابتي وكنت أعتقد أنها تحمل الي ما يطيب لي أكله فكان كذلك . ومثل هذا كثير

ولكن ما يقع للانبياء من ذلك فوق ما يقع لبعض البشر كذلك المريض وبعض الصوفية وأكمل منه لانه يشمل عالم الغيب وما لا يصل اليه غيرهم من عالم الشهادة

﴿ ٥ - رجوع الشمس بعد غروبها أو وقوفها للنبي (ص) ﴾

يرى السائل تفصيل القول في هذه المسألة في ص ٧٠ من مجلد المنار التاسع وحسبك منه قوانا هنالك « ان مسألة رد الشمس له صلى الله عليه وسلم قد وردت في رواية ضعيفة من أحاديث المعراج ، ووردت في رواية أقوى منها في مناقب علي كرم الله وجهه . وهذه الرواية وثقها الطحاوي في [مشكل الآثار] وتبعه القاضي عياض في الشفاء وقد تكلم فيها بعض الحفاظ بل أوردها ابن الجوزي في الموضوعات وتمتبه في اللآلئ » فان شئت الزيادة وما قيل في الطعن في الرواية فارجع الى المجلد التاسع أو الى الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة للإمام الشوكاني

﴿ ٦ - وجود الجنة والنار ﴾

ظواهر نصوص الكتاب العزيز والاحاديث الصحيحة المتفق عليها تدل على

(المنار : ج ٥) (٣٦) (المجلد التاسع عشر)

أن الجنة والنار داري الجزاء للابرار والفجار هما عالمان مخلوقان ، ولا نرى ما يعارض هذه الظواهر من الدلائل العقلية ولا الثقلية ، فان كان لدى السائل ما يعارض ذلك فيلذكره لنا لنبين رأينا فيه

٧ - رؤية الباري سبحانه وتعالى في الآخرة ﴿

إن من أصول العقائد القطعية المعلومة من الدين بالضرورة ان نعيب الآخرة قسما روحاني وجسماني لان البشر لا تنقاب حقيقتهم في الآخرة بل يقون بشرا أولي أرواح وأجساد ولكن الروحانية تكون هي الغالبة على أهل الجنة، فيكون النعيم الروحاني عندهم أعلى من النعيم الجسماني. ومن الثابت بالاختبار والتجارب أن العلماء الراسخين والحكماء الربانيين والفلاسفة الماديون^(١) والرؤساء السياسيين كلهم يفضلون الذات العقلية الروحية والحياة المعنوية، على الذات المادية الجسدية، فترى أحدهم يزهد في أطيب الطعام، وكؤوس المدام ، ويتجافى جنبه عن مضجعه ، ذاهلا عن حقوق حليلته ، تلذذا بحلّ مشكلات المسائل واكتشاف أسرار الكون ، أو بالنفث في عقد السياسة ، وما تقتضيه أعباء الرياسة ، ألا وإن أعلى العلوم العقلية والمعارف الروحية في هذه الدنيا هو معرفة الله سبحانه وتعالى والعلم بمظاهر أسمائه وصفاته في خلقه والوقوف على سننه وأسراره فيها، وكشف المحجب عما أودع فيها من الجمال والجلال، وفي النظام الذي قامت به من آيات الكمال، التي هي مجلى صفات بارئها منتمى الجمال والجلال والكمال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ،

وما زال أصحاب الهمم العالية من العلماء والحكماء يستدلون بما ظهر لهم من تلك السنن والآيات على كمال مبدعها ومبدئها ومصرفها ، وتتطلع عيون عقولهم الى كيفية صدور الوجود الممكن الحادث، (وهو مجموع هذه العوالم العلوية والسفلية) عن الوجود الأزلي الواجب، ويهتمون بارتقاء الاسباب للوصول الى معرفة أول موجود ممكن منها وكيف ابتدأت سلسلة الاسباب بعد ذلك بتحول البسائط وتولد بعضها من بعض ، قبل وجود هذه المركبات المعروفة من السماء والارض ، طمعا في معرفة حقيقة ذلك

(١) أي وكذا الفلاسفة الماديون. وهو استعمال يمد علينا اذا كان لما رفع خصوصية في السياق ككون الماديين هنا مظنة لخالفه الروحيين . ويقابل هذا الاستعمال في نصب ما هو في مقام الرفع ما نصب على الاختصاص أو المدح والذم

الوجود الأعلى ، على عجزهم عن ادراك كنهه أدنى هذه الموجودات السفلى ، وقد اختلف الحكماء في امكان وصول العلم البشري إلى حقيقة الوجود الأول الأزلي وكيفية صدور الموجودات الممكنة عنه - فقال بعضهم بامكان ذلك وتوقع حصوله في يوم من الايام ، وقال آخرون بأنه فوق استعداد الانام ،

والحق في ذلك ما هدانا اليه دين الله الحق ، وهو أن ادراك أبصار الخلق له سبحانه وتعالى وإحاطة علمهم به من المحال الذي لا مطمع فيه (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) ولكن العجز عن الادراك والاحاطة ، لا يستلزم المعجز عما دون ذلك من العلم والعرفة ، التي ترتقي الى الدرجة التي عبر عنها بالتجلي والرؤية ، فان كانت ظواهر الآيات في ذلك متعارضة ، فالاحاديث والآثار الصحيحة المبينة له جلية واضحة انما وقع المراء بين المتكلمين والمتفلسفين وبين علماء الآثار في كلمة «الرؤية» فأثبتها أهل الأثر للدلالة ظواهر القرآن ونصوص الاحاديث عليها، ومنعوا قياس رؤية الباري تعالى على رؤية المخلوقات، بدعوى استلزامها التحيز والحدود وغير ذلك من صفات الاجسام، وقالوا اننا لا نبحث في كينيتها كما اننا لا نبحث في كيفية ذاته ولا صفاته تعالى ، فاننا نجزم بأن له علما وقدرة وسمعا وبصرا ولكن علمه ليس كعلمنا ناشتا عن انطباع صورة المعلومات في النفس، ومكتسبا لها بالحواس أو الفكر، وكذلك قدرته وسائر صفاته، فنحن نجتمع بين الايمان بالنصوص في أسماء الله وصفاته وأفعاله وسائر شؤونه، و بين تنزيهه عما لا يليق به من مشابهة خلقه الممنوعة بدلائل النقل والعقل، كما قال عز وجل (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير)

ونفاها أهل الكلام والفلسفة بناء على قياس الخالق سبحانه وتعالى على المخلوق ودعوى منافية الرؤية للتنزيه الذي هو أصل العقيدة وركنها الركين . ولكنهم لا يستطيعون انكار الحقيقة التي أثبتتها أهل السنة والجماعة اذا عبر عنها بغير لفظ الرؤية كأن يقال ان أعلى نعيم أهل الجنة لقاء الله تعالى بتجليه عليهم تجليا يحصل لهم به أعلى ما استعدت له أنفسهم وأرواحهم من المعرفة ، وأن أعظم عقاب لأهل النار حجبتهم عن ربهم وحرمانهم من هذا التجلي والمرفان، انحصار بدار الكرامة والرضوان،

فانهم لا يمتنون بتأويل مثل قوله تعالى في المتقين (تحييتهم يوم يلقونه سلام) وقوله في الكافرين (كلالهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) كما يمتنون بتأويل قوله (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) بأن النظر معناه الانتظار والرجاء ، وما رد به بعضهم على بعض في الآية يطلب من المكشاف والبيضاوي وحواشيها وساير كتب التفسير ومن كتب الكلام وشروح الاحاديث

وكم بين حذاق الجدال تنازع وما بين عشاق الجمال تنازع

ومن غرائب جدهم ان كلا منهم يستدل على مذهبه بطلب موسى عليه السلام رؤية ربه وقوله تعالى (لن تراني . .) الآية ، فأهل السنة يستدلون على جواز الرؤية بسؤال الكليم اياها وعدم انكار الباري تعالى عليه هذا السؤال كما أنكر على نوح عليه السلام سؤاله نجاة ولده الكافر بناء على أنه من أهله الذين وعده بنجاتهم — وبتعليق الرؤية على جائز وهو استقرار الجبل ، والمعتزلة يستدلون بالآية على عدم الرؤية بعدم اجابة الكليم اليها وتعليقها على ما علم الله أنه لا يكون واذا كانت الآيات التي استدلت بها كل فريق ليست نصاً قاطعاً في مذهبه ففي الاحاديث المتفق عليها ما هو نص قاطع لا يحتمل التأويل في الرؤية وتشبيها برؤية البدر والشمس في الجلاء والظهور وكونها لامضارة فيها ولا تضام ولا ازدحام. وفي كتاب التوحيد من صحيح البخاري احد عشر حديثاً في ذلك ، وجمع ابن القيم في [حادي الارواح] ما ورد في ذلك من الاحاديث فكان ثلاثين حديثاً . قال الحافظ ابن حجر عند اشارته الى ذلك : وأكثرها جيد . وزاد ابن القيم ما ورد عن الصحابة والتابعين وأئمة علماء الامصار في ذلك وحملهم اياه على ظاهره مع تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقات ، ولكن بعض مثبتي الرؤية من أهل السنة اختلفوا في معناها فكان بعض ما قالوه تأويلاً أبعد من تأويل المنكرين

قال الحافظ في الكلام على تفسير (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) من شرح كتاب التوحيد من البخاري ما نصه : واختلف من أثبت الرؤية في معناها فقال قوم بحصل للرائي العلم بالله تعالى برؤية العين كما في غيره من المرئيات ، وهو على وفق قوله في حديث الباب « كما ترون القمر » الا أنه منزه عن الجهة والكيفية وذلك

أمر زائد على العلم . وقال بعضهم ان المراد بالرؤية العلم ، وعبر عنها بعضهم بأنها حصول حالة في الانسان نسبتها الى ذاته الخصوصية نسبة الابصار الى المرئيات . وقال بعضهم : رؤيـة المؤمن لله نوع كشف وعلم الا أنه أتم وأوضح من العلم . وهذا أقرب الى الصواب من الاول اهـ

ثم ذكر ماتعقب به من قال ان المراد بالرؤية العلم . وإنما قال في القول الاخير انه أقرب الى الصواب لما فيه من التفويض وعدم التحديد ، وهذا المعنى هو الذي قال به القرطبي وأوضحه في كتاب المحبة من الاحياء بما يعهد من قرأ الاحياء من بيانه وفصاحته هذا وان احصاء ما ورد في هذا الباب مما استدل به على الرؤية اثباتا ونفياً من الآيات والاحاديث وسرد كلام المثبتين والنفاة وبيان الراجح منه والمرجوح يستغرق عدة أجزاء من المنار ، ولن يرضى ذلك منا أكثر القراء ، وجملة القول في المسألة ان الآيات القرآنية فيها ليس فيها نص قاطع لا يحتمل التأويل ، ولكن الاحاديث الصحيحة والحسنة صريحة في ذلك لا تحتمل التأويل ، والمرفوع منها مروى عن أكثر من عشرين صحابياً دع الموقوف والآثار ، ولم يرد في معارضتها شيء أصرح من حديث عائشة المتفق عليه عن مسروق قال قلت لعائشة (رض) يا أمته هل رأى محمد (ص) ربه ليلة المعراج؟ فقالت : لقد قفت شعري مما قلت ! أين أنت من « ثلاث من حدثك فقد كذب » من حدثك أن محمداً (ص) رأى ربه فقد كذب ، وفي رواية « فقد أعظم على الله الفرية » ثم قرأت (لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير » وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب ، ثم قرأت (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) ومن حدثك أنه كتم (أي أن النبي (ص) كتم شيئاً من الدين) فقد كذب ، ثم قرأت (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك) - الآية - ولكن رأى جبريل في صورته مرتين . اهـ

وقد ذكر النووي في شرح مسلم ان عائشة لم تنف وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية وقد خالفها غيرها من الصحابة الخ وذكر الحافظ في الفتح انه قال ذلك تبعا لابن خزيمة

ذاهلا عما ورد في صحيح مسلم الذي شرحه ، وذكر ان في حديث مسروق عنده زيادة عما ذكرناه من لفظ البعاري وهي : — قال مسروق وكنت متكئا فجلست وقلت ألم يقل الله (واقد رآه نزلةً أخرى) فقالت أنا أول هذه الأمة سأل رسول الله (ص) عن ذلك فقال « إنما هو جبريل » الخ

فعلم من هذا ان عائشة تنفي دلالة سورة النجم على رؤية النبي (ص) لربه بالحديث المرفوع وتنفي جواز الرؤية مطلقا أو في هذه الحياة الدنيا بالاستدلال بقوله تعالى (لا تدركه الابصار) وقوله (وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب) ويعارض هذا الاستدلال انه ليس نصا في النفي حتى يرجح على الاحاديث الصريحة في الرؤية وقد قال بها بعض علماء الصحابة. وقال بعض العلماء ان عائشة ليست أعلم عندنا من ابن عباس الذي أثبت الرؤية للنبي ليلة المعراج، وفي هذا القول بحث فان ابن عباس استنبط اثبات الرؤية في الدين من الآيات وقد انفرد بذلك دون سائر الصحابة. وأما من روي عنهم إثبات الرؤية في الآخرة فليس فيهم أحد يقال انه أعلم من عائشة الا والدها الصديق وعلي المرتضى وزيد بن ثابت وقد يذكر في طبقتها منهم العبادة. ولكن الحديث عن أبي بكر وزيد بن ثابت في هذا الباب ضعيف وعن علي موضوع حتى ان ماروي عنها نفسها فيه أقوى سندا. ويقول النفاة لو رأى النبي (ص) ربه ليلة المعراج لما خفي نبأ ذلك عن عائشة مع ما علم من حرصها على العلم ، وسؤالها اياه عن آية النجم؟ وقد يقول النفاة أيضا: لو كانت الرؤية في الآخرة عقيدة يطالب المسلمون بالايان بها لما جهلتها عائشة. ولكن هذا القول لا ينهض لمعارضة اثبات المثبتين لها بالاحاديث الصريحة ، وانما قصاره ان يعد دليلا على أن المسألة من أمور الآخرة التي كان يذكرها النبي (ص) أحيانا لبعض الخواص اذ لا يضر العامة جهلها ، فلم يقصد أن تكون عقيدة يدعى اليها مع التوحيد .

وأحسن ما يجاب به عن استنباط عائشة وأقواه عند المثبتين أن يقال أنها تريد به نفي الرؤية في الدنيا كما قال بذلك الجمهور ولا تقاس شؤون البشر في الآخرة على شؤونهم في الدنيا لان لذلك العالم سننا ونواميس تخالف سنن هذا العالم ونواميسه حتى في الامور المادية كالاكل والشرب والمأكل والمشروب. فإما الجنة غير آسن فلا يتغير كماء الدنيا بما

بخالطه أو يجاوره في مقره أو جوهه، وخمرها ليس فيها غول يفتال العقل ولا يسهدهون عنها ولا يتزفون، ولينها لا يعتريه فساد ولا تخالطه (ميكروبات) أمراض ، وكذلك فاكلتها وثمراتها هي على كونها أعلى وأشهى مما في الدنيا لا تفسد . قال ابن عباس : ليس في الدنيا شيء مما في الجنة الا الاسماء . وكذلك أمرجة أهلها ، هي أصح وأسلم من أمرجة أهل الدنيا حتى أنهم يأكلون ويشربون فيكون هضمهم بالتبخر ورشح العرق ، ففي الحديث الصحيح انه جشاء ورشح لها ريح المسك . ولا عجب في ذلك فان علماء العصر الذين يظنون ان في كوكب المريخ أحياء عقلاء كالبشر يجزمون بأنهم لا بد ان يكونوا أكبر منا أجساما وأسرع من الخيل العادية في حركتهم العادية ، هذا وعالم المريخ لا يعرف فيه من الحياة الروحانية العالية مثل ما ورد في حياة الجنة ، ولكن ما ذكره علماء العصر في شأنه يقرب تصور ما ورد في صفة الآخرة من الأذهان المقيدة بالمألوفات ، فان بعض الناس انما ينكرون أخبار الآخرة لانها مخالفة لما جردوا عليه من المألوفات، ولوانهم أخبروا بما اكتشف من أسرار الكون في هذا العصر كخواص الكهرباء والراديو قبل ان يصير مشهودا مقطوعا به لما صدقوه . قال الله عز وجل في بيان جزاء المؤمنين القائمين بأعمال الإيمان حق القيام (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أهين جزاء بما كانوا يعملون) ووضح ذلك رسوله (ص) في حديث قدسي رواه الشيخان في صحيحهما عن أبي هريرة قال (ص) « قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا هين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » وروى أهل الكتاب مثل هذا عن سيدنا هيسى (ص) فاذا ثبت لنا ان كل ما في دار الكرامة أعلى وأسمى مما في الدنيا حتى الاجسام وصفات الناس وقرائهم وانه لا يشارك ما في الدنيا الا بالاسم ، الذي هبر به لضرورة تقريب تلك المعاني الغيبية من الفهم ، فهل يصح بعد ذلك أن نعمد الى أعلى ما هنالك من الشؤون الالهية المعنوية فنشبهه بشؤون الدنيا فنجعل تعجلي الرب سبحانه وتعالى لاوئك العباد المكرمين الذين رقام وكلمهم وأهلهم الكمال معرفته تميزا ومشابهة الخلق ؟ ونجعل ما يحصل لهم من ذلك التعجلي من العلم الاكل والمعرفة العليا التي تستغرق أرواحهم وجميع مشاهرها الظاهرة والباطنة إدراكا لكننه عز وجل واحاطة

علم به تعالى عن ذلك ؟ ثم نمدر أنفسنا على هذا الجهل بأن ذلك قد سمي رؤية ومعانيه ولا بد ان تكون الرؤية هنالك كرويتنا التي نعهدها هنا ؟

سبحان الله ! أليكون كل ما هنالك من أعيان الخلوقات وصفاتها وأحوالها مخالفاً لماله اسمه منها هنا الاما يتعلق بشأن الخالق عز وجل فهو الذي يجب ان يكون مشاهبا لشؤون الخلقين بعضهم مع بعض ؟ أهذا هو المذهب الذي يدعي أصحابه اتباع العقول ، ويسخرون من أهل السنة بزعمهم انهم جمدوا على بعض أحاديث الآحاد من المنقول ؟ وهم الذين قد جمدوا على ما دون ذلك من الالفاظ العربية التي استعملت في صفات الباري تعالى وشؤونه وأخبار عالم الغيب فترام بصرفونها عن معانيها ويمطلون مدلولاتها المقصودة لتوهمهم انها لا تكون صحيحة الا اذا كانت مدلولاتها في عالم الغيب كمدلولاتها في هذا العالم من كل وجه. ثم نحكموا فأثبتوا بعض صفات الباري تعالى بدون تأويل كالعلم والقدرة والارادة وأولوا أكثرها كالعلم والرحمة والمحبة والغضب والرضا والعلو والوجه واليدين الخ وهذا عين التشبيه ، وهذا عين التعطيل — وأهل السنة يثبتون له تعالى كل ما أثبتته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله (ص) وينزهونه فيه كله عن مشابهة خلقه ولا يرون فرقا بين العلم والرحمة والكلام فكلاهما من صفات الجلال الثابتة له مع التنزيه — فعلمه ليس كعلم البشر مستزعا من صور المعلومات بالحس أو الفكر — وكلامه ليس كيفية عرضية تحصل بتموج الهواء بتأثير الصوت الذي يخرج من الفم — وكذلك سائر شؤونه تعالى ، فتجليبه لخواص خلقه في دار كرامته ليس كظهور بعضهم لبعض ، وما يحصل لهم من رؤيته ومعرفته وسماع كلامه لا يشابه ما يكون من بعضهم لبعض ، واذا كنا قد عرفنا بالمشاهدة في عالم الحس ان إيقاد مصباح زيت الزيتون أو زيت البترول لا يشبه إيقاد مصباح الكهرباء بوجه من الوجوه ولا يشترط في الثاني ما يشترط في الاول — ونجزم بأن هذا الفرق لا يمكن ان يتصوره من لم يعرف الكهرباء البتة — فيجب علينا ان لا نستغرب ما هو أبعد من هذا الفرق بين عالم الغيب والشهادة في اختلاف الكيفية الحقيقية واحدة كالرؤية. ومن كان له حظ من معرفة الله تعالى في الدنيا لا يحتاج الى الامثال ، وحسب المحروم منها ان ينتفع بالامثال ، (وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون)

مَدِينَةُ دَارُ الدُّعْوَى وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٤

الثيوبوركيولين Tuberculin

زيادة الياء والنون في هذا اللفظ اللاتيني هي — كما قلنا — للدلالة على المادة أو الأصل الفعال في الدرن [Tubercle] أنهى أنه اسم خلاصة نستخرج من باسيل الدرن نفسه أو مما يربي فيه . فهي نوعان نوع يسمى بالثيوبوركيولين العتيق والآخر بالثيوبوركيولين الجديد . وأول من أدخل هذا الصنف من العلاج في الطب هو العلامة كوخ سنة ١٨٩٠ محاولا بذلك إيجاد دواء شاف للدرن بكافة أنواعه ، ولكنه لم يتحقق غرضه الى الآن

أما الثيوبوركيولين العتيق فهو عبارة عن السموم التي يفرزها ميكروب الدرن في السائل الذي يربي فيه كالرق مع الجلوسرين ، ويتحصل عليه بالتصفية خلال المرشحات للفصل الميكروب عنه فهو في الحقيقة سموم الميكروب التي تخرج من جسمه في السائل المذكور ، ويكون لونه أصفر أذكن وقوامه غليظا . وفائدة الجلوسرين حفظه من الفساد وإذا حقن هذا السائل في الشخص السليم لا يحدث منه شيء ، ولكن إذا حقن في إنسان أو حيوان مصاب بدرن في أي عضو من جسمه ارتفعت حرارته وأصابته رعدة وأحس بتوعك وآلام في مفاصله وقد يفرز زلال في بوله أو يظهر طفح على جلده ويلتهب المكان المصاب بالدرن . ونظرا لشدة هذه الاعراض لم يستحسن الأطباء معالجة الدرن بهذه الطريقة ، واقتصر بعضهم على استعمالها في معالجة الدرن الجلدي المسمى لويس (داء الذئب) لأن ما يصيب الجلد من الحقن (المنار : ج ٥) (٣٧) (المجلد التاسع عشر)

يمكن مراقبته وتلافيه . زد على ذلك ان تشبيه الجلد المريض بهذا الداء قد يكون نافعا فيه ، ومع ذلك يأبى كثير من الاطباء استعماله حتى في هذا الداء ، فاقصرت فائدة التيوبوركيولين على استعماله في تشخيص الدرن في الانعام كالبقرة فان السليم منها اذا حقن به لم يصبه شيء ، ولكن اذا حقنت البقرة المسلوقة ارتفعت حرارتها أي أصابتها الحمى . واستعماله لتشخيص الدرن في الانسان لا مسوغ له مع ان هناك طرقا أخرى تفضله

أما التيوبوركيولين الجديد فهو عبارة عن خلاصة تستخرج من نفس جسم الميكروبات الدرنية، وعبارة أخرى هو السم الكامن في أجسامها فهو غير السم الذي تفرزه في السائل الذي تربى فيه . واذا حقن هذا التيوبوركيولين الجديد أيضا في السليم لا يحدث منه شيء ، واذا حقن في المريض حدثت أعراض كالأعراض المذكورة آنفا غير أنها لا تكون عادة مصحوبة بالانفعال الموضعي في مكان الدرن فلا يتنبه ولا ياتهب ، وهو قليل الاستعمال لتشخيص مرض الانعام ، ولكن بعض الاطباء يستعملونه في معالجة الدرن الانساني وان خالفهم الآخرون في نفعه، بل منهم من يرى ان ضرره أكبر من نفعه

واذا حقن تحت الجلد حدث منه خراج، ولذلك اضطر بعض المصانع الى ازالة بعض المواد التي تشبه الدهن منه وهي التي يظنون انها السبب في التقيح وفي عسر امتصاصه

وهناك عدة طرائق لاستعمال التيوبوركيولين العتيق للتشخيص أشهرها أربع وهي :-

(١) الحقن تحت الجلد (٢) وضعه على المتحمة عند الموق ويبقى الجفنان مفتوحين بضع دقائق فاذا كان في جسم الشخص أي درن احمرت ملتحمة الجفن الاسفل وكذلك اللحمة الدمعية التي في الموق بعد ثلاث ساعات ويزداد الاحتقان بعد ست ساعات وترم اللحمة ويكثر الدمع وتغطي العين ببعض الإفراز (الرمص) ويصل هذا الالتهاب الى أقصاه بين ٦ ساعات و١٣ ساعة ثم يأخذ في الزوال بعد يومين أو أكثر، وهذه الطريقة ليست خالية من الخطر على العين. ومحلول التيوبوركيولين الذي

يستعمل فيها يكون بنسبة ٥ ر. في المائة من الماء المتقطر العقيم
(٣) بطريق الجلد وذلك بتلقيح الجلد كما ياتح لاجل الوقاية من الجدري
فيحصل التفاعل باحمرار الجلد وتورمه في ٢٤ ساعة ويشند بعد يومين ، وفي اليوم
الثالث يبدأ في الزوال ويتم ذلك في اليوم الرابع . وهذه الطريقة تستعمل كثيرا في
الاطفال الذين يقل عمرهم عن خمس سنوات

(٤) يعمل مرهم من التيوبوركيواين مع [اللانولين Lanoline]^(١) (دهن
يستخرج من صوف الغنم) بنسبة (١ الى ١) ويدهن به جزء من الجلد فيلتهب بعد
يوم أو اثنين وقد يظهر فيه دم ل أو بثرة. واعلم انه قد يتأثر الخوان من التيوبوركيولين
ويكون سائما اذا سبقت اصابته بالدرن وشفي منه. واذا حقن تحت الجلد بمقدار كبير
(١ ر. السنثيمتر المكعب) ولم يحصل انفعال دل على السلامة من المرض مطلقا أو على
الاقبل من المرض الفعال في البنية فالينا في ذلك وجود مرض سابق شفي منه المحقون

الجرمة الخبيثة Anthrax

يعرف هذا المرض في الحيوانات باسم (الحى الطحالية) وهو يصيب الانسان
أيضا . وينشأ من ميكروب باسيلي يوجد في العضو المصاب وفي الدم والاحشاء
والافرازات ، ولا حركة له ، وطوله يختلف من ٥ مك^(٢) الى ٢٠ مك وقد يكون
مستقيما أو منحنيا قليلا ويتكاثر بالانقسام ويتكون في داخله أيضا حبيبات، وهذه اذا
انفصلت منه استطالت ونشأ منها الباسيل ، ولكن التكاثر بهذه الطريقة الخبيثة
لا يحصل الا في خارج اجسام الحيوانات . وهذه الحبيبات تقاوم درجات كبيرة جدا
من الحرارة فلا يسهل قتلها ولو بالهلي الا بعد بضع دقائق

يصيب هذا الداء الحيوانات اذا تقحت بالميكروب بالعض أو بلدغ الحشرات،
وقد تصاب أيضا به اذا أكلت من مرعى تلوث ببراز الحيوانات المريضة
أما إصابة الانسان به فتكون امانا من الحيوانات الحية، ولذلك تصاب به لرعاة كثير،
واما من جثث الموتي بهذا الداء — وهو الاكثر — كما يحصل للتصايب (الجزارين)

(١) كلمة لاتينية معناها حرقيا « دهن الصوف » (٢) مك مختصر كلمة ميكرون

والدباغين بتلقيح أجسامهم بالميكروب إذا مست شيئاً من جثة الحيوان ، وقد تحصل العدوى من أكل اللحم المصاب أو من مس الصوف والشعر المأخوذ من الحيوانات المريضة، وقد يصل أيضاً هذا الداء بطريق التنفس بأن يستنشق ميكروبه مع التراب والغبار الذي يتطاير من البضائع الصوفية ونحوها إذا لم يطهر الصوف قبل صناعته ومن النادر ان ينتقل هذا المرض من انسان الى آخر بمجرد اللمس ، وقد

شوهد المرض بين تجار الخرق البالية التي تستعمل في صناعة الورق والحيوانات التي تصاب به هي الانسان والغنم والمعز والارانب وخنازير الهند والفيران وكذلك الخيل والخنازير، أما الكلاب والقطط فلا تصاب به

الاعراض — لهذا المرض ثلاثة أشكال (١) الشكل المرضي (٢) الشكل الداخلي الرئوي (٣) الشكل الداخلي المعدي المعوي. وفي كلا الشكلين الاخيرين قد يصاب ظاهر الجسم أيضاً، وإنما نشأت هذه الاشكال المختلفة بحسب مدخل الميكروب فانه قد يدخل من الجلد أو من الرئة في الهواء المستنشق أو من الجهاز الهضمي مع الطعام أو الشراب

أما الشكل الاول فيشاهد كثيراً في الوجه أو العنق أو الايدي بعد جرح أو سحيج (خدش) فبعد زمن التفريخ الذي يتراوح بين بضعة أيام وبضع ساعات يحدث أكلان وهيب في المكان المفتح ، ويظهر دمل صغير يمتلي بسائل رقيق ثم ينفجر وتموت قاعدة هذا الدمل فتكون سوداء اللون ويتلب ما حولها من الجلد فيحمر ويرم ويتصلب ويمتد تورمه الى [بوصة] ونصف أو بوصتين أو أكثر، ويتكون حول البقعة السوداء قعاعات صغيرة تشتمل على مصل ، وتضخم الغدد اللعناوية القريبة وتلتهب . وقد يستمر الشخص في عمله ثلاثة أيام أو خمسة ثم يشعر بالحى مع الضعف والانحلال . وقد يعتره الهذيان أو العرق الغزير أو الاسهال وينتهي أمره بالموت الذي يسبقه هود شديد

أما الشكل الداخلي فتختلف أعراضه باختلاف الجهاز المصاب ، ويتقدمه اضطراب وضيق تنفس واضح، حلال وآلام في الاطراف ، ثم ترتفع الحرارة فجأة مع أعراضها المعروفة . فان كانت الرئتان مصابتين اصابه ضيق شديد في التنفس مع

احساس بالاختناق ، ويزرق جسمه ، وتخور قواه ، ولكن يكون السعال خفيفا ، واذا
صق فقد يكون البصاق ملوثا بالدم ، ثم يعتره الهذيان والغيبوية فيموت . وفي بعض
الحالات قد يبقى ادراك المريض الى النهاية . واذا كان الجهاز الهضمي هو المصاب
حدث قيء ، وألم بالبطن واسهال وخرج بالبراز دم وقد يحصل عسر في الازدراد أو
نزف من الحلقوم والفم ، وتكون الحمى غير عالية ، ويزرق جسم المريض أيضا
ويضيق نفسه ويصاب بالضجر وقد يتخبط كالمصروع قبيل الوفاة

الانذار — هو سيء جدا خصوصا في الاشكال الباطنية

المعالجة — تعالج الجرة الظاهرية باستئصالها كلها وكيفية موضعها إما بالنار وإما
بالادوية الكاوية مثل كلوريد الزنك (الخارصين) أو بالفنيك النقي فتمحسن حالة
المريض وقد يشفى سريعا

أما الشكل الداخلي فعلاجه قليل الجدوى . ويعالج بالكينين والمنعشات
والسوائل المغذية

الوقاية — تكون بالابتعاد عن المصاب وحرق أو تطهير مفرزاته وكل ما لامسه
وخصوصا صوف الاغنام وملابس المرضى ، وبقتل الحيوانات المصابة بأيسر الطرق
ثم احراق جثثها أو دفنها في مكان عميق مع وضع الجير حولها
ومما تجب العناية به ان لا يؤذن للعامل في مصانع الصوف أو الجلود بمس شيء
منهما الا بعد تطهيره بالطرق الطبية كأن يطهر الصوف مثلا في أفران البخار وتطهر
الجلود بوضعها في بعض المحاليل المطهرة التي لا تضر بها . واعلم ان كلامنا هذا في
مس الجلود قبل دبرها فان الدبر وحده كاف لتطهيرها
ويجب على المريض ومن شاكلة تطهير يديه جيدا قبل الطعام والشراب وتغيير
الملابس قبل ذهابه الى منزله أو مخالطته الاصحاء

السقاوة والسراجة Glanders

مرض عرف قديما حتى وصفه أطباء اليونان والرومان في كتبهم وهو يصيب
الخيل والبغال والحمير وبمض الحيوانات الاخرى الداجنة ومنها ينتقل الى الانسان

أيضا . وسببه ميكروب مستقيم الشكل اكتشف سنة ١٨٨٢ م
بعيش هذا الميكروب في الهواء وفي غيره، وطوله يختلف من ميكرومين الى خمسة
وهذا الداء قلما يصيب الانسان وأكثر من يصاب به خدمة الخيل أو
الاصطبلات . وكيفية العدوى به أن ياتح أي جزء من جلد الانسان بميكروب هذا
الداء في أثناء تنظيف الخيل المصابة أو كشط جلود الموتى منها، وقد يصاب الشخص
بسبب عض حيوان له وتلقيحه بلعابه ، أو يصاب بسبب عطاس الحيوان في وجهه
فيدخل جزء من مخاط أنفه في عين الانسان أو أنفه أو فمه . وقيل إنه ينتقل أيضا
بأكل اللحوم النيئة من الحيوانات المصابة . ومن الجائز أن ينتقل هذا الداء من
شخص الى آخر

الأعراض — لهذا الداء شكلان : —

(الشكل الاول) الحاد وهو المسمى بالعربية السقاوة . يبتدى ظهور أعراضه
بتوعك وصداع وغثيان وآلام في الاطراف حتى قد يظن أن الداء هو الرثية
[الروماتزم] أو الحمى التيفودية وقد يوجد ألم بالجنب وضيق في التنفس . وإذا
كان الميكروب دخل من الجلد التهاب مدخله وورم وصار مؤلما حتى يشبه الجلد
مرض الجفرة ثم يتقرح وتضخم الغدد اللفاوية القرية، وبعد اسبوع أو أكثر يظهر
طفح من دمايل صغيرة حمراء تعلوها ققاعات ، وهذه تكبر حتى تصير نفاخات
كبيرة أو بثور مختلفة الحجم يسيل منها دم ومدة وصديد، وتلتهب قاعدة هذه البثور
وما حولها ثم تسقط قشورها فيتكون منها قروح . وقد تتكون عقد تحت الجلد
تستحيل الى خراجات غالبا . وكثيرا ما تظهر هذه العقد أيضا في العضلات
وقد يصيب الداء أيضا الاغشية المخاطية وتكون أعراضه سيلان مخاط رقيق في
أول الامر ثم يغلظ وتصعبه المدة أو الدم وتكون راحته منتنة ، ويكون في الاغشية
أيضا عقد تتقرح حتى تنقب بعض الاجزاء أو تأكل بعض العظام الرقيقة كما
يحصل في داخل الانف . وقد تصاب أيضا الملتحمة أو الخنجرة أو أغشية الشعب
وهي ذلك . وتكون حرارة المريض عالية جدا مصحوبة بأعراض الحمى المعتادة ،
ولكن ارتفاعها قد يتذبذب، ويفرز زلال في البول ويصاب المريض بالهنديان

والارتعاش فالغيبوبة فالموت . ومدة الداء من أسبوعين الى ثلاثة
ويكثر وجود باسيل المرض في العقيد المذكورة وفي القروح وما يسيل منها ،
فأعظم الخطر منها في العدوى

(أما الشكل الثاني) فهو المزمع ويسمى بالسراجة وتكون أعراضه قاصرة على
الاصابات الموضعية على الاكثر كأن تظهر قروح أوخراجات حول المفاصل أو تلتهمب
مواقع مختلفة تحت الجلد أو في العضلات ، وإذا حدثت بثور كان تكونها بطيئا . وقد
تصاب أهشية الانف المخاطية . وفي بعض الحالات ينحف المريض ويبح صوته
ويصيبه السعال أو النزف الرئوي . ومدة هذا الشكل المزمع قد تكون أربعة أشهر
الانذار — غير حميد . وفي الاحوال الحادة لا ينجو الا القليل ، ويشفى نحو

نصف الحالات المزمعة

المعالجة — لا يوجد لهذا الداء دواء مقطوع بنجاحه وإنما تعالج الاعراض

كالعتاد

الرئية السيلانية أو الروماتزم السيلاني

سبق الكلام على مرض السيلان في الجزء الاول وإنما نريد أن نصف هنا
ميكروبه واعراض اصابته للمفاصل

أما ميكروبه فهو من الشكل البزري ويسمى بالافرنجية [Gonococcus]
ومعناها حرفيا في اليونانية [بزور المنى] فهي من الاسماء التي أخطأوا في أصل وضعها .
يوجد هذا الميكروب كثيرا في افراز الاحليل اذا كان الشخص مصابا بالسيلان
ويشاهد على الاكثر داخل الكريات الصديدية البيضاء وهو من الميكروبات التي
يتعسر زرعها في الخارج ، ويميش بوجود الهواء أو بغيره ، وفي البيئة القلوية قليلا أو
المخضية ولكنه لا يمش خارج الانسان الا ببعض الوسائل الصناعية العلمية الدقيقة .
ولا يصيب هذا الداء غير الانسان . ويشاهد ميكروبه في افراز الاحليل والفرج
وتقل مشاهدته في إفراز الرحم ويندرأ ولا يشاهد مطلقا وجوده في افراز المهبل . أما في
الذكر فيوجد أولا في إحليله وقد يمتد منه الى الخصيتين أو المثانة أو الغدد الاربية

(فينشأ منه الخيزجل) وفي بعض الحالات قد يصل الميكروب في الذكر والانثى الى الاعضاء الباطنية كالمبيضين أو الپليورا أو الپريتون أو الغشاء المبطن للقلب أو الاغشية الزلالية المبطننة للمفاصل وغير ذلك كثير واصابة المفاصل هي المقصودة بالكلام هنا

تبدأ هذه الاصابة بعد ١٤ يوما أو ٣ أو ٤ أسابيع من مبدأ ظهور سيلان الاحليل حينما يكون هذا السيلان قيحا أو حينما يكون صديدا (رقيقا) وهو الاكثر أي في زمن [النقطة العسكرية] (١)

الاعراض — في الحالات الحادة تصاب عدة مفاصل في أول الامر بالألم والتورم، وبعد قليل يقتصر المرض على مفصل واحد وهو المرفق في الغالب وقد يكون الركبة أو الرسغ أو غير ذلك . ويمتد احمرار المفصل الى مسافة بعيدة وترم المسوجات في تلك المسافة كلها حتى قد يظن أن بها خراجا . ويتألم المريض ألما شديدا عند أقل حركة ولكن تكون الحى غير شديدة . ويزول الالتهاب بالتدرج البطيء جدا ويترك وراءه يبسا في المفصل . وقل أن يتقيح . ومن النادر أن تصاب أغشية القلب ، وهذا الداء يصيب الذكور والاناث على حد سواء

وهناك اصابات بهذا المرض أخف مما ذكر فيكون احمرار المفاصل فيها أقل وكذلك ورمها ، ولكن تصاب عدة مفاصل في وقت واحد خصوصا الركبتين والمرفقين والرسغين وكثيرا ما يكون هناك آلام في الصفاقات وفي الاغشية المغلقة لأوتار العضلات ، وتغلب اصابة صفاق الخمص القدم . وقد تصاب أيضا الملتحمة بالالتهاب وكذلك الصلبة وغيرها . وفي تلك الحالات الخفيفة يكون زوال لالتهاب أيضا تدريجيا وقد تطول مدته الى ثلاثة أسابيع أو أكثر ويخلفه كذلك يفس في المفاصل

وسبب تلك الالتهابات كلها هو وجود ميكروب السيلان في الاعضاء الملتهبة وقد تصاحبه أيضا ميكروبات الصديد وذلك اذا وجدت المدة

(١) اصطلاح يراد به السيلان المزمع كما يحصل لكثير من الجنود وهو عسير الشفاء جدا يكاد يكون متمذرا

حال المسلمين الاجتماعية

ومطاه الرغنياء وسائر الطبقات منها^{*}

وفيه بيان حال مشتركى المنار ومساعديه ورأى الاستاذ الامام والشيخ علي يوسف فيه

٢

قد فصلنا القول في المقالة الاولى في الغرض الاول الذي رمى اليه (م . ن) في رسالته وهو اعانة جماعة الدعوة والارشاد . واما الغرض الثاني مما رمى اليه وهو مساعدة المنار فقد علم رأينا فيه مما علقناه على رسالته ، وهو أننا لا نقبل تبرعه للمجلة ولا تبرع غيره لانفسنا ، فمساعدة المنار تنحصر في أمرين أدناهما أن يؤدي كل مشترك ما عليه من قيمة الاشتراك في كل سنة ، وأعلاهما الدعوة الى الاشتراك فيه واقتناء مجلداته وأداء حقه الذي هو عبارة عن قيمة الاشتراك

وقد وجد أفراداً قاموا بما تيسر لهم من أعلى المساعدة كالنابغة الشهير السيد محمد بن يحيى بن عقيل في سنغافورة، وشهيد العربية السيد الزهراوي الشهير وصديقه الشيخ أحمد نهبان من علماء حمص وفضلائها في بلاد سورية، والكاتب اللوذعي الهادي السبعي في تونس، والفاضل النيور محمد افندي عمر في القطر المصري . وإنما ذكرت الهادي السبعي وقد كان وكيلاً للمنار بالعمولة لأنه من الأفراد الذين يقل نظيرهم في علو الهمة وقوة التأثير، واننا لم نأسف لاضطرارنا الى ترك معاملة أحد أسفنا لاضطرارنا الى ترك معاملته لتأخيره المحاسبة والمكاتبه عن أوقاتها زماناً طويلاً على أننا لم نهتد بعده سبيلاً الى تحصيل حقوق المنار من أكثر التونسيين ، على ما تفضل به من التبرع بتحصيلها الوجيه الامثل عجد الجليل الزاوش

وأما أدنى المساعدة وهي أداء حق المنار فمن المشتركين السابقون بالوفاء وهم الذين يؤدون الاشتراك في كل عام وأفضلهم الذين يؤدونه في أوائل السنين وإن لم يطالبوا أو يذكروا ، ويليهم الذين اذا ذكروا أو طولبوا أدوا ، وان تركوا نسوا أو

* تابع لما نشر في الجزء الثاني ص ٨٩

تناسوا ، ومنهم الذين يلون ويمطلون ، ومنهم من لا يخرج الحق من يده الى أمثالنا في حسن التقاضي الا تكدا ، وقد يكون أبسط الناس لمن يخاف أذاه أو هجومه بذا ، وقد يننا من قبل أحسن أقطار المسلمين وأصنافهم وفاء وأشدّها مطلا وانما التقاسي من مطل الناس أو هضمهم للحق ما هو أوضح برهان على المحطاط أمتنا ، وهدف تأثير العلم الديني والديوي في نفوس أفرادها ، فلا ينبغي أن يفتروا أحد بشهرة أحد في علم ولا فلسفة ، ولا بظهوره في مظهر صلاح ولا عدالة بل يجب أن يزن الجميع بميزان النقد ، فالناس — كما قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم — معادن كعادن الذهب والفضة ، أي والنحاس والحديد والزنك وغير ذلك ، فالظاهر العلمية أو العملية كالصقال قد يجعل النحاس أو الحديد المصقولين أبهج من الذهب أو الفضة غير المصقولين ، ولكنهما اذا تركا زنا طويلا يغير صقل علاهما الصدا ، وأفسدهما الطبع ، ولا يضر الحجرين الكريمين ترك صقلهما ، فان صقلا كان مزيد كمال في جهالها وبراءتها . وأنشد الفزالي في الاحياء أبياتا في اختبار مدعي الزهد والتصوف بالمال :

لا يفسرُ نك من المر ٠ قيمس رقمه
أو إزار فوق عظم الساق منه رفمه
أره الدرهم تعرف حبه أو ورعه

فان شئت مثلا من عبر المنار ، وما اتفق لنا من منبكات الاختبار ، فأعظم الامثال التي يجب أن تضرب في هذا المجال رجل من الاغنياء العلماء الشرفاء ، يشرح الكتب الشهيرة ، ويتحلى بالحجارة الكريمة ، ويركب المركبات الفاخرة ، تجرها الخيول المطهرة ، ثم هو يلوي ويسوف في اشترك المنار عدة سنين ، ثم يقول لو كيل التحصيل بعد المثل الطويل ، إنه لا يدفع قيمة الاشترك لانه عالم من علماء الدين ا فيالله العجب هل يوجد خزفي أخزي من وصف العلم أو الدين بأنه يقتضي هضم حقوق الناس وأكل أموالهم بالباطل ، أليس الجهل أفضل من مثل هذا العلم ؟ بلى وأستغفر الله من الزيادة على ما قلت
هذا وان صنف العلماء المعتمدين في مصر قلما يشترك أحد منهم في جريدة أو مجلة

أو جمعية خيرية، ويقل فيمن يشترك في صحيفة لغرض ما ان لا يسعى في السماح له بنصف قيمة الاشتراك أو ما دون النصف ، كأنهم يرون أن الصنف يجب أن يهدى اليهم ، وإن لم يفيدوا أصحابها بعلمهم ولا بجواهرهم ، ان كان لهم علم ينفع ، أوجاه يشفع ، ولكن يقل فيهم أيضا من يأكل حقا ثابتا عليه لا أحد ومن أغرب ما وقع لنا معهم أن واحدا منهم كان قد أعجبنا حياؤه وتدينه ، فسأعدناه في مصالحة من مصالحه مساعدة ذات شأن عنده، فعرض علينا جزاءها أو مكافأة عليها عدة جنهات ، فقلنا اننا لا نأخذ أجرا على المساعدة فاشترى بها مجلدات من المنار ، ثم انه تأخر عليه اشتراك عدة سنوات فلما طوبى بها في هذا العام قال إنه كان دفع الاشتراك عنها سلفا في تاريخ كذا ، فقبل له ان مادفعته يومئذ انما كان من المجلدات السابقة فقال — وبالله المعجب مما قال — بل كانت تلك المجلدات هدية من صاحب المنار ١١ فان كان قد قال هذا القول معتادا صحته فهل تفكر في السبب الذي حمل صاحب المنار على مساعدته مساعدة تستحق المكافأة وعلى ترك أخذ ما عرضه عليه منها ثم على اهدائه عدة مجلدات من المنار ؟ لعله يتفكر فيعلم ان لا سبب يقتضي ذلك ثم ينصف من نفسه. ١١ على اننا مع العلم بهذا الشذوذ من هذا العالم الحبي ، وذلك المؤلف الغني ، نقول ان علماء الدين أمثل من علماء الدنيا وفاء ، وأسهل قضاء :

ذكرت في بعض مجلدات المنار السابقة أن علماء الحقوق من القضاة والمحامين احسن وفاء من غيرهم ، وان اقل المتعلمين وفاء ككتبة الدواوين ، وكم من كاتب صغير ، خير من قاض أو محام كبير ، وانما الناس معادن ، يتفاضلون بالاخلاق لا بالعلم ولا بالناصب ، أضرب لذلك مثلا قاضيا اشهر بدقة الفهم ، واستقلال الرأي ، وحسن الذوق ، وانتظام الفكر ، وفصاحة القول ، وسلاسة الانشاء ، والجمع فيه بين إقناع الفلاسفة وتأثير الخيال ، حتى صار يمدد المدنيون من رجال الاصلاح ، وكان مع هذا كله يمنع ما عليه من حقوق الافراد والجمعيات عامدا متعمدا : طلب الاشتراك في المنار بلسانه ، ومات وعليه اشتراك عدة سنين اعيا وكيل المنار تحصيلها منه ، وكان مشتركاً في الجمعية الخيرية ومن كبار أعضائها فأمر الأستاذ الإمام رئيس الجمعية بمحو

اسمه من دفاتها بعد امتناعه من دفع قيمة الاشتراك عدة سنين .
وان لنا الآن عند بعض القضاة والمحامين اشتراك عدة سنين يئس جاني المنار
منهم ، وطلب من الادارة قطع المنار عنهم ، وقد ساءني ذلك لان منهم من أجل
نبوغه وعروته ، وأتمس له عفرا فيما شكوا الجاني منه ، ويعز علي ان يحشر في زهرة
الماطلين ، أو يدون في سجل الهاضمين ،

وأما الماطلون من الاغنياء الذين لم يصقلهم العلم الديني ولا الدينوي فهم كثيرون
ومطلبهم خشن مشوه . مثاله قول خفي من الفيوم هابه اشتراك بضمه عشر سنة لجاني
المنار في القاهرة : اني ابتليت بمصائب تمنني من المطالمة منها موت امرأتي ، ومجموعات
سني المنار محفوظة عندي في الفيوم فاعطني أجرة البريد لآحضرها لك !!

ولا يسعني السكوت في هذا المقام عن كلمة ثناء على فضل من أنبت أرض في
مصر في هذا العصر ، بل على من يندر وجود مثلهم في اي مصر واي عصر ، وهم
الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده والوزير الكبير مصطفى رياض باشا والنايفة الهمام
حسن باشا عاصم ، فأما الوزير فقد بينت في فاتحة المجلد الخامس عشر انه كان أول
من أراد التبرع للمنار فاشترك بمشروع نسخ توزع على الفقراء ثم جعلها خمس عشرة نسخة ،
وقد أقرها بعده ولده محمود باشا سنة ثم قطعها ، وفضل رياض باشا على الاهرام والمؤيد
والمتعطف والمقطم مما يعرفه جمهور الادباء ، وأما حسن باشا عاصم فقد كان على وقف
حياته على خدمة الامة احسن الناس وفاء ، حتى انه كان يتحرى أن يكون أول من
يدفع الاشتراك للجمعية الخيرية في كل عام على أنه أكثر أعضائها خدمة لها ، وكان
يدفع اشتراك جميع الجرائد في أول كل عام أيضا وكان يجيء في ادارة المنار في
بعض السنين حاملا الدراهم بيده

وأما الاستاذ الامام رحمه الله تعالى فقد كان أحرص الناس على مساعدة المنار
بكل ما تصل اليه طاقته ، وكان كثير من الناس يظن في مساعدته له الظنون البعيدة حتى
ان منهم من كان يظن أنه هو الذي يكتب ويحور أكثر ما ينشر فيه ، وقد علمنا هذا مما
كاشفنا به بعض القراء حين كتبنا في المجلد الرابع ان كل ما ينشر في المنار غير
معروا الى أحد فهو لمنشئه ، ومن الناس من لم يرجع عن هذا الظن الا بعد وفاة الاستاذ

بعد كتابة ما تقدم نظرت في مذكري التي كتبتها قبل انشاء المنار فاذا فيها اتني جئت على موعد في مساء اليوم السادس من شعبان سنة ١٣٦٥ فعلمت منه ان سليم افندي الانسي اخبره بأن بعض الناس جاؤا من طرابلس الشام لانشاء جريدة . وأنه اجابه بقوله : هل علموا ان الجرائد هنا قليلة ؟ وكتبت يومئذ في ذلك ما يأتي :

« فمعد ذلك كاشفته بهزيمي واخبرته انه جاءني خبر من طرابلس بأن والي بيروت باقعه اني جئت مصر لانشئ جريدة اطعن فيها بوكلاء (وزراء) الدولة . وقلت له : المقصد أعلى من الكلام في الشخصيات وان وكلاء الدولة مدحوا كثيرا وذموا كثيرا فاذا كان من نتيجة المدح والذم ؟

« فشرح لي الاستاذ حالة الجرائد في مصر (كما فهمته واخبرته) وقال ان المصريين اقامتهم الظروف في حالة جعلت افكارهم موجهة الى شيء واحد من الجرائد وهو اخبار الحكومة المحامية وماذا يقال عن الخديو وعن الانكليز ولا يلتفتون الى ما وراء هذا . وهذا الامر قد قامت به ثلاث جرائد المقطم والمؤيد والاهرام ... (١) واذا كتبت في المواضيع الادبية كالتربية والتعليم أو آداب اللغة لا يلتفت الى كلامك الناس فاني لا أعرف أحدا في مصر من طلبة الأزهر أو المدارس مشتغلا باللغة وآدابها الا ان يكون في الزوايا من لم يعرف . نعم ان هذا الامر مهم ومفيد لكنه لا يأتي منه ما يكفي لنفقاته ولا ينبغي التعب وانفاق المال هكذا ...

(وفيها اني ذكرت له هنا ما ذكره لي صاحب الهلال من كثرة مشركيه وأنه ارتاب في ذلك وقال ان المشتركين الذين يدفعون الدراهم قليلون وما كل من يكتب اسمه في دفاتر أصحاب الصحف كذلك . ثم كتبت ما نصه) :

« ثم انتقلنا الى موضوع الامة ومرضاها وان أنفع الوسائل في معالجتها التربية والتعليم ونشر الافكار الصحيحة » فقلت هذا ما احدا بي لانشاء الجريدة ، واني أسمح ان انفق عليها سنة وستين من غير ان أكسب شيئا ... فقال ان كان هكذا

(١) هذا نص ما في المذكرة بحروفه ونقطه وأتذكر انه ذكر لي مشرب هذه الجرائد فأشرت اليه بالنقط لانه لا ينسى

فهو حسن ، وهذا أشرف الأعمال وأفضلها ، وأنا اذا كنت على ثقة من مشرب
الجريدة فاني أساعدها بكل جهدي « اه

ولما كتبت فاتحة العدد الاول أعجبه ما بينته فيها من خطة المنار ومقاصده ولم
ينتقد منها الا كلمة واحدة في حقوق « الامة على الامام » قال إن المسلمين ليس
لهم الآن إمام انما امامهم القرآن. فتركت تلك الكلمة لاجله. ولم أطلع على شيء قبل
طبعه مما لا يتعلق بشخصه والحكاية عنه الا تلك الفاتحة. ثم كانت تزداد ثقته بالمنار
وصاحبه (ولا محل لشرح ذلك هنا) ولكنه امره نفسه ومحافظته على قيمة كلامه كان
يكتفي من الترغيب في المنار غالبا بمدحه، والشهادة بفائدته ونفعه، دون التصريح بالدعوة
الى الاشتراك فيه ، ولما كان ذلك يجدي لبعد أكثر الناس الموسرين عن الاهتمام
بأمر الاصلاح الديني والاجتماعي ، قد اشترك في المنار عند ظهوره الافراد من أصدقائه
ومر يديه بترغيبه، واشترك المئات من غيرهم بغير ترغيب من احد ولم يكن في ذلك
غناء ، وما زاد دخل المنار على نفقاته الا في السنة الخامسة، وقد كان لمقاتلته (الاسلام
والنصرانية) تأثير في ذلك . ولم أعلم أن عشرات من المشتركين طلبوا الاشتراك
بتأثير ثباته عليه الا في تلك السنة وكان هؤلاء المشتركون من مديرية الدقهلية
وما جاورها، سمعوا منه ذلك الترغيب في بلادهم أيام كان فيها يوزع الاعانات على
الذين نكبوا بالحريق ، ولا أتذكر اني طلبت منه المساعدة تصرحاً ولا تلميحاً
الا في أوائل تلك الايام ، فاني كتبت اليه كتاباً أشرت فيه الى الشكوى من قلة
الاقبال على المنار - وكان في المنصورة - فكتب الي كتاباً قال فيه هذه الكلمة
التي كانت أحب الي من كل ما تجدد من طلب الاشتراك ، لانها بينت رأيه في
المنار كتابة وهي :

«الناس في عمارة عن النافع وفي انكباب على الضار، فلا تعجب اذا لم يسرعوا بالاشتراك

في المنار، فان الرغبة في المنار تقوى بقوة الميل الى تغيير الحاضر، بما هو أصلح للاجل

وأعون على الخلاص من شر الغابر ، ولا يزال ذلك الميل في الاغنياء قليلاً، والفقراء

لا يستطيعون الى البذل سبيلاً ، ولكن ذلك لا يضعف الامل ، في نجاح العمل «

وأذكر أيضا أن وجيها من أسرة كبيرة عنية في بعض المديریات كان يعد من حزب الاستاذ طلب مني بحضوره ارسال المنار الى بضعة عشر مشتركا من أقاربه وأصحابه على انه هو الكافل لهم، والملتزم لتحصیل قيمة الاشتراك منهم، فأرسلناه إليهم، وبقي عدة سنين لا يدفع عن نفسه ولا عن أحد منهم شيئا حتى في حياة الاستاذ، ثم بعد تكرار المطالبة وصل إلينا منه ومن غيره اشتراك بعض السنين من بعضهم، ويثسنا من الآخرين فمحونا أسماءهم.

وأما أصحاب النفوذ والوجاهة من أصدقائه — الذين كانوا أقدر منه على نشر المنار لو أرادوا لتصريحهم بما لا يصرح هو بمثله — فلم أعلم لأحد منهم مساعدة تذكر الا ان مصطفى بك الباجوري رحمه الله تعالى طلب المنار لجماعة في طنطا أكثرهم من أصدقائه المحامين. على أن كثيرا من جماعة الاستاذ ما كانوا يدفعون قيمة الاشتراك ولا كنا نحن نطالبهم بها لاجله، وهو لم يأمر بارساله الى أحد بغير من الا الى اثنين من أصدقائه (أحدهما) شيخ صوفي صالح مشهور في الوجه القبلي (وثانيهما) قاض شرعي من اخوانه مريدي السيد جمال الدين في الوجه البحري، (رحمهم الله أجمعين)

وجملة القول ان الاستاذ قدس الله روحه صرح لي بما حقيقته انه لم يعمل للمنار ما يجب عمله له، بل قال لي مرة أو أكثر من مرة: اني لم أعمل له شيئا. أي ما يعده هو شيئا يذكر. ولا سيما بعد ما رأى من مقاومة أعدائه له، وعدم قيام أصدقائه بما كان يجب من مساعدته، على ما رأوا من شدة ميله ورغبته، وقد كان هو يقوم بموافاة رغائبهم وقضاء حوائجهم بمجرد الشعور بها، ولا ينتظر منهم إلحاحا ولا تصریحا بطلبها، وكان يجب ان يكون كل فرد منهم أولى بذلك منه، لا لأن له الفضل عليهم، والمقام الاعلى فيهم، بل لانه أشدهم حياء وأرقهم شعورا. فلا ينبغي لمن عرف طباعه وأخلاقه العالية ان يكلفه ما لا يليق بها، كالتصريح بطلب الشيء بلسان المقال، مع العلم به من دلالة الحال، على انه هو لم يكن يكلف صديقه مثل ذلك وان كان ذلك الصديق لا يستحي منه، ولا يتقّل مثله على طباعه وأخلاقه.

من أجل هذا كانت مقاومة أعداء الاستاذ للمنار أعظم من مساعدته له، وإنما

كانوا يتاومونه لتوجيهه به ، واذاعته لعلمه وفضله ، واني أذكر في هذا المقام كلاما للشيخ علي يوسف صاحب المؤيد عفا الله عنه فيه عبرة لصاحب الرسالة التي أوجبت كتابتنا لهذا المقال ، ولغيره ممن يعتبرون بوقائع الاحوال ،

قال لي الشيخ علي يوسف مرة: إنك أنت رجل غير عادي فقد أوتيت من العلم والبصيرة ومعرفة حكم الدين واسراره وما يحتاج اليه المسلمون من الاصلاح في هذا العصر ومن حسن البيان ما جعل مجتاك من الحاجات الضرورية التي لا غنى للمسلمين عنها اذا أرادوا أن يرتقوا في هذه الدنيا مع المحافظة على دينهم، وكان يجب أن يوجد المنار في كل بيت من بيوت المسلمين ، ومصر مستعدة لرواج هذه الافكار فيها وانت هنا غريب ليس لك اعداء ولا حساد إذ لا يمدك احد فيا مزاحم له في جاهه وصيته. الا انك التزمت في المنار اطراء الشيخ محمد عبده والتويه به، وهو اهل لذلك الا انه غير محتاج اليه اذ لا يزيد في قدره عند عارف في فضله الكثيرين ولا يفتع غيرهم من مبغضيه ، وان للشيخ اعداء كثيرين لهم نفوذ في البلاد، وانت بهذا التويه به تجعلهم خصوما للمنار يتاومونه وينفرون الناس منه، واكثر من يسمع ذلك منهم يأخذ به بالقبول، فغير لك أن تترك هذه الخطة وتسلك في ذكر الشيخ طريق المؤيد بأن تعبر عنه اذ لم اقتضت الحال ذكره بأحسن ما يقرون بأعمال كبار العلماء وهو لقب « فضيلة الاستاذ فلان - أو بزيادة - الملامة فلان » فهذا تأمن كيد اعداء الشيخ لك المنفي الي حرمان أكثر المسلمين بمصر من الاستفادة من المنار

فقلت له اني أعلم قدر ما في هذا الكلام من النصيحة واني قد علمت بالاختبار ان اعداء الشيخ يصدون عن المنار وقلما يوجد من يعارضهم في ذلك . ولكن المنار أنشئ للاصلاح لا للتجارة، ودعوة الاصلاح لا يرجي ان تنجح وتبقى الا اذا كان للاصلاح زعيم يرجع اليه ويعول عليه ، ولا أعرف أحدا في المسلمين اهلا لهذه الزعامة بعلمه وبصيرته واخلاصه وأخلاقه الا هذا الرجل ، فأنا أقصد بالتويه به ترشيحه ازعامة الاصلاح في العالم الاسلامي كله لا في مصر فقط . وهذا العرض ركن من أركان الاصلاح يرجع على كثره قراء المنار في القطر المصري. فقال اذا كان الامر كذلك فأنت أدري بشأنك

هذا — وإن هذا القول من الشيخ علي يوسف قد كان قبل اشتداد غضب
الامير على الأستاذ الامام واطهاره للناس وما ترتب على ذلك من التقاطع الاخير
بين الأستاذ والشيخ علي ، ومن سمي كثير من كبار المقربين للامير للتفريق بيني
وبين الأستاذ رحمه الله تعالى ، اذ كان ممن كلفه في ذلك الوزير الشهير بطرس باشا
غالي ، ومن كلمني فيه تقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الشيخ توفيق البكري .
ولا حاجة الى شرح ذلك في هذا المقال

ابن صاحب الرسالة (م . ن) يعلم ما لا يعلمه الا الاقلون من تاريخ المنار وما
لقي من المقاومة وكونها على قوتها لم تكن مانسة من انتشاره واحترام كبراء الامة
— حتى خصومه — له ولنشئته ، وأنه على كثرة ما كان ينتقد العلماء ويلقي عليهم من
تبعة فساد دين الامة وديناها لم يتصد أحد منهم للرد عليه مع دعوته اياهم الى انتقاد ما يرونه
مستقدا فيه على رأس كل عام ، ويعلم أيضا أن مقاومة الامراء والكبراء من العلماء
وزعماء الحزب الوطني وغيرهم لم تكن صادرة لمن دونهم في الجاه كمحمد افندي عمر من
الدعوة الى الاشتراك في المنار ومن استجابة كثير من الناس له ، ذلك بأن الحرية
الشخصية قد رسخت في البلاد ، حتى صارت مستعدة لقبول كل دعوة وانتشارها
بقدر من يقنع بفائدتها من الافراد . ولكن الدعوة لا تنجح بنشر مقالة أو مقالات
معدودة ، بل بشرط لنجاحها أن يكون لها دعاة دائبون ، وتأثير القول فيها أكبر
من تأثير الكتابة ، ولا بد من المواظبة والتكرار ، كما علم من سنن الله تعالى في كل دعوة
الى إصلاح أو إفساد ، فهذا هو سبب حكمنا على رسالته بأنها لا تفضي الى نيل المرادة
فلا اقوال والافعال العارضة الموقته ضميعة التأثير في الامور العامة ، وإنما الصمدية فيها
على الدعوة الدائمة ، فقد أيد المنار أقوى من أنبتت هذه الديار حجة وتأثيرا روحيا ولم
يكن نجاحه بتأييده وتنشيطه ، وخذله وثبط عنه أعظم من فيها نفوذا ولم يحجب بخذله
وتثبطه ، وقد زالت ولله الحمد تلك المناهضة ، فلا يخشى ان يلقي الداعي بهداذي ولا معارضة
ثم ليعلم صاحب تلك الرسالة ان المنار ثابت بفضل الله تعالى وان اقتطع عنه منذ
بدأت الحرب الاوربية كل مدد كان يأتيه من البلاد العثمانية والروسية ومن المغرب
الاسلامي ، وكذا من المشرق والجنوب الاقليات ، — وان همت ادارته أيضا
(المنار : ج ٥) (٣٩) (المجلد التاسع عشر)

أسماء مثبات من مشركي القطار المصري ، بعضهم بحق وبعضهم بغير حق بل بشهادة غير عادلة من الجبابة . — وكان هذا في فترة بضع سنين لم أنظر فيها شيئا من أمر الادارة وقد قضيت كثيرا منها في الاسفار — وان المتأخر من مال الاشتراك على الثابتين من المشتركين يزيد على ألف جنيه مصري . واني لا أعترف بأن جل التبعة في ذلك على تقصير الادارة وتركها مطالبة الكثيرين منهم لا على من طولبوا فلجوا ومطلوا ، وانا لارجو ان توفق ادارتنا فيما شرعت فيه من الاصلاح الى اقتضاء حقوقنا بالحسنى ، فقلما يوجد في مشركي المنار من يستحلّ أكل ماله بالباطل وهضم حقه بغير هذر ، ولكن يثقل على بعض من عليهم اشتراك عدة سنين ان يؤدوها دفعة واحدة ، ولا يضرنا تأديتها أقساطا متعددة ، وإن منهم أفرادا يطعمون بأن تترك لهم شيئا مما عليهم برضا منا ، ومن هؤلاء من يتوسل الى ذلك بأن بعض الاجزاء لم يصل اليهم ، وحينئذ انه كان ينبغي لهم ان يطلبوها في وقتها واذا ارسلت اليهم بغير ثمن حسب الشرط ، وانا نعلم بالاختبار ان كثيرا من المشتركين تفضل عندهم الاجزاء أو يأخذها بعض أصدقائهم من مكاتبهم أو بيوتهم من حيث يدرون أو من حيث لا يدرون ، أو تضيع بانتقالهم من مكان أو بلد الى غيره ، ثم يتوهمون انها لم تصل اليهم البتة وقد عزمنا على ان نبذل جهدنا في حسن الاقتضاء ، راجين من الاكثريين حسن القضاء ، وعلى ان نكتب بعد ذلك ما نرى فيه الفائدة من الاختبار ، ومنه التصريح بأسماء المحسنين والمسيئين في القضاء ، ليكونوا عبرة للمعتبر بحال المسلمين ، ونوّه كد البشارة لآخينا (م. ن) الداعي الى مساعدة المنار خوفا من سقوطه بما أحدثته الحرب من العسرة ان ما على خيار المشتركين في القطار المصري وحده يزيد على ما يحتاج اليه من النفقات فلا يضره انقطاع المدد عنه من الخارج ، فاذا كان يجب زيادة انتشاره لاجل تميم فائدته فالطريق الى ذلك هي الدعوة الى منهجه الاصلاحى ، ولكل دعوة أهل ، ولكل مجتهد نصيب ، ودعوة الاصلاح بالحق أحق أن تستجاب ، ولا سيما اذا روعيت فيها الحكمة وفصل الخطاب ، (أفن يهدي الى الحق أحق ان يتبع أم من لا يهدي الا ان يهدي ؟ فالكيف نحاكون !)

رحلة الحجاز

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمد الله تعالى أن وفقني في هذا العام اتلبية دهوة أيينا ابراهيم ، عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، بأداء فريضة الحج ، وإكمال المناسك بالمعج والشج ، ثم أحده عودا على بدء ان وفقني للوفاء لوالدي بالحج معها . بعد ان حالت دونه الاقدار بالاعذار تارة من قبلي وتارة من قبلها ، بل أحده قبل ذلك كله أن هخر من سخر من الدول لازالة ما أحدثته الحرب الاوربية العامة من موانع السفر بالحجاز الى الحجاز ، ولتكاليف إعداد السفن لحمل الحجاج ، بعد أن وفق الشريف أمير مكة للقيام بأمر استقلال العرب في تلك الاقطار، ولمعاهدة تلك الدول المتصرفه في جميع البحار، فسبحان من سخر من شاء لما شاء بتوفيق أقدار لأقدار، وأظهر حجته على الخلق في كل عصر من الاعصار، من آيات يزداد بها إيمان المؤمنين، ويحقق بها القول على الجاحدين ، — والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين والمرسلين ، الامي الذي أرسل لتعليم الاميين والكتابين ، العربي المبعوث لتوحيد الامم باللفة والدين ، وعلى آله وأصحابه الكرام ، الذين أخذوا عنه المناسك وأحبوا شعائر الاسلام

أما بعد فان ركوب الالوف من المسلمين لتون البحار ، وجذبهم من أقصى المغرب والمشرق لاداء فريضة الحج في هذا العام ، يصح ان يعد من تأيد الله تعالى للاسلام ومن المعجزات الدائمة لخليبه ابراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ومصدقاً لحديث «ان الله سيؤيد الاسلام برجال ما هم من أهله» وقد ورد بلفظ آخر صرحوا بصحة سنده . أوليس خذلانه — جلت قدرته — لحكومة الاتحاديين الملحدين ، بما أقدموا عليه من التنكيل بالعرب وانتهاك حرمت الدين ، وتوفيقه — عمت رحمته — لأمير مكة ومن معه من المسلمين ، بالخروج على البغاة المارقين ، وتسخيره — بهرت حكمته — لدولتي الفرنسييس والبريطانيين الكتائبين ، بحمل الحجاج من الغرب والشرق الى البلد

٣٠٨ كون الحج تلبية لدعوة ابراهيم وماكان من الموانع دونه [المنار: ج ٥ م ١٩]

الامين = أليس هذا كله أقدارا تابعت ، وأسرازا تشايعت ، فأنجملت عن استجابته سبحانه وتعالى لدعوة ابراهيم خليله ، وإحياء شريعة محمد عبده ورسوله ، بعد ما كاد يظن ان أسباب الحرب الظاهرة ، حالت دون تلك الدعوة الطاهرة ، (١٤ : ٢٩ ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجمل أفئدة من الناس تهوي اليهم وأرزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) بلى وإنما لتؤيد ما روي عن ابن عباس ، من تلبية الناس لتلك الدعوة في عالم الارواح ، اذ قام عليه الصلاة والسلام بعد فراغه من بناء البيت العتيق ، بمثلا قول الله له (٢٢ : ٢٥ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ٢٦ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير ٢٧ ثم ليقتضوا ثقتهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق) * فقد روي عنه ما معناه أن الله تعالى أمره أن ينادي بذلك وقال له عليك النداء وعلى البلاغ ، وأنه قام في مقامه (المعروف الى الآن بمقام ابراهيم) وقيل في الحجر وقيل على الصفا وقيل على أبي قبيس فنادى يا أيها الناس ان الله قد اتخذ بيتا فجوه — فاجابه كل من كتب الله له الحج الى يوم القيامة قائلين « لبيك اللهم لبيك » فان لم تكن هذه الاجابة حقيقية في عالم الارواح ، ولا عبارة عن الاجابة بالقوة ولسان الاستعداد ، فهي تمثيل لما تظهره مجاري الاقدار ، من وراء حجب الاستقبال ، فتشاهده الاجيال في كل حول من الاحوال لقد كان التزوع الى حج بيت الله الحرام ، هوى ساكنسا في القلب يمركه الموسم في كل عام ، ونحول موانع الاقدار دون جذبه البدن الى تلك المشاعر العظام ،

(٥) التأذين والاذان بالشيء النداء للاعلام به . والرجال جمع راجل وهم المشاة ، والمعنى يأتوك مشاة وركبانا على كل ضامر من الابل وغيرها وهو المهزول من طول السفر ، ويأتين مئة لكل ضامر . والفتح الطريق والمسلك المنفرج بين الجبال ونحوها ، والعميق البعيد النور أو المدى ، والايام المعلومات يوم النحر وأيام التمريق بسده ، وكذا يوم عرفة في قول ، والامر بالاكل من لحوم الهدي التي تذبح بمعنى في تلك الايام — ومثلها الاضاحي في سائر البقاع — للندب عند الجمهور ولاوجوب عنده طائفة . والتفت المناسك ، أو التحلل من الاحرام الذي يزال به الوسخ بالخلق والطيب اذ أصل التفت الوسخ . والمراد بالطواف هنا طواف الافاضة الذي تم به أركان الحج فيتم التحلل منه .

وأهمها ما كان أولا من عدم الامن على النفس من ظلم الحكومة الحميدية ، ثم ما هو شر منه وأذى من إلهاد الحكومة الاتحادية ، ومنها ما كان في بعض السنين من عدم استطاعة السبيل ، أو عجز السيدة الوالدة عن الرحيل

فلما دعت الحكومة المصرية المسلمين في هذا العام الى الحج بالسنة الصحف المنشورة ، والتزمت حمل من يحج الى جدة ذهابا وايابا بأجرة قليلة ، تاركة ما كانت تتقاضاه من كل مرید للحج من التأمين المالي ، وعلينا أن هذه الدعوة مبنية على تأمين الشريف أمير مكة للبلاد ، وإزالته كل ما كان هنالك من أسباب العيث والفساد ، — صادفت هذه الدعوة في أنفسنا أتم الاستعداد والاستطاعة ، وإتفاء جميع الموانع دون هذه الطاعة ، بل تأكدت داعية الفريضة ، بما يرجح في أثناء أدائها من واجب النصيحة ، التي تقتضي الحال الحاضرة أداءها لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ، فقد علمنا أن طريق الحج ، قد مهد لمسلمي الشرق والغرب ، الذين حالت بيننا وبينهم الحرب ، فلا سبيل للتواصل بيننا وبينهم من الطاق ولا من الباب ، ولا للتناصح بخطاب ولا كتاب ، ونحن الآن أحوج ما كنا الى التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على ما يجب من التقوى والبر ، فهل نتوانى في أداء هذه الواجبات ، وقد ابيحت لنا في أشرف الامكنة وأفضل الاوقات ، إذ تؤدي المناسك في بيت الله ومشاعره العظام مستى والمزدلفة وعرفات ؟

نعم ان حكومة هذه البلاد آذنتنا بإباحة الحج في هذا العام ، فذكرتنا بايذنانها به أذان أينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، فلي القلب داعي الله قبل تلبية اللسان وسعي الاقدام ، : « لبيك اللهم لبيك لبيك ، لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » فلم نكن ممن يثنيهم عن هذه التلبية إرجاف المرجفين ، ولا خرس الخراصين ، ولا إفك المداعين ، الذين أذاعوا في طول البلاد وعرضها ان من يقصدون الحج في هذا الاوان ، يلقون بأيديهم الى التهلكة بما أعد لهم من مدافع الترك وطيارات الاملان ، ولا قولهم إن صاحب المنار مرسل مع وفد العلماء الذين أرسلهم سلطان مصر لمبايعة شريف مكة بالخلافة ، ولا قول بعضهم إنه هو الذي يريد ذلك دون العلماء ولا قول بعضهم بالعكس ، فالقرايظ والواجبات لا تتروك

٣١٠ أوهام المصريين في حج هذا العام قبل حصوله [المنار: ج ٥ م ١٩]

لتقول غوغاء الناس، ولا لاوهم العوام ولا الخواص، وحسبي ان أعلم اني أحج لوجه الله تعالى منفا من مالي الذي اعتقد حله وقد ادخرته لذلك في هيمان منفسنين، واني ابتغي زيادة الاجر عند الله تعالى بصحبة والدتي وخدمتها في هذه السبيل، وبما أبغيه من الازدياد من العلم النافع والاختبار والاستفادة من أهل العلم والبصيرة، وبما أنويه من النصيحة لكل من أرى الفائدة في نصحه من اخواني المسلمين في تلك البقاع الطاهرة الشريفة، بما أرى فيه الخير والمصلحة لأمي في أمري دينها وديناها، لا أحلي في ذلك شريفا ولا أميرا، ولا أغش فيه سوقة ولا فقيرا، وانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى. كما قال الصادق المصدوق صلى الله عليه وآله وسلم. على ان حبل الكذب - كما تقول العامة - قصير، ولا سيما اذا كان في شيء كالحج موعده قريب، فسفر الحج في هذا العام كان أقل من خمسة أسابيع، فما أسرع ما ظهر كذب تلك الاقاويل

لم يبق أحد في مصر الا وقد علم ان حجاج بلاده قد دخلوا المسجد الحرام بمشيئة الله تعالى آمين، وأدوا مناسكهم وقضوا تقصمهم محلقتين رؤوسهم ومقصرين، وعادوا الى أوطانهم سالمين مغبوطين، وان الشريف لم يدع أحدا من الحجاج الى مبايعته، ولا يزال الخطباء يدعون للسلطان العثماني في بلاده، وان صاحب المنار لم يكن بينه وبين وفد العلماء السلطاني خلاف في امر المبايعة المنعقدة بمصر ولا في غيره، وانه عاد مع والدته الى أهله وولده وموطن عمله كسائر الحاج، اذ لم يذهب مدعوا الى منصب قاضي القضاة ولا مشيخة الاسلام، وها هو ذا يقص خبر رحلته، على جميع من يطلع على مجلته، بما يمهّد قراؤها من صدقه وصراحته، اذ كان - ولا يزال - يشرح ما طرأ من الفساد على الرؤساء والحكام، وما سرى من الضلال والخرافات الى العوام، غير مبال بسخط الخاصة، ولا مهتم باستمالة العامة، (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل) :

(لها بقية)

باب الشعر والادب

قال محمد توفيق علي^(١) من قصيدة له في مديحه عايبه الصلاة والسلام

هل مر يوم لم يلخ فيه أفقه شمس تضيء لنا من القرآن
 هل هزت الاجيال دين محمد فرأته غير مثبت الاركان
 هل ينكر الثقلان أن نبينا كنز العلوم وكمبة العرفان
 ومثبت التوحيد في أركانها بالمعجزات وساطع البرهان
 ولربما جعل الحسام نصيره في ردع أهل الظلم والطغيان
 وأعادها نورا وكانت ظلمة دهماء سابغة على الاكوان
 لو أننا متمسكون بدينه لم يرض منا مؤمن بهوان
 ولما هزُّ منا لو تجمعت العدا لقتالنا واستظهروا بالجان
 لكننا فشت المعاصي بيننا وتحكمت فينا يد الشيطان
 توبوا الى الله الكريم وأصلحوا أعمالكم خافوا من النيران
 وقال في أصحاب السوء

لي أصحاب اذا عاشرتهم لا تقل ان عثروا يوما لعا^(٢)
 يأكلون السحت فيما بينهم ليس من جوع ولكن جشما
 يمزجون الخمر بالماء فـمل مزجوا أن شربوها أدمعا
 فعدوا عن كل فخر وعلا وسمى للعار منهم من سعى
 وهم والله في أعناقهم — لا يحبون التقي الورعا

(١) هو ضابط (يوز باشي) في الجيش المصري وكان رفيقا لنا في سفر الحج
 وسياتي ذكره في الرحلة (٢) يقال للعائر « لعا لك » دعاء له — أي أنعشك الله
 وأقامك من عرتك . واذا دعى عليه يقال له : لا لعا لك

كم نهيناهم عن الخمر فلم يجحدوا من دونها متجمعا
 كم زجرناهم عن الفحش فلم يجحدوا في غيره متسما
 انهم قد ظلموا أنفسهم فاصفح اللهم عن رجما
 ﴿ وقال في ذم الخمر وضررها ﴾

خذوا كأسها عني فما أنا شارب لقد حرم الله المسدام وانني
 لئن بتت جبارا على الارض قاهرا لئن شرب سما ناقما في زجاجة
 لئن شهبوا كأساتها بكواكب وان عصروها من خدود كواكب
 ولا أنا عن ديني ودنياي راعب الى الله مما تستحلون تائب
 فلتست جبار السماء أحارب نجوم جوالي شاريه المصائب
 فكم أنذرتنا بالنحوس الكواكب فكم من بلايا جرهن الكواكب
 ﴿ وقال في تفضيل الماء على الخمر ﴾

اذا طاف بالكأس الدهاق عليكم لي الماء وحدي لا أبالي بجمعكم
 فضقق أباريق المدام وهاتها فذلك مدامي لا بنات دناتهم
 اذا قرقت في الكاس ألقيت فضة يقطرها الدن الحلال (٢) كأنما
 فما أنا منكم ببرا الله منكم رضيتم غضبتم ختمت أو وفيتم
 زلا لا نفسي أو شكت تتصرم وذلك زجاجي لا لزجاج المقدم (١)
 تدفق أو ذوبا من الدر يسجم تتابعها عقد من الدر ينظم

(١) الإناء المقدم ما وضع على رأسه القدام وهو يفتح الفاء وكسرهما ليف يصفى به ما يصب منه في الاكواب. يقال قدمه بالتخفيف والتشديد وأقدمه
 (٢) الدن بالذبح وعاء كبير للشراب ووصفه بالحلال باعتبار ما فيه . وتقطير الماء
 لسانه قطرة بعد قطرة ولعله أراد بالدن المقدم ما توضع عليه المصفاة (الفلتر)
 واسناد التقطير اليه مجاز

يرن رنين العود في كل قطرة
 وشتان بين الماء والخمر في فم
 فمن شاء أن يلقي جهنم قبل أن
 تجاذب روح الشاربين بنشوة
 ومن خاف ناب الافعوان ينوشه^(١)
 يمزق أستار النفوس لعابه
 منسابع أدواء موارد ريبة
 وطاب لأصحابي من الخمر نتتها
 يقولون شرب الخمر بات فريضة
 فهلا ترى أنا نموت بتركها
 ألم يكفكم وردا كؤوس مزاجها
 وتضييكم عز البلاد وهدمكم
 أقامته أطراف الدوالي وصانه
 اذا مالت الدنيا به قام ركنه
 ألا أبلغوا اهرام مصر توجمي
 وقولوا للمسيح بن سبتي أفق لنا

كأن قيانا تحتها تستترنم
 ولكن ذاحل وهذا محرم
 يموت ففي حان المدام جهنم
 تكاد لها أحشاؤهم تنضرم
 ففي كأسها ناب خفي مسم
 وياطم ناب الشاربين فيهم^(٢)
 تطول بها البلوى ويتهذى بها الفم
 وأوهمهم شيطانها فتوهوا
 عيننا فلسنا ان تركناه نهضم
 فقلت لهم موتوا فلا خير فيكم
 من الذل والحرمان صاب وعلم
 بناء حقيقا انه لا يهدم
 قرونا على الدنيا الحديد المثلم
 يناطح روق النجم والدهر مرغم
 وان تلك لا ترثي ولا تترحم
 أتتركنا في ذا الشقاء وتنعم^(٣)

باب المراسلة والمناظرة

﴿ جمعية آداب اللغة العربية بلندن ﴾

سيدي الاستاذ محرر « المنار »

لا أرى بدًا — اذا سمحت مكارمكم — من نشر كتابي هذا في « المنار »،

(١) الافعوان بالضم ذكر الافاعي وينوشه يتناوله ويأكل منه. استعماله بمعنى ينهشه (٢) يعني أن لعاب الكأس وهو الخمر يفسد الاسنان ويتلفها فعبّر عن ذلك بلطم الثاب وهتمه أي كسره (٣) لاندري من أين علم الناظم أن رمسيس سعيد ناهم

(المجلد التاسع عشر)

(٤٥)

(المنار : ج ٥)

ولي من ظاهر عنايتكم بهذا المشروع شفيح بذلك ، ومن تكرار تحريري في المجالات الاخرى عذر في الركون اليكم، فان من الضروريات في جميع الاعمال العامة الكبيرة كسب تعضيد مجموع الصحافة لا بصفة وقتية بلى بصورة دائمة . فلا بد اذن لقلبي العائر من تكرار الاعلان عن هذا المشروع ، ومن أمثال فضيلتكم ترجى الموازنة الادبية الوجيبة فيما يذهب بضرر ويحلب فائدة للشعوب المستضفة التي تذودون عن كرامتها وتناضلون عن حقوقها .

أغراض المشروع واضحة جلية وقد سبق لكم نشرها في « دعوة اللجنة التحضيرية » ، وكلها تدور حول نقطة جوهرية وهي خدمة اللغة العربية بجميع الوسائل الميسورة ، ونحت هذا تنطوي عدة مسائل أدبية اجتماعية وقومية حيوية لا يخطيء في تقريرها المفكر البصير .

يسأل بعض النقاد: لماذا أشر كنا معنا — نحن العرب — المستشرقين في عمل كهذا جدير بنا أن نستقل به؟ وهو سؤال غريب اذ ماسمت أن العلم مقيد بقيود الجنسية، وما من مطلع الاويقرو مؤلف « تاريخ آداب اللغة العربية » على قوله في مميزات النهضة الادبية الاخيرة منذ سنة ١٧٩٨ م الى الآن : « من العوامل الرئيسية في احياء آداب اللغة العربية في هذه النهضة اشترك الافرنج في درسها ونشر كتبها والتنقيب عن تلك الكتب في مظانها . وليس اهتمام الافرنج بالآداب العربية حديثا فانه يرجع الى الاجيال الوسطى قبل نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث » فقوم هذا شأنهم وتلك آثارهم يجب أن ننزلهم منزلة الاكرام ، ان لم يكن لحرمة العلم والادب عامة فلحرمة لغتنا التي هي ديوان أخلاقنا وحضارتنا وآدبنا . فن الاعتراف ونكران الجميل أن ينمى علينا هذا التصرف وأن نعاب به . ومن الفكاهة المرة أن يشترط علي طالب علم افادته عن سيرة رئيس « اللجنة التحضيرية » وسيرة كل عضو من أعضائها قبل أن يتبرع بملهم واحد لهذا العمل « وان راق لديه كثيرا » لهذا الحد بلغ بنا التحفظ والتهيب وسوء ظن بعضنا ببعض الآخر؟ يكفي في الرد على مثل هذا السؤال أن يقال: ليس بين أعضاء اللجنة التحضيرية إلا من يغار على نهضة اللغة ، وكلنا طلبة علم نريد ترقية معلوماتنا وتمرين أنفسنا

على الترجمة ثم التأليف ، وتعويد أعلامنا على لغة مهذبة تقيية مع تمييز الكلمات الاصطلاحية العلمية والفنية متحدّين لغة الكتابة السليمة التي هي في كل أمة غير لغة العامة. وبعبارة أوضح إننا من أوساط المتعلمين لا مميزة لنا غير اجتهادنا واقدامنا على أداء واجب تناساه من هم أقدر منا ، فلسنا بالفلاسفة ولا بالفحول، كما لا أعرف أننا وضعنا في درجة العوام والغوغاء . ولسنا ممن يصطادون الاموال لنفع جيوبهم ، ولا ممن صدرت عليهم أحكام المحاكم الجنائية ولا غيرها ، فعلام يتخوف من بروقه العمل من التبرع، وكل قرش وكل جنيه يرسل باسم اللجنة يودع فوراً في « المصرف الاهلي المصري » بانندن ؟

وأما الاستاذ مرجليوث فعمل شهادة سوامي فيه أولى بالاعتبار . قال مؤسس «الهلال» وقد أوجز كثيراً كهادته : « ليس بين قراء العربية من لا يعرف الاستاذ مرجليوث لما نذكره من آثار قلمه في خدمة اللغة العربية بالتأليف أو النشر . وقد تلقى علومه في جامعة اوكسفورد وتولى تعليم اللغة العربية فيها من سنة ١٨٨٩ م ، وهو يمتاز على الخصوص بسعة معرفته في اللغة العربية وآدابها . يكتاب أصدقاءه من العرب بأسلوب عربي خالص من شوائب المعجمة . وله فضل نشر كتب عربية هامة آخرها كتاب معجم الادباء لياقوت الحموي . وقد نشر رسائل أبي العلاء مع ترجمتها الانكليزية وهو عمل لا يستطيعه الا القابض على ناصية اللغة العربية لان هذه الرسائل لا يفهمها العربي الا بمراجعة المعاجم ، ونشر آثارا عربية تاريخية وشعرية ، وقطعة بابيروس عربي كانت في مكتبة اوكسفورد . وألف في مشاهد اورشليم ودمشق كتابا حافلا بالرسوم والشروح ، وله كتاب في سيرة النبي بالانكليزية . وترجم الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي الى الانكليزي وله مقالات عديدة في المجلة الاسبوعية الانكليزية وغيرها » . اهـ

وكتب الى أحد الفضلاء يسألني عن مزية العمل من الوجهة السياسية « حيث أن مركزنا السياسي الحاضر هو في نظره أهم المسائل » مع أننا أبنا مرارا أنه ليس لهذا المشروع أي صبغة سياسية ، وما تطرقت السياسة الى عمل كهذا الا أفسدته . وان يبدل حالتنا السياسية جمعية ولا جمعيتان ، فان العليل لا يبرأ بالاعلان زورا عن عاقبته ، بل

باستئصال دائه وعائته . ولكن اذا كنا ومعظم الافريقيين والشرقيين والعرب عامة معا ودين في نظر الاوربيين بمرتبة البهام ، ألا يعد من الحكمة اذن تخفيف هذه الوطأة باظهار فضائلنا في ادوار نهضتنا العلمية والادبية وتصحيح الغلط الفاحش الشائع عنا ، فكل هذا يمكن تحقيقه بهذا العمل الجامع أيضا لمزاياه الادبية البحتة .

لو كانت لنا في هذه الديار منزلة من الاحترام لما راجت على حسابنا رواية « قصة » التي هي كانت ظالما وفضيحة اجتماعية وتاريخية كبرى لنا . ولئن انتقد بشدة تمثيلها مثل القائد الانجليزي السير سمث دروين رحمة بالآداب العامة ، فعليه واعل كثيرين سواه من عالية القوم يعتقدون صحة ما تمثله تلك القصة الخيالية من الكباثر آسفين على حالنا الشائنة فيما للمصائب ! ! واذا كانت كل من روسيا واليابان رغما عن تحالفهما مع انجلترا يقدران أن اصدق التحالف ما كان بين الشعوب بعضها مع البعض لاما بين الحكومات فقط ، فأصبحت جريدة « التيمس » تصدر من حين الى آخر بفضل المساعدة المالية التي تبها كل من تيفك الحكومتين ملحقات ضافية شارحة الحياة الروسية واليابانية بكل أسلوب ووسيلة جذابة للرأي العام الانجليزي ، أينى علينا نحن المرموقين بالازدراء والسخرية الذين لا تر بطنا محالفة ولا جامعة حرة راقية بأوروبا - أينى علينا أقدامنا على عمل كذا يشمل ما بين أغراضه ازالة سوء التفاهم بين الغرب والشرق أو بالاحرى بين الفرنجة والعرب ؟

يقول كوارديج : « اللغة عدسة العقل الانساني الجامعة لغنائم فتوحاته السابقة وأسلحة انتصاراته المستقبلية » ويقول وليم سمث : « اللغة هي ذكرى النوع الانساني هي عصب حياة ممتد بين جميع المصورير بطها بالوجود المشترك الطويل المترقى » :

ويقول هير : « اللغة مقياس الفكر والخلق القومي » ويقول السير ه دافى : « ليست اللغة ناقلة الفكر فقط بل هي أيضا عدة عظيمة صالحة في التفكير » . وفي كل هذه الحكم الغالية الصائبة أحسن جواب لمن تبلغ بهم المغالاة في الانتقاد الى « الجزع » من غيرة الشبان على لغتهم ، قائلين ان اللغة وسيلة لا غاية « وحرام » أن نغنى بها هذه العناية . . . ! لأنكر أنى اعتبر اللغة وسيلة لا غاية وان صلحت أيضا لأن تكون غاية مطلقة كفن جميل ، وما لنا من يدعو الى الكلام المتوعر المعقد الذي

يكاف الذهب المشقة في فهمه ويحتم العقل به ، ولكن من الواجب علينا أن نصون لغتنا عن الابتذال الذي تدلى اليه معظم المعربين ، ومن المفروض علينا أن نتمشى مع الزمن في ترقية الوسيلة التي نتلقي بها العلم والأصبح العلم دائماً غريباً عنا ، ومن الحكمة أن نظهر لغتنا في مظهر عزيز لا تائق بها « لانها مقياس الفكر والخلق القومي » على حد قول هير . وفي اغراء الشبان العرب في أوروبا بالعناية بعمل أدبي علمي اجتماعي كهذا ما يصر فهم عن مضيعات الوقت والصحة والمال ، وما يساعدهم في دراستهم وفي تهيئة أنفسهم لخدمة أممهم في الحاضر والمستقبل .

لا يكابر أحد في أن الامة اذا ترقى نهضت معها لغتها ونالت احترام الاجنبي لها ، ولكن اللغة كذلك من أقوى دعائم الرقي ، ونهوضها من نتائجها كما أنه من وسائل النهوض العام للامة ، فنهوض الامة ونهوض اللغة على ذلك حالتان لا تفترقان ، وأمران متساندان ونهضتان مرتبطتان .

أحمد زكي أبو شادي

نادي مستشفى سانت جورج

(طبيب)

بلدن

[المنار] ان هذا المشروع جليل ونفعه للعرب ظاهر لا يماري فيه الا أصحاب اللسانيات السياسية ولا يصعب اقناع المستقل منهم بالرأي والفهم بفائدته وإنما يستحيل اقناع أصحاب الالهواء بما يخالف أهواءهم

باب الاخبار والآراء

السيد محمد وجيه الكيلاني (راجع ص ١٢٤ من الجزء الثاني)

جاء في جريدة الهدى العربية التي تصدر في نيويورك ما نصه :

شيخ الاسلام بالفيلبين ووفاته

عند منتصف ايل خامس مايو قضى الى رحمة مولاه في ريتشمند من أعمال ولاية فرجينيا في الولايات المتحدة السيد محمد وجيه الكيلاني شيخ الاسلام بجزر الفيلبين وقد كان قدم هذه البلاد منذ سنة ونيف وقام أكثر هذه المدة في فيلادلفيا وتردد أحيانا على واشنطن وعلى نيويورك إلا ان صحته لم تكن حسنة فأقدمته عن

التجول كثيرا وهذا ما أخرجني في إتمام مساعي
 كان السيد الجليلاني عالما فقيها وعلى كثير من التساهل الديني ولد في دمشق
 وانتقل الى الاسكندرية حيث اسندت اليه مراتب دينية عالية . ولما ان بعثت حكومة
 الولايات المتحدة بعد احتلالها الفيليبين وفدا الى الاسكندرية للاتفاق مع سلطان تركيا
 على تعيين شيخ اسلام يتولى رعاية المسلمين عين السيد الجليلاني لهذه الوظيفة فذهب
 الى الفيليبين عن طريق سوريا وبلاد العرب وبلاد المعجم والهند وكان هناك يقابل
 امراء وعلماء المسلمين ويستنهض همهم في مشروع تهذيبي افكر به لترقية شؤون
 مسلمي الفيليبين الادبية . والتقى في مكة بجماعة من هؤلاء المسلمين قادمين للحج
 فعادوا وياهم وكانوا يؤدون له اكراما أشبه بالعبادة فيسجدون امامه شأن البرابرة
 ففهم عن ذلك ، وحين وصل الى بلادهم اخذ ينتقل من جزيرة الى أخرى في
 الارخبيل ويدعو قوم المورو المسلمين الى عقد الاجتماعات فيخطب فيهم حاثا على
 الاقتلاع عما يفهمون من الجهاد الديني وهو ان يخلق الواحد منهم شهرا رأسه ويحمل سلاحه
 ويخرج بقصد الايقاع بالبيض الكفرة ولا يعود حتى يقتل عددا مفروضا أو يقتل هو
 وكان السيد الجليلاني مدة اقامته في تلك الجزر على تفاهم تام مع رجال الحكومة
 الاميركية الذين كانوا يرجعون اليه في كل مشاكلهم مع الوطنيين المسلمين . وساء
 السيد الجليلاني ما وجد ابناء دينه عليه من الهمجية فأخذ يفكر في طريقة لتهديبهم
 الا انه لم يوافق رجال الحكومة الامريكية هناك على انشاء مدارس عمومية للحكومة
 فقال ان المسلمين لا يطعمون الا اذا كان لهم مكتب . لاصق للجامع يدرسون فيه
 كتابهم الشريف بادي ذي بدء . ولاجل تحقيق هذه الفكرة قدم الى الولايات
 المتحدة وأخذ يذشر المقالات عن أحول الفيليبين في بعض الصحف الامريكية
 وفي الوقت نفسه سعى الى تأليف جمعية تهذيبية تتولى امر انشاء المدارس الاسلامية
 في الفيليبين يكون مركزها الرئيسي في الولايات المتحدة وذات فرع اداري في
 الفيليبين يتولى هو رئاسته نظرا الى انقياد المسلمين هناك اليه وتحققهم حسن . مقاصده
 فلا تداخلهم ربية من مساعي الاميركيين أو عمد هؤلاء الى القيام بالمشروع مستقلين
 وقد كان السيد الجليلاني يتردد الى ادارة المهدي حين يزور نيويورك فعرفنا عنه

ما سبق بيانه من مقاصده ومساويه ولسكن وطأة المرض اشتدت عليه في الاشهر
الاخيرة فلم يجتمع به أو نعرف شيئاً عن مشروعه. وكان من أمره أخيراً انه اضطر
لاسباب صحية الى مغادرة هذه البلاد وبينما هو في الطريق اشتدت عليه عاتته في
ريثسند فرجينيا . وهناك توفي . فعذه الله بواسع رحمته اه

﴿ اشراف أهل سورية على الفناء والزوال ﴾

لقيت في مكة المكرمة الضابط الحر الصدوق خالد أفندي الحكيم المحمي
وكان وصل اليها قبلي بأيام قلائل فارا بدمه من بلاده بطريق البادية، فسألته عما وصل
اليها من مصادر متعددة من أخبار المجاعة والفناء ومصادرة السلطة العسكرية للأموال
والغلال في طول البلاد السورية الفلسطينية وعرضها وتنكيلها بالأهالي تقيلاً وتصلبياً
ونفياً من الديار — هل هو حق كما سمعنا أم هو مبالغ فيه ؟ وذكرت له ملخص
ما وصل اليها من ذلك . فقال ان ما بلغكم دون الواقع وليس الخبر كالمأينة ، وانني
أقدر انه لم يبق في البلاد من أهلها الا العشر . اه فاذا طال الامد على هذه الحال ،
فسورية صائرة الى الفناء والزوال ، ولا يبعد ان يفرض أهلها الذين فيها من الارض ،
قبل انقضاء هذه الحرب . فلا شك في ان مصابها بحكومتها الطاغية الباغية أعظم من
مصاب بلاد البلجيك والصرب والجبل الاسود باجتياح الجرمان لها، وثلهاعروش ملوكها .
فيجب على السوريين المقيمين في مصر وأوربة وأمريكا أن يسارعوا الى البحث عن
أقرب الوسائل الى إنقاذ البقية الباقية من أهل وطنهم لعلمهم مهتدون اليها ويدخلونها
من بابها بعد ان علموا ان دولة الانسانية (الولايات المتحدة) لم تقدر — وكذا غيرها
من الدول التي على الحياد — على ما أحببت من إغاثة هذا الشعب المسكين بالقوت والعلاج ،
ولا دول الحلفاء المحاربون لدولة الاتحاديين قدروا على إنقاذه بالحرب والكفاح ،
فان كان في هؤلاء السوريين من ينتظر هذا الإنقاذ بعد النصر النهائي المأمول ، فليعلموا أن
أمد الحرب سوف يطول ، وأن لسان حال وطنهم ينشد صاحب هذا الامل ويقول :

فلك البقا فرب يوم ان تسل حتى تراجعني فلا تلقاني
متى تنتهي الحرب وكيف تنتهي

قد أكثر الناس من حديث الصلح في هذه الايام وتقلت الجرائد لنا عن كثير

من قواد دول الاحلاف وساستهم أنهم يرون ان الحرب تنتهي بانتهاء ربيع العام القابل (١٩١٧) أو صيفه بناء على ان مدّة القوة الالمانية قد تحول الى جزر، وجزر دول الاحلاف قد تحول الى مدّ تندفق ثوابه ، ولا تنتهي عجائبه ،

كنت التقيت في شهر شوال الماضي بوكيل شركة روتر البرقية في القاهرة فسألني — وقد ذكرت هذه المسألة — عن رأيي فيها فقلت له اذا أصرت انك تلتزم على ما عزمته عليه من قهر الالمانية وإرغامها على قبول ما تشترطه مع أحلافها للصلح، وحافظ هو لا الاحلاف على عهدهم بأن لا ينفرد أحد منهم بقبول الصلح، فالرأي الراجح ان هذه الحرب تستمر هدة سنين، تنهد فيها قوى جميع المتقاتلين، وتخسر أوربة الملايين الكثيرة من أفلاذ كبدها، وألوف الملايين من دنانيرها، وعشرات المدن ومئات البلاد من ممالكها. فان أصغر الأمم الاوربية وأضعفها تختار الفناء، على قبول الذل والقهر والاستخذاء ، وأرى ان الاحلاف لا يمكنهم ان يتزعوا من الالمانية ما بيدها من مملكة بلجيكة وولايات فرانساة الا ان تكون خراباً يباباً لا حجر فيها ولا مدر ، ولا شجر ولا بشر، وبعد ان ينفق على تخريبها الملايين من الرجال، والقناطير المقنطرة من الاموال، واذا كنا نرى الحاربين يخربون بلادهم بأيديهم اذا اضطروا الى تركها لاعدائهم ولو موقفاً كما فعلت روسية وغيرها، فهل ينكر على الالمان العتاة ألا يتركوا بلاد اعدائهم الاقاعا صفصفاً؟

أما تقصير أجل الحرب فليس له طريق معقول عندي — اذا أصرت الحكومات على عزمها — الا قيام الشعوب الاوربية من الفريقين على دولها . وإلزامها ايها الصلح يعود فيه كل شيء الى أصله ولا يتضمن إذلال دولة لاخرى، لان كل دولة وكل أمة أوربية تفضل الفناء على الذل وخدش الاستقلال التام لا الالمان وحدهم ،

هذا معنى ما قلته يومئذ ولكن قيام الشعب على حكوماتها لا يرجي مادام كل منهم يرجو النصر التام . فصدق على الفريقين قوله تعالى (واذ يُرِيكُمُوهَا ذِ النِّقْمِمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَالِكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا)

﴿ تاخر صدور هذا الجزء من المنار ﴾

يصدر هذا الجزء بعد يوم تاريخه بشهر وأيام بسبب غيبتنا في سفر الحج مثل هذه المدة ثم اشتغالنا بقاء المهنيين أسبوعين أو أكثر وعطل حصل بألة الطبع

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتمون أحسنه

الملك

١٣١٥

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتمون أحسنه

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوتي و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ المحرم ١٣٣٥ - ٤ القوس (خ ٣) ١٢٩٥ هـ ٢٦ نوفمبر ١٩١٦

مَسْئَلَةُ الْمُبْتَلِينَ

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ولشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بماشاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالتدرج غالبا وربما قدمنا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولئن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

٨ - الاحتجاج بأحاديث الآحاد في العقائد

ومتحقيق معنى الظن واليقين والتواتر (٥)

قال المتكلمون ان العقائد لا تثبت بأخبار الآحاد لان المطلوب فيها القطع ، وأخبار الآحاد لا تفيد الا الظن ، وقد قال تعالى (ان الظن لا يغني عن الحق شيئا) وانما تثبت بالأحاديث المتواترة لانها هي التي تفيد اليقين الذي هو شرط الايمان وقد فهم كثير من الناس من هذا القول ما لم يرده المحققون من قائله فأخطأوا في فهم المراد وفي فهم كلمتي الظن واليقين فظنوا ان الأحاديث الصحيحة التي رواها الآحاد من الثقات العدول في صفات الباري عز وجل وفي أمور الآخرة لا يجب الايمان بها شرعا ولا بضرر المسلم تكذيبها ، وان لم يكن عنده شك في صحتها ، بناء على ان أحاديث الآحاد لا تفيد في نفسها الا الظن الذي لا يجوز الاخذ به في

(*) هذه تمة الاجوبة عن الاسئلة المستنبطة من الكتاب الذي نشر في الجزء الذي قبل هذا

العقائد لأنه لا يفني من الحق شيئاً . وهذا الظن الذي فهموه من عبارة المتكلمين هو الذي لا يفني من الحق شيئاً ، وما أظن ان مسلماً يعتد بعلمه يقول به ؛ ولعل أول من قال تلك الكلمة أراد بها ان أحاديث الآحاد لا تقوم بها الحجة في العقائد على المنكر لورودها، وإنما تقوم بالتواتر لأنه لا سبيل الى انكاره

الظن ضرب من ضروب التصديق بغير الحسي ولا الضروري من المدركات، فهو مما تتفاوت أفراده بالقوة والضعف ، فمما يكون يقيناً لا تردد فيه ، ومنه ما يكون راجحاً مع ملاحظة مقابل مرجوح تارة ومع عدمها تارة ، وقيل إنه يشمل المرجوح أيضاً ، فالتصديق المبني على الأدلة النظرية الذي يجزم به المستدل مع عدم ملاحظة احتمال النقيض يسمى ظناً، ولكن ادراك الحواس لا يسمى ظناً ، ولا العلم الضروري كقولنا : النقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان . وهذا الحد الذي شرحنا به معنى الظن هو تفسير لقول الأزهري ، في التهذيب : الظن يقين وشك ، وقول ابن سيده في المحكم : هو شك ويقين إلا أنه ليس يقين عيان إنما هو يقين تدبر : فأما يقين العيان فلا يقال فيه إلا علم . هذا قول أئمة اللغة . وأما قول الفبروزبادي في القاموس - : الظن التردد الراجح بين طرفي الاعتقاد غير الجازم - فهو مأخوذ من اصطلاح علماء المعقول كالمناطق والفلاسفة، ومثله قول المناوي : الظن الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ولكن الفبروزبادي لم يسمه إلا ان يزيد على تعريفه قوله : وقد بوضع موضع العلم : بمعنى أنه يستعمل في اللغة بمعنى اليقين . فان أراد انه بوضع موضع العلم حتى في الحسيات والضروريات فقوله غير صحيح . واليقين العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر ، وهو نقيض الشك ، والعلم نقيض الجهل . قاله في لسان العرب . ثم قال - : وربما عبروا بالظن عن اليقين وباليقين عن الظن .

وقال الراغب : الظن اسم لما يحصل عن أمانة ومنى قويت أدت الى العلم ومنى ضعفت جداً لم يتجاوز حد لوم . ثم ذكر أن من اليقين قوله تعالى (وظن أنه الفزاق) وقوله تعالى (ألا يظن أوائك أنهم مبعوثون ليوم عظيم) وقوله (وظن أهلها أنهم قادرون علىها) وقوله (وظن داود أنه فتاه) وإنما يظهر هذا في اليقين اللغوي وهو الاعتقاد الجازم المبني على الامارات والاستنباط والاستصحاب دون الحس

والضرورة — لا اليقين المنطقي المبني على الضرورة أو الحس أو ما يؤدي اليهما بحيث لا يحتمل النقيض . وقد فسر الراغب اليقين بقوله : هو سكون الفهم مع ثبات الحكم ، وقال انه من صفة العلم فوق للمعرفة والدراية .

فعلم من قولهم أن اليقين في الاصل هو الاعتقاد الثابت الذي لا شك فيه ولا اضطراب . وأما قولهم بالتعبير به عن الظن والعكس فليس معناه أن كل يقين ظن يقين وإنما معناه أن الظن على مراتب منها ما يرادف اليقين ومنها ما هو دونه ، فيبينها العموم والخصوص باطلاق - والمشهور في تعريف اليقين عند علماء الدين أن الاعتقاد الجازم المطابق . واشتراط المطابقة للواقع اصطلاحى خاص باليقين في الايمان الصحيح ، ولعل المطابقة تشترط في العلم فيسمى الجازم بغير الواقع موقفاً به لا عالماً .

إذا فقهت هذا فاعلم أن كل اعتقاد يستفاد من السماع يطلق عليه في اللغة اسم الظن باعتبار ماخذ لذاته ، واسم اليقين ان جزم صاحبه به ، وكذا اسم العلم ان مدلوله حقا ، ولكن نفس السماع أي ادراك الاصوات المحقق لا يسمى ظنا بل علماً .

وخبر التواتر انما يفيد العلم القطعي بضرب من الاستدلال النظري ، وان اعتمدوا انه يفيد الضروري فان من شروطه أن يخبر كل واحد من المخبرين الكثيرين عن حسي ، أي عما سمعه بأذنه أو رآه بعينه مثلاً ، وان يقوم الدليل أو القرائن على أنهم لم يتواطأوا على الكذب ، وأن يتحقق ذلك في كل طبقة من الطبقات . وقد اختلف العلماء في العدد الذي يحصل بخبره التواتر مع توفر الشروط التي ذكرها . فاكفى بعضهم بالآحاد كسبعة وعشرة واشترط بعضهم العشرات . ولكنهم اتفقوا على أن آيته حصول العلم الجازم بمدلول الخبر . ومثل هذا العلم كثيراً ما يحصل بخبر الواحد وان لم يكن متصفاً بالصفات التي اشترطها المحدثون في راوي الحديث الصحيح كالمدالة والضبط وعدم مخالفة الثقات المشهورين فضلاً عن مخالفة الامور القطعية التي عدوا مخالفتها علامة الكذب ووضع الحديث .

مثال هذا النوع من خبر الواحد الذي يحصل به الاعتقاد الجازم وان لم يكن المخبر به متصفاً بمدالة رواية الحديث أكثر ما نسمعه كل يوم ممن نعاشر ونخالط من أصدقائنا ومعامليتنا وأهل بيوتنا وخدمنا من الاخبار عن أمور معيشتنا كقولهم :

حضر الطعام، وهي، الحيام، وجاء للزيارة فلان. ومن هذا القبيل كل خبر لا مجال للتهمة فيه. وأما اخبارهم فيما يتهمون فيه فهي التي يرتاب فيها، ويحتاج الى القرائن والادلة في تمييز راجعها من مرجوحها، مثال ذلك مدح النفس والدفاع عنها والظن في الخصوم، ورواية الفرائب والمجائب، فالأخبار في أمثال هذه المسائل يكثر فيها الكذب والخلط، إما بالعمد أو بعدم الضبط، أو بسوء الفهم والاستنباط، أو بضعف البيان، أو بتقليد الآباء أو الاموات، وما يتبع ذلك من الوهم، ومن خطأ الحس والرأي. فنوعى ما ذكرنا وتدبره يعلم منه ما يعلم من نفسه، اذ هو فكر في مصادر علمه، والأخبار التي يحدث بها والتي يتلقاها عن غيره، وهو أن الاصل في أخبار جميع الناس الصدق، وان الكذب إنما يقع لاسباب عارضة، وأنه هو وسائر الناس يصدقون في كل يوم كثيراً من أخبار الآحاد حتى غير المدول تصديقا جازماً لا يراه شك ولا احتمال، ولا يخطر لهم فيها النقيض على بال، ومنها ما يجزمون باستحالة وقوع نقيضه عادة وان جاز عقلاً، كبعض أخبار المدول الثقات الضابطين الخالية من الشبهات، ورجال الحكومة المسؤولين في الرسميات.

بل أقول ان من هذه الأخبار ما يجزم العقل بصدقه وامتناع نقيضه، وأعني بالعقل هنا العقل البشري الذي يبني حكمه على الاختبار، ويزنه بميزان زعاية المصالح وودفع المضار، لا عقل واضعي المنطق والفلسفة الذي يجيز وقوع كل ما يمكن تصوره، ويحصر وقوع المحال في اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما وما يؤدي الى مثل ذلك حتماً. وقد نخب هؤلاء في تعريف العلم حتى قال بعضهم انه لا يمكن تعريفه، ومن أشهر أقوال مدققي متكلمينا في ملكة العلم إنها صفة توجب انكشافاً لا يحتمل النقيض. فالعلم بالشيء عندهم لا يمكن نقضه ولا الرجوع عنه، فلو كان هذا العلم شرطاً في كل مسألة من مسائل العقائد لكان الكفر بعد الإيمان محالاً، ولكن قد ثبت وقوع الكفر بعد الإيمان بنص القرآن، فالعلم الذي لا يحتمل النقيض ليس شرطاً لصحة الإيمان، وإنما الشرط أن يكون المؤمن جازماً بما يعتقد، غير مرتاب ولا متردد، وقول الاستاذ الامام: الرجوع عن الحق بعد اليقين فيه كاليقين في الحق كلاهما قليل في الناس. — اراد به اليقين المنطقي، وأراد بالرجوع عنه اظهار الجحود والخالفه كبراً وعماداً لا اعتقاداً فان اعتقاد

(المنار: ج ٦) (٤٤) (المجلد التاسع عشر)

فقيض المتيقن ليس في استطاعة الموقن، الا اذا اختلط عقله، واختل فهمه، وهذا قليل الوقوع كالرجوع عن الحق كبرا وعنادا بعد الأذهان له، اذا كثر المعاندون للحق المستكبرين عنه الذين قال الله في بعضهم (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) لم يكن ذلك الجحود منهم بعد اذعان، أو لم يكن استيقانهم على شرط علم الكلام وقلسفة اليونان واذا فكر السائل في العلوم العقلية وطريقة أدائها وتعليمها عند البشر من جميع الامم رأى ان أكثر أخبارها المقطوع بها يتلقاها الآحاد بعضهم عن بعض ، فاذا اشتربنا فيها ذلك العلم الكلامي واليقين المنطقي، وأن لانمد شيئا منها حقا ثابتا الا اذا تلقيناه بالتواتر اللفظي، فكيف تكون حالنا في معارفنا التاريخية، وما يبنى عليها من علومنا الاجتماعية وأعمالنا السياسية، وفي سائر العلوم التي ينقلها بعضنا عن بعض ؟ بعد هذا كله أقول انه لم يعرف عن أحد من شعوب البشر مثل ما عرف عن المسلمين من العناية بتقد الاخبار النبوية وتمحيصها، وضبط متونها وحفظ أسانيدها، بل كانوا ينقلون الاخبار التاريخية والادبية والشعر والمجون بالاسانيد المتصلة، ووضعوا كتب التراجم لجميع أصناف العلماء والادباء كما وضعوها من قبل رجال الحديث، ليسهل طريق العلم بالصحيح وما دونه من ذلك، ولكنهم دققوا في تقد رجال الحديث ما لم يدققوا في شيء آخر، فاذا كان ما صحح من الحديث عندهم متنا وسندا لا يجوز به فيماذا تثق من أخبار البشر، واذا كان المسلم منا يصدقها فكيف يمكنه ان يرد مضمونها اذا كان في عقائد الدين، بناء على كلمة عرفية للمتكلمين ؟

الحديث الصحيح عند المحدثين ما ثبت بنقل عدل تام الضبط متصل السند غير معطل ولاشاذ. وينافي المدالة عندهم ثبوت الكذب وكذا الاتهام به والفسق والفضلة وكثرة الغلط والجهالة - أي كون الراوي مجهولا عند علماء الجرح والتعديل، ولولا هذا الشرط لاخترع الكذابين أسانيد كثيرة لأصل لها وخذعوا الامم بها - وكذا البدعة فمن كان مبتدعا لشيء من أمر الدين لم يكن عليه أهل الصدر الاول لا يحكم بصحة حديثه قيل مطلقا وقيل فيما يؤيد بدعته وهو المتمد، بل لا بد لثبوت ذلك من روايته عن غيره. والضبط عندهم ضبط المصدر وضبط الكتاب، فالاول الحفظ عن ظهر قلب بحيث يتمكن من استحضار ما حفظه متى شاء، فان غلط أو أخطأ في الاداء لا يعد حديثه

صحيحاً ، والثاني حفظ الكتاب منذ سمع فيه وصححه على من تلقاه عنه الى ان يؤدي منه ، فاذا غاب عنه غيبة أمكن أن يعرض فيها التغيير والتحريف أو الزيادة أو النقصان لا تعد روايته له ولا منه صحيحة ،

واتصال الاسناد سلامته من سقوط فيه بحيث يكون كل فرد من روايته قد سمع ذلك المروي من شيخه ، ويقابله الاقطاع ، وهو أقسام ، فالحديث (المتقطع) وهو ما سقط من سنده بعض الرواة لا بعد صحبته ، الا أنهم اختلفوا فيما سقط منه من بعد التابعي ويسمونه (المرسل) وذلك كأن يقول التابعي: قال رسول الله (ص) كذا .

فالجمهور يتوقفون فيه ، وبعضهم يحتج بمراسيل من علم من حاله انه لا يروى الا عن الصحابة أو ثقات التابعين كسيد بن المسيب ، دون من يروي عن غيرهم كالحسن البصري ومن (الانقطاع) عندهم (التدليس) وهو رواية الراوي عن فوق شيخه الذي سمع منه بلفظ يوهم السماع منه ايها لا تصرحاً ، كان يقول المدلس قال فلان — أو: عن فلان ، وقد اختلفوا في حديث المدلس قبل لا يقبل مطلقاً وقبل الا فيما صرح فيه بالسماع ، والجمهور على قبول حديث من لا يدلس الا عن ثقة كإبن هبيرة .

ولاجل هذا شددوا في قبول الحديث (المعنعن) أي الذي يقال فيه عن فلان عن فلان . فقالوا عن المدلس غير مقبولة ، واشترط مسلم في العنونة معاصرة الراوي لمن روى عنه ، والبخاري اشترط العلم بالثقة ولم يكتف بمجرد المعاصرة . فاذا قال العدل الثقة الضابط عن فلان أو قال: قال فلان كذا — لا يعتمد البخاري بروايته هذه الا اذا كان قد علم انه قد لقي ذلك الرجل واجتمع به ، ولكن مسلماً يكتفي بالعلم بأنهما وجدوا في عصر واحد ومن الممكن ان يكون اقيه وروى عنه .

ومن أقسام الحديث عندهم (المضطرب) وهو ما يقع في اسناده أو متنه اختلاف من الرواة بتقديم وتأخير أو زيادة ونقصان أو اختصار أو حذف أو ابدال أو براو أو متن بمتن أو تصحيف في أسماء الرواة أو ألقابهم أو أنسابهم أو في ألفاظ المتن ، فان أمكن الجمع وعرف الاصل والا توقف في قبول الحديث والاحتجاج به

ومنها (الشاذ) وهو ما خالف راويه فيه من هو أوثق منه فان لم يكن المخالف للثقة ثقة سمي حديثه (المردود) وان كان ثقة رجح عليه مخالفته الذي هو أوثق منه

وسمي حديثه (المحفوظ) فهو مقابل الشاذ. ومنها (المنكر) وهو ما خالف راويه الضعيف فيه من هو أضعف منه، ويقابله (المرروف) وكلاهما راويه ضعيف لا يحتج بحديثه ومنها (المعلل) وهو ما فيه علة خفية كوصل المنقطع ورفع الموقوف وأدخل حديث في آخر أو ادراج كلام الرواي في المتن أو الادراج في سياق الاسناد.

ولوشئنا أن نبين تدقيق علماء الجرح والتعديل في قدروا الحديث لرأى فيها غير المطلعين عليها من القراء ما لم يخطر لاحد من أمثالهم على بال - ولعلموا منه أن أكثر من يعدونهم من الثقات الصدوقين من أهل هذا العصر لو كانوا في أزمنة أولئك النقاد لما عدوا روايتهم صحيحة ولولم يدعوا اتقان الحفظ والضبط. ومن تدقيقهم أنهم يعدون بعض الرواة ثقات في الرواية عن أهل قطر دون آخر، كقولهم فلان غير ثقة في المصريين أو الشاميين - لأنه كان عرض له عند الرواية عنهم اختلاط في العقل، أو هرم خائنه به الذاكرة وقد جودة الضبط. وقد وضعوا كتباً يبيان الأحاديث الموضوعة خاصة بينوا فيها وفي غيرها أسباب وضع الحديث والكذب فيه وعلامته وأسماء واضعاهن والكتب والنسخ الموضوعة برمتها التي لا يصح منها شيء، كما وضعوا عدة كتب للأحاديث التي اشتهرت على الألسنة وبينوا درجاتها، وميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف والموضوع منها. ولكن عناية العلماء بنقد المتن وعرض الأحاديث القوية الاسانيد على القواعد التي بينوا بها علامات الوضع كانت أقل من العناية بنقد الاسانيد، وقل أن بهم المتمون الى المذاهب بنقد المتن الأحاديث الا اذا كانت مذاهبهم مخالفة لها فكان هذا من سيئات التعصب للمذاهب

نتيجة البحث وخلاصة الجواب

فمن قده ما شر حناه علم أن أكثر الأحاديث الآحادية المتفق على صحتها لذاتها أكثر الأحاديث المسندة في صحيحه البخاري ومسلم - جديرة بأن يجوز بها جرماً لا ترد فيه ولا اضطراب، وتعد أخبارها مفيدة لليقين بالمعنى اللغوي الذي تقدم، ولا شك في أن أهل العلم بهذا الشأن قلما يشكون في صحة حديث منها، فكيف يمكن لمسلم يجوز بأن الرسول (ص) أخبر بكذا ولا يؤمن بصدقه فيه؟ أليس هذا من قبيل الجمع بين الكفر والايان؟ وليعلم اني أعني بالمتفق عليه هنا ما لم ينتد أحد من أئمة العلم ممتنه ولا سنده، فيخرج من ذلك ما اتقده مثل الدارقطني وما اتقده أئمة الفقهاء وغيرهم،

ومن غير الأكثر ما تظهر فيه علة في متنه خفيت على المتقدمين أولم تنقل عنهم وذلك نادر. وقد صد بعضهم هذه الأحاديث المتفق على صحتها مفيدة للعلم اليقيني الاصطلاحي إذا تعددت طرقها، قال الحافظ ابن حجر في شرح نخبة الفكر ما نصه:

(فائدة) ذكر ابن الصلاح أن مثال المتواتر على التفسير المتقدم يعز وجوده إلا أن يدهي ذلك في حديث «من كذب علي متعمدا فلينبأ مقعده من النار» وما ادعاه من العزة ممنوع وكذا ما ادعاه غيره من العدم لأن ذلك نشأ عن قلة الاطلاع على كثرة الطرق وأحوال الرجال وصفاتهم المقتضية لإبادة المادة أن يتواطوا على كذب أو يحصل منهم اتفاقا، ومن أحسن ما يقرر به كون المتواتر موجودا وجود كثرة في الأحاديث أن الكتب المشهورة المتداولة بأيدي أهل العلم شرقا وغربا المقطوع عندهم بصحة نسبتها إلى مصنفها إذا اجتمعت على إخراج حديث وتمددت طرقه تعددا تحيل المادة تواطأم (فيه) على الكذب إلى آخر الشروط أفاد العلم اليقيني بصحته إلى قائله ومثل ذلك في الكتب المشهورة كثيرا

﴿الزار، وهل اعتقاد تأثير الولي والعفريت فيه شرك جلي﴾

(س ٩) من أحد المشركين في القاهرة - ع . م

حضرة الاستاذ العلامة الفضال السيد رشيد رضا المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد فاني أهنتكم أولا بسلامة العودة من الاقطار المجازية المباركة وأدهو انكم الله سبحانه وتعالى أن يجمله حججا مبرورا ان شاء الله سيدي استشكل علي أمر بخصوص مايسمونه (الزار) الذي يستشفي به بعض (الجاهلات) من النساء من أمراض العصبية فأحيت أن أعرضه عليكم راجيا التكرم بالاجابة ولو تأشيرا على هذا بصفة خصوصية

«احدى السيدات مصابة بمرض عصبي: يأتيها غالبا على نوبات ربو وآلام شديدة بالمعدة والكليتين مع صداع وسعال وضعف عمومي شديد، وخصوصا في ابتداء كل مرة من الحمل، عرتها هذه الحالة منذ خمسة عشر عاما بعد زواجها بقليل، ثم إنهما على صلاح وتقوى، وقد كانت لا تعتقد بمسألة الزار ولكنها نجت تأثير كلام النساء خصوصا أقاربها من والده وأخوات اعتقدت أخيرا وتوجهت إلى أحد الأولياء

أو أحد الفاريت هو الذي أصابها بهذا المرض الهستيرى من زمن وصمت على عمل حفلة الزار بمصاريق من عند أهلها في منزلهم لا في منزل زوجها الذي عارض في ذلك بشدة لعدم اعتقاده بمثل هذه الخرافات ، ولم يرض بخسارة دينه في مصاريق باطلة على عقيدة باطلة .

والآن ألا ترى سيادتكم أن اعتقاد هذه السيدة تأثير الولي الفلاني أو العفريت الفلاني يؤدي بها إلى الشرك الجلي . وفي هذه الحالة تصبح محرمة على زوجها المسلم الصحيح (غير الجغرافي أو السياسي) الذي لا يعتقد بتأثير ولي أو نبي ؟ ففضلوا بإفادتي عن ذلك ولو كلفكم الجواب شيئا من التفصيل ؟ وفضلوا بقبول مزيد تشكراتي وجزيل ممنونتي سلفا والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(ج) يذكر جمهور علماء الكلام أن الإيمان بوحداية الافعال عبارة عن التصديق الجازم بأنه لا فعل لغير الله تعالى في الحقيقة، فكل ما يقع في الكون من خير وشر ونفع وضرر فهو من فعل الله تعالى وحده، ويصرح الأشعرية في كتب العقائد بأن الأسباب الظاهرة للحوادث - ومنها كسب الإنسان وغير الإنسان من الملائكة والجان - لا تأثير لها في نفسها، وإنما يخفق الله المسببات والمكسوبات عندها لا بها، فلا فرق بين النار والماء في حصول الاحراق والإرواء، إلا أن عادة الله قد جرت بخلق الاحراق عند مس النار واتصالها بالجسم القابل للاحتراق وخلق الإرواء عقب خلق شرب الماء ، ولكن الشرع أمر بالكسب، كالتداوي والاكل والشرب، فينبغي القيام بالمشروع منه وعموما جرت سنة الله تعالى بجعله سببا مطردا وما كان سببا غير مطرد كرقية الملسوع وما في حكمه فإتيانه ينافي التوكل وكال الإيمان والتوحيد، وأما ما كان دون ذلك مما لم يثبت كونه سببا البتة أو قامت عليه شبهات وهمية باطلة اغتر بها بعض العوام في بعض البلاد - كالزار في بلاد مصر والسودان، فلا عذر للمؤمن في الاقدام عليه، أي لأنه من الجبت (١) الذي هو عبارة عن خرافات الكهنة والسحرة، ومن اعتقد أن ولي الزار أو شيخه ينفع ولو بقدره خلقها الله فيه ومزية أعطاه إياها وأن عمرته يضر ولو بقدره خلقها الله فيه أيضا - فهو عند هؤلاء المتكلمين مشرك بالله تعالى . فالخطر على متعجلي خرافات

(١) راجع تفسير (يؤمنون بالجبت والطاغوت) في ص ١٥٦ ج ٥ من التفسير

الزار وغيرها شديد في مذهب هؤلاء المتكلمين الذين ينتمي اليهم أكثر الخرافيين؛
 وأما مذهب غيره هؤلاء من المتكلمين ومحققى أهل الأثر من الحنابلة وغيرهم فهو أن الله
 تعالى جعل الاسباب مؤثرة بمخوَص خلقها فيها كالأحراق في النار، والإبرياء في الماء، ومقاومة
 سير المرض في الدواء، ومنها ارادة الانسان وعمله الاختياري، ولكن هؤلاء يقولون كغيرهم
 إن الاسباب تعرف بالتجارب والاختبار، وتكون مشتركة بين جميع المجربين من الناس،
 واتخاذ الاسباب الوهمية مذموم شرعا وعقلا، وأنه لا تأثير لمخلوق فيما وراء الاسباب
 التي جرت سنة الله في الخلق يربط المسببات بها، فمن اعتقد أن غير الله تعالى ينفع أو
 يضر بذاته دون ما جرت به سنته تعالى في الاسباب، أو بتأثيره في ارادة الله تعالى وقدرته؛
 بأن يفعل الله تعالى بتأثيره عنده شيئا لم يكن لولا ما فعله به، محض ارادته حسب علمه الأزلي -
 فهو مشرك بالله كافر بوحديته، لا اعتقاده أن تغيره فعلا وتأثيرا معه بقدرته الذاتية - وهو
 المنفرد بذلك - أو بتأثيره في ارادته - والاله الخالق القديم لا يكون محلا للتأثيرات الحادثة،
 ويستحيل أن تكون ارادته تابعة لارادة أحد من خلقه، الذين هم تحت تصرف قدرته وقهره
 اذا تدبر السائل هذا ظهر له أن التصديق بخرافة الزار خطر على الدين، وأنه
 ليس من شأنه أن يقع من أهل التوحيد الصحيح، لأعلى مذهب المتكلمين، ولا
 على مذهب الأثرين، وإنما يقع مثله ممن يأخذون دينهم عن أمثالهم من الجاهلات
 والجاهلين، كغوغاء العوام الذين يقلد بعضهم بعضا في أمور الدنيا والدين، كالعادات
 السخيفة والمعالجات الضارة، المبنية على تجارب فاسدة ناقصة،

ولكننا مع هذا كله لا نجزم بكفر امرأة تصدق ببدعة الزار، ولا نجعلها به مشركة
 بالله عز وجل، بل يجب أن نحتاط في مثل هذا الحكم، وندفع الجزم به قبل العلم
 بحقيقة اعتقاد المرأة ولو بالشبهات، كما يجب أن نحتاط تلك المرأة باتقاء التصديق
 بهذه الخرافات، التي يخشى أن تكون شركا جليا أو خفيا ولو على بعض الأقوال،
 فنقول نحن عملا باحتياطنا: يجوز على هذه المرأة أن تؤمن إيمانا جازما بأن الله تعالى
 خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل، وأن ما اقتضته ارادته وجرى به قدره
 من ربط الاسباب بالمسببات، هو عام مطرد في المخلوقات، وأنه لا قدرة لمخلوق على
 شيء خارج عن سنته تعالى في الكائنات، بل جميع الخلق سواء في المعجز عما وراء

الاسباب ، كما أنهم سواء في جريانها فيهم وخضوعهم لها ، وانحصارهم في حظيرة قهرها . ويجوز أن يعرض لها وهي على هذا الاعتقاد مرض فيخبرها من تظن فيهم الصدق وعلم التجربة والاختبار ، ان سبب هذا المرض ملاسة عفريت من الجن لها ، وأن غيرها قد أصيب بمثله قبلها ، وأنهم جربوا له كل علاج فلم ينجع فيه الا تلك الفملة الشفاء وحدها ، وان علة نفعها أن العفريت الذي يلبس المريض في هذا المرض يزوجه ما يكون في حفلة الزار ، من الذنوب والاوزار ، حتى يلجئه الى الفرار ، بين تلك الاغاني والمعازف ، والعزائم والمزائف ، والقرايين والذباح ، وما في التضمخ بدما من الفضائح ، — ويجوز على هذه المرأة أن تصدق هؤلاء المخبرين الضالين المضلين ، ولا سيما بعد اليأس من معالجة الاطباء المشهورين ، وأن تعتقد أن ذلك لا ينافي الايمان ، لان طرد الشياطين من الابدان ، كطرد الجراد ونحوه من المزارع والقطبان ، فهو من الاسباب الكسبية ، التي جرت بها السنن الآلية ، ويجوز أيضا ان تعلم أن عمل الزار حرام ، وان المستحل لما يمتد حرمة بعد مرتدا عن الاسلام ، كالجاحد للمعلوم من الدين بالضرورة من مسائل الاجماع ، ثم تقول اني لا أستهله ، ولكنني آخذ بقول من قال ان التداوي بالمحرم جائز اذا لم يوجد غيره ،

فاذا جاز أن تعتقد المرأة ما ذكرنا وان كان باطلا في نفسه فكيف تتجراً على الافتاء بردتها ، وبطلان عقد نكاحها ، وسائر ما يترتب على الردة من الاحكام ؟
 أما ما يحسن أن توغظ به امرأة تدرك ما ذكرنا فهو ان خرافة الزار القبيحة المنكرة ليست سببا من اسباب الشفاء من هذا المرض ، وان ما يدعى من التجربة المثبتة لنفسه باطل ، وأنه عمل لكثيرات فلم يفده ، وأن من اتفق انهن شفين بعده لم يكن شفاؤهن به بل بأسباب أخرى حقيقية أو وهمية ، وانه لو كان علاجاً نافعا بالتجربة الصحيحة لعلمت به جميع الشعوب التي فاقت غيرها في العلوم والمعارف ، المبنية على إتقان التجارب ، ولكننا نرى هؤلاء يسخرون من هذه الخرافة وأهلها ، التي هي محصورة في مصر والسودان بل في الطبقة الجاهلة من أهلها ، واذا كان الامر كذلك فكيف تقدم على العمل بخرافة أدنى ما يقال فيها انها مشتملة على عدة بدع محرمة في الدين ، محتقرة عند جميع المرتقين ؟

مِلِّسْتِي رُزَاةُ الدِّعْمَةِ وَالْأَرَشَاتِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق محمد في

١٥

المعالجة - يجب البدء بعلاج مدخل هذا الميكروب في الجسم، بأن يعالج الاحليل في الذكر مثلاً علاجاً فعالاً، وتعالج المفاصل بالقويات ويودور البوتاسيوم. وينبغي مراعاة القوازين الصحية باستنشاق الاهوية الجيدة وتعاطي الاغذية السهلة الهضم والمقويات كمر كبات الحديد وزيت السمك ونحوهما. ويدلك المفاصل ببعض المراهم المسكنة أو الزبقيية، أو يدهن بصبغة اليود. ويجب اراحته من الحركة مطلقاً، ولكن بعد زوال الالتهاب الحاد ينبغي ذلك المفاصل وتكيسه وتلينه باليد والعلاج بالقاح أفاد في بعض الاحوال خصوصاً في الاصابات المزمنة أي التي طالت مدتها، والافضل أن يؤخذ الميكروب من نفس المريض، ولكن هذا العلاج يحتاج الى مدة طويلة

ويجب البدء بحقن مقادير صغيرة من القاح ثم تزد بالتدريج، ولا يجوز عمل الحقن الثاني الا بعد تمام زوال كافة الاعراض التي قد تنشأ من الحقن الاول. وهناك مصل لعلاج هذا الداء أيضاً لا يتخلو من الفائدة

استدراكان

(الاول) جاء في مجلة [اللانست Lancet] الطبية الانجليزية الصادرة في ١٢ أغسطس سنة ١٩١٦ رأياً لا حد أطباء الانجليز في عدوى الالتهاب السحائي الوبائي وملخصه ١١ ان ميكروب هذا الداء هو عين ميكروب السيلان - لا شديداً به فقط كما قلنا سابقاً - وان قمل الجسم هو الذي ينقله من شخص الى آخر إما بامتصاص دم المصاب بالالتهاب السحائي وتلقيح الآخرين به اذا انتقل القمل اليهم. أو بتلوث القمل

(المنار: ج ٦) (٤٥) (المجلد التاسع عشر)

به مما يسيل من المصاب بالسيلان في ملابسه من الصديد ونقله الى غيره فيدخل الميكروب تحت الجلد ويسير في الاوعية اللغفاوية الى السحايا وغيرها كالمفاصل التي قد تلتهم أيضا في هذا المرض ، وأنكر هذا الطيب اتئصال الميكروب في الهواء ودخوله من الفم أو الانف . وقال : ان المصاب بالسيلان ذاته عنده شيء من المناعة فلا تصاب سحاياء الا قليلا . فاذا صح هذا الرأي — والغالب أنه صحيح — سهلت مقاومة هذا الداء الخبيث وتيسر اجتنابه . ومن هذا الرأي تفهم بعض حكم الاستنجاء وطهارة الثوب ونظافته ، ونظافة الجسم بالغسل والحلق ، وغير ذلك من شرائع الديانة الاسلامية الغراء التي شرحناها سابقا . وترى مما تقدم أن القمل يقتل بالحلى التيفوسية والراجعة وبالالتهاب السحائي أكثر مما تقتل العقارب والثعابين . وذلك يحقق أيضا المثل العامي القائل « وضع تعالى سره في أضعف خلقه » وترى منه أيضا مقدار الخطر الذي يهدد كل من يتردد الى مواخير الفسق ، فإن أكثر الزواني مصابات بالسيلان الحاد أو المزمن وبعضهن يرى بملابسه وفراشه القمل

(الثاني) ان من أسهل الطرق لتطهير الماء والخضر ونحوها من الميكروبات أن يذاب في الماء [بي سافات الصوديوم] وتسمى أيضا [كهريئات الصوديوم الحمضية] بنسبة بـ بـ بـ ويترك الماء مدة نصف ساعة فان حامض الكهريتيك الذي يوجد فيه يقتل تلك الاحياء الدنيئة وأجنة ديدان [البلهارسية *Miracidia Cercariae*] ولا ضرر من شرب هذا الماء . واذا نعت في الخضر مدة نصف ساعة تطهرت كذلك . ويجوز أن تطهر به الاواني الخزفية والزجاجية ونحوها ما عدا المعدنية فان الافضل تطهيرها بالغلي . وهذه الطريقة نافعة جدا اذا اتبعت في زمن انتشار أوبئة الحلى التيفودية والكوليرا والدوسنتاريا وغيرها مما يتلوث به الماء والخضر ، فإنها كافية للتطهير بدل الغلي الذي لا يحسن لبعض الخضر والفاكهة

تسمم الدم

لهذا الداء ثلاثة أشكال : —

(الشكل الاول) أن تدور سموم الميكروبات في الدم، ويسمى ذلك باليونانية

[سبريميا Sapræmia] ومعناها حرفيا، الدم الفاسد

(الشكل الثاني) أن تدور الميكروبات مع سمومها في الدم، ويسمى ذلك

باليونانية [سبتيسيميا Septicæmia] ومعناها حرفيا ، الدم المتعفن

(الشكل الثالث) مثل الشكل الثاني غير أنه يزيد عليه بتكون أخرجة في

عدة أجزاء من الجسم، ويسمى ذلك باليونانية [پيميا Pyæmia] ومعناها حرفيا

الدم الصديدي

وجميع هذه الاشكال تنشأ من ميكروبات الصديد وهي على الاكثر من الشكل

البرزي ، ومنها ما يكون عنقوديا أو سلسليا . والسلسلية هذه أشدها خطرا كسابقه ، ومن

الميكروبات العنقودية ما يكون لونه أبيض أو أصفر، ويشاهد ذلك اذا تجمعت منها

جموع كثيرة في المزارع الصناعية . وهناك بعض ميكروبات لها أشكال أخرى تحدث

الصديد كسلسل الصديد الازرق [Pyocyanus] ومن ميكروبات الامراض

الآخري ، ما يحدث الصديد أيضا كميكروب الحمى التيفودية والدرن

والميكروبات البرزية المذكورة منتشرة كثيرا وهي من أكبر ما يخشاه الجراحون

في عملياتهم فيتقونها بالتطهير التام بالغلي وغيره، فانها اذا وجدت أي سحج أو جرح

في الجلد أو الاغشية المخاطية دخلت فيه وأحدثت التهابا فقيحا ، وتزوب الانسجة

ويتجمع بسببها عدد لا يحصى من الكريات البيضاء فينشأ من ذلك المدة والصديد

ونحوها . فاذا أصابت سطح الجلد نشأت منها الدمامل والبثور ونحوها، واذا أصابت

الانسجة الغائرة نشأت الاخرجة وما شاكلها، واذا أصابت الاغشية المخاطية التهبت

وحدث منها الزكام ونحوه

واذا كانت الاصابة صغيرة ومحدودة ولم يدخل الميكروب الى الدم قل حصول

أي توعك أو حمى، لان السموم التي تمتص في البنية تكون حينئذ قليلة جدا، ولكن اذا

كان موضع الالتهاب كبيرا نشأت الحمى بسبب امتصاص سموم الميكروبات في البنية

ونشأ الشكل الاول المذكور هنا، فاذا دخلت هذه الميكروبات الى الدورة حدث الشكل

الثاني، وقد تدخل من أي جرح مهما يكن صغيرا، واذا رسب بعض هذه الميكروبات

المتتصة في أجزاء الجسم المختلفة تكونت حولها وبفعلها أخرجة. وهذا هو الشكل

الثالث . وطريق امتصاص الميكروب في الشكل الثاني هو الاوعية اللمفاوية وفي الثالث الاوردة ، وفيها يدخل أيضا بعض مواد التهاية عفنة مع الميكروب

أما أعراض الشكل الاول فهي ارتفاع حرارة الجسم مع سائر الاعراض الأخرى للحمى ، وكذلك أعراض الشكل الثاني والثالث، غير أن المعتاد فيهما أن تبدئ الحمى برعدة شديدة ويشتمد المرض على المريض حتى يكون كالمصاب بالتيفوس، فيعترية الهذيان والذهول والهمود وكافة الاعراض الشديدة لتلك الحمى، وتكون مدة المرض في هذين الشكلين قصيرة وتنتهي بالموت غالبا . وفي التسمم الصديدي تكثر الرعدة وتحصل يوميا مرة أو مرتين، وفي كل مرة تظهر التهابات فأخرجة جديدة ويكثر العرق عقب كل رعدة ويصاب المريض بالهمود وينحف جسمه بسرعة وبصفر لونه وقد يصاب بالقيء الكثير أو الاسهال ، وقد تزول الرعدة بعد خمسة أيام أو ستة . وتكون الحمى في هذا الشكل متقطعة مرتفعة في المساء ومنخفضة في الصباح عادة، وقد تصل الى الدرجة الطبيعية خصوصا في أول المرض . وتختلف باقي الاعراض باختلاف العضو المصاب بالآخرجة فان لكل عضو مصاب بها علامات وأعراضا مخصوصة. ومدة هذا المرض لا تزيد عن ستة أيام غالبا ولا تمتد إلى ما بعد العاشر كذلك، اللهم الا اذا أزمى المرض وحينئذ لا تصاب الاحشاء وإنما تكون الآخرجة في المفاصل أو تحت الجلد . واذا شقت كلها وعولجت قد يشفى المريض بعد عدة أسابيع أو أشهر

ومما يساعد على حدوث تلك الاشكال المذكورة عدم الاعتدال وغيره مما يضعف البنية كبعض الامراض المزمنة مثل التهاب الكلى أو البول السكري، ولكن لا يحصل أي شكل منها ما لم يوجد في الجسم مدخل للميكروب

العلاج — تفتح الآخرجة وتطهر وتضمد يوميا فان كانت الحمى ناشئة عن امتصاص السموم فقط شفي الجرح وشفي المريض أيضا، وان كانت الميكروبات دائرة في الجسم تعسر الشفاء أو تعذر، ويعطى المريض المنعمشات والمغذيات وترعى معه جميع الوسائل الصحية

أما الادوية فهي قليلة الجدوى، ولكن استعمال الحقن بالمصل المتعدد القوي

[Polyvalent] أي المحضر بمحتن عدة أنواع من الميكروب أفاد في كثير من الأحوال، وتجب تجربته إذا دخلت الميكروبات البنية سواء أحدثت أخرجة أم لم تحدث الوقاية من تسمم الدم بجميع أنواعه - أن يتني الانسان كل ما يحدث جرحا أو سحجا في الجسم وان كان صغيرا. فاذا حدث بالرغم من احتياط الانسان وجبت المبادرة الى تطهير الجرح وتضميده والمواظبة على ذلك يوميا حتى يشفى . ويراعى في ذلك اتباع جميع قوانين علم الجراحة في تطهير الايدي والآلات والضمادات وغيرها مما يمس الجرح . واذا تكون خراج في الجسم وجب الاسراع الى شقه وتطهير جوفه وتصريف ما يتكون فيه من المدة والصديد بأسرع ما يمكن بحيث لا يتراكم فيه شيء . منها خوفا من امتصاص الميكروب أو سمه في البنية. ولعلم الجراحة في ذلك من الوسائل العلمية المعقولة ما فيه الكفاية من شر هذا الداء وقانا الله منه

السعال الديكي Whooping Cough

مرض يصيب الاطفال كثيرا بين السنة الاولى والثامنة، وحدوثه للبنات أكثر منه للذكور . وتقل اصابته لمن كان عمره فوق ذلك لان أكثر الناس يصابون به في صغرهم وهو بحميمهم من الاصابة به مرة أخرى بل هو في ذلك أكثر وقاية من الحميات الاخرى ذوات الطفح . ويحدث انتشاره بشكل أوبئة لا تأثير لحرارة الجو أو غيرها فيها، وكثيرا ما تكون هذه الاوبئة عقب أوبئة الحصبة

هذا المرض ينتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى ، فاذا أكثر اختلاط الاطفال بالمصابين به انتشر المرض بينهم، وقد ينتقل بواسطة الملابس الملوثة بميكروب هذا الداء اذا أصابها شيء من بصاق المصاب

وكان القدماء يعتقدون عدوى هذا الداء نظرا لما يشاهدونه من انتشاره بين من يخاط المصاب، ولكن لم يكتشف ميكروبه الا سنة ١٩٠٦ والذي اكتشفه باحثان اسمهما [بورديه Bordet] و [جنجو Gengou]

وهذا الميكرب من الشكل الباسيلي يشبه كثيرا ميكروب النزلة الوافدة غير أنه أطول منها وأغلظ ، ولا حبيبات له ولا حركة . يشاهد كثيرا في أوائل المرض في

المخاط اللزج الخارج في آخر النوبة من الشعب الرئوية الصغيرة ، وكثيرا ما يكون مختلطاً بميكروب النزلة الوافدة

الأعراض : مدة التفريخ نحو عشرة أيام ويبدأ المرض باصابة بسيطة بالسعال تشبه السعال الناشئ من التعرض للبرد . وقد يكون هذا السعال مصحوباً بحمى خفيفة ويستمر إلى نحو سبعة أيام أو عشرة ، ثم يسمع هذا الصباح المخصوص الذي يشبه صياح الديك ، ولذلك شبه هذا المرض به ، فبينما يكون الطفل المصاب في لبعه تنتابه نوبة من السعال تمتاز بحصول نحو ١٥ أو ٢٠ مرة من الشهيق المتوالي في زمن ٧ أو ١٠ ثواني ثم يعقبها زفير له هذا الصوت المخصوص ، ويتكرر ذلك مرة أو أكثر حتى يخرج من صدر المصاب قطعة صغيرة من البغم اللزج أو يتقايأ ما في جوفه . والسبب في حصول هذا الصوت اقتراب الحبلين الصوتيين أحدهما من الآخر فيضيق ما بينهما ، أو أنهما لا يتسعان بالسرعة المطلوبة حين حصول الزفير . وفي أثناء هذه النوبة يحتمن الوجه أو يزرق ويتنفخ وتكاد تخرج العينان منه ، ويتدلى اللسان وقد تخرج الشايبا قيده فيبصق المريض الدم . ويكون الطفل في أثناء ذلك غير قادر مطلقاً على منع هذا السعال ، وقد يصاب من شدته بنزف من الأنف (الرعاف) أو من فمه أو يحصل النزف تحت الملتحمة ؛ وفي أحوال نادرة يصاب بنزف في منخه وهذه النوب تحصل بلا سبب معروف وإنما قد يهيجها بكاء الطفل أو اغضابه أو نزوع ملابسه . ويقال إن النوب أكثر في الليل منها في النهار . وعدد مراتها في الليل يتراوح بين مرة واحدة وستين مرة . وفي أكثر الاحوال لا تزيد عن ثلاثين في كل ٢٤ ساعة . ويكون الطفل في الفترات التي بين النوب كأنه في صحة تامة ولا حى عنده ما لم يتضاعف المرض ، وقد تكون شهوة الطعام عنده جيدة . ومدة هذا الطور من الداء تمتد إلى ثلاثة أسابيع أو ستة بل قد تطول إلى ثلاثة أشهر أو أكثر ، ثم تأخذ النوب في القلة تدريجاً حتى تزول تماماً أو يعقبها سعال بسيط كالسعال الأول بدون صياح ويمكث بضعة أسابيع . وهذا المرض قل أن يميت مالم يشتد تشنج المزمار أو يحصل نزف في المخ . وقد يحصل الموت بسبب مضاعفات هذا الداء

المضاعفات والمقاييل (العواقب) - من مضاعفات هذا الداء النزلة الشعبية أو

الشعبية الرئوية قترتفع الحمى ويضيق نفس المريض كثيرا ، وفي كثير من الاحوال يزول حينئذ هذا الصياح المخصوص كما أنه يزول في كافة المضاعفات الحمية الاخرى . ومنها التهاب الاذن والتشنجات . ومن العقايل استمرار النزلة الشعبية والامفيزيما^(١) الرئوية (أي تمدد حويصلاتها وفقدانها مرونتها وانفتاح بعضها في البعض الآخر) والدرن الرئوي وهو قايل الحصول في هذا المرض

الانذار — هذا المرض قد يطول جدا ولكنه في الغالب يشفى منه المريض ومن النادر أن يموت به الشخص غير أن الموت قد يحصل بسبب بعض المضاعفات أو العقايل المذكورة

المعالجة — يسكن المصاب في غرفة دافئة متجددة الهواء ، ولا يجب عليه التزام الفراش ، الم يتضاعف المرض . وهناك أدوية كثيرة لتقصير مدة المرض وتخفيف وطأته ، ومن أحسنها [البلادونا^(٢) Belladonna] فيعطى من صبغتها نقطتين أو ثلاثا ثلاث مرات في اليوم للطفل الذي يبلغ عمره سنتين ولمن هو أكبر تقطأ أكثر بحسب السن ، وهناك مواد تستعمل أيضا استنشاقا لتطهير الشعب ولكنها قليلة الفائدة ، ومن أحسن العلاجات تغيير الهواء والسكنى بجوار البحار فان ذلك مما يقصر مدة المرض

الالتهاب الرئوي Pneumonia

هذا المرض نوعان : (١) نوع يصيب حويصلات الرئة ويسمى الالتهاب الفصيحي^(٢) ونوع يصيب جزءا عظيما منها ويسمى الالتهاب الفصي ، ويختلف النوعان احتلافا كبيرا من الوجهة الميكروبية والمجهريية والعرضية أما النوع الاول فقد يكون ابتدائيا أو تابعا لمرض آخر ، وهو كثير الاصابة الاطفال والشيوخ ، وليس له ميكروب مخصوص بل يوجد فيه أنواع عديدة منها

(١) لفظ يوناني معناه ادخال الهواء أو النفخ لانتفاخ الرئة في هذا المرض
(٢) كلمة ايطالية معناها حرفيا «السيدة الحسنة» تطلق على نبات شهير عند الاطباء كان نساء ايطالية يستعملنه لتجميل وجوههن ، ومن أصوله الفمالة مادة سامة جدا تمدد الحديقة فتجعل العين نجلاء

ميكروبات الصديد الممتادة أو ميكروبات المرض الذي سبب هذا الالتهاب الرئوي كالدفتيريا أو لحمى التيفودية أو الأنفلونزا أو الطاعون.

وأما النوع الثاني وهو كثير الحصول للشبان، وقد يصيب أيما كان غيرهم، وهذا المرض يشبه كثيرا الحميات الأخرى السفنة كالحمى التيفوسية وينتهي مثلها بالبحران. وينشأ غالبا من ميكروب من النوع البري المزوج اكتشف في مغفل باستور في ديسمبر سنة ١٨٨٥ وهذا المرض هو المقصود بالكلام هنا، ومنه نوع خطر ينشأ من باسيل اكتشفه [فردلندر Friedlander] سنة ١٨٨٠ ولكنه قليل الحصول فان ٩٥٪ من الاصابات بهذا الداء تنشأ من الميكروب الأول البري

الاسباب يحدث هذا المرض للذكور أكثر من الاناث بنحو الضعف، ويصيب الناس في جميع الاعمار من سن الطفولية الى سن الشيخوخة، ولكنه أكثر حصولا للشبان لي أن يصابوا الى متوسط العمر (من ٣٥ - ٥٠) ينتشر هذا المرض في فصلي الشتاء والربيع حينما يكبر تغير درجة حرارة الجو فجأة، وحينما يكون الهواء مشبعاً بالرطوبة أو البرد

ومما يساعد على حصوله كثرة التمرض لتيار الهواء وضعف البنية واجهاد العقل وقلة التغذية، والاهمال في السكر أو الجوع

وهذه الاشياء تجعل المصاب به ضعيف المقاومة جدا بحيث يكون شفاؤه متعسرا، والوفاة به كثيرة الحصول، والاصابة به لا تحمي من معاودته، فقد شوهد أن بعض الاشخاص أصيب به نحو ١٥ أو ٢٠ مرة، ولكن في الغالب أن لا يصاب به الشخص سوى مرتين

يوجد ميكروب هذا الداء حتى في لعاب السليم وفي حفر أنفه، فاذا ضعفت البنية بمثل الاسباب المذكورة هاجمها الميكروب وأحدث بها المرض، وقد يتصل بالانسان أيضاً من شخص آخر مصاب بالتهاب الرئوي ويكون حينئذ أقوى وأضر. وهذا الميكروب يحدث التهابات في أعضاء الانسان الأخرى مثل البلعوم والشفاف والمفاصل والسحايا، وقد يحدث أخرجة بالأحشاء وتحت الجلد

ولم يهزم العلماء الى الآن ان كان وصول هذا الميكروب الى الرئة من طريق

الشعب أو من طريق الدم ، فقد شوهد وجوده في نفس الدم فإذا ضعف عضو بسبب ما رسب الميكروب من الدم فيه . وهو يصيب عدة حيوانات كالغيران والارانب والكلاب . أما الحمام والدجاج فلا يصيبها بشيء ، وطوله يتراوح بين ٥٥٠ من الميكرون و٧٥٠ منه ، ويظهر تحت المجهر كأنه محاط بغلاف أو هالة تصافية اللون يكون فيها عادة بزرتان أو أربع

الاعراض — يتدئ المرض فجأة برعدة شديدة وترتفع الحمى بسرعة زائدة إلى ٣٩° أو ٤٠° مع كافة أعراضها الأخرى المعروفة وأحيانا (تشاهد النملة على الشفتين) ثم يشعر المريض بضيق في نفسه ، وآلام في الجنب المصاب ، ثم يكثر السعال ، ويكون بصاقه صديئا — كأن به صدأ من الحديد لاسمرار لونه — ويكون شفافا غالبا من فقائيع الهواء لزجا بحيث يشتد التصاقه بالوانبي ويشاهد في هذا البصاق الميكروب

وللاطباء علامات خاصة لتشخيص هذا الداء تدرك بالقرع والسمع وغيرهما من طرق البحث الشهيرة

وتستمر الحرارة عالية مدة المرض كلها ، ويكون حد المريض وجبته محتمنة يعلوها قليل من الصفرة أحيانا ، ويكون تنفسه سريعا جدا حتى قد تصل مراته إلى ٨٠ في الدقيقة ، ويسرع نبضه ويقل بوله ، وقل أن يعتريه الهذيان بخلاف الحيات الأخرى ، إلا في بعض الحالات الشديدة فقد يهذي ليلا ، وبعد اليوم السادس أو الثامن تنخفض الحرارة فجأة في مدة ١٢ أو ١٨ ساعة ، بحيث تصير طبيعية ، وينتل اللسان بعد الجفاف ويحسن المريض بالتحسن العام ، ولكن هذا البجران قد يصحبه اسهال أو عرق غزير وفي أكثر من نصف الاصابات تنففس الحرارة بالتدرج ، فتصير طبيعية بعد ٤ أيام أو ٥ ، وفي كلتا الحالتين يتحسن النبض والتنفس حين انخفاض الحرارة ، وتزول العلامات الطبيعية التي يعرف بها المرض من الصدر ، ويحول لون البصاق الاسمر فيصير مصفرا أو مخضرا ، ويكون به صديد وتقل لزوجته ، ثم يصير بالتدرج طبيعيا

والموت يحصل غالبا من وقوف القلب ، أو من اصابة الرئة الأخرى السليمة

فيسرع التنفس والنبض ، ويزرق الوجه ، ويكثر الهذيان ويمتد الغيبوبة فالموت ، ويكون الموت عادة بين اليوم الخامس والعاشر ، ومن المرضى من يموت في اليوم الثاني أو الثالث

والالتهاب الرئوي يصيب قاعدة الرئة أكثر من قممها ، والجهة اليمنى أكثر من الجهة اليسرى ، وقد يصيب الرئتين معا ، ولكنه يجعل باحدهما قليلا عن الاخرى وإذا أصاب الرئة احتقنت بالدم ، وثقل وزنها ، واحمر لونها ، وصار قوامها هشاً بعد الوفاة ، وامتلاّت حويصلاتها بكريات الدم الحمراء والبيضاء وغير ذلك من مواد الدم بحيث تكون خالية من الهواء ، ثم تمتص الكريات الحمراء ، وتزدحم الحويصلات بالبيضاء ، فيتغير لون الرئة من الحمرة الى اللون السنجابي ، وفي كلتا الحالتين يكون قوام الرئة كمنسوج الكبد حتى سماه الاطباء (بالتكد)

المضاعفات — جميع المضاعفات تنشأ على الاكثر من انتشار ميكروب الالتهاب الرئوي في الاعضاء الاخرى فقد تلتهم البلورا وقد ينسكب في تجويفها مصل أو صديد . ومن المضاعفات أيضا التهاب الشغاف أو الاعصاب أو الكليتين أو البريتون أو السحايا أو المفاصل وغير ذلك

الانذار — عدد الوفيات في هذا المرض نحو ١٧ ٪ من الاصابات . والمرض خطر جدا لغير المعتادين ولضعفاء البنية . وما يندر بسوء العاقبة الهذيان الشديد أو الذي يحصل في أوائل المرض ، وضمف النبض والزرقه والتهاب الرئة كلها أو امتداده الى الرئة الاخرى

المعالجة — يجب على المريض أن يلتزم الفراش في الحال ، وفي وقت شدة المرض يبقى معتمدا بظهوره على شيء بحيث يكون رأسه مرتفعا على الفراش قليلا ويجب أن تكون الغرفة متجددة الهواء نقية ، والغذاء من السوائل السهلة هضم المغذية كاللبن والمرق ونحوهما ، تعطى بمقادير صغيرة متكررة . وينبغي أن تطلق الامعاء بالمسهلات ، وتعطى للمريض المواد المعرقة مع قليل من المسكنات لتخفيف ألم الجنب والسعال . واما بخنقه أيضا اللبخ الساخنة على الجنب الملتهب أو ورق الخردل الصناعي ومن الناس من يضع على الرئة الملتبئة أكياسا فيها ملح لتخفيف الألم وخفض الحرارة

وهذا العلاج المذكور كاف في الحالات البسيطة فإذا اشتدت وظنة المرض وضعف القلب وكمثر الهذيان وجب اعطاء المريض المنعشات كالأستروكينين والديجيتال والنوشادر أو قليلا من الخمر (مثل ٣ أو ٤ أواق في اليوم) . وككوريد الكالسيوم (١٠ قححات كل ٤ ساعات) يقال عنه أنه مقرر للقلب فان أكثر الخوف هو من وقوفه

فإذا ازرق المريض وضاق نفسه وخيف عليه من الاختناق أو من وقوف القلب وجبت المبادرة الى فصدّه أو على الأقل تركيب الملق على الصدر لسحب جزء من الدم . ولا خوف من سحب ١٥ أو ١٢ أوقية من الدم اذا كان الشخص قوي البنية ممثلا به . واستنشاق الاكسجين نافع جدا في هذا المرض ، وكذلك كربونات النوشادر (٥ الى ٧ قححات كل ٣ أو ٤ ساعات) لانخراج المواد المتراكمة في الشعب

أما استعمال المصل أو اللقاح فلم تظهر له فائدة كبيرة فاذا جازم المريض تطور البهران وجبت مساعدته بالأدوية المقوية والأغذية الجيدة

بلاد العرب وأحوالها

منذ العصر الخالية

نشرت مجلة الشرق والغرب التي أنشأها دعاة التنصيرية (المبشرون) لبث دعوتهم بمصر مقالة تحت هذا العنوان قالت ان ما أورده فيها هو نتيجة ما وصلت اليه مباحث العلماء الذين بنوا أقوالهم على ما اتصل بهم من اثبتات الروايات ذات الطارق المدينة القديمة « فأخذوها وطبقوها على اعتبارات جغرافية وجيولوجية - قالت - ولعل أشهر علماء الأفرنج الذين عالجوا هذا الموضوع البعثة « قبطاني » - أو كاتاني كما يصر به آخرون - الإيطالي الفهي اشتهر بتصنيفاته المدينة عن العرب

والاسلام من وجهة تاريخية اقتصادية وقد بنينا هذه المعجالة على ماجاء في مؤلف من أحدث مؤلفاته «

وتقول نحن ان هذا المؤرخ الايطالي قد اشتهر عند الترك وبعض العرب بشوهمه لسيرة النبي (ص) وهي أشرف سير البشر — لان الاتحاديين ترجموا ما كتبه فيها بالتركية كما يننا ذلك في منار هذه السنة (ص ١٦٢ ج ٣) ولكن مباحث هذا المؤرخ المدقق في تاريخنا مما لا نستغني عنه ونود لو ترجمهم كلها . ونحن ننقل عن هذه المجلة ما اقتبسناه عنه من المباحث المتعلقة بمعجالة جزيرة العرب الجيولوجية وطبيعتها الجغرافية ، ومهاجرة أهلها منها الى حيث أقاموا بناء الحضارة القديمة . وهذه عبارة المجلة بنصها لم نصحح منها إلا عبارات قليلة : —

تقد أثبتت المباحث الحديثة أن الانسان وجد على الارض قبل المسيح بألوف من السنين وان بلاد العرب كانت مأهولة كأقدم بلاد العالم . فكيف كانت حالة العرب في ذلك العهد اتخالي ياترى ؟ لا ريب في انها كانت تختلف كل الاختلاف عما هي عليه الآن . والمعروف عنها الآن — ومنذ عدة مئات من السنين أيضا — انها برية قاحلة ذات اراض جرداء خالية من الماء (١) . على انها في العصر الجيولوجية كانت على خلاف ذلك . فقد مر على قارتي آسيا وأوروبا زمن كان فيه قسماهما الشماليان أشد بردياً مما هما عليه الآن . وكان الفرق بين الصيف والشتاء أشد وضوحاً مما هو الآن . فكان الهواء في الصيف أكثر امتصاصاً للرطوبة فيزداد به هطل الثلوج في الشمال وهطل الامطار في الجنوب . وبناء عليه كانت أجزاء هندية من آسيا وأفريقيا بقاءاً مخصصة جداً وهي الآن قفار جرداء . وما الاودية الشافة سوى بحار كانت تندفق فيها الانهار

ومن تلك البلاد بلاد العرب . فقد كانت سلسلة الجبال التي في غربها تتلقى رياح السموم وتجري منها أنهر على مضاب أوسط بلاد العرب وتصب في خليج العموم . ومن تلك الانهر نهر الدواسير الذي كان يجري في وادي الدواسير وكان

(١) المنار : كان الصواب أن يقال قليلة المياه

منبعه في الهضاب المنكبة . وكذلك نهر الرماح الذي كان يصب مع نهر الدواسير في خليج المعجم

ولا يخفى ان للحالة الجوية تأثيراً عظيماً في السكنى ، وهذا يبين للشكلاذا كانت بلاد العرب مهد الشعوب السامية . وبخلاصة ذلك انه في تلك الأزمنة الطيبة كانت البلاد خاصة بالسكان بخلاف حالتها الآن

ثم بدأت الأحوال الجوية في نصف الكرة الأرضية الشمالية تتغير بالتدريج فقل امتصاص الهواء للرطوبة وقل هطل الأمطار . وأصبحت البلاد التي بين أوروبا والمنطقة الحارة تشعر بذلك التغيير العظيم . وبتأدي الزمن بدأ شمالي أفريقيا وبلاد العرب يجف ، فصارت الملايين التي تسكن بلاد العرب تشعر بعدم ملائمة البلاد لسكنائها

ولا حاجة الى القول بأن الرحيل عن بلاد العرب استغرق أوفاً من السنين وكان تدريجياً وبهذه الطريقة يمكن تليل توالي هجرة الشعوب السامية . ولم تكن كما نغزوات أي هجرات ناشئة عن اعتبارات حرية بل كان معظمها ناشئاً عن اعتبارات سياسية بحجة كهجرة الأيرلنديين اليوم الى أمريكا . وكانت آخر تلك الهجرات أعظمها شأناً وقد حدثت عند ظهور الاسلام يوم فتحت أبواب بلاد العرب وأخذ سيل المهاجرة يتدفق منها شرقاً وشمالاً وغرباً

وكان لتلك الحركة غايتان تتقمان مع طبيعة البلاد الجغرافية اذ لا يخفى أن شبه جزيرة العرب مقسومة الى قسمين (١) البلاد العربية الغربية (وهي اليمن والحجاز) ومنفذها سورية الى الشمال الغربي ومصر والحبشة على مواهل البحر (٢) لوسط الشرقي ومنفذه الطبيعي العراق وما بين النهرين . أما القسم الجنوبي من بلاد العرب (أي حضر موت) فتأتم بنفسه

فسيل المهاجرة من بلاد العرب كان يتدفق اذاً شمالاً الى فلسطين وسوريا أو غرباً الى مصر والحبشة . أو شمالاً شرقياً الى العراق ووادي دجلة والفرات وقد وقعت أول هذه المهاجرات عند أول فجر التاريخ . ثم تبعها المهاجرات

الآخري في الازمنة التاريخية المعروفة .

(١) المهاجرة الاولى - قبيل فجر هذا التاريخ قام بهذه المهاجرة شعوب سامية نزحوا الى العراق ومعهم شعوب سومريون فتألفت منهم الامة البابلية، ويعتقد العلامة (قبطاني - أو - كاتياني) أن المصريين القدماء الذين دخلوا وادي النيل عن طريق البحر الاحمر واستعمروا اولا مصر العليا كانوا ساميين وقد هاجروا في نفس الزمن الذي هاجر فيه مواطنوهم الى العراق . ومما يؤيد هذا الرأي أن في اللغة المصرية القديمة آثارا سامية عديدة منها الكاف ضمير المخاطب المفرد المضاف اليه (١)

(٢) أما المهاجرة الثانية فقد وقعت في أول عهد التاريخ المعروف أي بين ستة آلاف و ٢٥٠٠ قبل المسيح وكان اتجاه سيل هذه المهاجرة أيضا الى شمال العراق وجنوبه و يتضمن حروب مرجون الملك السامي الشهير

(٣) وأما المهاجرة الثالثة فقد وقعت من سنة ٢٥٠٠ الى سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وفي أثنائها نرح الآشوريون الساميون من بلاد العرب وأسسوا مملكة آشور وعاصمتها نينوى على أهالي دجلة وفي ذلك الزمن عينه نرح الرعاة (الهيكسوس) من غربي البلاد العربية الى مصر و غزا الفينيقيون غربي سوريا واجتاح الكنعانيون فلسطين

(٤) هجرة الاراميين بعد سنة ١٥٠٠ قبل المسيح وانتشر الاراميون في وادي الفرات وسوريا فأصبحت لغتهم لغة التجارة اذ كان يدهم طريق التجارة المار بحلب ومن الشعوب السامية التي لم تنرح من بلاد العرب القبائل الصائبية والحيرية والعرب الذين كانوا يتكلمون العربية الحديثة . وكانت هذه اللغة قد نشأت بتأديي الزمن نشوءا بطيئا جدا . أما سبب عدم هجرة هذه الشعوب فهو لأن غربي بلاد العرب كان أكثر خصبا من شرقيها وقد كان طريقا للتجارة بين الهند والبحر المتوسط يمر باليمن والحجاز وينتهي الى غزة وهذا يأتي بنا الى :

(٥) ظهور الاسلام . وليس هذا أول مرة ظهرت فيها القبائل المتكلمة باللغة

(١) المنار الامر أعظم من ذلك فاعل النصف أو أكثر من النصف من هذه اللغة عربي ولكن الكثير منه محرف كما علم بالتفصيل مما نشرناه في مجلد المنار الثامن عشر عن علامة هذه اللغة أحمد كمال بك

العربية اقتصوتون البلاد المجاورة فان بعضها سبق فاستوطن غسان والخيرة والعراق ومهد الطريق للعرب الذين كانوا في أيام محمد (صلى الله عليه وسلم) فمردوهم المهاجرة والاستيطان، وكانت بلاد العرب قد ضاقت مرة اخرى بأهلها الساميين الذين اشتهروا بالقوة والبأس والذكاء وكثرة النمو. ومما يدل على ضيق الوسائل الاقتصادية في تلك البلاد بأهلها قوتهم المدقع وعوزهم وعادة وأد البنات عندهم. أما قواهم المتزايدة فكانوا ينفقونها في محاربة بعضهم بعضا وفي شن الغارات والغزوات الى أن بدت طلائع تلك النهضة الدينية فجمعت بين القبائل المتخاصمة وجمعتهم يوحدون قواهم و يوجهونها الى الخارج . وهكذا فتحت ابواب العربية وخرج العرب ليفزوا البلدان في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية

وقد كان بين أولئك العرب رجال ذوو صفات ومآرب مختلفة فمنهم الشديد القوي كعمرو والقائد المحنك كخالد، ومنهم المجازف، ومنهم المسوق الى الحرب بطمع الاصلاب^(١). على أن عامل الدين هو الذي فتح لهم السبيل ومهدهم ومنحهم قوة. ولكن كان للعوامل الاقتصادية التي أشرنا اليها والتي كانت تؤثر في بلاد العرب منذ أقدم الأزمنة شأن يذكر. وكان الجانب الأكبر من جيش محمد (ص) رجالا قديناوا حديثا بالاسلام فكانوا يقبلون عليه أو يرتدون عنه بسرعة عظيمة لان معرفتهم كانت ناقصة، ولا شك أن أمثال أولئك ما كانوا ليمسكوا بعروة الاسلام لولا ما رأوه من الانتصارات التي يؤتاها جيش المسلمين ولولا انقلابهم من ضيق العيش الى سعة^(٢). وكان في جيش الميدان الغربي مئات من المكين الذين أيدوا الامويين فيما بعد ولا يزال المسلمون يقولون حتى اليوم إنهم لم يكونوا على شيء من الاسلام

(١) المنار : يعني أن الجمهور الأعظم من العرب كانوا يتقاتلون في سبيل الله وسبيل الجامعة العربية التي يقوم بها دينه وكتابه ، وادناهم منزلة أفراد يظلمون في الضائم والاصلاب كما هو شأن أرقى الأمم الآن في حروبها

(٢) هذه دعوى باطلة وتعليقها الذي عليها به باطل فان المسلمين ما انقلبوا الى سعة العيش التي يعيها في عهد النبي (ص) بل بعده ان فتحوا الشام ومصر وفارس . وابن السعة في جزيرة العرب وابن ما وصفها به آتقا من الضيق ؟

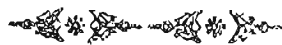
وأمثال أولئك كانوا يعتبرون أنفسهم في يثشة هي هرية أكثر منها اسلامية .
 أما حروب الاسلام التي أفضت الى مزج العرب بأهالي البلاد التي افتتحوها
 من بخارى شرقا الى أمبانيا غربا فقد كانت عبارة عن مهاجرة هي آخر المهاجرات
 الباسمية من شبه جزيرة بلاد العرب ولم تحدث مهاجرة بعد ذلك أو بمقدار صغير
 جداً لا تزال نشاهد آثاره حتى اليوم وهو ناتج عن نفس الاسباب التي أفضت الى
 المهاجرات السابقة أي ائجال بلاد العرب .

أما النتيجة فهي ظهور القوة الكامنة في الامة العربية ظهوراً بينا واتخاذها مجرى
 جديدة وبيئة مشرقة .

وقد ذكر الاستاذ هر كرومجه أن هرب حضرموت الذين هم أقصر سكان
 تلك البلاد فكوا القبود التي كانت تربطهم ببلادهم وهاجروا الى الهند وجزائر الهند
 الشرقية حيث أظهروا همة عالية ونشاطاً شريفاً . فقد أصبحوا خيرين بأمور التجارة
 مع أنهم كانوا يجهلون في موطنهم الأصلي ، ولا تزال الاعمال والاشغال تنتقل الى
 قبضة يدهم حتى لقد أصبح بعضهم من كبار الاغنياء . ولا ينحصر تفوقهم في الاعمال
 والمناجرت بل في الامور العقلية أيضاً

وهـ هـ مودرة . مودرة للعرب الذين نزلوا بسوريا وبلاد فارس في المئة الاولى
 للهجرة . وهي تنطبق على جملة العرب عموماً منذ ألوف من السنين حتى اليوم

وقد أظهر دولة شريف مكة بنهضته الاخيرة أن العرب لا يزالون يأبون
 الضيم ويشقون الحرية والاستقلال ، وهم يبذلون كل مرتضى وقال في سبيل الدفاع
 عن كياناتهم . ترى هل نحن على وشك أن نرى من جانب بلاد العرب مباحثات
 جديدة مدعشة كما رأى العالم منذ مئات من السنين ؟



المنشور الهاشمي الشريف الثاني

ذكرنا في الجزء الرابع من منار هذه السنة ملخص المنشور الاول الذي خاطب به الشريف الاكبر صاحب مكة المكرمة مسلمي الارض مبيضا لهم سبب نهضة الحجازيين باستقلال العرب دون متغلبة الاتحاديين . واليوم ننقل لهم نص منشور آخر نشر في العدد الحادي عشر من جريدة القبلة الصادر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣٠٤ لتعميم فائدته والعناية بحفظه ، لان أمثال هذه المنشورات من أهم مواد تاريخنا في هذا العصر ، وقد ضاق عنه الجزء الخامس الذي طبع الكثير منه قبل عودتنا من الحجاز ، وهذا نصه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

انقد رأينا دفعا للالتباس ومنعنا لما عسى أن يحدث من التردد في حقيقة قيامنا ونهضتنا معاشر الحجازيين الموضحة أسبابها في منشورنا الاول أن نردفه بهذه الاسطر ليكون منها لأفاضل العالم عموما والمسلمين خصوصا زيادة الاطلاع على نياتنا ومقاصدنا الممثلة بكياننا من حيث هوية ملتزمين فيها أقرب المواد عهداً وأبسطها دلالة من المعلوم ان عقلاء المسلمين وذوي البصيرة من ساكني الممالك العثمانية وسائر أقطار الدنيا غير راضين عن دخول الدولة العثمانية في الحرب الحاضرة لاسباب جوهرية أجمعوا عليها منها ان الدولة العثمانية قومية عهد الخروج من الحرب الإيطالية أولا والحرب البلقانية ثانيا وقد أصاب جيوشها وخزائنها وكل مراقبها وعامة تشكيلاتها من الضعف والضياع والفناء ما لا يخفى تأثيره على ثروة الدولة خاصة وثروة المملكة وأهلها عامة ، حتى كان الجندي لا يكاد يصل الى قريته أو الى مكان عمله ليتحصل على ما يسد به رمقه ورمق أولاده وسائر أهل بيته الا ويكون قد دعي الى التجنيد مرة ثانية . وهكذا شأن الصانع والحمال والمختطب . فلاما التي أصيب أفرادها بمثل (المار: ج ٦) (٤٧) (المجلد التاسع عشر)

هذه الكوارث لا نرى حاجة الى بيان مصيرها ومصير دولتها اذا دفعت بنفسها في هوة حرب جديدة لا تشبه غيرها من الحروب . لا سيما وان واردات الدولة من الضرائب (٥) المفروضة على مساعي الافراد المنكودي الحظ بين تجار ية وصناعية وزراعية هذا أحد الاسباب التي حملت عقلاء المسلمين على استنكار دخول الدولة في الحرب الحاضرة وهو سبب مبني على حقيقة الحالة الداخلية في كل بلاد السلطنة . وهناك اسباب خارجية تتعلق بالجهة التي انحازت الحكومة الاتحادية الى الحرب معها ضد الفريق الآخر من الدول المشتبكة في الحرب . فان الدولة العثمانية دولة اسلامية وبلادها مترامية الاطراف كثيرة السواحل فكانت السياسة التي سار عليها سلاطين آل عثمان العظام من قديم الزمان تحسين الصلات والعلاقات مع الدول التي يسكن ممالكها القسم الاعظم من المسلمين والتي لا تزال صاحبة الارجحية في البحار فلما دخلت الحكومة الاتحادية في الحرب ضد هذه الدول منحازة الى فريق آخر كثير الطمع واسع الجشع لضيق بلاده عن ساكنيها تشام من ذلك أهل النظر والرؤية من المسلمين لعلمهم بما يكون من نتائج السيئة قبل حدوثها ولقد كنت من جملة هؤلاء عند ما سئلت لتغرافياً عن رأي في هذه الحرب فأجبت بما اقتضاه واجب النصيح، وهذا مما أخذته دليلاً على اخلاصي لهذه الدولة وحرابي على سلامتها وصيانة بيضنة الاسلام

وها قد حصل ما كنا نخشاه وانتهت الدولة الى ما نخوفناه، وأصبحت حدود المملكة العثمانية اليوم في أوربا أسوار الآستانة تقريباً . وان طلائع جيوش الروس تمخضت الاهالي الممانيين في ضواحي ولايتي سيواس والموصل، وطلائع الانكليز تسبق ألقاب الاسرى من أبناء هذه المملكة في بادية العريش بعد ان استولت على ولاية البصرة وشطر من ولاية بغداد، ولا شك في أن من تأمل هذه الحالة ورأى ان الحرب لا تزال قائمة على ساق وقدم لا يحتاج الى كبير عناء في استجلاء النتيجة لا يخرج عن أحد أمرين فإما ان نستسلم الى هذا الخطر الداهم حتى نزول من جهة العلم وان نسبي الى الخلل منه

المئذج ٦ م ١٩ من الضرائب من غير ان لا بيان للواردات كما يتوهم بادىء بدء

إتينا نترك للعالم بأسره التأمل في هذا والجواب عليه وليس عندنا أقل ريبة في أنهم يعذروننا في نهوضنا الذي جاء في وقته قبل أن تحيط المهالك بالبقية الباقية من هذا الملك فتأخذنا على غرة . بل اتنا لا نتردد في مشروعية نهوضنا ووجوبه علينا . ولو كنا نعلم بأن بقاءنا مرتبطين بهذه الدولة التي أصبحت أعبوة في أيدي المتغلبين مما ينفعها ويحفظ لها أملاكها لما تحركنا بشي مما قننا به ، ولصبرنا ونحملنا كل ما يحملوننا إياه . ولكن أتى لنا ذلك وقد صار من المقطوع به اننا لو استسلمنا لما هم ساثرون بنا إليه لأدى ذلك بنا وبهم الى هوة الاضمحلال التي تسقط فيها الولايات الاخرى على مرأى منا ومسمع

نعم اننا نقول هذا ونترك الحكم فيه الى انصاف العالم أجمع ، ولكننا لانستطيع السكوت عن المجاهرة بأن السبب الوحيد لمحو هذه الدولة وابدانها من بقي لها من الرعية وهم سكان الانضول وغيرهم انما هو استرسال المتغلبة من زعماء الاتحاديين وهم أنور وجمال وطلعت وأشياعهم ، وخروج الدولة عن خطتها السياسية الاساسية التي وضعها عطاء سواس العمانيين وهي خطة موالاته الدولتين المعظمتين بريطانيا وفرنسا التي لا ينكر فوائدها الا من ينكر التاريخ ، ويكفي لمعرفة أخلاق زعماء الاتحاديين ومقدار صدقهم ووفائهم انه لم يمض غير زمن يسير على عقد القرض الذي ساعدتهم به فرنسا وهم في أشد الحاجة اليه حتى انضموا الى أعدائنا وأعلنوا الحرب علينا واننا لانستدل على ما ذكرناه من أخلاقهم بهذا العمل دون سواه الا شهرته المستفيضة بين عموم الناس وقرب عهدنا به ، أضف الى ذلك ما يلقاه الاهالي العمانيون لافرق بين مسلمهم وذميرهم من ضروب العسف والجور اللذين يحجب ركامهما ضياء الشمس ، لا سيما ما ارتكبه القابضون على ازمة الحكومة من هؤلاء المتغلبة وأشياعهم أثناء هذه الحرب من ظلم أهل ذمتنا من الروم والارمن خلافا لما جاءت به شريعتنا المطهرة ، ثم نهجوا هذا المنهج في أبناء العرب بالشام والعراق وغيرهم مما هو معلوم الى يومنا هذا كما يقاعهم بأهالي العوالي التي هي احدى ضواحي المدينة المنورة من سبي مخدرات العرب وسوقن الى الثكنات العسكرية بما تاباه الشريعة الاسلامية والشهامة العربية

نعم اننا قننا ولا يزال قيامنا ومجاهرتنا بالعداوة والبغضاء مقصودا بهما أنور وجمال

وطلمت وشيعتهم . وانه ايشاركنا في ذلك كل مسلم عاقل حتى أفراد البيت العثماني، ودليلنا مع مشاركة هذا البيت الجليل اغتيال المتغلبة اعميده الشهيد السعيد ولي عهد السلطنة المغفور له المرحوم يوسف عز الدين . وانا نعتبراً منهم ونظير لهم العداوة والبغضاء، ويشترك معنا فيها كل بر وتقي من مسلمي البلاد العثمانية وسائر البلاد الاسلامية، بسبب ما أتوه من الوبال، وماجره على دولة الاسلام من الاضمحلال، حتى جعلوها ضحية لاغراضهم وغاياتهم النفسية . نبرأ الى الله منهم ونعلم انها كلمة حق عليها نحيما وعليها نموت . وكيف لا نقول هذا وامامنا من عبر الدهر ما نسرده على اخواننا المسلمين ليعلموه ويعوه

فان جمال باشا المتحكم في الشام واهلها قد أمر سكان ذلك القطر الاسلامي بأن يؤلفوا من مخدرات نسائهم جمعية نسائية، ثم أوعز الى هذه الجمعية أن تأدب له مآدبه في ناديها، وقد تم ذلك بالفعل وحضرها هو ورجال العسكرية والملكية ومن دعاهم من سائر رجاله واعوانه، وكان النسوة المسلمات أعضاء هذه الجمعية يباشرن اكرام ضيوفهن . وعند ختام الحفلة شرعن في القاء الخطب والانشيد بين تلك الجماهير من الرجال كما نشرت ذلك صحف سور ياعلى اختلاف مشاربها بمظهرة الاعجاب والفخر ارضاء لجمال باشا . فسبحان الله تعالى الذي يقول في محكم كتابه الكريم (يا أيها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين) (١) وقوله تعالى (٢) (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن

(١) وقع في جريدة القبلة غلط في هذه الآية نصه : أي لا يعرفن فيؤذين . وهو غلط مطبعي يوهم غير العارف ان معناه صحيح وما هو الا ضد المعنى الصحيح . فالمراد من الآية ان إدناء الجلابيب والمبالغة في الستر أقرب الى ان يعرفن أنهم حراً لا إماء فلا يؤذين أهل الرية . وسبب ذلك أن البغاء في بلاد العرب كان محصوراً في الاماء من عهد الجاهلية ولذلك قالت هند للنبي (ص) عند مبايعة النساء على ترك الشرك والسرقه والزنا : أو تزني الحرة ؟ فكان الفساق من المنافقين والمشركين يعرفون الاماء بتهتكهن فيتعرضون لهن فأمر الله تعالى المؤمنات بالستر ليتمرن به فلا يتعرض لهن الفساق ، ثم بطل البغاء بفسوخ الاسلام حتى تركه الاماء أيضاً (٢) لعل الاصل وقال تعالى أو : ويقول تعالى .

ويحفظان قروجهن ولا يدين زينتهن الا ما ظهر منها، وليضر بن بخدرهن على جيوبهن
ولا يدين زينتهن إلا لبعوتهن أو آبائهن ... الخ (٥)
من هذا يعلم صراحة مراد هؤلاء المتغلبين ومقاصدهم بالشرعية الإسلامية
والعادات العربية، وفيه عبرة وذكرى لآخواننا مسلمي البلاد العثمانية وسائر اخواننا
في اقطار الدنيا لتعضوا بذلك ولا يكون سبباً لاسترسال هؤلاء الطغاة في انتهاك حرمت
الله والجرأة على مخالفة أوامره لجاء يستفيدونه أو راتب يستزيدونه، فانه لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق، ومن كان قد وهبه الله تعالى قوة على تفسير المنكر بيده أو لسانه
أو قلبه فليفعل، ومن كان لديه ما يدافع به عن جرأة هؤلاء القوم المتغلبين فليأتنا به
فاننا ان شاء الله ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وإننا أو اياكم لعلى هدى أو في
ضلال مبين) (١)

شريف مكة وأميرها

نحريراً في ١١ ذي القعدة الحرام ١٣٣٤

[المنار] ماخص هذا المنشور ان زعماء الاتحاديين عرضوا الدولة للهلاك بالحرب
والظلم والبغي والعدوان، وعبثوا بدين الاسلام، وظلموا المسلمين والذميين، وان مسلمي
الترك وفي مقدمتهم بيت السلطنة يعلمون ذلك كالهرب ولكنهم غلبوا على أمرهم، وان بقاء
البلاد الحجازية خاضعة لهم يضرها ويضر أهلها ويوقمهم في الخطر من حيث لا ينفخ الدولة
ولا يفني عنها شيئاً، وان الواجب في هذا المقام العمل بما أمر به الرسول (ص) في قوله
المروي في مسند احمد وصحيح مسلم والسنن الرابع «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده
فان لم يستطع فبلسانه» الخ وبذلك عمل صاحب المنشور هو ومن معه من أهل الحجاز
فهم في مقدمة أهل الحل والعقد في الأمة ولو لم يكن معه غير اسرته الهاشمية وعصبتهم
واتباعهم من العرب لكفى بهم أهل حل وعقد في مهد الاسلام وأفضل بلاد الارض، ويلبهم
في هذه الصفة سائر الأمراء والزعماء في جزيرة العرب، ولم يبق في ديار الاسلام زعماء
أحرار غيرهم لان سائر علماء المسلمين وكبراءهم في الامتانة وهبها تحت قهر سلطة
عسكrique زمانها بأيدي ملاحدة الاتحاديين ونصارى الألمان. ولما كان شريف مكة

(*) سقط من جريدة القبلة ما بعد كلمة (إلا) الأولى الى (إلا) الثانية

(١) في جريدة القبلة «وإننا وإياكم» وهو غلط مطبعي طبعا

ومن شايعه من العرب قادرين على النهوض لمقاومة منكرات الأتحاديين قاموا بالواجب الايماني عليهم . وقد صرح في هذا المنشور بأنه اذا ظهر له خطأه في اجتهاده هذا يرجع عنه . وكفى بذلك حجة على جميع المسلمين

تقرير المطبوعات الجديدة

أهدي اليه في العام الماضي عدة مطبوعات جديدة من الكتب والصحف لم نجد فراغا من الوقت لنظر فيها نظرا يمكننا من إبداء الرأي فيها وان منها ما يبيحس حقه اذا كتب عنه في المجلات العلمية ، ما هو بمعنى الاعلان الذي ينشر في الجرائد السياسية ، وقد يمد طول الزمان على السكوت عنها ، أشد هضما لها وبحسنا لحقها ، فلها رأينا أن التنويه بها ، بما تملبه النظرة العجلى فيها ، ربما كان كالمحمد يفضل ناجرته المستمد الصدديان ، على القهر النسبي ، يخاف عليه النسيان ، وهو لا يمنع من إعادة النظر فيها اذا سمح الزمان ، وهذا ما جاد به الزمن الضنين الآن :

﴿ كتاب شرح البيع ﴾

(في القوانين المصرية والفرنسية . وفي الشريعة الاسلامية)

« تأليف محمد حلمي عيسى بك وكيل الادارة القضائية للمحاكم الاهلية بوزارة الحاقانية » شرح فيه أحكام عقد البيع في قانوني المحاكم الاهلية والمختلطة المصرية مستمدا من مصادرها — الشريعة الاسلامية والقانون الفرنسي — سالكا في شرحه مسلك المدقق المستقل بالفهم والرأي . فجاء سفرا كبيرا بلغت صفحاته بضع مئات . وطبعه في العام الماضي (١٣٣٤) في مطبعة المعارف طبعا جيدا على ورق جيد يليق به ، وقد أقبل عليه علماء القانون أي إقبال ، وأحسننت تقريره الصحيف أي إحسان . ان هذا المصنّف من الكتب التي يرجع الى مثلها الباحثون في فلسفة الشرائع والقوانين ، ويعتمدون على نقوله ومباحثه في المقابلة والتنظير بينها وتفضيل بعضها على بعض . فلو أتيح لي ان أوفيه حقه من التقرير والنقد فيما يعينني من مباحثه الدقيقة — وهو المقابلة بين الشريعة والقوانين — لكنت قرأت ما أورده من ذلك كله أو الكثير منه ، وبنيت ما يريني الله من الحق فيما أورده من الاحكام الشرعية ، التي اعتمد في أكثرها

على بعض كتب الحنفية ، وما فاته من الاحكام ، في كتب غيرهم من فقهاء الاسلام . فقد قال في مقدمة الكتاب انه جعل المقارنة بين القانون المصري بقسميه وبين الشريعة على كتاب مرشد الخيران الذي ألفه قذافي باشا ومجلة الاحكام العدلية التي أوجبت الدولة العثمانية على محاكمها المدنية الحكم بها . وذكر في أسماء الكتب التي كان يراجعها عند الشرح عدة كتب للحنفية والمالكية ، ولم يذكر بينها شيئاً من كتب فقه الشافعية والحنابلة ، على أن كتب هذين المذاهبين أجمع لدلائل الكتاب والسنة ، وكتب الشافعية منها أشد تنقيحاً ، وكتب الحنابلة أوسع طريقاً ، فلأن المؤلف عني بكتب الحنابلة وعلماء الحديث المستقلين كما عني بكتب الحنفية لكان علمه بالشريعة الاسلامية أوسع ، ومقابلته يذمها وبين القوانين أصح وأنفع ، ومن أجل هذه الكتب كتاب المفني للشيخ موفق الدين ابن قدامة و (المحلى) للإمام ابن حزم و (نيل الاوطار) للإمام الشوكاني . ومن أجل الكتب الباحثة في حكم الشريعة (اعلام الموقعين) للعلامة ابن القيم ، وأحسن ما كتب في العقود وأنفعه فيما نعلم هو ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية ونشر في مجموعة الفتاوى التي طبعت له . فعمل المصنف يعني بالرجوع الى أمثال هذه الكتب اذا تقحح الكتاب عند ارادة اعادة طبعه — ان شاء الله تعالى

﴿ تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها ﴾

(مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينهما من الملائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من أول عهد التاريخ الى اليوم ، المؤلفه نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر ، وصاحب تاريخ السودان) وهو مجلد ضخم تزيد صفحاته على ٧٧٠ طبع بمطبعة المعارف طبعاً جميلاً وأجمعت الصحف على حسن تفريلها والثناء عليه ، وما وفاه أحد منهم حقها ، ولا شرح للناس حقيقة وكنهه ، وقد كان اسم الكتاب حجاباً يخفي ما وراءه من الحقائق التاريخية والاجتماعية والسياسية والعلمية ، المتعلق أكثرها بالعرب والبلاد العربية ، من شؤونها الفابرة ، وحالتها الحاضرة ، — ولا يزال هذا الحجاب مسدوداً على تلك

المحدرات، ماأما طه الصحف عن ذلك الوجه ، ولا أظهرت كل ماوراءه من الجمال والحسن ، على ان كشف الحجاب عن أبكار المعاني ، ككشفه عن ابكار المعاني ، كل منهما يباح للخاطئين ، كما يباح للمحارم من الامل والاقربين ، وما أكثر من يبيحه للناس أجمعين ، فما بال ابكار مؤرخنا العربي لا تزال محجوبة عن خطابها المتعددين ، وذوي قراباها الكثيرين ، بذلك الاسم الذي لا يدل الا على جزء من مسماه ، كما حجب استعداد أمتنا العربية بالاستعداد الذي يفشاه ، وحجب ما في وطننا العربي من الآثار والمعادن بجمل الحاكم الذي يتولاه ؟

ألا أيها الخطاب ، لتلك الابكار العرْب الاتراب ، لقد نصب الله لكم من يرفع عن محاسن وجوههن الحجاب ، وان كان يخفض من أفكار من في مصر من دعاة السفور ، الذي يجزم بأنه مزيد في التهتك والفجور ، ولكنه قبل رفعه ، يبين لكم سبب وضعه ، فيقول :

إن الموائم لما أتت له الوقوف على تلك الحقائق التي يجهلها الا كثرون من تاريخ سيناء عز عليه أن تبقى مجهولة ، كما هو شأن محبي العلم الذين يتعبون في تحصيله وتمحيصه ، فعمد الى تقييد أو ابدائها ، وقنص شواردها ، بعد أن قتل مسائلها بالبحث والتدقيق تقتيلا ، وفصل القول فيها تفصيلا ، فجاء تاريخا مطولا لهذه البقعة الغامرة ، لم يوضع مثله لأعظم أقطارنا العامرة ، فكان مظنة الانتقاد بأنه اشتغال بالكأالي من جزئيات تاريخ بلاد أمتنا العربية ، قبل الوصول الى ما يفي بالحاجة من مباحثه الكلية ، وكان مؤرخنا اللوذعي لمح بلحظ الغيب ذلك الانتقاد يجول في مطاوي الافكار ، بعد ان تمثل بين يديه تاريخ سيناء سفرا من أكبر الاسفار ، فاراد أن ينظم تلك المباحث الكأالية في سلك الضروريات ، فوضع للكتاب خاتمة كانت كالمقصد من الوسيلة أو كالنتيجة بعد المقدمات

ذلك بأنه لما كانت سيناء معقد الانصال والارتباط بين أعظم الاقطار العربية ، أعني جزيرة العرب ومصر وسورية ، جعل خاتمة التاريخ التفصيلي لها ، خلاصة تاريخ الاقطار التي تحيط بها ، ولما كانت فائدة التاريخ هي العظة الاعتبار ، وكان الفراغ من هذا الكتاب في إبان هذه الحرب التي خاضت غمراتها الدول السائدة على تلك

الاقطار، والتي يتبدل بها ما يتبدل من احوال الامم والاطوار، — ذكر قومه الاقربين
سوريين ومصريين، ومن وراءهم من العرب اجمعين، بان اصل اروماتهم واحد
وهو الجنس العربي الكريم، والاصل الذي ينتمي اليه انبياؤهم المرسلون في ملهم
ونسبهم واحد وهو خليل الله ابراهيم، وبأن لغتهم واحدة وهي العربية، وكذلك
عادتهم ومصالحهم الاجتماعية والاقتصادية، وهل يعذر أحد على الرضا بالخلاف
والفرقة، بعد تجارب هذه الجواذب والدواعي الى الوفاق والوحدة؟ كلا، لا عذر الا
الجهل أو عصبية الجاهلية، وهاك شذرات منه في بيان هذه الحقيقة وحججها الخلية،
قال المصنف في تمهيد خاتمه الحسنى :

١ — « ان الباحث في تاريخ مصر والشام والعراق كلما تعمق في البحث
وجد أن معظم سكان هذه البلاد كانوا في كل عصور التاريخ — كما هم في هذا
العصر — عرباً أو من أصل عربي (١)، وكان لغتهم العربية أو اختلاها (٢) وعليه
فأول الصلات التي تربط هذه البلاد بعضها ببعض وأهمها هي الصلة الجنسية العربية»
ثم إنه جاء بزبدة تاريخ هذه البلاد ايضاً حال هذه الحقيقة وقد بدأ بمخلاصة تاريخ العرب
مهد العرب

٢ — ذكر في بيان مهد العرب ان أوجه الآراء في مهد الجنس السامي اثنان
(أحدهما) رأي مفسري التوراة وهو انه جزيرة العراق. (ثانيهما) رأي بعض علماء
التاريخ واللغات والعاديات (٣) — وفي مقدمتهم العلامة روبرتس سمث الانكليزي —
وهو ان مهده جزيرة العرب (قال) « ومنها تفرق في الشرق قبل التاريخ كما تفرق
العرب المسامون في صدر الاسلام، ولهم على ذلك أدلة لغوية اجتماعية، ومن أدلتهم اللغوية
ان اللغة العربية هي أقرب أخواتها — السكلدانية والسريانية أو الارامية والعبرائية
والحبشية — الى اللغة السامية الاصلية، وان في الارامية والعبرائية آثار الحياة البدوية العربية
» ومهما يكن من أمر ذلك المهد فانا نرى العرب قد أسسوا في جزيرتهم عدة

(١) ان الذين لم يسموا عرباً كدول الفراعنة والفينيقيين كانوا او كانت دول
الحضارة منهم من أصل عربي (٢) ان السريانية والعبرائية تعدان اختين للعربية
لان أصلهما واحد سامي مهده الاول جزيرة العرب (٣) هي آثار الامم القديمة
نسبة الى عاد الاولى العربية ثم صارت عامة

ممالك اشتهرت قديما وحديثا، وخرجوا من جزيرتهم للفتوحات غربا الى سينا ومصر
وافريقية الشمالية، وشرقا الى العراق وباكستان، وشمالا الى سورية وآسية الصغرى،
فأسسوا فيها عدة ممالك قبل الاسلام وبعده . فكان مهد العرب ومسرحهم منذ
القديم من المحيط الاطلسيكي شرقا وغربا ومن أعالي الفرات ودجلة والبحر المتوسط
الى أقاصي السودان شمالا وجنوبا «

العرب البائدة في العراق ومصر وسورية

٣ — ذكر من تاريخ العرب البائدة أنهم كانوا يسكنون ما بين العراق
والعقبة، وينقلون التجارة ما بين بابل ومصر . ثم قال : « وما زالوا حتى ظهر منهم في
القرن الثالث والعشرين (قبل المسيح) ملك اسمه [حمورابي] فأسس مملكة قوية
عرفت « بدولة حمورابي » بلغت اسمى ما وصلت اليه دولة في العهد القديم من الرقي
الادبي والمادي . واشتهرت على الخصوص بسن الشرائع والقوانين وبناء الهياكل
والقصور، واستمرت حاكمة الى أواخر القرن ال ٢١ قبل المسيح «

« وذكر مؤرخو العرب ان العمالة هم الرعاة (الهكسوس) الذين ملكوا مصر
في مدة الدول الخامسة عشرة الى السابعة عشرة . ويظن الآن ان سكان مصر
وايثوبيا الاولين الذين سكنوا النيل قبل التاريخ هم عرب هاجروا اليه من جزيرة
العرب عن طريق سينا أو وفاز باب المنذب كما سيجي
« هذا وسرى في تاريخ سورية أن معظم سكانها الاولين هاجروا اليها من
جزيرة العرب وأسسوا فيها دولاشي «

ثم ذكر خلاصة مفيدة من تاريخ العرب المتعربة والمستعربة من القحطانيين
والعدنانيين واستطرد الى ذكر خلاصة تاريخ ظهور الاسلام وامتداد دعوته وفتوحه
ودوله من العرب وغيرهم ختمها بالدولة العثمانية ، وما انتهت اليه حالها في عهد طغاة
الاتحاديين من اضطهاد العرب والعربية ، وتقحمهم بالدولة أخطار هذه الحرب
الاوربية ، وحكم عليهم بأنهم أضعوا بذلك ملكهم مهما تكن عاقبة هذه الحرب
مستقبل جزيرة العرب

٤ — وقال في شأن مستقبل جزيرة العرب بعد الحرب ما نصه (ص ٦٦١)

« وأما جزيرة العرب فالطبيعة ورجالها تحميها ، وقد أعلن الخلفاء استقلالها تحت يد أمراءها ، وأصدر (الجنرال السرجون مكسويل) القائد العام البريطاني بمصر منشورا وجهه الى « العرب الكرام » بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩١٤ جاء فيه ما نصه : « [ان جلالة الملك جورج الخامس ملك الانكليز قد أعلن أنه لا يتخذ إجراءات حرية برية أو بحرية في بلاد العرب أو في موانئها ما لم تمس الحاجة الى ذلك قصد حماية مصالح العرب من اهتداء الترك وغيرهم أو إنجاد من ينهض من العرب للخلاص من ربة الترك] »

وبعد وصف جزيرة العرب وبيان حالها وسكانها في هذا المصغر عقد فصلا

ثانيا خلاصة تاريخ سورية (ص ٦٧٥)

٥ - بين المؤرخ ان شعوب سورية القديمة هم الاراميون والكنعانيون والحثيون والبرانيون والفلسطينيون والفينيقيون (قال) « وكلهم هاجروا اليها من جزيرة العرب أو العرق الانطلسطينيين » أي والذين هاجروا اليها من العراق كانوا من جزيرة العرب فهاجروا الى العراق قبل الهجرة الى سورية . و « أو » في كلامه لمنع انخلولا لمنع الجمع فالتحقيق ان من عرب الجزيرة من هاجروا الى سورية توا ومنهم من هاجر الى العراق توا ثم هاجر بعضهم الى سورية وبعضهم الى مصر وبعد ان قال في كل شعب من هؤلاء الشعوب قولا وجيزا مفيدا وشكنا من هدم اجتماع كلمة السوريين في كل عصر من العصور ومن ضعفهم بانقسامهم واختلاف افراضهم وأديانهم . وذكر ان عددهم الآن ثلاثة ملايين

٦ - ثم ذكر خلاصة تاريخ العراق وذكر في السكك القديمة والحديثة من السككانيين الى العثمانيين وذكر أن عدد سكانه يقدر الآن بثلاثة ملايين ايضا نصفهم بدو ونصفهم حضر وكلهم عرب الا قليل من الاكراد . (*)

(*) استطرد المؤرخ هنا الى ما لم يستطرد الى مثله في سورية من ذكر البيوتات فبدأ بذكر الفاروقيين وقال انهم يسكنون الموصل وفاته أن منهم فرعا في بغداد أيضا. وثنى بذكر السادة العلويين وقال انهم يسكنون الموصل وبغداد والبصرة. وثالث بذكر السويديين من سلالة الخلفاء العباسيين قال وكلهم في بغداد. ثم ذكر الجيلانية والألوسية في بغداد. وفاته أن هذين البيتين من بيوت السادة العلوية أيضا. =

٧ - ثم انتقل المصنف الى خلاصة تاريخ مصر فبدأه بقوله :

[« كان المشهور الذي عليه الجمهور ان سكان مصر القدماء هم أبناء مصر ايم ابن حام بن نوح - هاجر اليها من آسية ، ولكن بعض المتضامين من اللغة الميروغليافية اكتشفوا حديثا أن هذه اللغة ولغة العربية السامية هما من أصل واحد كما مر . فاذا ثبت هذا كان سكان مصر الاولون أجداد القبط الحاليين هم من أصل عربي قديم « وكان هذا هو الفتح العربي الاول لمصر »] اهـ .
ثم تكلم على دولة الرعاة الذين سماهم اليونان (هكسوس) أي الملوك الرعاة وهي كلمة محرفة عن كلني (حق شاسو) ^(١) في لغة قدماء المصريين ومعناها « ملك البوادي » وسماهم مؤرخو العرب المماثلة كما تقدم آنفا ، وذكر خلاف المؤرخين فيهم وقول ياقوت « إن المماثلة امتدوا من بلاد العرب الى سورية فكانوا ملوكا في سورية وفراعنة في مصر » ثم قال

[وخلاصة القول أنهم قوم رحالة أو عرب أتوا من المشرق » فاذا ثبت ذلك كان هذا هو الفتح العربي الثاني لمصر ، والظاهر أنهم كانوا من جنس عرب سورية لان في أيامهم عم السلام بين مصر وسورية ، ونزح كثير من السوريين الى مصر] اهـ .
٨ - ثم ختم المصنف خاتمة الكتاب بالكلام على مهاجري قومه السوريين

= وكان ينبغي أن يبدأ بذكر السادة الملوية ويقولون أنهم يوجدون في جميع الولايات العراقية كما يوجدون في جميع الولايات السورية وغيرها وان أشهر بيوتهم في العراق بيت النقيب وبيت الالوسي في بغداد وبيت النقيب في البصرة . وقد ذكر من آل الالوسي السيد محمود شكري وقال انه مروج مذهب السلف (الوهاية) في العراق وذكر الوهاية هنا غلط مبني على أغلاطه أخرى عند ذكر هؤلاء في الكلام على نجد فانه جعل الحنابلة غير الوهاية ونسب الى الوهاية ما لا يقوله أحد ممن يطلق عليهم هذا اللقب . ولا عجب فقد اغتر كثير من الناس بما كتبه دحلان وغيره عن هؤلاء الناس ، وما ذلك الا من فتن السياسة أعادنا الله من إفكها وتضليلها .

(١) يحتمل أن يكون كلمة شاسوا من مادة شاس بشوس فهو اشوس وهم اشاوس . والاشوس يطلق على المتكبر وأصله من يصغر عينيه وينظر بمؤخرها أو من ينظر الى الشيء نظرا احتقار - وعلى الشجاع والطويل القامة ، وكذلك كانت العمالة ورعا كانت كلمة حق بمعنى ملك بكسر الميم كما يستعملها أهل الحجاز الآن

«هـر فأشار إلى اليهود والمسلمين منهم إشارة وجيزة في صفحة واحدة لقلّة عددهم وتوسّع في ذكر النصارى - قول - (وهم من نفي بالنعصر السوري عند التخصيص) أي عند الاطلاق ، فذكر قدماءهم وتأخرهم وقدر عددهم بسبعين ألف نسمة وبنوتهم بخمسة وعشرين مليوناً ، وذكر أنديتهم وجمعياتهم الخيرية وصحفهم الحية والميتة . ورؤساءهم الروحانيين وبيوت الثروة فيهم ومحال التجارة الواسعة لهم ومكتباتهم ورجال الجيش والقضاء والكتاب وكبار الموظفين منهم وأصحاب الفنون

مستقبل سورية بعد الحرب

وقفى على ذلك بالكلام على مستقبل سورية بعد الحرب فقال ان السوريين على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم السياسية يتفق كلهم أوجاهم على أربعة أمور (١) السخط على الاتحاديين سرا وجهرا لدخولهم في الحرب الحاضرة (٢) الميل الصادق الى الحلفاء في هذه الحرب (٣) إنشاء حكومة جديدة على مبادئ الامر كزية الشورية تضمن لهم الامن والراحة والنجاح في بلادهم مع المحافظة على لغتهم وتقاليدهم وعاداتهم ووحدتهم القومية (٤) شعورهم بالحاجة الى دولة من دول الحلفاء العظام يستعينون بها على تنظيم حكومتهم الجديدة . ولكنهم يختلفون في كيفية إنشاء الحكومة وتنظيمها ، ثم في نوع المساعدة التي يتطلبونها ومقدارها

قال « نعم ان هناك فئة لا يهمهم الاحتفاظ بقوميتهم ما دامت البلاد ممتعة بأسباب الامن والراحة والرفق . ولكن هؤلاء هم فئة قليلة جدا ، والسواد الاعظم من أهالي سورية من مسلمين وبنصارى ويهود متمسكون بقوميتهم ولغتهم وعاداتهم كل النسك . وأهل الخبرة منهم يقولون انه لا يكون للسوريين كلمة نافذة ولا مكانة سياسية ولا شأن ولا مةم ولا راحة ولا سلام في بلادهم أو خارج بلادهم الا اذا احتفظوا بقوميتهم ، وتحدوا في الرأي على اختلاف المذاهب والاديان

« واهم الاسباب التي تدعو الى اتحادهم ثلاثة - ١ - أن يتخذوا أساس المعاملة المصلحة العامة الوطنية ليس الا - ٢ - ان يتذكروا انهم كلهم من أصل واحد عربي أو سامي ، وانهم كانوا عربا أو ساميين ، قبل ان كانوا يهودا وبنصارى ومسلمين ، - ٣ - أن يحافظوا على لغتهم العربية لانها لغة راقية ، ولانه لاشيء

يقرب العاصر المتنافرة ، مثل الاجماع على لغة واحدة »
وتكلم بعد ذلك في مسألة نهجس السوري بالجنسية المصرية فيبين المرغبات
فيها وأضدادها ، وأنها ان هواء مصر شديد الوطأة على المهاجرين الى مصر من البلاد
المتدلة كسورية فهو لا يزال يضمهم الى ان ينقرضوا ، والنصارى منهم وان كثروا
يبقون عنصرا ضعيفا منفردا بسبب الفارق بينهم وبين العنصر الأكبر - وهم
المسلمون - في الدين وعدم الاختلاط بالزواج .

ثم نصح للسوريين بعشر نصائح ، قال انها منتهى ما بلغ اليه اختباره بعد ان
جاوز الحنين ، وقضى في مصر منها أكثر من ثلاثين ، وهي

(١) ان لا يفتسبوا الى الاصول السائدة في مهاجرهم مستحيين بأصلهم السوري
وهم احفاد الحثيين والفينيقيين السابقين الى الاختراع والاكتشاف « وأنصار ابراهيم
وموسى وعيسى ومحمد الذين كانوا أول من نادى بوحدانية الله وهذب الاخلاق
وشاد الاديان التي تسود العالم الآن » ٢ - قوله « ليكن ارتباطكم بوطنكم لاصلي
حيا ما يمكن لتبديل الهواء أو تجديد الدم بالزواج » وأدرج في هذه الحث على الزواج
الباكر والرياضة البدنية - ٣ - قوله « اتم في مصر عنصر ضعيف فاستعينوا على ضعفكم
بقوات ثلاث : العلم الشريف والمال الخلال والخلق الحسن ، واحذروا آفات ثلاثا :
المسكر والمنكر والقمار » - ٤ - احث على الحرف الراقية من علمية وادبية وزراعية وصناعية
وخاصة التجارة مع النهي عن الربا - ٥ - الترغيب عن خدمة الحكومة وقال في الموظفين
منهم : ربما كان مجموع ثروتهم في القطر المصري كله لا يساوي ثروة تاجر أو مزارع
واحد من تجارهم أو مزارعيهم الكبار » - ٦ - تكريم نوابغهم وإجلال أفاضلهم وتقويم
المسوج منهم تحقيقا للتضامن الذي يجعلهم كأنهم أسرة واحدة - ٨ - التعاون على المنافع
والمصالح العامة كانشاء المعابد والمدارس والمستشفيات ، وعدم تكريم الغني الذي يقصر
في ذلك - ٩ - قوله « لاتدعوا الاختلافات المذهبية التي أورثتكم الشقاق والشقاء في
بلادكم ترافقتكم الى دار هجرتكم فتكدر صفاءكم وتجرمكم لذة التمتع بالالفة الجنسية »
وذكر من وسيلة ذلك كثرة الاندية وارتباط بعضها ببعض - ١٠ - طاعة السلطان
وقانون البلاد والعمل لرفع الامة المصرية والحرص على توامتها . وحتم الكلام أو

الكتاب بايات في الجمع بين حب مصر والشام وجعل قلبه شطرين بينهما ومني
تماقهما عناق الاخاء الى المنتهى

﴿ جريدة القبلة ﴾

« جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الاسبوع ، بخدمة الاسلام
والعرب » مديرها المسؤول محب الدين الخطيب
انشئت هذه الجريدة بمكة المكرمة في شهر شوال سنة ١٣٣٤ هـ ومحب الدين الخطيب
المدير لثبوتهما هو صديقتنا المشهور في عالم الصحافة باشتغاله عدة سنين بالتحرير والترجمة
في جريدة المؤيد بمصر ، ومن المحررين لها صديقنا فؤاد الخطيب الشاعر الاديب المشهور
الذي كان استاذ الامة والآداب العربية في مدرسة فردون الكلية في السودان
واننا نرى ان ارفع ما ينشره محب الدين فيها بهد منشورات سيدنا الشريف
الخطبة هو ما يترجمه عن الكتب والصحف التركية مما يبثه في الشعب التركي كتابه
من الثابتة الجديدة المتفرجة (حزب تركية الفتاة) الذين تعتمد عليهم جمعية الاتحاد
والترقي في تحويل الترك عن الاسلام بالشكيات في عقائده وشريعته ، والشوية
لا دابة وفضائله ، والمحو لصيفته من القلوب واستبدال صبغة جنسية تورانية بها .
ويستفبس بعض ما نشرته من ذلك

قيمة الاشتراك في هذه الجريدة المفيدة ريال مجيدي ونصف في الحجاز وعشرة
فرنكات في سائر الاقطار ، وهي قيمة قليلة لعلمها لا تفي بنققات الجريدة ، الا اذا
كثر المشتركون فيها فصار أوفاً كثيرة . لان الورق والخبز قد تضاعفت أثمانهما في
هذه السنين كما تضاعفت أثمان أ كثر ما تصدره أوروبا من مصنوعات ، بهد ان شغلتها
الحرب بأوزارها عن كل ما عداها

ونحن نحث الشعب العربي والعارفين باللغة العربية من كل من يصلي الى القبلة من
سائر الشعوب على الاشتراك في هذه الجريدة وشد أزرها ، ونحث أرباب الاقلام منهم
على مواصلة ما نجود به قرائحهم من المقالات والاخبار والآراء المنيرة للجامعة العربية
اول الامة الالامية ، ونحمد لله تعالى أنه لا تنافي بين المصلحين لاسلامية والعربية
كما بيننا ذلك في مقال في كده المسألة العربية ضاقت عنسه أجزاء المنار الماضية وهذا

الجزء أيضا، وسينشر عند أول فرصة ان شاء الله تعالى، وأما العصبية التركية الطورانية التي قام بها الاتحاديون ووقفوا مال الدولة ونفوذها على تأييدها فهي تنافي الاسلام وتعارضه وذلك بديهي في نفسه وسنعيد ما نشرناه في تأييده بما يزيد إيضاها وظهورا وقد كان الواجب على المثار ان يبادر الى تقرير هذه الجريدة في أول جزء صدر منه عقب ظهورها خلافا لعادته في إرجاء تقريرها المطبوعات، ولكن لكل أجل كتاب، وإنما صرحنا بهذا ليعلم قراء المثار في الاقطار أن تأخيرنا لتقريرها لم يكن لقلة العناية بشأنها، اذ نبهنا الى ذلك ما كتبه لنا بعضهم في السؤال عنها حتى من بعض مهاجري السوريين في أمريكا
(مجلة الاحكام الشرعية)

مجلة قضائية شرعية مشهورة ومنشئها حسن بك حماده المحامي الشرعي مشهور أيضا فلا حاجة الى التعريف بهما، وقد كانت المجلة حجبت عن قرائها في أثناء سنتها التاسعة بسبب تعيين منشئها قضايا بنظارة الاوقاف في الآستانة ثم انه أعاد إصدارها في العام الماضي فأتى مجلد السنة العاشرة واستمر على إصدارها وقد صدر العدد الاول من مجلد السنة الحادية عشرة في منتصف المحرم مشتملا على مقدمة مختصرة واتسع قرارات شرعية وحكمين وثلاث قرارات للمجلس الحسبي العالي وسبع منشورات من وزارة الحفائية وقد صارت المجلة وافية بماجاجة المحامين الشرعيين وأصحاب القضايا والمباحث القضائية الشرعية بما تستوعبه من نشر الاحكام الشرعية ومنشورات الحفائية للمحاكم الشرعية وقرارات المجالس الحسبية ولذلك كثر الاقبال عليها من جميع جهات القطر فهنيئ صديقنا منشئها ونتمنى له دوام التوفيق والارتقاء
(الثمرات)

جريدة أسبوعية أدبية اتقادية لمنشئها حسن أفندي السندوبي المشهور في عالم الادب بمقالاته في المؤيد و بكتابه (أعيان البيان) أصدرها في العام المنصرم ولم يمض في سيره لاسباب ذكرها، وقد أعاد إصدارها في هذا العام فترجوها الرواج. وقيمة اشتراكها ١٠٠ قرش في القطر المصري

﴿ رحلة الحجاز ﴾

ضاق هذا الجزء عن نشر شيء من رحلتنا الحجازية وموعدنا الاجزاء الآتية

فيشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٢٩ صفر ١٣٣٥ - ٤ الجدي (ش ١) ١٢٩٥ هـ ش ٢٥ ديسمبر ١٩١٦

فتاوى المفتان

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يغير ما شاء من الألقاب ان شاء. وانا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً وربما قد صا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ هل البسمة آية من كل سورة أم لا ﴾

(س ١٠) من صاحب الامضاء في العلاقة (شرقية)

بسم الله الرحمن الرحيم

تحية الله مباركة طيبة وسلامه عليكم. وبعد فلما داني فضلكم وهداني الاطلاع على ما نخط براعكم الى ساحة يمكم الذي يفترق منه القاصي والداني سجال العلوم والمعارف قتروى به الظماى ويسترشد به المسترشدون - تلك مجلة المآز الغراء التي تفتخر بتاييم الحكمة من بين سطورها - بعثت اليكم رسالتي هذه أمتعتيكم في مسألة متعلقة بالبسمة طال بين الائمة النزاع والمجادلة فيها، وتلك المسألة هي هل «بسم الله الرحمن الرحيم» آية من الفاتحة ومن كل سورة أم لا؟ اختلفوا فيها فذهب كل فريق الى شق من شقي ذلك الاستفهام ونصب على ما يدعيه الدلائل، غير أنه بالاطلاع على شواهد كل يعلم أنها لا تفتج مدعاه، فلقد تركوا الامر مريجا وظل كل يعول على ترجيح مذهبه كأننا ما كان، غير مبال بسرد الاحاديث المتعارضة، ونقل الآثار المتناقضة، صحيحة كانت أم ضعيفة. قالوا انمقد الاجماع على أن البسمة آية من القرآن، ويروى ضمن أدلة فريق آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما «من ترك لبسمة فقد ترك مائة وأربع عشرة آية من كتاب الله عز وجل» مع تصريحهم بأنه لاخلاف في أن البسمة ليست آية من (براءة) حتى لقد نقلوا الاجماع على ذلك، فبين ماروي عن ابن عباس وبين ذلك التصريح التناقض الظاهر، إذ مقتضى قوله

مائة وأربع عشرة آية أنها آية حتى من (براءة) وفي الأدلة من ذلك التناقض كثير لهذا لم يهتد طالب الحق اليه فبعثت اليكم عسى أن توافوني ببيان شاف وقول فصل تطامن اليه النفس ، كما هو المهود فيكم لمثل هذا الموقف ، أمدكم الله بسديد الرأي ، وأعانكم على ما يرفع الاسلام وينفع المسلمين ويعزز الحق ، إنه هو العزيز الحكيم ما
احمد عطية قوره

(ج) في المسألة أدلة قطعية وأدلة ظنية ، والقاعدة في تعارض القطعي مع الظني أن يرجح القطعي اذا تعذر الجمع بينه وبين الظني ، ولولا التخصيب للمذاهب من قوم والاسانيد من آخرين لأجمع المحدثون والفقهاء والمتكلمون على أن البسمة آية من كل سورة غير براءة (التوبة) كما أجمع الصحابة على كتابتها في المصاحف وكما أجمع القراء السبعة المتواترة قراءاتهم على قراءتها واقراءها عند البدء في كل سورة غير براءة — فهذا دليلان قطعيان أحدهما خطي متواتر والآخر قولي متواتر يؤيدهما كثير من أحاديث الاثبات الصحيحة ، فوجب الرجوع ما ورد من أدلة النفي الظنية الى الاثبات والا فلا يعتد بها ، وان صحح سندها . ومنها ترك بعض القراء السبعة لتلاوتها في السورة التي توصل بما قبلها . أما دعوى انها كتبت في المصاحف للفصل بين السور فلو كانت صحيحة لكتبوها بين سورتي الانفال وبراءة (التوبة) أيضا . ومن المعلوم بالقطع ان الصحابة ومن اهتدى بهديهم لم يكتبوا في المصاحف شيئا غير كلام الله تعالى . وأما حديث ابن عباس كان رسول الله (ص) لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم رواه أبو داود والحاكم وصححه على شرط الصحيحين والبخاري بسندين رجال أحدهما رجال الصحيح — فهو حجة على ان البسمة كانت تنزل مع كل سورة ، لانها آية كتبت للفصل بين السور بالاجتهاد ، وقد توفي صلى الله عليه وسلم ولم يأمر بكتابتها في أول سورة براءة ، وعلموا ذلك بنزولها بنقض عهد المشركين وبالسيوف .

وأما أحاديث الاثبات (فمنها) حديث « نزلت علي آتفا سورة — فقرأ — بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكون » اطلع رواه مسلم والنسائي عن أنس . (ومنها) : سئل أنس كيف كانت قراءة رسول الله (ص) فقال كانت مديا . ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم — بمد بسم الله ومد بالرحمن ومد بالرحيم . رواه البخاري ، وفي معناه حديث أم سلمة عند أحمد وأبي داود والدارقطني وقد قرأت الفاتحة كلها بالبسمة . (ومنها) عدة أحاديث لأبي هريرة — قال نعم الجمر : صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بام القرآن — الحديث وفيه — ويقول اذا سلم : والذي نفسي بيده اني لأشبهكم صلاة برسول الله (ص) رواه النسائي وصححه ابن خزيمة

وابن حبان والحاكم وقال علي شرط البخاري ومسلم، وقال البيهقي صحيح الاسناد وله شواهد (ومنها) قوله عن النبي (ص) كان اذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح بسم الله الرحمن الرحيم رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات، ولكن اختلف غيره في عبد الله بن عبد الله الاصبهاني من رجاله. ومن الاثار في المسألة أن عليا كرم الله وجهه سئل عن السبع المثاني فقال: الحمد لله رب العالمين. أي سورة الحمد لله - الخ. فقيل له: انما هي ست، فقال بسم الله الرحمن الرحيم. رواه الدارقطني وقال رجال اسناده كلهم ثقات. ومنها انكار الصحابة على معاوية ترك الجهر بها رواه الشافعي عن انس والحاكم في المستدرک وقال علي شرط مسلم قال: صلى معاوية بالناس بالمدينة صلاة جهر فلم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر في الخفض والرفع فلما فرغ ناداه المهاجرون والانصار: يا معاوية تقضت الصلاة، أين بسم الله الرحمن الرحيم وابن التكبير اذا خفضت ورفعت؟ فكان اذا صلى بهم بعد ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبر. ولعل المراد الجهر بذلك والاعاد الصلاة اذا لم يذكر مثله بجهر كون البسمة منها. ويحتمل ان يكون أعادها وان لم يذكر في هذه الرواية.

واما احاديث النفي فاقواها حديث أنس: صليت مع النبي (ص) وابي بكر وعمر وعثمان فلم اسمع احدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والشيخان واصحاب السنن وله ألفاظ اخرى، ومنها: فكانوا لا يجهرون بسم الله الرحمن الرحيم. رواه احمد والنسائي باسناد على شرط الصحيح وابن حبان والدارقطني. وفي رواية اخرى نفي السماع لا القراءة. وفي لفظ لابن خزيمة: كانوا يسرون الخ وقد اعل المثبتون حديث انس هذا بالاضطراب في متنه، وبما روي من اثبات الجهر بها عنه وعن غيره. وقال بعضهم انه كان نسي هذه المسألة فلم يجزم بها. قال ابوسلمة سالت انسا اكان رسول الله (ص) يستفتح بالحمد لله رب العالمين او بيسم الله الرحمن الرحيم؟ فقال انك سالتني عن شيء ما احفظه وما سالتني عنه احد قبلك. الحديث رواه الدارقطني وقال هذا اسناد صحيح ومن أدلة النفي ما صح في الحديث القدسي من قسمة الصلاة بين العبد والرب نصفين وفسرها (ص) بقوله «فاذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله عز وجل حمدني عبدي» الخ الحديث رواه مسلم واصحاب السنن الاربعة. والاستدلال بترك ذكر البسمة فيه على عدم كونها من الفاتحة ضعيف ولو صح لاصح أن يستدل به على كون سائر الاذكار والاعمال ليست من الصلاة.

والقول الجامع ان النبي (ص) كان يجهر بالبسمة تارة ويسر بها تارة. وقال ابن القيم ان الاسرار كان اكثر. وذهب القرطبي في الجمع بين الأحاديث الى ان سبب الاسرار بها قول المشركين الذين كانوا يسمعون القرآن منه: محمد يذكر له اليمامة. يهنون مسيلمة الكذاب لانه سمي الرحمن أو أطلقوا عليه لفظ رحمن بالتنكير كقول مادحة: وأنت غيث الوري لازالت رحمانا. وكانوا يشاغبون النبي (ص) بانكار تسمية الله عز وجل بالرحمن كما

علم من سورة الفرقان وغيرهما، فأمر (ص) بأن يخافت بالبسملة. قال المحكم الترمذي فميتي
الى يومنا هذا على ذكر الرسم وان زالت العلة. روى ذلك الطبراني في الكبير والأوسط،
وذكره النيسابوري في التيسير من رواية ابن جبير عن ابن عباس، وقال في جمع
الزوائد ان رجاله موثقون

وصفة القول ان أحاديث الاثبات أقوى دلالة من أحاديث النفي. وأولى
بالتقديم عند التعارض واذا فرضنا أنها تعادلت وتساقطت أو رجح المنهي على المثبت
بخلاف القاعدة جاء بعد ذلك إثباتها في المصحف الامام في أول الفاتحة وأول كل سورة
معدا براءة (التوبة) وهو قطعي ينهزم امامه كل ما خالفه من الظنات وقد أجمع
الصحابة على ان كل ما في المصحف فهو كلام الله تعالى اثبت كما نزل سواء قرئت
الفاتحة في الصلاة بالبسملة جهرا أو سرا أم لم تقرأ، ولا عبرة بخلاف أحد بعد ذلك
ولا برواية احد يزعم مخالفة أحد منهم لذلك. ولا حاجة مع هذا الى تتبع جميع ما ورد
من الروايات الضعيفة والاثار والآراء الخلافية، ومن ذلك اثر ابن عباس المذكور في
السؤال. ولولا التطويل الممل بغير طائل لأوردنا كل ما ورد في المسألة رواية ودراية.

﴿ تصحيح وتنقيح في مجلد هذا العام ﴾

صفحة سطر خطأ	صواب	صفحة سطر خطأ	صواب
٢٠١ ٣ وكلا	وليا	٢٣٦ ٢٥ في طريفة	في اطراذه وطريفة
» » تأومرتي	تأومروني	٣٣٧ ٤ تعقلون	يعقلون
٢٠٢ ٢ ففتقهما	ففتقناهما	٣٣٨ ١٨ (وهو)	(وهي)
» ١٨ الرسل	الرسول	٣٤١ ٢٤ أحدا	أحد
٢٠٥ ٥ كان ماضره	كان ضره	٣٤٤ ٧ أن	أنه
٢٠٧ ١٤ تدعو	تدعوا	» ١١ مأخذ	مأخذه
٢٠٨ ١٢ على	عليه	٢٤٦ ١٦ يقيمون	يقومون
» ١٣ بكل وصف	بكل ما وصف	٢٤٧ ١٦ هو	ضمف
٢٠٩ ٢١ يا آبانا	يا أبانا	٢٤٨ ١٣ صوت الامة	صوت الحق الذي كان له السلطان
٢٣١ ٢٣ الصمد للوصوف	الموصوف للصفة	» ١٤ التي	

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٩	٧	ثالثة	ثانية
٢٥٢	٢٢	ومطيعا	مطيعا
»	٢٤	الناطقة	الناطقة
٢٥٣	٢٢	الضعية	الضعيفة
»	١٢	يدعوا	يدعو
٢٥٤	٢٢	عملية	علمية
٣٨٩	٧	الى الكذب	الى رواية الكذب
٣٩٢	٢	ان كانت	اذلم تكن
»	»	آية	أول ما نزل
»	»	والا	
»	٤	فهي	أوهي
»	٦	قد	وقد
»	٢٢	لاذى	لاذى
٣٩٩	١٣	المؤمنون	المؤمنين
»	١٤	عن	بذلك عن

ذكرى المولد النبوي

كتبنا رسالة في ذكرى المولد النبوي الشريف بينا فيها كيفية نشأة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام ومعنى اصطفاؤه الله تعالى له ولاهله بيته ولقومه ولأمته، وحكمة ظهوره في العرب الاميين دون شعوب المدينة في عهده، وخبر البعثة والدعوة الاسلامية. وسنعمل لها مقدمة نبين فيها ما ينبغي بيانه نطمعها معها على حدة — وهذا نص الذكرى —:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

محمدك اللهم حمد الشاكرين ، أن بعثت فينا محمدا خاتم
 النبيين والمرسلين ، وأرسلته رحمة عامة للعالمين ، وأختصت بمنتك
 به الأميين وسائر المؤمنين ، وأستجبت به دعوة إبراهيم ، وحققت
 به بشارة عيسى والنبيين (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت
 وإسماعيل : ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم * ربنا واجعلنا
 مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا
 إنك أنت التواب الرحيم * ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا
 عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت
 العزيز الحكيم * — وإذ قال عيسى بن مريم يا بني إسرائيل إني رسول
 الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي
 من بعدي اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين * وإذ
 أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
 مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم
 إصري؟ قالوا أقررتنا ، قال فأشهدوا وأنا معكم من الشاهدين * لقد من
 الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته
 ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال
 مبين) (المنار : ج ٧) (٥٢) (المجلد التاسع عشر)

مُبِينٌ * هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ
وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ
مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ

نَحْمَدُكَ اللَّهُمَّ وَنُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
الَّذِينَ أَقَامُوا الدِّينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ فِي هُدَاهُمْ وَهَدَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

*

أما بعد فإن الاحتفال بذكري المولد النبوي في شهر ربيع
الأول، عادة أحدثها في القرن السابع الملك المظفر أبو سعيد صاحب
إربل، من البلاد التابعة الآن لولاية الموصل، ثم انتشرت هذه
العادة في الأقطار، وقد بدأت مصر بها جميع الأمصار، والفائدة التي
يذنبني أن تتوخى (١) في هذا اليوم الذي فضل الأيام، هي التذكير
بمخالصة تاريخ النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ليتذكر المؤمنون منة
الله عليهم ببعثته، وتتمدنى أرواحهم بزيادة الإيمان وكمال محبته،
ويحزروا على إقامة دينه وإحياء سنته. وها نحن أولاء نشنف
الاسماع بفرائد من نسبه وحسبه (٢)، ومزايا قومه وعشيرته،
وأخبار مولده وتربيته، وكيفية معيشته في نفسه، وزواجه وسيرته
مع أهله، تمهيدا لبيان المقصد الأتم الأعظم، وهو نبأ بعثته صلى
الله عليه وسلم، مستمدين ذلك من الكتاب العزيز والسنة الثابتة

(١) تتوخى تتمم وتخص بالطلب والمقصود (٢) الحسب ما بعد من متأخر الآباء

عند المحدّثين ، وما تمسّ الحاجة إليه مما أثبتته ثقات المؤرّخين ،
مُعْضِينَ عن الروايات الموضوعات ، والواهيات والمنكرات ،
التي عني الكثيرون بنقلها لما فيها من الخوارق والغرائب ، مسألة فيما
أجازها العلماء من قبول الأخبار الضعيفة في المناقب ، ولما يرجى من
حسن تأثيرها في قلوب العوام ، مع الغفلة عما يخشى من ضد ذلك في
ناشئة هذه الأيام ، على أن لنا فيما لا يحصى من الفضائل والمناقب
المشهورّة والمتواترة ، ما يعني عن جميع الروايات الضعيفة والمنكورة ،
وبذلك يعرف قدر الإصلاح العظيم ، الذي أرسل الله به هذا
النبي الكريم ؛ عليه من الله أفضل الصلاة والتسليم

قوله ونسب صلى الله عليه وسلم

(إن الله - أصطفى آدمَ ونوحاً وآل إبراهيمَ وآل عمرانَ على
العالمين) إذ جعل فيهم النبوة والهداية للمتقدّمين والمتأخّرين ؛
ثم أصطفى كنانة من آل اسماعيل بن إبراهيم ، وأصطفى قريشاً من
كنانة ، وأصطفى من قريش بني هاشم ، وأصطفى سيّد ولد آدم من
بني هاشم ؛ فكان آل اسماعيل أفضل الأوّلين والآخريّن ، كما كان
بنو إسحاق أفضل المتوسّطين ، إذ كانت هداية الأنبياء من بني
إسحاق وغيرهم خاصّة ، وهداية هذا النبي من آل اسماعيل عامّة ،
فيه أكل الله تعالى الدين ، وأتمّ نعمته على العالمين ، كما اقتضته سنته
تعالى في النشوء والأرزقاء ، التي كانت في البشر أظهر منها في
سائر الأحياء .

كيفَ كانَ اصطفاهُ اللهُ تعالى لهذه الأُصولِ مِنَ الأُمَّةِ العَرَبِيَّةِ ،
الذي ثَبَتَ في صحيحِ مسلمٍ وغيره من كُتُبِ السُّنَنِ السُّنِّيَّةِ ؟ وبماذا اُمتازَ
قومُ خاتَمِ الرُّسُلِ الكرامِ ، فَفَضَّلُوا بهِ غيرَهُم مِنَ الأَقْوامِ ، حتى أُسْتَمِدُّوا
بهِ لهذا الإِصلاحِ الرُّوحيِّ المُدَنِّيِّ العامِّ ، الذي اشتمَلَ عليه دينُ
الإِسلامِ ، على ما طرَأَ عليهم مِنَ الأُمَّيَّةِ وعبادَةِ الأَصنامِ ، وما أُحْدِثتْ
فيهم غلبَةُ البَدَاوَةِ مِنَ التَّفَرُّقِ وَالإِنْتِسابِ ؟

الجوابُ — :

كانتِ العَرَبُ مُمْتَازَةً بِاسْتِقْلالِ الفِكرِ وَسَعَةِ الحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ ،
أَيَّامَ كانَتِ الأُمَّمُ تُرْسِفُ^(١) في عُبُودِيَّةِ الرِّياسَتينِ الدِّينِيَّةِ والدُّنْيَوِيَّةِ ،
مَحْظُورًا عَلَيْها أَنْ يَفْهَمَ غيرَ ما يُلقِنُها السُّكَّانُ ورجالُ الدِّينِ مِنَ الأَحْكامِ
الدِّينِيَّةِ ، وَأَنْ تُخالِفَهُم في مَسْأَلَةٍ عَقْلِيَّةٍ أو كَوْنِيَّةٍ أو أُدْبِيَّةٍ ، كما حُظِرَتْ
عَلَيْها حُرِّيَّةُ التَّصَرُّفاتِ المُدَنِّيَّةِ والمالِيَّةِ

كانتِ العَرَبُ مُمْتَازَةً بِاسْتِقْلالِ الإِرادَةِ في جَمِيعِ الأَعْمالِ ،
أَيَّامَ كانَتِ الأُمَّمُ مُذَلَّلَةً مُسَخَّرَةً لِلْمُلُوكِ والنُّبَلاءِ المالكينَ لِلرِّقابِ
والأَمْوالِ ، يَسْتخدِمونها كما يَسْتخدِمونَ البِهائمَ ، وَيُصَرِّفونها كما
يُصَرِّفونَ السَّوائِمَ^(٢) لا رَأْيَ لَها مَعَهُم في سِلمٍ ولا حَرْبٍ ، ولا إِرادَةَ
لَها في عَمَلٍ ولا كَسبِ

كانتِ العَرَبُ مُمْتَازَةً بِعِزَّةِ النَفْسِ ، وَشِدَّةِ البَأْسِ ، وَقوَّةِ
الأَبْدانِ ، وَجُرْأَةِ الجَنانِ ، أَيَّامَ كانَتِ الأُمَّمُ مُؤَلَّاةً مِنَ رُؤْساءِ

(١) ترسفت تمشي مشية المتيد — يشبه تصرفها في استعباد الرؤساء لها بمشي الاسير

في قيوده (٢) السوائم المواشي الراحية

أفسدَهم الإسرافُ في التَّرفِ ، ومرضُهم أضعفَهم البؤسُ والشَّظفُ (١)
وسادةُ أبطَرهم بِنْيُ الأستبدادِ ، ومسودين أذهم قهرُ الأستعبادِ
كانت العربُ أقربَ إلى فضيلةِ المساواةِ بين الأفرادِ ، من غيرِ
شرائعٍ تُحترَمُ بالأعتقادِ ، ولا قوانينَ تكفلُها قوَّةُ الأجنادِ . أيامَ
كانت الأُم تنقسمُ إلى طبقاتٍ ، يرتفعُ بعضها على بعضٍ عدَّةَ دَرَجَاتٍ ،
لا بفضائلَ ذاتيةٍ ، من علميةٍ أو عمليةٍ ، بل بحكم وراثيةِ الخلفِ الطالحينِ (٢)
للسلفِ المستكبرينِ ، باستبدادِ الملكِ أو تقاليدِ الدينِ
كانت العربُ ممتازةً بالذكاءِ واللذعيةِ ، وكثيرٍ من الفضائلِ
الموروثَةِ والكسبيةِ . كقِرَى الضيوفِ ، وإغاثةِ الملهوفِ ، والنَّجدةِ
والإباءِ (٣) وعلوِّ الهمةِ والسخاءِ ، والرَّحمةِ والإيثارِ (٤) وحمايةِ اللاجئِ
وحرمةِ الجارِ . أيامَ كانت الأُم رُحمةً بالأثرةِ والأنايةِ (٥) والآنينِ
مِن ثِقَلِ الضرائبِ والآتاوى (٦) الأميريةِ ، وروساؤها منغمسينِ في
الشهواتِ البهيميةِ ، وفسادِ الأخلاقِ قد عمَّ الراعي والرعيةُ

(١) الشظف بفتح الحين ضيق المعيشة

(٢) الخلف بسكون اللام الذين يخلفون غيرهم في الشر . والطالحون بالطاء الفاسدين فهو ضد الصالحين

(٣) النجدة مضاء عزم يبعث على المضي فيما يعجز عنه غيره . والاباء الترفع عن الخسائس

(٤) الايثار تقديمك غيرك على نفسك بما تحتاج اليه مما تملك

(٥) تقديم نفسك على غيرك ولو بما هو أولى به منك فهي ضد الايثار ، والأناية المبالغة في حب النفس الحامل على الأثرة ، وهو نسبة الى كلمة « أنا »

(٦) الضرائب جمع ضريبة وهي ما يضرب على العبيد ونحوهم من المال يؤدونه أقساطا ، ومنها الجزية ، وضريبة الارض الخراج . والآتاوى جمع إتاوة وهي الرشوة ، وتطلق على الخراج ونحوه

كانت العربُ قد بلغت أوجَ الكمالِ ، في فصاحةِ اللسانِ
وبلاغةِ المقالِ ، وكادت تتحدُّ لغاتُ قبائلها أولهبجائها العربية، وتَسودُّ
المُضَرِّيَّةُ منها على أَلْحِيزِيَّةِ، بما كان لِقُرَيْشٍ وغيرِها من الرِّحالاتِ
التِّجاريةِ ، والآسواقِ الأديبِيَّةِ ، فأستعدَّت بذلك لِلوَحْدَةِ القوميةِ ،
وللتأثيرِ والتأثيرِ بالبراهينِ العقليةِ، والمعانيِ الخطابيةِ والشعريةِ ، وللتعبيرِ
عن جميعِ العلومِ الإلهيةِ والشريعةِ ، والفنونِ العقليةِ والكونيةِ.
أيامَ كانت الأُمُ تنفصمُ عرَى وحدثها بالتمصباتِ الدينيةِ والمذهبيةِ ،
وتتفرقُ وشائجها^(١) بالمدآواتِ الجنسيةِ ، وتتمزقُ ذولها بالحروبِ
الأجنبيةِ والأهليةِ.

فتلكُ أمهاتُ مزايا الأمةِ العربيةِ، التي أعدها اللهُ تعالى بها للبعثةِ
المحمديةِ ، والسيادةِ الدينيةِ والمدنيةِ ، بعدَ أن طال العهدُ على مدَائِنَتِهِمْ
العاديةِ ، واستعمارهم للبلادِ الكلدانيةِ البابليةِ ، والبلادِ الفينيقيةِ
(السوريةِ) والمصريةِ ، التي تشهدُ لها سيادةُ لغتهمِ للغاتِ الساميةِ ،
وبقايها في الأئمةِ الهبرُوغانيَّةِ^(٢) ، وبعدَ أن غلبتْ عليهم الأُمِّيَّةُ ،
وغرَّافاتُ الوثنيةِ ، وعصبيةُ الجاهليةِ

وجلةُ مزاياهم أنَّهم كانوا أسلمَ الناسَ فطرةً، على كونِ أُمِّ الحضارةِ
كانت أرقى منهم في كلِّ فنٍّ وصناعةٍ . والأصلاحُ الإسلاميُّ مبنيٌّ على

(١) الوشيج والوشيجة اشتباك القرابة وتداخل بعضها في بعض وأصله شجر
الرماح ونحوه مما يشترك (٢) أقدم مدينة وحضارة عرفها التاريخ مدينة الكلدانيين
والبابليين في العراق والمصريين في مصر والفينيقيين في سورية وقد ثبت لدى
بعض علماء العاديات (الآثار القديمة) ان أهلها من بلاد العرب

تقديم إصلاح الانفس باستقلال العقل والارادة وتهذيب الأخلاق،
على إصلاح ما في الارض من معدن ونبات وحيوان، أي أن الله تعالى
كان يُعد هذه الأمة لهذا الإصلاح العظيم، الذي جاء به محمد عليه من
الله أفضل الصلاة والتسليم

اصطفاء كنانة وقريشي وبني هاشم

أما اصطفاء الله لكنانة الشيخ الجليل، من سلالة نبيه الذي بيح
إسماعيل، فيفسره ما كانت تحفظه العرب من أخبار كرمه ونبله، ومنها
انه كان على سنة جده إبراهيم الخليل لا يأكل وحده. وقد نقل الحافظ
في شرح البخاري أنهم كانوا يحجون اليه لعلمه وفضله. ومما يؤثر عنه
من الحكيم الجليية، كما روي في السيرة الحلبية: رُبَّ صُورَةٍ
تُخَالَفُ الْمُخْبِرَةَ، قَدْ غَرَّتْ بِجَمَالِهَا، وَأَخْتَبِرَ قُبْحُ فِعَالِهَا، فَأَحْذَرِ
الْأُصُورَ، وَأَطْلُبِ الْخَبَرَ. فهذا دليل على ما وُصف به من العلم والحكمة،
وأما حج العرب اليه فهو دليل على أنه كان مثابة التعارف، وتمعن
رَابطة الأَجماع والتألف.

وأما اصطفاء الله تعالى لقريش الميامين الفر، وهم ذرية فير بن
مالك وقيل جده النضر. فقد كان بما آتاهم الله من المناقب العظيم، ولا
سيما بعد سكنى مكة وخدمة المسجد الحرام، إذ كانوا أصرح ولد اسماعيل
أنسابا، وأشرفهم أحسابا وأعلام آدابا، وأفصحهم السنة، وهم
الْمَهْدُونَ لجمع الكلمة. — فقد نقل أهل السير، أن مالك بن النضر

كان ملك العرب، وأن كعب بن لؤي كان يجمع قومه ويَعْظُمُهم يوم الجمعة، وكانوا يُسمونه يوم العروبة، وأنهم كانوا يُجلونه في حياته، ثم أنهم أرخوا بموته، وأن قصيباً هو الذي جمع شمل قبائل قريش بمكة، إذ كان هو الوارث لمن كانوا يتولونه من خزاعة^(١) وقد تملك عليهم فلكوه، إلا أنه قد أقر للعرب ما كانوا عليه. وذلك أنه كان يراه ديناً في نفسه، لا ينبغي له تغييره ولا لنيره من بعده (قال ابن اسحق) وهو الذي أنشأ الندوة، وجعل بابها إلى الكعبة، وقد أجمعت قريش على طاعته وحبه، فكانت إليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، ثم وُزعت المناصب بعده على الزعماء^(٢)

(١) قد كان ذلك بتزوجه لخبى بنت حليل الذي كان آخر من ولي منهم . قال ابن اسحق : فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل ، فرأى قصي انه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبني بكر . وان قريشا قرعة اسماعيل ابن ابراهيم وصرح ولده ، ثم قال بعد بيان ما كان في ذلك من أمره . فولي قصي البيت وأمر مكة . الخ

(٢) كان لقريش من المناصب غير تلك الخمسة . الاشناق والعمارة والسفارة والأعنة والقبعة ، والأموال المحجرة للمعبودات كالاصنام ، والايثار الذي منسه الاستقسام بالأزلام ، الذي يرجح به بين الاقدام والاحجام . وقد عابهم عليها الاسلام : (فالحجابه) هي السدانة أي خدمة المسجد الحرام . (والسقاية) توزيع الماء المحلى والقراح على جميع الحجاج . (والرفادة) إسعاف الفقراء والمساكين . ولا سيما الحجاج المنقطعين . (والندوة) الشورى لاجالة الرأي في الامور العظام . التي اجتمعوا فيها بعد البعثة للائتمار بالنبي عليه الصلاة والسلام . (واللواء) راية قريش وكانت تسمى العقاب ، (والاشناق) تحمل الديات والمغارم . لمنع انتشار التعادي والتخاصم . (والعمارة) حنظ بناء المسجد الحرام قبل وحفظه من اللقط وهجر الكلام . (والسفارة) المراسلة بين فريقين في شأن من الشؤون العامة ، كالقتال أو اللفاخرة . (والاعنة) قيادة الفرسان في أيام الطعان أو الرهان ، (والقبعة) الخيمة الرسمية التي تنصب وقت الحرب . ويجمع فيها ما يجهز به الجيش

وأفضلُ من ذلك كله ما وُفقوا له في حِدَاثةِ الرَّسولِ. من التَّحالفِ
الذي عُرِفَ بِحَيْفِ الْفُضولِ، إذ تعاهدوا وتعاهدوا أن لا يَجِدُوا بَعْدَكَ
مَظْلوماً إلا قاموا معه، وكانوا عَوْناً له على مَنْ ظلمه، إلى إن تُردَّ
مَقَالَتُهُ. وفي حديث الزُّبير بن العوام عند الطبراني، ومثله حديثُ
أمِّ هانئٍ في معجمه الأوسطِ كتاريخ البخاري، «فَضَّلَ اللهُ قُرَيْشاً بِسَبْعِ
خِصالٍ: فَضَّلَهُمْ بأنهم عَبَدُوا اللهَ عَشْرَ سِنِينَ لا يَعْبُدُ اللهُ إلا
قُرَيْشِيًّا»^(١) وفضلهم بأنه نَصَرَهُمْ يومَ الْفِيلِ وهم مشركون. وفضلهم بأنه
نَزَلَ فِيهِمْ سورةٌ من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين. — وهي
لا يَلِفُ قُرَيْشٍ — وفضلهم بأن فِيهِمُ النبوَّةَ والخِلافةَ، والحِجَابَةَ
والسِّقَايةَ»

كان ذلك كله من ارتقاء قريش واستعداد العرب للإسلام، ولكن
هذه القوى المعنوية كلها وُجِّهَتْ لِمَعَادَاتِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

وأما اصطفاء الله تعالى لبني هاشم، فقد كان بما أمتازوا به من
الفضائل والمواعظ، فقد روى أبو نعيم من حديث المستورد الفهري
رضي الله عنه « إنَّ فِيهِمْ لَخِصَالاً أَرْبَعاً: إِنْهُمْ أَصْلَحُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ،
وَأَسْرَعُهُمْ إِقَامَةٌ بَعْدَ مُصِيبَةٍ. وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ قَرَّةٍ، وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ
وَيَتِيمٍ، وَأَمْنُهُمْ مِنْ ظَلَمِ الْمُلُوكِ ». وكان جدُّهم هاشمٌ صاحبَ إيلافِ

(١) أي لا يعبده ويوحده أحد إلا أناس منهم إذ كانوا على ملة إبراهيم وكانت

الوثنية قد شملت العرب كلهم كما شملت غيرهم

قريش ، الذي أخذهم المهدي من قيصر الروم على حمايتهم في رحلة الصيف ، ورؤي أنه هو الذي سنّ الرّحلتين ، وأخذ اليهود بها من الحكومتين ، حكومة اليمن العربية ، وحكومة الشام الرومية ، فأتست بهما معيشة قريش ، وأمنوا في تجارتهم من كل خوف ، وقد امتن الله عليهم بذلك في القرآن ، بما عدت به التجارة من أشرف أعمال الإنسان ، وإنما أطلق لقب هاشم على عمرو بن عبد مناف ، لأنه أول من هشم الثريد للمسننين العجاف^(١) ، وكان يشبع منه كل عام أهل الموسم كافة ، كما أشبع منه قومه في سنة القحط والمجاعة ، على أن مائدته كانت منصوبة لا ترفع في السراء ولا في الضراء ، وزاد عليه وأده عبد المطلب فكان يطعم الوحش وطير السماء ، وكان أول من تحنت بنار حراء ، ورؤي أنه حرّم الخمر على نفسه ، وجعل ماء زمزم للشرب محرّم أن يغتسل به ،

بجملة ما امتاز به آله صلى الله عليه وسلم على سائر قومه الأخلق العلية ، والفواضل والفضائل النفسية ، وكانوا أبعده من سائر قريش عن الكبر والأثرة والامور الحربية ، ولذلك غلبوا على الرياسة حتى بعت الإسلام ، وحكمة ذلك ظاهرة لا ولي الأحلام ، فهو أنقى للشبه عن رسالته عليه أفضل الصلاة والسلام

(١) المستنون اسم فاعل من أسنت القوم أصابتهم السنة والقحط والعجاف جمع أعجف وعجفاء وهم الذين ضعفوا وهزلت أبدانهم ، العبارة مؤخوذة من قول ابن الزبير في مدح هاشم :

عمرو العلاء هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف

سر نسب صلى الله عليه وسلم

بَعْدَ هَذَا التَّدْكِيرِ بِمَنَاقِبِ قَوْمِهِ ، وَالتَّقْسِيرِ لِأَصْطِفَاءِ اللَّهِ
تَعَالَى لِقَبِيلِهِ وَآلِ بَيْتِهِ ، نَشَفْنَا الْأَسْمَاعَ بِنَسَبِهِ الْمُحْفُوظِ بِالتَّفْصِيلِ ،
الْمُتَوَاتِرِ اتِّصَالَهُ بِنَبِيِّ اللَّهِ إِسْمَاعِيلِ ، فَنَقُولُ : هُوَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ
اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأُسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ ، ابْنِ هَاشِمٍ وَأَسْمُهُ الَّذِي
سَمَّاهُ بِهِ أَبُوهُ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ وَأَسْمُهُ الْمُغِيرَةُ ، ابْنِ قُصَيٍّ وَلَقِبَ
بِمُجَمِّعٍ إِذْ جَمَعَ قُرَيْشًا فِي تِلْكَ الْأُحْظِيرَةِ ابْنِ حَكِيمٍ الَّذِي لَقِبَ بِكِلَابٍ
وَأَلِ كِلَابٍ مَصْدَرُهُ كَالْمُكَالِبَةِ ، وَمَعْنَاهُ الْمَجَاهِرَةُ بِالْعِدَاوَةِ وَالْمُنَاصِبَةُ ،
ابْنِ مَرَّةٍ وَالْمُرَادُ بِهِ الْجَدُّ الْقَوِيُّ ابْنِ كَعْبٍ وَهُوَ مَنْقُولٌ مِنْ كَعْبِ
الرَّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ ، بِنِ لُؤَيٍّ ، وَهُوَ تَصْغِيرُ لُؤَاءٍ أَوْ لَأَيٍّ أَوْ لَأِيٍّ (١)
ابْنِ غَالِبٍ بِنِ فِهْرِ وَمَعْنَاهُ الْحَجَرُ الصَّغِيرُ (٢) وَهُوَ قُرَيْشٌ عَلَى الْمُعْتَمَدِ عِنْدَ
الْجَمَاهِرِ ، ابْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ وَأَسْمُهُ قَيْسٌ ، وَالنَّضْرُ هُوَ الْحَسَنُ
الْمَشْرِقُ الْوَجْهَ ، ابْنِ كِنَانَةَ وَمَعْنَاهُ وَعَاءُ السَّهْمِ مِنَ الْجِلْدِ ، ابْنِ خَزِيمَةَ
وَهُوَ تَصْغِيرُ اسْمِ اللَّرَّةِ مِنَ الْحَزْمِ (٣) ، ابْنِ مَدْرِكَةَ وَأَسْمُهُ عَامِرٌ أَوْ عَمْرُو ،
ابْنِ إِيَّاسٍ وَهُوَ مُخَفَّفُ الْيَّاسِ ، ابْنِ مُضَرَ وَهُوَ مَمْدُولٌ عَنْ مَاضِرٍ ،
وَمَعْنَاهُ اللَّابِنُ الْأَبْيَضُ أَوْ الْحَامِضُ الْخَائِرُ ، ابْنِ نِزَارٍ مِنَ النَّزْرِ

(١) اللواء معروف واللائي الثور الوحشي ويكنى به عن حسن العيينين. واللائي البطاء

(٢) الفهر الحجر الذي يؤخذ باليد عادة ويدق به الشيء وقيل مطاقا

(٣) الحزم نظم اللائي في السلك

وَمَعْنًا، الْقَلِيلَ ، وَلَعَلَّهُ سُمِّيَ بِهِ تَفَاوُلًا بِبِسْطَةِ وَجُودِ نَيْلِهِ فِي ذَلِكَ
 الْجِيلِ ، ابْنُ مَعَدٍّ وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَعَدِّ ، وَهُوَ الْجَذْبُ السَّرِيعُ
 وَالذَّهَابُ فِي الْأَرْضِ ، وَوَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ وَفِي نَصِيحَةِ عُمَرَ
 لِلْحَيْشِ ، « تَمَعَّدُوا » أَي تَشَبَّهُوا بِمَعَدٍّ فِي خُشُونَةِ الْعَيْشِ ، ابْنُ
 عَدْنَانَ ، وَهُوَ مِنْ عَدَنَ بِمَعْنَى أَقَامَ فِي الْمَكَانِ

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ « كَانَ عَدْنَانُ وَمَعَدُّ وَرَبِيعَةٌ وَمُضَرٌّ وَخَزِيمَةٌ
 وَأَسَدٌ عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فَلَا تَذْكُرُوهُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ » ^(١) وَرَوَى الزُّبَيْرُ بْنُ
 بَسَّارٍ مِنْ وَجْهِ آخَرَ مَرْفُوعًا « لَا تَسُبُّوا مُضَرَ وَلَا رَبِيعَةَ فَإِنَّهُمَا كَانَا
 مُسْلِمِينَ » ^(٢) فَهَذَا مَا كَانَ يَسْرُدُهُ الرَّسُولُ مِنْ نَسَبِهِ كَأَلَدِ النَّظِيمِ ، وَهُوَ
 وَاسِطَةُ عِقْدِهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ،

نَسَبٌ مَحْسَبُ الْعَلَاءِ بِحَلَاةٍ قَلَدَتْهَا نُجُومَهَا الْجُوزَاءُ
 حَبْدًا عِقْدُ سُودِدٍ وَفَخَارٍ أَنْتَ فِيهِ الْيَتِيمَةُ الْعَصَاءُ

دواجم عبد الله بأمنة والحمل بالنبي وولادته

صلى الله عليه وسلم

أَنْحَصَرَ نَسْلُ هَاشِمٍ فِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ سِوَاهُ ، وَوُلِدَ

(١) عزاه الحافظ في فتح الباري الى تخریج أبي جعفر بن حبيب في تاريخه الحبر .

قوله وربيعة ومضر أي ابن نزار بن معد ، قوله وأسد هو ابن خزيمه

(٢) قال الحافظ وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد ابن المسيب ، أي

عَبْدُ الْمُطَّلِبِ أَبُو طَالِبٍ وَالْعَبَّاسُ وَحَمْرَةُ وَعَبْدُ اللَّهِ . وَقَدْ زَوَّجَ عَبْدُ
 اللَّهِ آمِنَةَ ابْنَةَ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ زُهْرَةَ ، وَزُهْرَةُ أُخُو جَدِّ قُصَيِّ
 ابْنِ حَكِيمِ بْنِ مُرَّةٍ ، وَقَدْ بَنَى عَلَيْهَا فِي بَيْتِ أَهْلِهَا وَأَقَامَ مَعَهَا فِيهِ ثَلَاثَةَ
 أَيَّامٍ ، فَلَمْ تَلِدْ أَنْ حَمَلَتْ بِالنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَلَمْ تَجِدْ فِي
 حَمْلِهِ ثِقَلًا وَلَا وَجَعًا كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمُحْضَنَاتِ الصَّحِيحَاتِ الْأَجْسَامِ ،
 وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي مَرَّاسِيلِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ ، أَنَّ
 الصَّحَابَةَ سَأَلُوهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذَا الشَّأْنِ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ
 اللَّهِ خَبَرْنَا عَنْ نَفْسِكَ ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ وَأَحْمَدَ
 وَغَيْرِهِمَا : مَا كَانَ بَدَأَ أَمْرُكَ ؟ فَقَالَ « دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ^(١) ، وَبُشْرَى
 عِيسَى ، وَرَأَتْ أُمِّي حِينَ حَمَلَتْ بِي كَأَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى
 مِنْ أَرْضِ الشَّامِ » وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ هَذِهِ رُؤْيَا كَانَتْ فِي الْمَنَامِ ، وَلَكِنَّهَا
 رُؤْيَا صَادِقَةٌ لَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَصَحَّحَ أَبُو حَبَّانٍ أَنَّ ذَلِكَ
 النُّورَ تَمَثَّلَ لِعَيْنَيْهَا حِينَ أَخَذَهَا الْمَخَاضُ فَوَضَعَتْهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ

تاريخ ولادته ومبر رضاعته ومضانته

صلى الله عليه وسلم

وُلِدَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوِيًّا أُخْلِقَ ، جَمِيلَ الصُّورَةِ صَحِيحَ
 الْجِسْمِ ، وَكَانَتْ وِلَادَتُهُ فِي عَامِ الْفِيلِ ، فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ أَوْ

(١) أي أنا مصداق دعوته التي حكاها الله عنه في قوله (ربنا وابعث فيهم

رسولا منهم) الآية — ومصداق بشرى عيسى برسول يأتي من بعده

التاسعة من شهر ربيع الأول الموافقة للعشرين من شهر إبريل ،
وكان ذلك العام، هو الحادي والسبعين بعد الخمس مئة من مولد المسيح
عليهما الصلاة والسلام ، وقد توفي والده وهو حمل ، فكفله جده
شعبة الحمد ، فأرضعته أمه ثلاثة أيام ، وكذا ثويبة مولاة أبي لهب
عدة أيام ، وكانت نساء قريش لا يرضعن الأولاد فعهد جده
بإرضاعه إلى حليلة السعدية ، وجعله في قبيلتها بالبادية لينشأ في
الميشة الخلوية ، ثم ردت حليلة إلى أمه بعد أربع سنين ، فحضنته
إلى أن توفيت وله ست سنين ، فأصبح عليه السلام يتيم الأبوين ،
فكفله بعدها جده عبد المطلب سنتين ، ثم توفي بعد أن أوصى به
أبا طالب عنه ، فخاطه بعنايته كما يحوط ولده وأهله ، إلا أنه كان
لفقره يعيش عيشة القشف ، فلم يتعود صلى الله عليه وسلم نعيم
الترف ، وذلك من عنايته تعالى بتربيته هذا المصلح العظيم ، عليه
من الله أفضل الصلاة والتسليم

معيته في الحراة وكسبه وزواجه

صلى الله عليه وسلم

ولد صلى الله عليه وسلم يتيمًا ، ونشأ في قومه فقيرًا ، ومات
والده في سن الشباب ، لم يترك له مالا إلا خمسة جمالٍ وبضع نعام ،
وكان قد ألف رعي الغنم مع إخوته في الرضاع ، فصار يرعى لأهل

مكة ، فَيُوفَّرُ عَلَى كَافِلِهِ أَبِي طَالِبٍ بِمَا يَأْخُذُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْأَجْرَةِ ،
 ثُمَّ سَافَرَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ فِي تِجَارَتِهِ إِلَى الشَّامِ ، وَلَهُ مِنَ الْعَمْرِ
 اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً وَشَهْرَانِ وَعَشْرَةَ أَيَّامٍ ، وَهَنَالِكَ رَأَى بِحَيْرَا الرَّاهِبَ ،
 وَبَشَّرَ بِهِ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ ، وَحَذَّرَهُ مِنَ الْيَهُودِ عَلَيْهِ ، بَعْدَ أَنْ رَأَى
 خَاتَمَ النَّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ سَافَرَ إِلَى الشَّامِ مَرَّةً ثَانِيَةً ، مُتَجَرِّبًا
 بِمَالِ خَدِيجَةَ تِجَارَةَ الْمُضَارَبَةِ ، فَأَعْطَتْهُ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ
 إِذْ جَاءَتْ تِلْكَ التِّجَارَةُ بِأَرْبَاحٍ مُضَاعَفَةٍ ، بَلْ جَاءَتْ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ

كَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيِّ بْنِ قُصَيٍّ ، أَعْقَلٌ وَأَكْمَلُ
 أُمَّرَأَةٍ فِي قُرَيْشٍ ، حَتَّى كَانَتْ تُدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ [الظَّاهِرَةَ] ، لِمَالِهَا
 مِنَ الصِّيَانَةِ وَالْفَضَائِلِ الظَّاهِرَةِ ، وَلَمَّا حَدَّثَهَا غُلَامُهَا مَيْسِرَةَ بِمَا رَأَى
 مِنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، فِي رَحْلَتِهِ مَعَهُ إِلَى الشَّامِ ، مِنْ الْأَخْلَاقِ
 الْعَالِيَةِ ، وَالْفَضَائِلِ السَّامِيَةِ ، وَمَا قَالَهُ بِحَيْرَا الرَّاهِبِ ، لِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ ،
 تَعَلَّقَتْ رَغْبَتُهَا بِأَنْ تَتَّخِذَهُ بَعْلًا ، بَلْ تَرَقَّتْ أَفْكَارُهَا إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى (*)

(*) روى الفاكهي في كتاب مكة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
 عند أبي طالب فاستأذنه أن يتوجه إلى خديجة ، فأذن له وبعث بعده جارية يقال
 لها نعمة ، فقال النظري ما تقول له خديجة ، قالت نعمة فرأيت عجبا : ما هو إلا أن
 سمعت به خديجة نخرجت إلى الباب فاخذت يديه فضمتها إلى صدرها ونحرها ،
 ثم قالت بآبي أنت وأمي والله ما أفعل هذا الشيء ، ولكني أرجو أن تكون أنت النبي
 الذي سبعت ، فإن تكن هو فاعرف حتى ومنزلتي وادع الإله الذي يبعثك لي ، =

فَمَ ذَٰلِكَ الزَّوْجُ الْمَيُّونُ ، وَكَانَ هُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ وَهِيَ ابْنَةُ
 أَرْبَعِينَ ، وَتُوفِّيَتْ بَعْدَ الْبُعْثَةِ بِعَشْرِ سِنِينَ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 عَلَيْهَا ، وَلَا أَحَبَّ أَحَدًا مِثْلَهَا ، وَكَانَ طُولَ عُمُرِهِ يَذْكُرُهَا ، حَتَّى كَانَتْ
 عَائِشَةُ تَغَارُ مِنْهَا وَلَمْ تَرَهَا ، قَالَتْ مِنْ حَدِيثِ لَهَا : فَذَكَرَهَا يَوْمًا مِنْ
 الْأَيَّامِ ، فَأَخَذَتْنِي الْغَيْرَةُ فَقُلْتُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : هَلْ كَانَتْ
 إِلَّا عَجُوزًا قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهَا ؟ فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ « لَا وَاللَّهِ مَا
 أَبْدَلَنِي خَيْرًا مِنْهَا ، آمَنْتَ بِي إِذْ كَفَرَ النَّاسُ ، وَصَدَّقْتَنِي إِذْ كَذَّبَنِي
 النَّاسُ ، وَوَأَسَيْتَنِي فِي مَا لِيَ إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا
 الْوَلَدَ دُونَ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ » (١) وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْهَا « إِنَّهَا

= قالت فقال لها « والله لئن كنت أنا هو قد اصطنعت عندي ما لا أضيعه أبدا ،
 وان يكن غيري فان الاله الذي تصنعين هذا لأجله لا يضيعك أبدا » ويؤيد هذا
 ماورد في كيفية بدء الوحي في الصحيح ، ان خديجة قالت له حين خاف على نفسه
 عاقبة ما أصابه من الجهد ، عند ما ظهر له الملك ، « كلا والله ما يخزيك الله أبدا ،
 انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على
 نوائب الحق » وكذا ما ثبت من أنها كانت تعد له الزاد ، لينقطع الى التحنث في
 غار حراء ، وروى الواقدي بسنده الى تقيسة بنت أمية أخت يعلى قالت : كانت خديجة
 امرأة شريفة جلدة كثيرة المال ، ولما تأملت كان كل شريف من قريش يتمنى ان
 يتزوجها ، فلما سافر النبي (ص) في تجارتها ورجع بريح وافر رغبت فيه ، فأرسلتني
 وديسا اليه ، فقلت له ما يمنعك ان تتزوج ؟ فقال « ما في يدي شيء » فقلت فان
 كفيت ودعيت الى المال والجمال والكفاءة ؟ قال « ومن ؟ قالت : خديجة ، فأجاب
 (١) وفي رواية اذ حرمني أولاد النساء . رواه ابن عبد البر في الاستيعاب وكذا

الدولابي في الذرية الطاهرة من طريق وائل بن داود - وقد وثقه احمد - عن
 عبد الله البهي - وهو مقبول - عنها . قالت عائشة فقلت في نفسي : لا أذكرها بسيدة أبدا

[المنار : ج ٧ م ١٩] دروس سنن الكائنات . الالتهاب الرئوي الباسيلي ٤٢٥

مَا غَارَتْ عَلَى أُمْرَأَةٍ كَمَا غَارَتْ عَلَى خَدِيجَةَ وَهِيَ لَمْ تَرَهَا ، وَعَالَتْ
ذَلِكَ بِكَرْمَةِ ذِكْرِهِ إِيَّاهَا . قَالَتْ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ يَقُولُ « أَرْسِلُوا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ »
فَأَغْضَبَتْهُ يَوْمًا وَقُلْتُ خَدِيجَةَ فَقَالَ « إِنِّي قَدْ رَزَقْتُ جُحَّهَا » وَفِي رِوَايَةٍ
عَزَاهَا الْخَافِظُ فِي الْإِصَابَةِ إِلَى الصَّحِيحِ أَنَّهُ قَالَ « إِنِّي لِأَحِبُّ حَبِيبَهَا » (١)
— فَهَذَا هُوَ الْوَفَاءُ الْكَامِلُ اللَّامِقُ بِذَلِكَ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ، عَلَيْهِ مِنْ
اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ (له بقية)

مَدِينَةُ

دَارُ الدُّعْوَى وَالْإِنشَاءِ

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٦

الالتهاب الرئوي الباسيلي

ذكرنا فيما سبق ان من الميكروبات التي تحدث التهاب الرئة باسيلا اكتشفه
[فردلندر Friedländer] وهذا النوع من الالتهاب شديد جدا خطر على الحياة ،
ويشاهد ميكروبه كثيرا في حوصلات الرئة ، وقد تنقيح منه أو تصاب بالفنغريته
(الموت)

(١) كذا في الاصابة . ورواية الاستيعاب عنها : وان كان ليذبح الشاة فيتبع
بذلك صدائق خديجة يهدىها لهن . والصدائق جمع هديقة

(المجلد التاسع عشر)

(٥٤)

(المنار : ج ٧)

الدوسنتاريا Dysentery

كلمة يونانية وضعها أبقراط ثم عربت ومعناها [مرض الامعاء] ويسمى بالعربية الخالصة (الزحار) لانه يحدث الزحير

وهذا الداء عبارة عن التهاب الامعاء الفليظة أو القولون ، وهو نوعان : —
(الاول) يحدث في جميع بقاع الارض خصوصا في زمن الحرب أو القحط وينشأ من باسيل مخصوص ، وهو النوع المراد بالكلام هنا
(الثاني) كثير الحصول في بلاد الشرق ، ويمتاز بطول مدته وبتضاعفه بخراج الكبد وبكونه ينشأ من نوع من الاميبا (خلية حيوانية وليست نباتية كميكروب النوع الاول) . وهذا النوع سنتكلم عليه ان شاء الله في باب الامراض التي تنشأ عن الميكروبات الحيوانية

الدوسنتاريا الباسيلية

تنشأ — كما قلنا — من باسيل اكتشفه [شيفا Shiga] في بلاد اليابان سنة ١٨٩٧ وبعد ذلك وجد مثله [كروس Kruse] في ألمانيا، ولذلك يسمى بميكروب [ميكروب شيفا كروس] ثم وجد غيرها أنواعا أخرى من باسيل الدوسنتاريا مثل [فلكسنز] و [سترنج]

هذا الباسيل عديم الحركة ولا حيبيات له ، والحرارة التي درجتها ٥٨ — ٦٠ سنغراد تقتله سر يما وكذلك المطهرات ويميش في الهواء وفي غيره . ويقتصر وجوده في المرض على أغشية الامعاء المخاطية ولا يصل الى الدم. ومن الجائز أن يبقى في الامعاء مدة بدون أن يحدث ضررا فيها ولكنه في العادة يفرز سما يمتص في الدم ثم يفرز منه بواسطة الاغشية المخاطية للامعاء فيحدث فيها المرض، ومن هذا السم جزء يؤثر في المجموع العصبي فيحدث التهابا في الاعصاب

الاسباب — هذا النوع من الدوسنتاريا وإن كان كثير الحصول في البلاد الحارة الا انه قد ينتشر في أوقات مختلفة بشكل وبائي في أي بقعة من بقاع الارض. ومما يهيئ الجسم لقبول المرض كل ما يهضم البنية كالتعرض للبرد أو البيئة الفاسدة

الهواء أو الإصابة بحمى النافض (المالاريا) أو إدمان الخمر أو أكل المواد المسرة
 الهضم كالفواكه غير الناضجة أو المتعفنة وكذلك الأزدحام ، ولذلك يكثر انتشار
 هذا المرض بين الجنود وفي السجون والتكاي ونحوها . ومن مضعفات البنية التي
 تمهي لهذا المرض ضعف العقل - ولذلك ينتشر بين المجانين - والامساك المتعاصي
 ينتقل الميكروب من المصاب بواسطة البراز الملوث به الى الشراب أو الطعام أو الى
 الاواني وغيرها فيصل الى أمعاء الآخرين ويحدث فيهم المرض ، فهو في عدواه يشبه
 الحمى التيفودية سواء بسواء . ومما ينشره أيضا بين الناس الذباب والعواصف ، فانها
 تنقل الميكروب من البراز وتثيره مع الغبار الى الطعام أو الشراب وغيرها . ولهذا
 الداء أيضا حملة أصحاء كالذين ذكروا في باب الحمى التيفودية والدفتيريا

الاعراض - مدة التفريح تتراوح بين بضعة أيام وأحد عشر يوما ، ويبدأ
 المرض بالاسهال فيتبرز المصاب من مرتين الى ست برازا سائلا مصفرا أو يميل الى
 السمرة ويحس بألم في بطنه وتوعك عام وقد في شهوة الطعام . وبعد ثلاثة أيام أو
 أربعة تكثر فجأة مرات التبرز حتى تصل الى عشر أو عشرين بل أربعين فستين
 أو أكثر . ويكون قدر البراز في كل مرة قليلا جدا يخالطه مخاط ومصل ودم وصديد
 وبعض أجزاء من الغشاء المخاطي للأمعاء ، وقل أن يشاهد فيه شيء من مواد البراز
 الطبيعية ، وقد يكثر النزف حتى يتبرز المصاب دما خالصا بسبب احتقان الغشاء
 المخاطي وتمزق عروقه في أول الامر ثم بسبب تقرحه بعد ذلك ، ويكون له رائحة
 مخصوصة ، ويشتد المفص ويكثر الزحير ويلتهب باب البدن (الشرج) ويكثر
 بسبب ذلك التبول أيضا أو يحصل فيه الزحير أيضا فيميل المصاب الى إخراج بوله
 نقطة فنقطة بحيث لا يمكنه الصبر على تجمع القدر المعتاد من البول في المثانة

وهذه الاعراض تؤثر في بنية المريض فينحف ويضعف ويصفر لونه ويبيض
 لسانه وترتفع حرارته ويصيبه الصداع والدوار والإقياء والعطش
 وفي الحالات البسيطة تخف وطأة المرض بعد ثمانية أيام أو عشرة ، أما في الحالات
 الشديدة فتزداد الاعراض حتى تنهك قوى المريض ويتقرح الشرج وما حوله من
 المقعدة ، ويصاب بالهمود فتغور عيناه وتزرق أطرافه ويضعف صوته ونبضه حتى يموت

ويكثر في أول الاغراض أن يصاب الشخص بالقيء ويستمر معه بشدة حتى النهاية . ويقل البول أيضا ولكن لا يوجد فيه زلال غالبا وفي بعض الاصابات يزمن المرض فيكون البراز أحيانا طبيعيا وأحيانا مركبا من مخاط وصديد ودم مع الرائحة المخصوصة المذكورة ، وتستمر تلك الحال أشهرا عديدة، أو سنوات كثيرة فينحف المريض ويضعف وقد يموت - اذا لم يعالج - بنهاكة القوى أو بالمضاعفات كالالتهاب البريتوني من انخراق الامعاء، أو يصاب بضيق فيها بسبب انقباض آثار التحام القروح

وقد وصف [القسطلاني Castellani] (وهو عالم إيطالي شهير له مؤلف ضخيم في أمراض البلاد الحارة باللغة الانكليزية) نوعا من هذا المرض سماه [الپارادوسنتاريا] وهو أخف من الدوسنتاريا المعتادة وله باسيل قريب من باسيلها ويحدث المرض بسبب تأثير سم الميكروب في أنسجة القولون كما قلنا أثناء افرازه من البنية فتموت أجزاء من الغشاء المخاطي وغدده وبعض الأنسجة العضلية التي في جدر الامعاء فتتقرح وقد يصل الالتهاب والتقرح إلى الغشاء البريتوني فيلتب ويلتصق بأجزاء أخرى أو يمترق ويكُون سببا في الموت السريع زد على ذلك ان المعدة والامعاء الدقاق قد تصاب أيضا بنزلة وتلتب حدد المساريقا وتنتفخ الكبد وتحتقن

المضاعفات - التهاب الاعصاب بسبب تأثير السم فيها والتهاب المفاصل والاخرجة في أجزاء الجسم المختلفة والالتهاب البريتوني من الاتقاب والنزف المعوي الشديد

الانذار - عدد الوفيات من ٣٠ الى ٨٠ ٪ وما ينذر بالخطر سقوط أجزاء كثيرة من أغشية الامعاء في البراز والنزف الشديد وكثرة القيء والحمود . والمرضى قتال للاطفال والشيوخ والضعفاء ومدمني الخمر

المعالجة - يجب على المريض أن يلتزم الراحة في الفراش ويتدثر جيدا حتى يدفأ ويخصص له آنية التبرز فيها لكيلا يتعب نفسه في الانتقال . ويكون غذاؤه سائلا سهل الهضم مشتملا على المواد التي يحتاج اليها الجسم ، فيعطى له اللبن خالصا

أو ممزوجا بماء الجير ويمطى له المرق، ولا بأس من تحمية اللبن بالسكر أو خلطه بقليل من النشاء الصافي الذي يطبخ به، أو اعطاؤه اللبن الخائر (لبن الزبادي) ولا يجوز أن تكون هذه المواد شديدة البرودة فانها تهيج الامعاء، والافضل أن تدفأ وتبدأ المعالجة الدوائية باعطاء المسهلات كزيت الخروع أو الملح الانكليزي وهو الافضل، ومن الاطباء من يعطي هذا الملح بمقادير صغيرة كدرهم كل ساعة ليلا ونهارا حتى تكثر مواد البراز ويزول منها الدم والتخاط وتنخفض الحرارة ويزول الالم والزحير. ويمكن الاستمرار على تعاطي الملح بهذه الكيفية يوما أو ثلاثة، ومن النادر أن يحتاج الى أكثر منها، ثم يكمل العلاج باعطاء مركبات البريموت^(١) والافيون وبعض المطهرات كالمسؤول

ويجوز في الحالات الشديدة حقن المريض بالمصل المضاد للزحار كمصل معمل [Lister] فيحقن منه ٢٠ سنتيمترا مكعبا مرتين في اليوم في الاحوال المعتادة، وفي الاحوال السيئة يجوز الحقن الى ثلاث أو أربع مرات، ويتكرر ذلك مدة يومين أو ثلاثة. وقد اكتشف حديثا بعض كيمائي مصر حقنة أخرى يقال إنها نافعة كثيرا والحقن في الشرج نافع في كثير من الحالات، فيحقن الماء المغلي بعد أن تصير حرارته فوق حرارة الجسم الطبيعية بقليل جدا، ويحقن كذلك دافئا محلول البوريك ١٪ أو محلول حامض الصنصافيك بنسبة واحد الى خمسمائة وغيرها. وحقن محلول ملح الطعام الدافئ بنسبة ٧ الى ألف نافع جدا، ومقدار ما يحقن في كل مرة لتر. وهناك محقونات كثيرة لاحاجة الى استقصائها

فاذا اشتد الالم والزحير يلبس في الشرج أقماغ مركبة من الافيون أو المورفين^(٢) مع زبدة الكاكو، ومحلول ملح الطعام المذكور نافع أيضا لازالة هذا الزحير، والجلوس في الماء الساخن مريح أيضا من الزحير، وكذلك وضع اللبخ والكادات الساخنة ونحوها على الشرج. والافيون يسكن ألم البطن واللبخ الساخنة. وإذا

(١) اسم لعنصر معدني شهير، وهو مشتق من كلمة ألمانية مجهولة الأصل

(٢) اسم لمادة فعالة في الافيون وهي أهم ما فيه، والكلمة يونانية مشتقة من

اسم له النوم أو الاحلام عندهم

أصاب المريض الهمودُ أعطى المنعشات المنبهات كالقهوة والشاي والخمر، وغير ذلك مما ذكر مرارا

فاذا تحسنت الحال يزداد طعام المريض تدريجاً كأن يأكل قليلاً من الخبز الممشى الاسفنجي الجاف واللحم المفروم جيداً، وهكذا يزداد الطعام حتى يصير كالمعتاد. وفي طور النقاهة يعطى له مركبات الحديد والمواد المرة كالكينين بمقادير صغيرة لتقويته

الوقاية - تكون بما يأتي (١) بعزل المرضى وتطهير مواد برازهم بالمطهرات الطبية أو بمحرقها ويجب أن تغطي أوانيها بمخرقة مبتلة بمحلول مطهر منعا من نقل الذباب للعدوى (٢) بمنع الناقلين من الاختلاط بالناس حتى تعلم طهارة برازهم من الميكروب بعد البحث البكتيريولوجي ثلاث مرات في ثلاثة أسابيع (٣) بالبحث عن الجملة الاصحاء اذا انتشر الوباء في مكان وعزلهم ومعالجتهم بالمطهرات للامعاء أو بالحقن باللقاح ونحو ذلك حتى يزول الميكروب منهم . وهو لاء الجملة هم من كانوا أصيبوا بالزحار أو اختلطوا بمصاحب به (٤) بامتناع الاصحاء من شرب أي ماء الا بعد غليه أو ترشيحه ومن أكل أي شيء الا بعد غليه أو إزالة قشره أو غسله جيدا بالماء المغلي أو المذاب فيه كبريتات الصوديوم الحمضية كما سبق. ولا يجوز استعمال الماء غير المغلي حتى لغسل الاواني أو للوضوء (٥) بتجنب المواد العسرة الهضم والمسببة لاعتقال البطن ، وكذلك يتقى البرد . (٦) بابادة الذباب بقدر الامكان، وتنظيف الطرق وترش جيدا حتى لا يثار غبارها (٧) من العلماء من يشير على الاصحاء اذا خافوا العدوى بعمل اللقاح ، وهو عمل محمود وقد افاد في كثير من الاحوال ، وأشهر من أشار بذلك القمصطلازي

أمراض الفطر

داء مادورا - أو - قدم مادورا Madura Disease

هو داء منسوب الى مدينة مادورا في جنوب بلاد الهند ويوجد كثيرا في

غيرها من البلاد الحارة والمعتدلة

وينشأ من دخول فطر مخصوص في القدم غالبا (وأحيانا في اليد) وقد يصعد

الداء من القدم الى الساق، ومن النادر أن يصيب الجذع، فينمو هذا الفطر في الجزء المصاب وينشأ من تهيبه للمكان أنسجة مخصوصة تشبه الأنسجة الحمراء التي تتكون في الجروح ويسمىها الاطباء المحدثون (بالازرار اللحمية) ويتقيح المكان المصاب وتتلف أجزاءه وتتأكل، وقد يصل الداء الى نفس العظام فيحدث بها النخر وتتكون نواصير يخرج منها صديد وحببات سوداء أو سمراء وقد تكون بيضاء أو بيضاء مصفرة تبعاً لنوع الفطر فان له أنواعاً كثيرة. ويكون حجم الحبيبة كراس الدبوس وقد يكون كبيراً كحبة الحص. وتتألف الحبيبة من خيوط كثيرة متفرعة ملتف بعضها ببعض الآخر وهي خيوط الفطر نفسه

فاذا أصيب القدم بهذا الداء ورم وانتفخ أخمصه كثيراً حتى يتجدب وترتفع الاصابع بسبب ذلك عن الأرض ويسود الجلد وتظهر به حلقات متعددة ونواصير كثيرة، فاذا سبرت قد نجد لها واصله الى العظام النخرة
وإذا أصيبت اليد أصابها ما أصاب القدم. ولعلاج لهذا الداء في أول الامر الا باستئصال الاجزاء المصابة، فاذا أزم من وجب استئصال القدم كلها وتكون الوقاية منه بتجنب كل سحج أو جرح للقدم بقدر المستطاع وتنظيفها دائماً (ومن هنا تظهر بعض حكم الوضوء) ودوام الاحتذاء. فاذا أصيبت القدم بأي جرح وجب تطهيره بالمطهرات الطبية ومعالجته بحسب الاصول الجراحية حتى يشفى تماماً اتقاء لهذا الداء ولغيره مما ذكر سابقاً كالتيتانوس

السل الكاذب - الأسبارغلوس ^(١) Aspergillosis

الاسبارغلوس يطلق على فطر ينتشر في بعض أعضاء الجسم فيتلفها، ويشاهد أحياناً في الرئة فيحدث بها مرضاً يشبه الدرن حتى قد تتكون فيها كهوف، ولذلك يسمى هذا الداء بالسل الكاذب. وتكون أعراضه ضيقاً في التنفس وسعالاً وبصقاً ونفث دم. ولا ينتشر الفطر من الرئة الى الاعضاء الاخرى. وقد يشفى من تلقاء نفسه بموت الفطر

(١) كلمة لا تينية معناها المنبت أو المنتشر

يصيب هذا الداء أحيانا مر بي الحمام ومطعميه بأفواههم لوجود الفطر في بعض الحبوب التي يضعها المربي في فمه لاطعام الحمام ، وهذا الفطر قد يصيب أحيانا العين أو الاذن أو الاتف أو الجروح والقروح وغير ذلك كأنسجة القدم فيتكون به نوع من أنواع الداء السابق (داء مادورا)

الفطر الشعاعي Actinomycosis

أول من وصف هذا الداء في الانسان هو اسراييل الالماني من أهالي براين سنة ١٨٧٧ م وفي سنة ١٨٧٨ أثبت [بونفيك Ponfick] أن النوع الذي يصيب الانسان هو عين ما يصيب الانعام

هذا الفطر يكون قطعا ترى بالعين المجردة صفراء أو سنجابية لامة مستديرة قطرها نحو ١/٢ من البوصة وقد يكون أحيانا ١/٣ منها فاذا نظرت هذه القطعة بالمجهر رؤي في مركزها خيوط مشبكة مع بزور ويتفرع من هذه الخيوط خيوط أخرى فتكون كأشعة النور المنبعثة من السراج وتنتهي بانفخ أطرافها . وهذا الداء يصيب الحيوانات الداجنة ولا ينتقل منها الى الانسان ، وإنما يصاب به الانسان والحيوان من أكل بعض الخضر أو الحبوب كالشهير

فاذا دخل الفطر الى الجسم لهق بالنشاء المخاطي للامعاء أو الشعب ثم يثبتها ويصل الى الاعضاء الغائرة فيحدث المرض في أجزاء مختلفة من الجسم ، وذلك بتبنيه للمكان المصاب فيلتهب ما حول الفطر وتتكون أنسجة غريبة كالآزرار اللحمية ثم تتميح وتناكل وتسمحيل الى مدّة، فينشأ في أول الامر في العضو المصاب أورام يكون قطرها نحو ثلاث بوصات أو أكثر، وهذه تناكل حتى تفسد العضو. وينتشر الداء بالمجاورة من وضع الى آخر ، ولكن الفطر قد ينتشر بالاعوية الى أجزاء الجسم البعيدة أحيانا

الاعراض — يختلف باختلاف العضو المصاب وكثير ما يبدأ المرض بالفم فيحدث فيه ورم تحت الجلد فوق الفك الاسفل أو فوق حافته يكون صلبا بطيئ النمو ثم ينتقل تدريجيا الى العنق .

وقد يضم جزء من هذا الورم ولكنه يزداد في الأجزاء الأخرى ويمتد حتى يصيب

الجلد نفسه، ويتكون فيه ما يشبه الخراج فينفجر ويخرج منه صديد به حبيبات الفطر، ويتعسر شفاء هذا الجرح بل يتخلف عنه ناسور. والظاهر ان الفطر في هذه الاحوال يصل الى الفك من الاسنان النخرة. وقد يصيب الداء الفك الاعلى ومنه يصل الى قاعدة الجمجمة، وقد يمتد الى المري، فيتقرح منه وتتأكل الفقرات أيضا.

وإذا أصاب الداء الامعاء ظهر على سطحها الخاطي بقع مبيضة مغطاة بحبيبات صفراء أو سمراء، ويكون قطر البقعة نحو ١ بوصة وسمكها ١/٢ بوصة. وقد يثقب هذا الداء الامعاء ويصل الى البريتون. ومن الفطر ما يصل الى الكبد، ومنه ما يصيب الرئة فتتهب شعبيها أو أنسجتها، ومنه ما يصيب الجلد فيدخل من أي جرح أثناء مس الجيوب أو القش، ولكنه قليل الحصول.

المعالجة — أحسن دواء لهذا الداء هو [يودور البوتاسيوم] فقد ظهر نفعه فيمن استعمل له من الناس والانعام، ويجب إعطاؤه بمقادير كبيرة حتى تصل الى أربعة دراهم في اليوم. وإذا كان الورم في مكان يمكن الوصول اليه أمكننا أن نعاون الدواء في فعله بالعمليات الجراحية كالكحت أو الاستئصال.

القلاع Aphthae

هو أشهر أدواء الفطر وأكثرها حصولا للبشر في جميع الاقطار. يشاهد هذا الداء في الاطفال الضعفاء خصوصا من يربون تربية صناعية أو الذين أصابهم اسهال مدة طويلة، وقد يشاهد أيضا في الشبان والكهول إذا أصابهم داء أنفك قواهم كالسل والسرطان والحى التيفودية.

ويشاهد في المصاب بقع بيضاء لينة على الأغشية المخاطية للشفين أو الخدين أو اللثة أو الحلق أو اللسان، وتكون مرتفعة قليلا عن سطح الغشاء ومحاطة بخط أحمر دقيق، فإذا نزعت هذه القطع البيضاء وجد الغشاء المخاطي الذي تحتها محمرا وسال منه قليل من الدم، وبعد زمن قصير قد تتكون البقع عليه ثانية. وهي تتألف من خلايا بشرية مع كريات دهنية ومن بزور الفطر وخيوطة. ينمو هذا الفطر في طبقات الأبتيلوم الوسطى ومنها يمتد الى الطبقات العليا والسفلى. ويصاب الطفل بسببه بالحمى

والإسهال ويكثر لعابه ويتضمر أو يتعذر إرضاعه ، وكثيرا ما يتقرح الشرج بسبب كثرة الإسهال

المعالجة — يجب تحسين صحة الأمعاء بجميع الوسائل الممكنة. ومن أول ما يجب العناية به معالجة الإسهال. ويجب مسح فم الطفل بخزقة مطهرة مغموسة في الماء العقيم أو في محلول البوريك، ثم يوضع في فم طفل نحو نصف ملعقة صغيرة من غلسمين البورق مرتين في اليوم أو ثلاثا ، فإنه قاتل لهذا الفطر

الوقاية — يجب على الأم أن تفصل ثديها بعد كل رضاعة وقبله، وأن لا تضع شيئا في فم الطفل مطلقا الا اذا كان مطهرا بالغلي أو غيره كأدوات اللعب وكالحلمات الصناعية، كذلك لا يجوز مس فمه بالأصابع الا بعد تطهيرها، واذا كان الطفل يغذى بغير لبن أمه ويجب تطهير طعامه أيضا بالغلي . ويجب المبادرة الى معالجة كل ما يفسد صحة الطفل كالأسهال أو القيء وغيرها

الأرضة Tinca

تسمى الأرضة بالأفريقية تينيا . وهي أنواع كثيرة تنشأ كلها من فطر يصيب الجلد . وهالك أشهر أنواعها : —

(١) الأرضة المتنوعة الألوان [Versicolor] تصيب الجلد وتنمو فيه بالعرق والتدفئة، وهي كثيرة الحصول للذكور، ولا تصيب الا الاجزاء المغطاة بالملابس فيشاهد في الجلد بقع مستديرة سمراء مصفرة مرتفعة قليلا عن سطح الجلد وتمتد في اجزاء كثيرة منه، ولا يحدث منها ضرر سوى بعض أكلان

المعالجة — تكون بالاستحمام بالصابون (واحسنه الفينكي) مع الدلك بشيء خشن ثم يدهن الجسم ببعض المراهم الكبريتية أو الزئبقية ولكن يلاحظ في المراهم الزئبقية أن لا يدهن بها سطح متسع من الجلد خوفا من التسمم. ويجب غلي الملابس وتطهيرها بعد الاستحمام وكذلك أدواته كالقوطة وغيرها

(٢) الأرضة الخائفة [Tonsurans] وهي تصيب رؤس الاطفال خصوصا الفقراء، وتنتشر في المدارس ونحوها باستعمال المشاط والقبعات الملوثة بالفطر. وينشأ من

هذا المرض صلح بالرأس ويتفصف الشعر المصاب، وتكثر بالرأس القشور والتهرية.
وتطول مدة الداء، وبعد عدة سنين يشفى من تلقاء نفسه

(٣) الارضة الحلقية [Circinata] أشاهد حلقات الداء غالبا في الوجه والعنق
والقراع، وتكون الحلقات قرنفلية مرتفعة قليلا عن سطح الجلد مغطاة بقشور رقيقة
(٤) الارضة الدقنية [Sycosis] تصيب شعر اللحية على الاكثر ففسده

وتسقطه وتلتهب الدقن بسببها، وهي عسيرة الشفاء

وعلاج هذه الانواع يكون بتنظيف الشعر واستعمال النظافة التامة والتطهير بمثل
اليود أو الكبريت أو مركبات الزئبق . وعلاجها بأشعة رونتجن مؤكداً نفعه
سريع التأثير

القراع Favus

داء مشهور يصيب أي جزء من اجزاء الجلد خصوصا فروة الرأس. وينتقل من
شخص إلى آخر بالعدوى، وقد ينتقل إلى الانسان من بعض الحيوانات الداجنة كالتلطيح
والارانب والكلاب . وعلاجه يكون بالتنظيف والتطهير وأشعة رونتجن كما سبق .
وينبغي الاعتناء بصحة المصاب بإرشاده إلى القواعد الصحية، وإعطائه الادوية
المقوية

مبايعة شريف مكة واميرها

على ملك العرب

جاء في جريدة القبلة التي صدرت مكة في ثلاث المحرم فاتحة هذا العام مانصه:
امتلاّت قاعات قصر الديوان الهاشمي العالي صباح أمس بمجاهير الاشراف
الكرام والعلماء الاعلام والاعيان المظالم بحيث لم يبق في بلد الله الامين ذوحية
ومكانة عالية الا وحضر هذا الاجتماع الفخيم ليعرضوا على جلالة سيدنا ومولانا
المعظم أمنية طالما تمنوا اظهارها من حيز القوة الى حيز الفعل ألا وهي اقناع جلالة

بقبول بيعتهم له ملكا على العرب ومرجما دينيا لهم ريثما يقرر العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية

ولما غصت أنحاء القصر العالي بمحضرات الاعيان القادمين لهذا الغرض تشرف بالثول بين يدي جلالة سيدنا المعظم في غرفة أعماله الخاصة حضرة العلامة الورع الشيخ عبد الله سراج رئيس علماء بيت الله الحرام وقاضي القضاة ونائب رئيس الوكلاء الفخام وأباً جلالته بحضور هذه الجماهير لعرض بعض المعروضات على مسامحة الكريمة ولما تشرف جلالته قاعة الاستقبال الكبرى في الديوان الهاشمي العالي استقبل رجال الامة تلك الطلعة الهاشمية المقدسة بقلوب طافحة بالمحبة والاحترام والاجلال والاعظام . ثم تمثل حضرة العلامة قاضي القضاة بين يدي جلالته نائبا عن وجوه الامة كما هي عادته في مثل هذه المواقف من القديم فعرض على جلالته الغرض من تشرف المجتمعين بالوقوف بين يديه، وأنهم قد كتبوا عريضة في هذا المعنى يريدون تلاوتها على مسامحة الشريفة فأجاب جلالته بالكلمات الملوكية الآتية:

« اني لم أكن أرى ضرورة شديدة لهذا العمل الذي جئتم من أجله وذلك لما أعلاه من نهوض بلادي بالامر الذي نهضنا به وشدة إخلاصها له وعضها عليه بالنواجذ ، ولم تنحصر هذه العوطف في بلادنا وحدها بل ان لعرب الشام وعرب العراق مثل ما لأهل بلادنا من الحرص على استرداد مجدهم وجمع كلمتهم . وقد وردت لي الرسائل من أعيانهم بذلك ، على أن هذا الامر الذي جئتم اليوم من أجله سينفي كل ما ربما يخطر على بال الذين يجهلون حقيقة أحوالنا من الخواطر البعيدة عن مبادئنا وشيمتنا وأصول ديننا وقوميتنا

« واقتي أقسم لكم بالله العظيم إنني لم أرد هذا الامر الذي تكلفوني به ولم يخطر على بالي عند ما قمت معكم بنهضتنا السعيدة ، ولكنني رأيت كما رأيتم اننا امام خطر عظيم وخطب جسيم ربما قضى علينا القضاء المبرم اذا لم نبادر الى ازالته »

وهنا ارتفع ضجيج الحاضرين بالدعاء لجلالته، والالحاح بقبول الذي جاؤا لاجله،

فقال جلالته :

« انكم حملتموني أمرا أنا أعرف الناس بما يستلزمه من الجهد ، وطالما قلت لكم

اتي واحد من جمهور الامة أبرم ما يبرهون من حق، وأرفض ما يرفضون من باطل، وأمد يدي لكل من يتفقون على اسناد أمرهم اليه على كتاب الله وسنة رسوله. وإذا كان لا مناص مما أردتموه فاني أشترط عليكم أن تعينوني على أنفسكم، وتساعدوني بأرائكم وأعمالكم في كل ما يحقق آمالنا وآمالكم من انقدمة العامة للعرب والمسلمين، واننا نستعين بالله تعالى في كل ما يحبه من قول وعمل وعليه الاتكال في كل حال» ولما اتمى جلالاته من الخطاب الملوكي الذي كان يتخلله دعاؤ الناس وثناؤهم أخرج حضرة قاضي القضاة العريضة التي أشرنا اليها وأعطاهها لحضرة الشيخ عبد الملك مرداد ليتلوها على مسامع جلالاته وهذه صورتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ملك الحق المبين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الامي العربي سيد الخلق أجمعين، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الطيبين، وسلم تسليماً كثيراً أما بعد فان للعرب المنزلة الرفيعة بين الامم لانهم في مقدمة الاقوام الساميين، الذين نشروا في الارض حقيقة التوحيد وهداية الدين، فدانت الدنيا كلها في كل أزمانها الى ما أراد الله أن يتمه على السنة أنبيائهم العظام من الشرائع الالهية، والسنة القويمية والمحامد الاخلاقية والفضائل والكمالات، حتى استنارت الامم بنورهم، واهتدت بهمديهم. ولقد فضل الله في كتابه الكريم واد اسماعيل وآل ابراهيم على العالمين جميعاً، وانه قد ثبت في صحيح مسلم أن الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى من بني هاشم نبينا وفخرنا وذخرنا جدكم الاعظم المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم

فبجدكم الاعظم خرجنا من الظلمات الى النور، وبييتكم الاقدس كان رشادنا بعد الجهل، وان البيت الذي عدل بنا عن طريق الغواية، الى طريق الهداية لا يزال ملزماً يلمشعنا. وتقويم أردنا، واستلام زمام أمورنا، هما نجمتم من العناء لاجل هنائنا، وهما محملتكم من الجهد لاجل سعادتنا، وما كان لنا أن نلجأ لغير البيت الذي اختاره الله عز وجل، ولا أن نصطفى قوماً غير الذين اصطفاهم لنفسه. وقد ثبت في صحيح

البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
« ان هذا الامر في قریش لا يعاديه أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين »
وانه قال صلى الله عليه وسلم :

« لا يزال هذا الامر في قریش ما بقي منهم ^(١) اثنان »

فأنتم قریش بل أنتم الصفوة من هاشم ، وانا ندين الله تعالى يوم الوقعة الكبرى
بين يديه بأننا لا نعلم اليوم أميرا مسلما أتقى الله منكم وأشدخوفا منه وعمسكا بأوامره
واقامة لشئائه قولا وعملا ، وأقدر على النظر في أمورنا بما يرضي الله عز وجل ، ونحن
الذين عرفناكم في أيام الرخاء وأيام الشدة وفي حالي السر والعلن
وان حولكم أمة برهنت في أدوار كثيرة من أدوار التاريخ على انها عظيمة
المدارك ، عالية الهمة ، كثيرة الاقدام ، حازمة عادلة صبور ^(٢) رحيمة منصفة ، ولو ان
صفحات التاريخ فقدت من الوجود لكفى في الدلالة على عقلها لعقها التي حيرت
أمرارها العقول ، وآدابها التي هي خزانة المعارف ، وأشعارها التي نظمت لآلئ الحكمة
في البوادي القاحلة أيام جاهليتها الاولى ، فضلا عما أقامته من معالم الحضارة في كل
بقاع الدنيا القديمة مما لا يزال أثره ماثلا للانظار

ان أمة كمنه أثبتت العلوم الحديثة أن تكوين دماغها وارتقاء عقلها لا يقل عن
مثله في أرقى الامم ، وبرهن تاريخها على انها أمة جد وعمل وتفنن وحسن سلوك
ومكارم أخلاق ، تحفظ الجليل لمن يسديه اليها ، وتعرف معروف كل من له يد عليها ،
لهي أمة تستحق أن تنتشل من قيودها الثقيلة وتنقذ من وصاية فئة سفاهة مخربة
جاهلة مفرورة ، ليس فيها استعداد فطري للتحلي بشيء مما تحلى به العرب من المزايا
والخصائص ، والأخلاق والفضائل ؛ وان من مظالم عصرنا الفادحة رضاء الامم ببقاء
العرب محكومين لتلك الفئة الوضيعة التي تحتاج الى الحجر عليها ، لا أن تكون أمة
كأمتنا ذات مجد أثيل وتاريخ مجيد وآداب عالية وفضائل سامية راضخة لوصاياها خانعة

(١) سقط من القبة لفظ منهم . وفي رواية لمسلم : ما بقي في الناس اثنان

(٢) صبور يستوى فيه المذكور والمؤنث ولعله قال صبوراً للتناسب بين ما قبله

لجورها، حتى ذقت صنوف الذل وأنواع الهوان باسم الاسلام الذي تنقض هذه
الفتة كل يوم دعامة من دعائمه. وقد ورد من حديث جابر عند أبي يعلى بسند صحيح :
« اذا ذلت ^(١) العرب ذل الاسلام »

فنحن ياسيد العرب ومنتقد الاسلام من أيدي أعدائه المارقين، نحمد اليك الله
الذي أعزنا بك، ونصر جند الله ببركتك وروحانية جدك صلى الله عليه وسلم، وتقرب
الى الله سبحانه وتعالى بمحاربة من حاربك وموادة من وادك، وان مودة آل بيت
الرسول عليه وعليهم افضل الصلاة والسلام هي الاجر الذي سأله على ما هدانا اليه
من سعادت الدنيا والآخرة حيث قال عز من قائل :

(قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى) ^(٢)

فانهمض ياسيدنا الى ماشاء الله أن يجريه على يديك من اصلاح شوئنا وولاية
أمورنا نحن معانسر العرب الذين يعاقون آمالمهم على صلاح دينهم وديانهم على تبوئك
سرير ملتهم

واننا نبايع سيدنا ومولانا (الحسين بن علي) ملكا لنا نحن العرب يميل بيننا
بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . ونقسم له على ذلك بمن الطاعة

(١) في جريدة القبلة ذل وهو غلط فلفظ العرب مؤنث والرواية ذلت
(٢) جرى الشيخ حفظ الله مودته في هذا على قول مشهور في كتب التفسير
وفي الآية أقوال أخرى أصحها ما رواه الشيخان والترمذي وأكثر رواة التفسير
المأثور عن ابن عباس قال « لم يكن بطن في زمن قريش الا كان له فيهم قرابة
فقال : الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة . وفسر ذلك في رواية أخرى
بأن يحفظوا حق قرابته فيهم بنصره ومنعه ممن يؤذيه (ص) كما دلتهم في حفظ
القرابة بدلا من إيدائه . وجعل بعضهم النصرة بالاعسان به واتباعه ليكون بمعنى
(قل لا أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا) أي بطاعته
كما قال قتادة وصرح بعضهم بان الاستثناء ، هنا منقطع وقد نفي سؤال الأجر بغير
استثناء في قوله تعالى (وما تسألهم عليه من أجر ان هو الا ذكر للعالمين) وقد
حكى سبحانه مثل هذا عن المرسلين في هود والشعراء وغيرهما من السور

والاخلاص والالتقياد في السر والعلانية، كما اننا نعتبره مرجعنا دينيا لنا أجمعنا عليه ريثما يقر قرار العالم الاسلامي على رأي يجمعون عليه في شأن الخلافة الاسلامية
 نبايعك على هذا يا صاحب الجلالة ونقسم لك بالله العظيم على طاعتك والرضا
 بك والالتقياد اليك في السر والعلانية . ولك علينا في ذلك عهد الله وميثاقه ما أمت
 الدين، واجتهدت فيما فيه صلاح حال العرب والمسلمين (فمن نكث فأنما ينكث على
 نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتاه اجرا عظيما)

غرة المحرم الحرام سنة ١٣٣٥

ولما انتهت تلاوة العريضة أقبلت جماهير أهل الحل والعقد من الأشراف والعلماء
 والاعيان وكبار التجار وسائر ذوي الطيئيات فبايعوا على ذلك بوجوه مستبشرة
 وقلوب طافحة بالسرور . ثم تقدم حضرة الفاضل الشيخ فؤاد الخطيب فبسط لدى
 جلالته آمال سورية العربية وذكر أن أولئك الشهداء الذين سارت بذكركم الركبان
 إنما ماتوا من أجل الوحدة العربية ، ولتفانيهم في الدفاع عن شعائرهم الاسلامية ،
 وقال ان مكان تلك الديار جديرون بأن يكونوا من جملة العرب المستقلين المتمتعين
 برهاية جلاله سيد العرب وملكها . وبايحه بعد ذلك أسوة بسائر العرب على كتاب
 الله وسنة رسوله

ثم تقدم حضرة الشيخ عبد العزيز مرداد فدعا لهذه الدولة بالعز والسؤدد والارتقاء
 والفلاح بناية سيدها ومنقذها جلاله ملك البلاد العربية ، فأمن الحاضرون على
 كل جملة من دعائه

وقبل انفضاض هذه الحفلة الكبرى تفضل جلاله سيدنا الملك المعظم فأجاب
 استرحام القوم بتميم البيعة في المسجد الحرام في وقت مخصوص سنعلن عنه في العدد
 القادم . وذلك اكراما لخواطر طبقات الشعب الذي أظهر الرغبة بالاشتراك مباشرة
 مع من قام عنه بالبيعة وناب منابه في أداء واجباتها

وفي آخر الحفلة تلا حضرة الشاعر الاديب الشيخ عبد المحسن الصحاف خطبة
 أنيقة بصوت جهوري وأتبعها بقصيدة غراء تناسب المقام اه

[المنار] ان سبق أهل العلم والمكانة والرأي في مكة المكرمة الى هذه المبايعة

وما تلاها من مبايعة وفود سائر بلاد الحجاز الذي فصلت خبره جريدة القبلة في عدد آخر مبني على ثلاثة أسباب (١) اعتقادهم ان فئة الاتحاديين الملتحدة الباغية قد تغلبت على الدولة العثمانية بقوة الثورة والاعتماد على الالمانيين الطامعين في البلاد ووضع الدولة تحت وصايتهم حتى لم يعد للسلطان أدنى استقلال في حكم ولا رأي (٢) ان اعتداء هذه الفئة الباغية على العرب ومحاولتها اهلاكهم كما اهلكت الارمن بغضا فيهم وفي دينهم وامتداد بنفيا من الشام الى الحجاز وما ترتب عليه من الحصر البحري قد اضطر أهل الحجاز الى اعلان الاستقلال التام كما بيناه من قبل ، وذلك لا يتحقق الا بمبايعة الامة المستقلة لها كما أو بتغلبه هو عليها بالقوة، وحكومة الحجاز من النوع الاول المشروع (٣) ان صاحب الحجاز وأهل الرأي فيها يائسون من بقاء استقلال الدولة العثمانية، ورازمون بأنها اما ان تكون تحت سيطرة الالمان القاسية واما ان تنحصر سلطتها في بعض ولايات الاناضول، فهذا وجب على العرب أن يسارعوا بعد الاستقلال بما استطاعوا من بلادهم الى تعيين شكل حكومتهم المستقلة ويطالبوا الدول المحالفة لهم بالاعتراف باستقلالهم قبل عقد الصلح لئلا تعدم الدول من اتباع الترك. ونحن قد بينا رأينا في هذه المسألة في خطبتنا التي ألقيناها بين يدي الشريف الاعظم وعلى مسامع كبراء الحجاز والحجاج في منى وسنشرها في المنار

﴿ مبايعة وفود الاقطار الحجازية ﴾

جاء في العدد الرابع والعشرين من جريدة القبلة الذي صدر في ١٠ المحرم

ما نصه :

« شهدنا في صباح أول أمس جموع العرب من سلائل مضر وريضة وقضاة وقحطان، وأخواتهم من مختلف الامم والاطوان ؛ يهرعون من باب الصفا الى بيت الله الحرام أوفاء بعد أوفاء ملين دعوة دينهم و يقينهم ، ومجيبين نداء وجداناتهم ومضاميرهم ، في تقليد أمرهم لا قدر المسلمين على القيام به

« ولما كانت الساعة الثانية عريية كان جلالة الملك المصطفى قد جاء من القصر

(المجلد التاسع عشر)

(٥٦)

(المنار : ج ٧)

الملوكي الى مدرسته. الملاصقة لبيت الله الحرام فدخل اليه منها يحف به آل البيت الاطهار، وعلماء الشرع الابرار، ووجوه الامة الاخيار. ففتحت الجوع العظيمة لقرة عينها، وسبب عزها وسعادتها، وحينئذ أعطى حضرة العلامة صاحب المال قاضي القضاة ونائب وكيل الوكلاء عريضة أهل الحل والعقد لحضرة الفاضل الشيخ عبد الملك الخطيب ايتاوها على مسامح من لم يسمها من جمهور الامة فيكونوا على بينة مما تضمنته من الحقائق الدينية والدينية، فصدد حضرة الخطيب على دكة أقيمت أمام رواق الحرم الشريف وقراها على الجماهير فقابلوها بالجندل والخبور والفرح والسرور. ثم أقبل حضرة قاضي القضاة على يد حضرة صاحب الجلالة الهاشمية ملك البلاد العربية فبايعه بالصيغة التي نشرناها ضمن العريضة في العدد الماضي من القبلة^(١) وتبعه حضرات الاشراف والسادة ورجال الدولة والعلماء والاعيان ووفود البلاد فجماهير الامة على اختلاف طبقاتها. وكان رجال الشرطة يحافظون على النظام بكل دقة وأتباء. وقد رأى حضرة قاضي القضاة بعد أن تشرف بضمة ألوف من الناس بشرف المبايعة السعيدة أن الوقت لا يقسع لاستمرار الالوف الكثيرة في ذلك فطلب منهم أن يجيزوه في أخذ البيعة عنهم فأجازوه اجازة اجماع عام مطلق، فبايع عنهم على مسمع منهم، ثم صدد حضرة الشيخ عبد الملك مرداد على الدكة فدعا بدعاء يبلغ خشعت له القلوب وأمنت عليه الالسة. وعند ختام الدعاء عاد جلالة ملكنا المحبوب الى المدرسة فلبث فيها برهة، ثم سار موكبه الفخيم الى الديوان الهاشمي العالي وجماهير الامة تهتف له بالنصر والعز والتأييد، وتلاميذ المدارس مصطفة تحت الاعلام العربية المنصورة تشد أناشيد الحماسة والاستبشار بالمستقبل الباهر السعيد. ولما وصل الموكب الفخيم الى القصر الملوكي العالي أقبلت ألوف الناس من العظماء الاعيان والتجار ومن في طبقتهم للتشرف بالاعتاب الهاشمية. وأخذ الخطباء والشعراء يتبارون في بيان عواطف الامة بهذا العيد الاعظم للعرب والاسلام.

[المنار] قد نشرت جريدة القبلة ما وصل اليها من تلك الخطب والقصائد فاستغرق الصدق كله. وقد ذكرت أسماء أشهر رجال الوفود من جده والطائف

(١) العنواب انه العدد الذي قبله وهو عدد ٢٢

وغيرها . وقد علمنا أن كثيرا من زعماء العرب وفضلائهم في الجزيرة ومصر قد رفعوا الى ملك الحجاز رسائل التهاني بالهرق وبالبريد

احتضار سورية

— شهادة جريدة المانية —

ترجم أحد مراسلي الجرنال دي كير في جنيف مقالة نشرتها جريدة ألمانية في زوريخ — هي (نيوزورينجر زيتونج) — في ١٢ اكتوبر الماضي وصفت فيها شقاء سورية ويأسها أو اليأس منها، واثنا نشر ترجمتها بالعربية نقلا عن جريدة الاهرام الصادرة في ٣٠ المحرم لان شهادة الالمان في هذه القضية — وهم أعوان الاتحاديين على تقيير العرب كالارمن — لا تفجرح بالكذب ولا الفلوكشهادة غيرهم . وهذا نصها : « ان الجرائد السورية التي يرقبها الالمان رقابة شديدة صارمة تصف تعاسة تلك البلاد وشقاءها المر المفظر للاكباد ، فاذا ضربنا صفحا عن قتلى الحرب وجرحاها نجد ان الجوع والابوثة كالكولرا والطاعون والتيفوس الخ قد أفنت عشر الاهالي ملكيين وعسكريين

« فسورية الممرضة لكل هجوم براً وبحراً والمتصلة بالآستانة بخط حديدي واحد وهو خط « حلب — أطنه » تحملت من ويلات الحرب ما لم تتحملة بلاد أخرى محاربة وإن لم تكن سورية ميدانا للقتال ولم تر المعارك الدموية الا في حدودها الجنوبية ، وهذه المعارك التي جرت لم تفسر شيئا من حالة قناة السويس ولا حالة الحرب بوجه من الوجوه وحال من الاحوال

« ولا يذكر التاريخ ان هذه البلاد رأت من النوايب والبلايا منذ غزوة المغول (١)

(١) هم التتار السلف الطالح هؤلاء الاتحاديين الذين تفتخر بهم جمعياتهم الداعية الى العصبية التركية الطورانية حتى صاروا يدعون بالجنكيزيين نسبة الى جنكيز خان الطاغية الملعون الذي دفع قومه الى تدمير بلاد الاسلام ومحو المدينة العربية

الى اليوم ما رآته في هذه الايام . فكثير من الارض لم يزرع والمحصول لا يكفي للسكان

« وفي شتاء عام ١٩١٥ نقل بعض السوريين المسلمين والمسيحيين بعض الجهد ليتخلصوا من الحكم التركي الذي ينهكهم ولكنهم لم يفلحوا وكانت النتيجة أنهم ذبحوا جميعا (يدرك القارئ أن الجريدة الالمانية تريد أن تبرر الذبح بزعمها ان اناماً ثاروا على الحكومة مع ان الحكومة التركية لم تقل ذلك)

« وزاد في فناء الاهالي واستئصالهم الجوع والطاعون، وسعت السلطة العسكرية أن تعالج الداء (؟) ولكن الملاج جاء متأخرا وبعد فوات الوقت فلم يكن بالامكان استخدام دواء ينجع ويفيد . وفتحت في القدس ودمشق وبيروت وياقاقات للشاي^(١) جعل فيها من الشاي والحبز والماء الساخن قليلا أو بلائمن للفقراء والبائسين . وتألفت جمعيات للقيام مقام الاطباء في معالجة المرض وتنظيف المنازل والحارات والشوارع وعزل المرضى وتوزيع الادوية التي يستطيعون الوصول اليها .

« ولكن المستشفيات العسكرية ذاتها ليس فيها أضمدة ولا موازين للحرارة ولا أبر للحقن ولا غير ذلك مما يعالج به المرضى . ثم ضاعف الوبئة وجعلها عامة شاملة الجوع والضيق . وقد كانت عائلات كثيرة تسبقي حياتها بضعة ايام بقشور الليمون والبطيخ والطماطم الى أن يمرضوا جميعا ونصبتهم احدى جمعيات البر

« وقد صدق أحد مراسلينا في القدس بقوله « ان اورشليم المقدسة تقرض

الآن للمرة الثالثة ولكن اقراضها في هذه المرة هو أتم منه في المرتين السابقتين »

« والحكومة الحالية التي هي ليست مسؤولة كل المسؤولية عما هو واقع (؟)

قبذل الآن ما بوسعها لتدارك هذه الحالة (؟) و يماونها جميع الناس من جميع المذاهب

والجنسيات، وقد أهمل الناس جميع فروضهم الدينية خوفا على حياتهم كهجوم رمضان

عند المسلمين وصوم الصيف عند اليهود وكذلك سلك المسيحيون

« وتجتهد السلطة العسكرية في ان توزع الحبوب بالقسط والعدل والمساواة بين

المدن والقرى وتنعن الناس من تخزين الاقوات حتى لا تصعد الاسعار . ووزع جمال

(١) لعل الذين فتحوها هم اليهود لأن أكثر السكان منهم أو الجمعيات الخيرية

باشال حديثاً على فقراء دمشق بعض الاكل ولكن الجوع والضيق في المدن الكبرى في حال هائلة لا يستطيع قلم الكاتب وصفها وتصويرها للقارئ
 « فلا يمكن بحال من الاحوال ان تحول هذه المساكنات الوقتية التي يعالجون بها تلك البلاد دون احتضار الموت والنزع الاخير. فسورية هالكة مائة لا محالة ، ولا مرد لهذا القضاء عنها ، وسواء بقيت بيد دولتها أو صارت الى يد دولة أخرى فان بعضها من مدفنها أمر مستحيل » .

[المتأ] هذه شهادة الالمان لحلفائهم بل عليهم . والتبعة والمسئولية في هذه الجنايات الفظيعة على هذا الشعب العظيم ليست كلها على حكومتهم الطاغية الباغية وحدها وان كانت أهلكت الحرث والنسل عمداً ، بل يقع سهم كبير منها على استاذتها ألمانية التي علمتها كيف تأخذ من البلاد جميع الرجال القادرين على العمل والصالحين للنسل من سن البلوغ الى سن الشيخوخة وتستعبدهم في أشق أعمال الحرب— وكيف تأخذ ما تنتجها الارض بعمل الشيوخ والنساء والاولاد للسلطة العسكرية مصادرة ونهبها ، ولم تعلمها ان تبقي للاهالي الضعفاء الباقين ما يسد رمقهم وان توزعه عليهم كما توزع هي الاطعمة في بلادها ورضيت منها بالفظائع التي لا تحتاج فيها الى تعليم لانها غريزة وراثية فيها كقتل العلماء والكتاب ورجال الادارة حتى لا يبقى في البلاد من يعرف مصانعها ويطلب بها ، وكنفي ارباب البيوتات ونهب أموالهم حتى لا يبقى في البلاد غني يلجأ اليه الفقراء والباؤسون في وقت الضراء . ولماذا يموت السوريون جوعاً ولم يمت أحد من الالمان جوعاً وغلات سورية أكثر من حاجتها وغلات ألمانية دون حاجتها ؟ ولماذا تقطع الغلات العثمانية الفياضي والقفار والجبال والبحار حتى تصل الى ألمانية في قلب أوربة وأهلها يموتون جوعاً ؟ ولما تستنزف ألمانية قوة الدولة العثمانية وثروة شعوبها وتسخرها كلها لخدمتها في هذه الحرب ولا تهجد عليها بالادوية التي تعالج به مرضها وعندنا من الادوية ما يكفي مما كثيرة ؟ الآن تذكرت الصحف الالمانية سورية بالرائء، والاعتذار عن أحلافهم السفهاء ؟ أمثل هؤلاء الملاحدة الكفرة الفجرة تريد أن تجذب اليها العالم الاسلامي الى الاتحاد بخدمتها؟ لقد صدق من قال أن الالمان اتقنوا جميع العلوم والفنون، الا علم طباع الأمم واخلاق الشعوب.

باب الشعر والادب

متى يذكر الوطن النوم

للشاعر الاجتماعي السوري المقيم في امريكة وقد نشرت في صحفها الشهيرة

جلست وقد هجم المافلون أفكر في أمسنا والغد
وكيف استبدَّ بنا الظالمون وجاروا على الشيخ والأمور
نخلت اللوايح بين الجفون وأن جهنم في مرقدني
وضاق الفؤاد بما يكتم فأرسلت العين مذارها

.....

ذكرت الحروب وويلاتها وما صنع السيف والمدفع
وكيف تجور على ذاتها شعوبها الرتبة الارفع
وتخضب بالدم راياتها وكانت تدم الذي تصنع
فباتت بما شيدت تهدم صروح العلوم وأسوارها

.....

نساء تجود بأولادها على الموت والموت لا يرحم
وجند تذود بأكبادها عن الأرض والأرض لا تعلم
وتخذو الطيور بأجسادها فان عطشت فالشراب الدم
وفي كل منزلة ما تم تشق به العيد أزارها

.....

لقد شبع الذئب والاجدل واقفرت الدور والاربع

فكم يقتل الجحفلَ الجحفلُ
ولن يرجع القتل من قتلوا
فبئس الألى بالوغى علموا
وبئس الألى أججوا نارها
ويقتك بالاروع الاروع

.....

أمن أجل أن يسلم الواحدُ
ويزرعُ أولاده الوالدُ
أمور يحارُ بها الناقدُ
فيا ليت شعري متى نفهم
تُطلُّ الدماء وتفي الالوف
لتحصدم شفراتُ السيوف
وتدمي فؤاد اللبيب الحصيف
معاني الحياة وأسرارها؟

.....

وحوات طرفي الى المشرق
تحول على بدره المشرق
فأسندت رأسي الى مرفقي
يربك أيتها الانجم
فلم أر غير جبال الفيوم
كما اجتمعت حول نفسي الغيوم
وقلت وقد غلبتني الهوموم
متى تضع الحرب أوزارها؟

.....

كما يقتل الطير في الجنة
كذلك يجنى على أمي
فخام تؤخذ بالقوة
وكم تستكين وتستسلم
ويقتصر الظبي في السبب
بلا سبب وبلا موجب
ويقتصر منها ولم تذب
وقد بلغ السيل زنارها

.....

وسينت الى النطم سوق النعم
مغاويرها ورجال الادب

وكل امرئ لم يمت بالخدم فقد قتلوه بسيف السنب^(١)
فما حرك الضيم فيها الشم ولا رؤية الدم فيها الفضب
تبدلت الناس والأنجم ولما تبدل^(٢) أطوارها

.....

أرى الليث يدفع عن غيضته بأسيابه وبأظفاره
ويجتمع النمل في قرية إذا خشي الغدر من جاره
ويحشي الهزار على وكنته^(٣) فيدفع عنها بمنقاره
فلا الكاسرات ولا الضيفم ولا الشاة تمدح جزأرها^(٤)

.....

عجبت من الفاحك اللاعب وأهلوه بين القنا والسيوف
يبتون في وجلٍ ناصبٍ فإن أصبحوا الجأوا للكهوف
وممن يصفق للضارب وأحابيه يجمعون الختوف
مى يذكر الوطن النوم كما تذكر الطير أوكارها



(١) الخدم بوزن كتف السيف القاطع من الخدم وهو القطع بسرعة وفعله بوزن ضرب يضرب . والسنب الجوع
(٢) لو قال تبدل بنون التوكيد لاستغنى عن ضرورة رفع الفعل المجزوم .
والأنجم في البيت أما الكواكب ومنها بالتبدل مبالغة أو أنواع النبات الذي
لا ساق له (٣) الوكنة بالضم عش الطائر (٤) يشير الى بعض المناقنين الذين يمدحون
هؤلاء الخمرين ويعتدرون عن فظائهم

المسحاة

١٣١٥

بوقى الحكمة من يشاء ومن يؤن الحكمة ههد
أوفى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

فتبر عادي الدين يستهون القول فينبون أحسنه
أولئك لدين هدهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و «منارا» كنفار الطريق

مصر ٢٩ ربيع الاول ١٣٣٥ - ٤ الدلو (ش ٢) ٥١٢٩٥ ش ٢٤ يناير ١٩١٧

رحلة الحجاز

٢

(تابع لما في الجزء الخامس)

ضربت وزارة الداخلية يوم السبت الخامس والعشرين من شهر صفر (الموافق لأول الميزان ٢٣ سبتمبر) موعدا لسفر ركب الحمل المصري من القاهرة الى السويس وأذنت مريدي الحج بأن يكونوا قبل ذلك اليوم في السويس ليأخذوا فيها أهبتهم ويتبؤوا أمكتتهم من الباخرتين اللين أعدتها لحلمهم الى جدة. وبيننا أنا منهمك في الاستعداد للسفر بشراء ما ينبغي شراؤه وترتيب ما تقرر رحله، واعداد ما تحتاج اليه الدار، وإدارة المنار، خطر في بالي أن أكتب رسالة في مناصك الحج أئين فيها أحكامه وحكمها بعبارة سهلة، مأخوذة مما صح في السنة، وأن أطبعها وأحملها معي هدية للحجاج الذين أصبحهم وألقاهم. فترعت في ذلك وقت الظهر من يوم الاربعاء فكنت أكتب عدة أسطر ثم أترك الكتابة عدة دقائق للاشتغال بشيء ضروري. ثم اثني اضطرت

الى ترك الكتابة من ظهر يوم الخميس الى ضحوة يوم الجمعة، ثم قضيت أصيل ذلك النهار وغسق الليل خارج المكتب والدار، فتعذر الجمع بين اكمال المناسك والسفر في يوم الجمعة فأكلت كتابتها في هذا اليوم (الجمعة) فكانت أكثر من كراستين وقد ضاق الوقت على طبعهما قبل السفر، اذ تعين أن يكون آخر موعد له قبل الظهر بساعة من يوم السبت، فاضطرت بعد جمع حروفهما ليلا الى اختصار الاولى بالحذف من عدة مواضع منها، وطبعت بعد ان نمت فلم أتمكن من تصحيحها، فذلك كثرت أغلاطها، وتعذر على المطبعة أن تجهز لنا ضحوة السبت جميع النسخ، فأكتفينا بحمل مئات منها ركبنا القطار الحديدي مع السيدتين الوالدة والثقيفة قبيل انتهاء الساعة الحادية عشرة من يوم السبت بوضع دقائق، وكان ركب الحمل قد سافر في قطار خاص في أول هذا اليوم، وودعنا في المحطة الأهل والأخوان، وخاصة من علم بموعد سفرنا من الخلان، وقد كنا بلونا لوعة الوداع بتعدد الامفاره وكان أشعهاها وداع الوالدين والاقربين والاصدقاء عند الهجرة الى هذه الديار، ولكنني لم أذق قبل هذا اليوم لوعة توديع الأهل والأولاد لاني لم أكن في حال سفر من أسفاري السابقة زوجا ولا والدا.

﴿ نبذة فلسفية شمرية في الوداع وما فيه تهذيب الطباع ﴾

قرأت قبل سفري الاول كثيرا مما قاله الادباء والشعراء في الوداع، وحفظت من أشعارهم ما لايسهل علي أن اتذكره الآن، ولا أحب أن اشغل بالتظويل في هذا الموضوع قراء هذه الرحلة، ولا أن أترك الامام به وهو من أهم مسائل علم النفس التي تفيد بصيرة في علم التربية.

إنني عند وداع الوالدين وذوي القربى والاصدقاء في سفر الهجرة الى مصر وجدت في نفسي وفيمن ودعت منهم مصداقا لقول الشاعر:

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ورأيت كيف نكرر التوديعا
لرأيت أن من الدموع محسنا وعلمت أن من الحديث دموعا

فقد كان الحديث للدموع وحدها لأن لسان الفم حبس فخرس، ولسان العينين انطلق بالكلام المنسجم، وقد كتبت الى بعضهم بعد الوصول الى مصر عبارة شمرية كنت شعرت بأنها حقيقة وجدت في نفسي، وهي أنني وجدت وجد المودع

ولو عته يساويان وجه جميع من ودعوه وان كثروا، لأن كل واحد منهم فارق محبوبا واحدا وهو قد فارق أحبابا كثيرين يجد في نفسه من الألم لفراق كل منهم مثل ما يجده ذلك الفرد لفراقه. والتصواب أن لكل نوع من أنواع الوجدان والشعور حدا يختلف باختلاف أمزجة الناس ويتفاوت في الأفراد بفوارت مثيره في قلوبهم، ولو أمكن أن يوضع للأدراكات النفسية موازين كوزن الحرارة والرطوبة والثقل امامنا بها أقصى حد لألم الفراق في نفس العاشق الواله، وفي نفس مثل الزوج، لو ادة والوالده وهو إنما يبلغ حده الأقصى إذا كان الفرق بعيد الشقة، أو عرضة للهلاك من شدة المشقة، كسفر ابن زريق من بغداد الى المغرب في ذلك العصر، فهو لولا الخوف من الفراق الأبدي لم أحب لما قرت في وداعه يومئذ قول العاشق الممثل لما في فؤاده، لا قول الشاعر المصور لما في خياله:

ودعته وبودتي لو يودعني طيب الحياة واني لا أودعه
 كم قد تشفع بي ألا يفارقه والضرورات حال لا تشفمه
 وكم تشبث في يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلات وأدمعه
 لأ أكذب لله ثوب العذرة نخرق عني بفرقة لكن أرقمه

ذلك بأن وداع الاحباب عند سفر قاصد (قريب) الى خير مرجو في حرم آمن، ليس كالوداع في سفر بعيد يصف فيه الامل، فيما يثبته من الوجد والألم. بل أقول ان النفس تهوى بعض الآلام الخفية، وتجذب باطنها لذة خفية، كاذة العاشق المستكتم في هجر محبوبه اياه هجر دلالة أو هجر لال، بما فيه وما يتلوه من تهيج عواطف الحب والوجد والاشتياق، الذي يشبه كدة الذهن واتما به في حل المسائل العلمية العويصة، أو اجهاد البدن في بعض الاعمال الواجبة أو الرياضات المستحبة، في ان كلامن ذلك جامع بين الألم واللذة: أو بما يترتب عليه من لذة الشكوى والعتاب كآفات علية بنت المهدي

وأعذب أيام الهوى يومك الذي ترؤع بالهجران فيه وبالعتب
 إذا لم يكن في الحب سحق ولا رضا فأين حلوات الرسائل والكتب

وإذا كان لكل شعور ووجدان نفسي غاية وحد فسواء كان السبب الذي يبلغ به منتهى حده واحدا أو متعددا، وإذا كان الغلو في حب الولد أو العشق أو غيرها

من شأنه ان يرتب عليه بلوغ تلك النسيبة وهو قلما يكون الا في حب الآحاد من
الارلاد والاحباب فان الحب المتفرق على المحبوبين المتعددين من جنس واحد
كلاولاد أو من عد أجناس لا يكاد يكون الا دون الحد الاقصى - اذا كان ما ذكر
كما ذكر وهو ما نراه ، فتلك القاعدة الشفوية التي كنت كتبها لاتصدق بالاطراد ،
بل الاكثر ازواعة الفراق المتفرقة على الكثيرين تكون دون الازواعة المتصورة على الافراد
هذا وان سفرنا الى الحجاز سفر قاصد لا داء فرض لازم في عام يقل فيه عدد
الحجاج فتسهل فيه مراعاة الحكومة لصحتهم والبلاد صالحة من الوبئة فالرجاء قوي بأن
تؤدي الفريضة فيه بالسهولة في مدة شهر واحد ، ففراق الاهل والصحب في مثل
هذا السفر ليس من شأن وداعه ان يثر منتهى الاشجن ، وينطق الدموع ويخرس اللسان ،
وناهيك بمن كان مثلي مسافرا مع أشد الناس حباله - والدته وشقيقته ، ومك ودغ
الناس بعضهم بعضا في مثل هذه الحال ضاحكين مسرورين ، وكذلك ودعنا الاهل
والاصدقاء في محطة مصر ودخلنا القطار ، ولما وقفت في النافذة وقدم الي محمد شفيع
وأهسى لاجل القبله الاخيرة ، اضطربت عاطفة الابوة في جميع أعماق النفس ،
فاضطربت لوعة فراقها في سويداء القلب ، ففاضت العينان ، واعتقل اللسان ،
وخائني تلك الارادة التي كنت اكبر بها الاشجان ، والمزيمه التي تمودت أن أملاك بها
أزمة الوجودان ، حتى عند الصدمة الاولى بموت الاخوة والاخوان ، وما ذاك الا أن
ألم توديع الاولاد مشوب بلذة ، لاتستجمع بلذته وكل قوة الارادة ، وألم مثل تلك
الصدمة ، هو الذي توجه لاحتماله كل المزيمه

تذكرت في هذا المقام ما قاله صديقنا عبد الحميد الراهبي شاعر طرابلس الشام
في توديع اولاده عند سفره الى الآستانه ، وهو قوله من قصيدة :

لست أنسى ساعة اليبين وما	هي الأفك روح من جسد
ومت فيها الصبر لكن لم أطق	وحبست الدمع لكن لم يكند
وبروحي غررأقبلتها	جلين الحسن منها مستمد
من صفار كاللاكي جلبجت	منهم الالسن والجفن اطرد
بعضهم أبكاه مرأى من بكى	ليس يدري قط ما اليوم وغد

والذي لاح له معنى النوى
هل سمعتم بالقوي عاشقاً
ليتني فارقت عيني والحشا
أودعوني عندما ودعهم
كلهم يندني قرب القفا
والذي لا يعرف النطق غدا
أطبق الدمع عليه فارتعد
أنس الظبي به وهو شرد
قبلاً فارقت أهلاً وولد
حسرةً كانت من الموت أشد
حاسباً للمود أياماً تعد
نطقه الإيما بعين أويسد

وما بيني وبين هذا الصديق إلا أن سفري خير من سفره ، وولدي أصغر من ولده ، فقد كان بعض ولده يفهم معنى الفراق والسفر ، ونعمي لم تكن أتمت السنة الثالثة وشفيح كان في أول الشهر الخامس عشره ، وكان سبب سفره أن الشيخ أبا الهدى الشهر فضب عليه غضبة مضرية ، قطعت عليه موارد الرزق بعزله عن أعمال الحكومة ، فرحل إلى الآستانة يستعطفه ويسترضيه ، عسى أن يعود بجاهه إلى عمله أو عمل يتوقه أو يدريه ، معلق القلب بين الفوز بالامل ، وبين الخزي والفشل ، لا يدري أي مود كما رجا أهله بعد أيام تعد ، أو بعد شهور أو سنين لا تعد ، حسب القاعدة المطردة في كل عمل يطلب من حكومة الآستانة ، فأين السفر إلى تلك العاصمة ، لطلب الرزق من أولئك الباخلين الخلفين ، من السفر إلى مكة المكرمة ، لطلب المغفرة والرحمة من أرحم الراحمين ؟ لقد كان ذلك الشاعر جديراً بأن لا تعود إليه السكينة ، إلا بعد أن ينقلب إلى أهله بما يرجو من الوظيفة ، وأما هذا الكاتب فقد عادت إليه سكنته بعد سير القطار بساعة زمانية ، وإنما كان يفكر أحياناً فيما يرجو من الاهتمام بصحة ولديه في غيبته ، واستشارة الطبيب حتى عند الحوادث التي لم يكن يستشير به في مثلها ، وقد ضف التفكير في ذلك وفي غيره من أمور الدنيا منذ الاحرام إلى التحلل التام منه بأداء المناسك كلها ، حتى كأن الانسان يدخل بمجرد الاحرام في عالم آخر والمبرة فيما ينهيه من فلسفة الوداع أن نذكر القاري بأن ألمه هو أول فوائد السفر المهدية للنفس ولا سيما نفس الوالد ، وقد غفل عنها من حصر ذلك في خمس فوائد . واثني رأيت بعض من آثار العزبة وبعض من حرم النسل يظنون ان الولد من منقصات العيش في الدنيا ، لأن غبطة النفس به ، وقررة العين برؤيته ، واذة الامل بطول عمره وحسن

مستقبله، لا توازي الآم وداعه عند السفر، والمذرع عليه من الموت أو المرض والضرر، دع هم
الوالد في تربته وتعليمه في حياته، والخوف من سوء حاله بعد مماته، ولا سيما إذا كان قليل
المال، وكثر عليه الميل، وما هذه الظنون، إلا من أوهام الكسالى والمحرومين، إلا أن عدم
أقدام فاقد المال أو قبليه على الزواج، له وجه في هدي الشرع وآراء الناس. وأما ما يدخل
في موضوعنا منها وهو لوعة الوداع ومرارة الفراق، وما يتلوها من حرارة الاشتياق،
فهو من أعظم فوائد نعمة الأولاد على الوالدين في تهذيب أنفسهم، وثقيف عواطفهم،
واعلاء همهم، وتهوية أريحتهم، وهي على ما فيها من الفوائد، حلوة الطعم في ذوق الوالد،
كما يستحلي العشاق نجي الحبيب، ويقولون ضرب الحبيب زيب، ولو قيل للمشتاق
أحب أن تخدم حرارة هذا الشوق في قلبك فتسمي لا تذكر من تشتاق ولا تمن
إلى لقاءه - لقال لا، وفي معناه قول قيس العامري:

وقالوا لو تشاء سلوت عنها فقات لهم وأبي لا أشاء

ذلك بأن ما يهبج الوجد مما ذكر يشبه نغمت الالحان، المثيرة للاشجان، والحركة
للأحزان، على شهداء الحق في سبيل الايمان أو الاوطان، الحافزة الى الاخذ بآثارهم،
والرغبة في اقتفاء آثارهم، وهي مما يرغب فيه الفضلاء، ويحث عليه الحكماء، وان
بكاء الفراق، الذي يرجى بعده التلاق، كالبكاء من خشية الله عز وجل يحسبه من لم
يذوق طعمه عذاباً وأماً، وما هو الانعيم وغبطة، ولذلك قال من ذاق فعرف: أهل الليل
في ليهم، أطيب نفساً من أهل اللهو في لهوهم. وقال بعضهم: لو يعلم الملوك ما نحن
فيه لقاتلونا عليه بالسيوف، ولا تكمل تربية أحد الأبركوب الصعاب وحمل الآلام والانتقال
وأبعد تلك الظنون بل الوسواس عن الحقيقة وأغلبها في الوهم ما توسوس به
النفس لبعض المحرومين: ان خوف الوالد أن يموت قبل أن يرشد ولده ويستقل
بنفسه في مدينته، أو يكون له مورد واسع من الرزق يعيش به، ينقص عليه غبطته
ومروره بوجوده. وقد سمعت مثل هذا ممن يمد نفسه ويعدده بعض الناس من علماء
الاخلاق، وما هو إلا من أسرى الوسواس والأوهام، فان تفكر الناس في مستقبل
أولادهم من بعدهم أو احتمال موتهم من قبلهم، ما كان لينقص عليهم هناءهم وغبطتهم
بهم، إلا من شذ من غلاة الموسوسين، الذين وصلوا أو كادوا أن يصلوا إلى درجة

الجازين، وكل نعمة يخولها هؤلاء تكون عليهم نقمة يجرمون لذة وجودها، ويمذنبون بتوهم فقداه، أو احتمال حدوث مصاب بسببها، ومن غلاة هؤلاء المساكين ديك الجن الذي قتل وصيفه ووصيفته لا اشتداد شغفه بها وخوفه ان يموت و يتمتع بهما غيره، ويقرب منه ذلك العاشق المسكين، الذي خلق من ماء الدموع وصلصال العينين، لامن الماء والطين، فاستوى عنده القرب والبعد، والوصل والصد، فهو يبكي من بحب في كل حال، كما وصف نفسه فقال:

فأبكي ان ناوا شوقا اليهم * وأبكي ان دنوا نخوف الفراق

انابعد توديع من ذكرنا ركبنا وحدها في مخدع من مخدع مركبات الدرجة الاولى من القطار الحديدي ولكننا لما انتقلنا مع سائر الركاب في الامم اعيلية الى القطار الاخر الفيناها قطار ارديثاوقدا اكتظ بالجنود البريطانية حتى ان المخدع الخاصة بالنساء المحدرات لم تكن تخلو منهم، فاضطرت الى وضع السيدتين في مخدع منها رأيت فيه مواضع لي ولهما، وانما باننا لانرى من هؤلاء الجنود ما نكرهه، وكذلك كان والله الحمد، وآداب الجنود الانكليزية نخلص معروفة عند جميع المصريين يندر أن يرى أحد من سكان منهم تعديا او اساءة فكيف يكون ادبهم في حال الصحو؟ وقد وقف القطار في محطات جديدة كثيرة خاصة بالجنود المعسكرة على جانبي الطريق قربية من الخط الحديدي او بعيدة عنه، وبسبب ذلك يتأخر القطار قليلا عن مواعده المعتاد

وصلنا الى السويس قبل المغرب وكان قد سبقنا اليها امس مع جواهر الحجاج المصريين محمد نجيب افندي المعاون في مديرية الجزيرة وهو صهرنا على بنت اخي، والشيخ خالد النقشبندي، فكانا رقيقين لنا في السفر في كل حل وترحال، وكل منزل من منازل الحاج، وقد بنينا تلك الليلة في دار اختارها لنا الرفيقان من دور الاهالي التي يأوي اليها الحجاج في هذه الايام، وهم يتقاضون من الاجرة في كل ليلة فوق ما يمهده في الفنادق الكبيرة التي تفوقها خدمة ونظافة، وكذلك اصحاب المركبات في السويس يزيدون أجورها على الحجاج اضعافا

وفي ضحوة اليوم التالي ذهبنا الى مكتب الصحة لاجل ما فرضته الحكومة على كل حاج من تلقح اطباها اياه بالمصل الواقي من الهيفضة البوابية (الكوليرا) (ها بقية)

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٢

البعثة النبوية وحمد سيرته صلى الله عليه وسلم قبلها

كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَطًا فِي قَوْمِهِ وَأُمَّتِهِ، وَلَكِنَّهُ أَرَقَاهُمْ
بَلْ أَرَقَى الْبَشَرَ فِي زَكَاةِ نَفْسِهِ وَسَلَامَةِ فِطْرَتِهِ، نَشَأَ يَتِيمًا شَرِيفًا،
وَشَبَّ فَقِيرًا عَفِيفًا، ثُمَّ كَانَ زَوْجًا مُحِبًّا لِزَوْجِهِ مُخْلِصًا لَهَا، وَلَمْ يَتَوَلَّ
هُوَ وَلَا وَالِدُهُ شَيْئًا مِنْ أَعْمَالِ قُرَيْشٍ فِي دِينِهَا وَلَا دُنْيَاهَا، وَلَا كَانَ
يَعْبُدُ عِبَادَتَهُمْ، وَلَا يَحْضُرُ سَائِرَهُمْ وَلَا نَدْوَتَهُمْ، وَلَمْ يَنْظُمِ الشُّعْرَ كَمَا
كَانُوا يَنْظِمُونَ، وَلَا عُيِيَ بِالْخُطَابَةِ كَمَا كَانُوا يَعْتَنُونَ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ عَنْهُ
قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ يَدُلُّ عَلَى حُبِّ الرِّيَاسَةِ، أَوْ الْبَحْثِ فِي شُؤُنِ السِّيَاسَةِ؛
وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ فِي شَيْءٍ مِنْ خُرَافَاتِ أَجْلَاهِلِيٍّ وَضَلَالَاتِ الشُّرْكِ،
وَلَا مِنَ الْمُفَاخِرَاتِ الْكَلَامِيَّةِ وَشُؤُنِ الْغَزْوِ وَالْحَرْبِ، بَلْ كَانَ يَحِبُّ
الْعَزْلَةَ، وَيَأْلَفُ الْوَحْدَةَ؛ وَرُوِيَ أَنَّهُ فِي حَدِيثِهِ حَضَرَ سَمَرَهُمْ مَرَّتَيْنِ،
أَلْقَى اللَّهُ فِيهِمَا عَلَيْهِ النُّومَ؛ وَحُبُّ الْعَزْلَةِ وَالْإِنْكِمَاشِ، مَعْرُوفٌ
عَنْ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّمَا كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمْتَازُ فِي

(*) تابع لما نشر في الجزء السابع ص ٤٠٩

(المجلد التاسع عشر)

(٦٠)

(المنار: ج ٨)

نَشَأَتِهِ الْأُولَى عَلَى الْأُتْرَابِ ، بِالْإِتْرَامِ الصَّدَقِ وَالْأَمَانَةِ وَعُلُوِّ
 الْأَدَابِ، فَبِذَلِكَ كَانَ لَهُ فِيهِمُ الْمَقَامُ الْمَكِينِ، حَتَّى لَقَّبُوهُ بِالْأَمِينِ.
 عَلَى هَذِهِ الْحَالِ كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَ أَشَدَّهُ وَأُسْتَوَى،
 وَكَمَلَتْ مِنْ جَسَدِهِ السَّلِيمِ وَنَفْسِهِ الزَّكِيَّةِ جَمِيعُ الْقَوَى. — لَا طَمَعَ
 فِي مَالٍ وَلَا سُمْعَةٍ، وَلَا تَطَلُّعَ إِلَى جَاهٍ وَلَا شَهْرَةٍ. وَكَانَ أَوَّلُ مَا بَدَى
 بِهِ مِنَ الْوَحْيِ الرُّوْيَا الصَّالِحَةَ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ
 فَلَقِ الصُّبْحِ ^(١) وَأَصْحَةَ؛ ثُمَّ حُبَّبَ إِلَيْهِ الْخُلَاءَ، ^(٢) وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ
 حِرَاءَ؛ ^(٣) فَيَتَحَدَّثُ فِيهِ اللَّبَائِبَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ، ^(٤) ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ
 فَيَتَزَوَّدُ؛ ^(٥) حَتَّى جَاءَهُ الْخُلُقُ وَهُوَ عَلَى هَذَا الشَّانِ، يَنْزُولِ الْقُرْآنِ عَلَيْهِ

- (١) الفلق بالتحريك يطلق على الصبح وهو من فلق الشيء بمعنى شقه وفرقه
 فرقين فان ضوء الصبح يشق الظلام اذ يظهر مستطيلا ثم مستطيرا ومنه (فلق
 الاصباح) وبهذا المعنى أضيف الى الصبح ، والمعنى انه كان يرى الرؤيا فتقع كما
 رأى اذ تنطبع المعاني في مرآة روحه الصقيلة كما هي، فهذا ضرب من الوحي وكانت
 مدته قبل وحي اليقظة الصريح ستة أشهر من ربيع الاول شهر ولادته الى شهر
 رمضان الذي أنزل فيه القرآن (٢) الخلاء بالمد الاختلاء والافتراء
 (٣) الغار ثقب في الجبل وحراء بالكسر أحد الجبال المحيطة بمكة على يسار
 الذهاب منها الى منى . والغار في أعاليه مشرف على مكة ، بحيث ترى منه
 الكعبة ، كما يشرف على ما دونه من تلك البقاع ، فهو حسن الموقع جيد الهواء ،
 يتسع للمختلي فيه مجال الفكر، والشعور بفضمة الرب ،
 (٤) أصل التحنث توقي الحنث أي الأثم وتجنبه وفسره الزهري في الحديث
 بالعبادة، قيل كان يعبد الله على مائة ابراهيم وقيل بالفكر خاصة، واختلف في عدد
 الليالي التي كان يقيمها ويتزود لشهرا (٥) التزود اخذ الزاد من طعام وماء

فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ؛ بَانَ تَمَثَّلَ لَهُ الرُّوحُ الْأَمِينُ جِبْرِيلُ ، وَلَقِنَهُ عَنْ رَبِّهِ
 أَفْضَلَ التَّنْزِيلِ ، قَالَ لَهُ اقْرَأْ فَقَالَ « مَا أَنَا بِقَارِيٍّ » كَرَّرَا ذَلِكَ ثَلَاثَ
 مَرَّاتٍ ، وَهَذَا مِنْ أَمْرِ التَّكْوِينِ لِأَمِنْ تَكْلِيفٍ مَا لَا يُطَاقُ ، وَكَانَ
 الْمَلَكُ بَعْدَ كُلِّ جَوَابٍ يَفْطُهُ أَيُّ يَضُمُهُ إِلَى صَدْرِهِ وَيَعْصُرُهُ ، حَتَّى
 يَبْلُغَ مِنْهُ الْجَهْدُ مَبْلَغَهُ ، وَحِكْمَةُ ذَلِكَ أَنْ تَغَابَ فِيهِ الرُّوحَانِيَّةُ
 عَلَى الْبَشَرِيَّةِ ، وَيَسْتَعِدَّ لِتَلْقَى آيَاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، فَيَكُونَ وَاسِطَةً
 بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْخَالِقِ ، وَمُنْتَهَى الْحَاضِرِ وَمَبْدَأِ الْغَائِبِ ، وَلَمَّا أُرْسِلَهُ فِي
 الثَّالِثَةِ قَالَ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ
 عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
 مَا لَمْ يَلْعَلَمْ *) أَيُّ كُنْ قَارِئًا بَعْدَ أَنْ كُنْتَ أُمِّيًّا ، بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي
 خَلَقَ الْإِنْسَانَ النَّاطِقَ مِنْ عَلَقٍ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ، لَا بِأَسْمِي وَلَا
 بِأَسْمِكَ ، وَلَا بِحَوْلِي وَقُوَّتِي وَلَا بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ ، فَهُوَ الْقَادِرُ عَلَى
 جَعْلِكَ قَارِئًا لِآيَاتِ رَبِّكَ ، الَّتِي أَقْتَضَى جُودُهُ وَكَرَمُهُ أَنْ يَرْسُمَهَا
 بِالْوَحْيِ فِي لَوْحِ قَلْبِكَ ، وَعَلَى تَعْلِيمِكَ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ مَا لَمْ
 تَكُنْ تَعْلَمُ ، كَمَا عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ وَغَيْرِ الْقَلَمِ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ، —
 فَرَجَعَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ إِلَى خَدِيجَةَ يَرْجِفُ فُؤَادُهُ ،
 وَقَدْ أَرْتَعَدَ بَدَنُهُ وَلَكِنْ حَفِظَ رَشَادَهُ ، فَقَالَ « زَمَلُونِي زَمَلُونِي »
 فَرَمَلُوهُ ، أَيُّ لَفَفُوهُ بِالثِّيَابِ وَدَثَّرُوهُ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ عَنْهُ الرُّوحُ أَخْبَرَ
 خَدِيجَةَ الْخَبْرَ ، وَقَالَ « لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي » أَيُّ الْهَلَاكِ أَوْ الضَّرَرِ ،

فَقَالَتْ لَهُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا بَحَزْتُكَ (١) اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، (٢)
وَتَحْمِلُ الْكَلَّ (٣) وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ (٤)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى
نَوَائِبِ الْحَقِّ (٥). ثم فتر الوحي ثلاث سنين، قوي فيها الاستعداد
وأشد الشوق والحزن. قال « بينا أنا أمشي سمعت صوتًا من
السماء، فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحِزاه » وذكر أنه
رعب منه أيضًا. ولكن كان ذلك دون الرعدة الأولى، فرجع إلى أهله
فتزمل وتدثر، فأنزل الله عليه (يا أيها المدثر) قم فأنذره وربك فسبِّ
وثنيتك فطهره والرجز فأهجره) ثم سمى الوحي وتتابع، وبلغ صلى الله

(١) يحزنك من الحزن وهي رواية أبي ذر، وعند غيره ما يحزنك من أخزاه
بمعنى فضحه وأهانته (٢) أي تحين للاقارب بما يليق بكل منهم
(٣) الكل بالفتح الثقيل حملا أو عيالا أو طبعا والمتعب، أي تحمل أثقال الناس
أو تحمل المتعب على ما يركبه من الابل أو الدواب (٤) أي تكسب احتاج ما هو
عادم له (٥) النوائب النوازل والمصائب والحوادث أي تعين الناس في كل امر غير
باطل وهذه كلمة جامعة في بيان فضائله «ص» وهو يدل على فضل خديجة وعقلاها
واعتمادها ان من يلتزم الحق وعمل الخير لا يحزنه الله ولا يحزبه. والحديث في
الصحيحين، وتتمته باختصار قليل: فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن
نوفل ابن عمها وكان قد تنصر في الجاهلية، ويكتب من الانجيل بالبرانية، وكان
شيخا كبيرا قد عمي. فقالت له اسمع من ابن أخيك. فقال ورقة يا ابن أخي اذا
ترى؟ فاخبره «ص» خبر ما رأى فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على
موسى. ياليتني فيها جدع «اي شاب» ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك.
فقال له رسول الله «ص» او مخرجي؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت
به الا عودي، وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا. ثم لم ينشب ورقة ان
توفي وفتى الوحي

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْوَةَ رَبِّهِ فَاسْتَدَّ عَلَيْهِ أَدَى الْمُشْرِكِينَ وَتَتَابَعُ (١) فَمَازَا
النَّبَأَ الْعَظِيمَ الَّذِي جَاءَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا الْأَمْرُ الْعَظِيمُ الَّذِي
دَعَا إِلَيْهِ بَعْدَ ثَلَاثِ وَأَرْبَعِينَ، فَغَيَّرَ اللَّهُ بِهِ عَلَى يَدَيْهِ تَارِيخَ الْبَشَرِ
أَجْمَعِينَ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ ؛

تبليغ الدعوة الإسلامية وضمانها

إِنَّ ذَلِكَ الْيَتِيمَ الْعَائِلَ فِي حَدَائِقِهَا، الرَّاعِي شَرِيفَ التَّاجِرِ الْقَنُوعِ فِي
شَبَابَتِهِ، الزَّوْجَ الْمُخْلِصَ لِزَوْجَتِهِ، الْوَالِدَ الْمُطَوِّفَ عَلَى بَنَاتِهِ وَصَبِيَّتِهِ (٢)
الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ سِيفاً، وَلَا كَتَبَ سِطْرًا، وَلَا قَالَ شِعْرًا، وَلَا
أَرْجَلَ ثَوْبًا، النَّاشِئُ فِي تِلْكَ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ، الَّتِي فَرَّقَتْهَا نَزَعَاتُ الْعَصَبِيَّةِ،
وَأَسْتَحْوَذَتْ عَلَيْهَا زَنَاتُ الْوَنَائِيَّةِ، وَغَلَبَتْ عَلَيْهَا حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ،
وَأَمْسَتْ عَاصِمَتُهَا الدِّيفِيَّةُ الدُّنْيَوِيَّةُ، ذَاتَ حُكُومَةٍ شَبِيهَةٍ بِالْمُرْفِيَّةِ،
لَيْسَ لَهَا رَيْسٌ مُتَبَوِّعٌ، وَلَا قَانُونٌ مُشْرُوعٌ؛ قَامَ فِيهَا يَدْعُوها إِلَى
تَوْحِيدٍ يَجْمَعُ جَرَائِمَ الْوَنَائِيَّةِ، بِتَوْحِيدِ الرَّبُوبِيَّةِ وَالْأَلُوهُيَّةِ؛
وَإِلَى اسْتِبْدَالِ الْكِتَابِ وَالْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأُمِّيَّةِ، وَاسْتِبْدَالِ الْحِكْمَةِ
بِتِلْكَ الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِلَى تَرْكِيَةِ الْأَنْفُسِ مِنْ تِلْكَ الْخُرَافَاتِ وَالتَّقَالِيدِ
الْوَرَائِثِيَّةِ، وَإِلَى اسْتِعْمَالِ عُقُولِهَا وَحَوَاسِنِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ،

(١) التتابع (بالباء قبل الهمزة) التهاقت والأسراع في الشر أو التتابع (بالباء
الموحدة) فيه (٢) صبيته القاسم وعبدالله والطيب والطاهر وقيل الطيب والطاهر
نهبان لعبدالله وهؤلاء من خديجة كبناته الأربع، وإبراهيم من مارية القبطية

وَالْإِنْتِفَاعِ بِجَمِيعِ مَا فِي الْأَكْوَانِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَخَّرَهَا لِلْإِنْسَانِ
بَلْ قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى مَا هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ شَأْنًا ، وَأَعْمُ فَايْدَةً
وَتَقَمًا ، - قَامَ يَدْعُوهَا إِلَى كِتَابِ مُهَيِّمِينَ عَلَى الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ ،
وَدِينِ أَنْزَلَ لِإِصْلَاحِ جَمِيعِ الْبَرِيَّةِ ، وَشَرِيعةٍ عَادِلَةٍ سَمَاوِيَّةٍ
أَجْنَهَادِيَّةٍ ، تَسْتَأْصِلُ تِلْكَ الْفَوْضَى الْأَجْنَهَادِيَّةَ ، وَتَكْفُلُ لَهُمُ السَّعَادَةَ
الْإِنْسَانِيَّةَ ، بِاعْتِنَاقِهَا الْبَشَرَ مِنْ رِقِّ السَّيْطَرَةِ الرُّوحِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ ،
وَجَعَلَهُمْ أَحْرَارًا مُسْتَقِلِينَ فِي فَهْمِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ ، وَأَدَاءِ الْعِبَادَاتِ
الَّتِي يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَى الْعِزَّةِ الْإِلَهِيَّةِ . وَجَعَلَ أَمْرَهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ
فِي الْأَحْكَامِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْمَدَنِيَّةِ ، وَجَعَلَ دَرَجَةَ الْمَفَاسِدِ وَحِفْظِ
الْمَصَالِحِ أَسَاسًا لِلْأُمُورِ الْأَدَبِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْإِخْلَاصَ وَحُسْنَ
النِّيَّةِ ، فِي الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَادِيَّةِ ، مَا يَسْتَعِدُّ بِهِ الْإِنْسَانُ لِلْحَيَاةِ
الْأَبَدِيَّةِ ، وَجَعَلَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَرَضًا تَقُومُ
بِهِ الْأَفْرَادُ وَتَتَعَاوَنُ عَلَيْهِ الْجَمَاعَاتُ ، لِأَنَّهُ سِيَاحُ الْفَضِيلَةِ وَمَقْوَمُ
الْأَخْلَاقِ وَالْعَادَاتِ . وَجَعَلَ الْقِتَالَ ضَرُورَةً تَقْدَرُ بِقُدْرَتِهَا ، وَيَجْتَهِدُ فِي
إِضْعَافِ ضَرَرِهَا وَشَرِّهَا ، فَلَا يُقْتَلُ فِيهَا النِّسَاءُ وَلَا الْأَوْلَادُ ، وَلَا
الْأَجْرَاءُ وَلَا الْعِبَادُ ، وَلَا يُمْتَلُ فِيهَا بِالْقَتْلِ ^(١) وَلَا يُدْفَقُ عَلَى
الْجُرْحَى ؛ ^(٢) وَمَنْ رَجَحَتْ كِفْتُنَا بِالْإِنْحَانِ ^(٣) فِي الْأَعْدَاءِ ، نَكْتَفِي

(١) التمثيل بالقتيل تشويبه بقطع بعض أعضائه كبدع الأنف وطم الأذنين
وقلع العينين (٢) التدفيع على الجريح الإجهاز عليه أي إمامته (٣) الانحان
في الأعداء إضعافهم بكثرة من يقتل منهم . ومن رحمة الإسلام وإصلاحه =

بِالْأَمْرِ عَنِ سَفَكِ الدَّمَاءِ ، (فَإِمَّا مَنَا بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ
 الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا) ، ^(١) وَتَزُولَ الضَّرُورَةُ الَّتِي أَوْقَدَتْ نَارَهَا ،
 وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ جَنَحْنَا لَهَا ، ^(٢) لِأَنَّا أَسَقْنَا بِهَا وَأَهْلُهَا ، — إِلَى
 غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْأَصْلَاحِ ، وَأَسْبَابِ الْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ . وَمِنْ
 أَهْمَتِهَا أَحْكَامُ الرِّقِّ ، بِمَارْغَبٍ وَأَوْجِبَ فِيهَا مِنَ الْمُتَّقِ . وَأَحْكَامُ
 الْيَتَامَى وَالنِّسَاءِ ، فِي الْأَحْقَاقِ وَالْإِرْثِ وَالْتَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ ،
 وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَا الْأَصْلَاحِ الْعَظِيمِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي
 عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَىٰ هُنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)
 قَامَ يُنَبِّئُهُمْ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِلَىٰ جَمِيعِ الْأُمَمِ ، مِنْ
 الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَأَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيْهِ هَذَا الْقُرْآنَ لِيُنذِرَهُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، ^(٣)
 وَيَتْلُو عَلَيْهِمْ قَوْلَهُ تَعَالَى (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ

= ابطال ما كانت الامم تستبيحه من استئصال اعدائها . ولم يكف بمنع قتل
 من لا يقابل منهم حتى امر بان يكف عن قتل المقاتلين أنفسهم اذا ضعفوا وامنا
 شرهم، وان نكتفي حينئذ باسراهم، وخيرنا في الاسرى بين المن عليهم باطلاقهم وفك
 اسراهم بلا مقابل، وبين فداء اسراهم ان كان لنا عندهم اسرى . وذلك قوله
 تعالى (حتى اذا ائتمتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد) الخ

(١) الاوزار جمع وزر وهو الحمل الثقيل ويطلق على الذنب، والمعنى حتى تنقضي
 الحرب بوضع الحاربين لاثقالها من السلاح والذخائر عن انفسهم — وقيل بترك
 الكفار للعدوان والذنوب الموجبة لها . (٢) السلم ضد الحرب وكلاهما مؤنث
 اللفظ (٣) أي وينذر به كل من بلغه ووصلت اليه دعوته من سائر الامم

لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا
 وَنَذِيرًا) ؛ وَيُخْبِرُهُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنَّهُ سَيَنْصُرُهُ عَلَيْهِمْ ، وَيُبَشِّرُ
 الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ دَعْوَتَهُ إِلَى غَيْرِهِمْ ، وَأَنَّ
 اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَهُمْ وِصْرَ وَالشَّامِ ، وَيُعْطِيهِمْ مُلْكًا كَثِيرًا وَقِيَصْرًا ، وَأَنَّهُمْ
 سَيَكُونُونَ هُمُ الْأُمَّةَ الْوَارِثِينَ ، (وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ،
 وَلِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
 خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ، وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)

قَامَ ^{صَلَّاهُ} ^{وَسَلَّمَ} بِهَذِهِ الدَّعْوَةَ الْكُبْرَى ، وَذَكَرَ بِهَا قَوْمَهُ فَأَعْرَضَ
 الْأَكْثَرُونَ عَنِ الذِّكْرِ ، وَلَمْ يَعْقِلْ أذْكَى قُرَيْشٍ وَأَعْقَلُهُمْ لَهَا
 سَبَبًا إِلَّا الْجُنُونَ ، أَوْ نَبَزَ الدَّاعِيَ إِلَيْهَا بِلِقَبِ شَاعِرٍ أَوْ كَاهِنٍ مَفْتُونٍ ،
 إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَسْبَابِ وَالْوَسَائِلِ ،
 لِمَا هُوَ دُونَهَا بِمَرَّاحِلٍ ، - لَأَحْوَالٍ لَا قُوَّةَ ، لَأَمَالٍ لَا عَصَبِيَّةَ ، لَأَسَلِيقَةَ
 فِي الشَّعْرِ تَجْذِيبِ الْقَلْبِ ، لَأَتَمَرْنَ عَلَى الْخَطَايَا يُؤْتِرُّ فِي اللَّبِّ ، كَمَا يَعْلَمُونَ
 أَنَّهُ طُبِعَ عَلَى الصِّدْقِ ، وَعَاشَ طَوِيلَ عُمُرِهِ عَيْشَةَ الْجِدَّةِ ، فَكَانَ أَقْرَبَ
 مَا تُوصَفُ بِهِ تِلْكَ الدَّعْوَةُ إِلَى الظُّنُونِ ، أَنَّ قَالُوا إِنَّهَا تَزْعَمُ مِنْ تَزَعَاتِ
 الْجُنُونِ ، وَلَوْلَا مَا آيَدَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ ،
 وَأَعْظَمُهَا هَذَا الْقُرْآنُ الْحَكِيمُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ . وَلَوْلَا تَصَدِيقُ اللَّهِ

تعالى إِيَادَ بِالْفِعْلِ ، كَمَا صَدَّقَهُ بِذَلِكَ الْقَوْلِ الْفَصْلُ . لَقَالَ بِقَوْلِهِمْ ذَاكَ فِي
 كُلِّ حِينٍ ، مَنْ بَلَغَتْهُ دَعْوَى تِلْكَ الدَّعْوَةِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ وَالْمُنَاخِرِينَ ،
 (ن) ، وَالْقَلَمُ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنْتَ بِنِعْمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ *
 وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ^(١) * وَإِنَّكَ لَأَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ * فَسُدِّبْصِرُ
 وَيُبْصِرُونَ * بِأَيْكُمْ الْمُفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ
 سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ^(٢)

«أي برهان على النبوة أعظم من هذا ، أي قام يدعو الكتابيين
 إلى فهم ما يكتبون وما يقرءون ، بعيد عن مدارس العلم ساح
 بالعلماء ليختصوا ما كانوا يعلمون . في ناحية عن ينابيع العرفان جاء
 يرشد المرءاء ، ناشي بين الواهيمين هب لتقويم عوج الحكماء . غريب
 في أقرب الشعوب إلى سداجة الطبيعة ، وأبعدها عن فهم نظام الخليفة
 والنظر في سننه البديعة ، أخذ يقرر للعالم أجمع أصول الشريعة ،
 ويخطط للسعادة طرقا لن يهلك سالكها ، ولن يخلص تاركها

«ما هذا الخطاب المفحم؟ ما ذلك الدليل الملجم؟ أقول ما هذا
 بشرا إن هذا إلا ملك كريم؟ لا ، لا أقول ذلك ، ولكن أقول كما
 أمر الله أن يصف نفسه : إن هو إلا بشر مثلكم يوحي إليه . نبي
 صدق الأنبياء ، ولكن لم يأت في الإقناع برسائله بما يليه الألبصار ،

(١) أي غير مقطوع (٢) النبذة الآتية التي اولها «أي برهان» وآخرها (تنزيل

من حكيم حميد) مقتبسة من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام رحمه الله تعالى

أَوْ يُخَيِّرُ الْخَوَاسِ، أَوْ يُدْهِسُ الْمَشَاعِرَ، وَلَكِنْ طَالَبَ كُلُّ قُوَّةٍ بِالْعَمَلِ
فِيمَا أُعِدَّتْ لَهُ، وَأَخْتَصَّ الْعَقْلَ بِالْخُطَابِ وَتَمَكَّمَ إِلَيْهِ أَنْطَلَا
وَالصَّوَابُ؛ وَجَعَلَ فِي قُوَّةِ الْكَلَامِ وَسُلْطَانَ الْبَلَاغَةِ وَصِحَّةَ الدَّلِيلِ،
مَبْلَغَ الْحُجَّةِ وَآيَةَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا
خَلْفَهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^(١)

كَانَ مَثَلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي إِثْبَاتِ مَا جَاءَ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ
فِي بَلَدٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْأَمْرَاضُ، وَلَمْ يَكُنْ لَدَى أَهْلِهِ طَبِيبٌ وَلَا عِلاجٌ،
فَادْعَى أَنَّهُ طَبِيبٌ يُبْرِئُ الْعِلْمَ، فَكَذَّبُوهُ فَأَثَبَتْ دَعْوَاهُ بِالْعِلْمِ
وَالْعَمَلِ، إِذْ جَاءَ بِكِتَابِ عَالِجٍ بِهِ أَوْلِيكَ الْمَرْضَى الَّذِينَ أُعْضَلَّ
ذَوَاهُمْ، وَأَخْتَلَفَتْ أَمْرَاضُهُمْ، فَشَفَوْا وَعَادَتْ إِلَيْهِمْ صِحَّتُهُمْ؛ إِلَّا مَنْ
أَعْرَضَ عَن دَوَائِهِ، حَتَّى هَلَكَتْ بَدَائِهِ، بَلِ الْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ
أَلَّا إِنْ مَدَاوَاةَ أَمْرَاضِ الْأُمَّمِ الرُّوحِيَّةِ وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، أَعَزُّ
وَأَعْسَرُ مِنْ مَدَاوَاةِ الْأَمْرَاضِ الْجَسَدِيَّةِ، وَتَتَوَقَّفُ عَلَى عُلُومٍ كَثِيرَةٍ
لَا عَلَى عِلْمٍ وَاحِدٍ، يُدْرَسُ أَلَّا نَ مَنْقُولَهَا وَمَعْقُولَهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ
الْمَدَارِسِ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ دَرَسَهَا فِي كُتُبِهَا، وَتَلَقَّاهَا عَن أَسَاتِذَتِهَا،
يَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّمِ بِالْعَمَلِ بِهَا، فَمَا أَنْقَوْلُ فِي أُمَّيِّ نَشَأَ
بَيْنَ أُمَّيِّينَ، قَامَ بِذَلِكَ الْأِصْلَاحِ الَّذِي تَفْسِيرُهُ تَأْرِخُ الْبَشَرِ أَجْمَعِينَ،
فِي الشَّرَائِعِ وَالسِّيَاسَاتِ وَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ، وَأُمَّتُهُ مَعَ لُغْتِهِ

(١) هذا آخر ما اقتبسناه من رسالة التوحيد وفيها بعده الكلام على القرآن

فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ مِنَ الْحِجَازِ إِلَى آخِرِ حُدُودِ أَوْزُبَةَ مِنَ الْقَرَبِ، وَإِلَى
 حُدُودِ بِلَادِ الصِّينِ مِنْ جِهَةِ الشَّرْقِ، حَتَّى خَضَمْتَ لَهُ الْأُمَمَ،
 وَدَأَلْتَ لِدَوْلَتِهِ الدُّوَلُ، وَكَانَتْ تَتَّبِعُهُ فِي كُلِّ فَتْوَحِهِ الْخَضَارَةُ
 وَالْمَدَنِيَّةُ، وَالْعُلُومُ الْعَقْلِيَّةُ وَالْكَوْنِيَّةُ، عَلَى أَيْدِي تِلْكَ الْأُمَّةِ
 الْحَدِيثَةِ الْعَهْدِ بِالْأُمَّيَّةِ، الَّتِي عَلَّمَهَا الْقُرْآنُ أَنَّ إِصْلَاحَ الْإِنْسَانِ،
 يَتَّبِعُهُ إِصْلَاحُ الْأَكْوَانِ، فَهَلْ يُسْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا إِلَّا
 بِوَحْيٍ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ، وَتَأْيِيدٍ سَمَاوِيِّ مِنَ الْإِلَهِ الْعَزِيزِ الْقَدِيرِ
 الرَّحِيمِ، أُخْتَصَّ بِهِ ذَلِكَ النَّبِيُّ الْأَمِّيُّ الْكَرِيمُ، عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ أَفْضَلُ
 الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ؟

مناهضة الرعدة، والنجاء الرسول الى الرسوخة

بَدَأَ دَعْوَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِنذَارِ عَشِيرَتِهِ الْأَقْرَبِينَ، مَنْ فِي
 مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ وَمِنَ الْمُؤَالِيِّ وَالْمُؤَافِدِينَ، فَلَقِيَ أَشَدَّ الْجُحُودِ وَالْإِيذَاءِ
 مِنْ قَوْمِهِ، حَتَّى صَدُّوه عَنْ تَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ، عَمَلًا بِقَوْلِ أَبِي لَهَبٍ:
 خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ، قَبْلَ أَنْ تَجْتَمِعَ الْعَرَبُ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَخْرَجُوا عَمَهُ أَبَا
 طَالِبٍ وَالْأُمَّةَ مِنْ مَكَّةَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُجَلِّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَجَمَعَ أَبُو طَالِبٍ
 بَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَلِبِ، وَدَخَلَ بِهِمْ وَمَعَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فِي الشُّعْبِ، وَأَجْمَعَتْ قُرَيْشٌ مُقَاطَعَتَهُمْ، وَعَدَمَ مَصَاهِرَتَهُمْ؛ وَأَنَّ
 لَا يَبِيحُوهُمْ وَلَا يَتَاعُوا مِنْهُمْ شَيْئًا، وَلَا يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صِلْحًا، إِلَّا

أَنْ يُسَلِّمُوا مُحَمَّدًا لِقَتْلِ ، فَكَثَرُوا ثَلَاثَ سِنِينَ فِي الشَّعْبِ ، وَهُمْ فِي
 أَشَدِّ الْبَلَاءِ وَالْجُهْدِ ، وَكَانَ بَعْضُ مَا سَسَّهُمْ مِنَ الضَّرَرِ ، أَنْ أَكَلُوا وَرَقَ
 الشَّجَرِ ؛ ثُمَّ أَشْتَدَّ إِيْذَاهُ قُرَيْشٍ لَهُ وَلَمَنْ آمَنَ بِهِ بَعْدَ وَقْفَةِ خَدِيجَةَ
 وَأَبِي طَالِبٍ ، وَقَدْ تَوَفَّيَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي
 مَوْسِمِ الْحَجِّ ، لَعَلَّهُ يَجِدُ مَنْ يَحْمِيهِ لِقِيَامِ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَلَمْ يَحْمِهِ مِنْ
 قُرَيْشٍ أَحَدٌ ، وَلَكِنْ آمَنَ بِهِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ سِتَّةٌ نَهَرٍ مِنْ أَهْلِ
 يَثْرِبِ ، ^(١) ثُمَّ آمَنَ بِهِ آخَرُونَ مِنْهُمْ فِي مَوْسِمِ الْبَخْرِ ، وَصَارُوا يَدْعُونَ أَهْلَ
 الْمَدِينَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ يُعَلِّمُهُمُ
 الْقُرْآنَ . فَفَشِيَ الْإِسْلَامُ فِيهِمْ ، وَجَاءَ فِي الْمَوْسِمِ الثَّلَاثِ أَمْرَانِ وَثَلَاثَةٌ
 وَسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَبَايَعُوهُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ لِرَبِّهِمْ وَإِلَهُهِمْ ،
 وَأَنْ يَنْعَمُوهُ - أَيَّ يَحْمُوهُ - مِمَّا يَنْعَمُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ ،
 فَتَمَهَّدَتْ لَهُ بِذَلِكَ أَسْبَابُ الْهَجْرَةِ ، وَكَانَ قَدْ هَاجَرَ جُمْهُورٌ مِنْ آمَنَ
 بِهِ إِلَى الْخَبَشَةِ ، فَأَمَرَ مَنْ بَقِيَ أَنْ يَهَاجِرُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مُخْتَفِينَ ،
 فَكَانَ الْقَادِرُونَ يَهَاجِرُونَ أَرْسَالًا مُتَتَابِعِينَ ، وَقَدْ عَلِمَ أَكْبَرُ
 قُرَيْشٍ بِالْأَمْرِ ، وَأَنَّ الرَّسُولَ سَيَتَّبِعُ أَصْحَابَهُ بِالْأَسْرِ ، فَفَزِعُوا إِلَى
 الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ ، وَبَيْنَمَا كَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَيْ رَا حِلَّتَيْنِ
 وَزَادَا وَدَلِيلًا لِلْهَجْرَةِ مَعَ الرَّسُولِ مِنْ مَكَّةَ ، كَانَتْ رُؤْسَاءُ قُرَيْشٍ
 يَأْتِمِرُونَ ^(٢) بِالرَّسُولِ ﷺ فِي دَارِ النَّدْوَةِ ، فَبَعْضُهُمْ يَرَى نَفْسَهُ وَبَعْضُهُمْ

(١) هي المدينة المنورة (٢) يتشاورون في الأمر

يَرَى حَبْسَهُ وَبَعْضَهُمْ يُرْجِحُ قَتْلَهُ ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ شَابًّا جَلْدًا ، ^(١) يَقِفُونَ أَمَامَ دَارِ دَلِيلًا ، حَتَّى إِذَا خَرَجَ ضَرْبُهُ لِسُيُوفِهِمْ ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ، لِيَتَفَرَّقَ دَمُهُ فِي جَمِيعِ الْقَبَائِلِ ، فَيَرْضَى بِدَيْتِهِ بَنُو هَاشِمٍ ، فَلَمَّا وَقَفَ أُوَاثِكُ الشُّبَّانُ عَلَى بَابِهِ ، أَمَرَ عَلِيًّا بَانَ يَنَامَ فِي فِرَاشِهِ وَيَتَدَثَّرُ بِرِدِّهِ ، وَخَرَجَ ﷺ مِنْ بَيْنِهِمْ ، وَلَمْ يَنْظُرْهُ وَلَا شَمَّرَ بِهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ ، بَلْ كَانُوا يَنْظُرُونَ مِنْ فُرُوجِ الْبَابِ ، فَتَرُونَ النَّائِمَ فَيُظَنُّونَ أَنَّهُ هُوَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْمُبِينِ (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ^(٢) وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)

(لها بقية)

صدره دار المعرفة والدرجات

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٧

الامراض التي تنشأ من الميكروبات الحيوانية

النافض أو الملاريا Malaria

لفظ ملاريا أصله بالاطالية كلمتان [mal aria] ومعناها «الهواء الفاسد» سميت به هذه الحمى لتوهم الناس في زمن التسمية أن سببها فساد الهواء

(١) القوي الصابر (٢) المسكر الشديد الخفي الذي يفضي بالمكور به الى ما لا يعلم ولا يحتسب ويكون في الشر غالباً وقد يكون لا بطل الشر أو للخير ومنه مكر الله عز وجل . والاثبات الاعتقال، والاخراج النفي

يطلق هذا اللفظ على أنواع من الحمى تنشأ عن ميكروب حيواني من نوع [البروتوزوا Protozoa] (راجع صفحة ٢٨ من هذا الكتاب) يعيش في دم الإنسان وينقل من شخص إلى آخر بنقل بعض أنواع البعوض (الأمم موبس) ويسمى هذا الميكروب بالافرنجية [Plasmodium] أو [Amia الدم Haemamoeba] وإنما قلنا إنه يعيش في دم الإنسان لأنه لم يعرف إلى الآن أنه يعيش في دم أي حيوان آخر من ذوات الثدي، ماعدا أنواعا يشبهه يعيش في دم بعض أنواع القرود ويحدث لها حمى تمتاز بأحف أنواع هذه الحمى التي تحدث في أكثر البلدان المعتدلة بتقطعها بمعنى أن نوبها تفصل بعضها عن بعض بفترات يكون فيها المصاب كأنه سليم منها أعني أنها لا تكون مستمرة كالحميات الفئدة الأخرى، تستمر التوبة بضع ساعات ثم تزول وتعود في اليوم الثاني أو في الثالث [Tertian] أو في الرابع [Quartan]. والنوع الذي يعود في اليوم الثالث هو الأكثر حدوثا في الأقاليم المعتدلة. أما الذي يعود في اليوم الرابع فيكثر حصوله في بعض بلدان إيطاليا والهند. وهناك أنواع أشد مدة الحمى فيها أطول وخطرها أكثر وتعرف في إيطاليا بالحمى الصيفية الحريفية [Aestivo - autumnal] وفي البلاد الحارة (الحمى للسنرة أو الحيفة) ويكثر انتشار هذه الحمى في الأقاليم التي بين خطي ٦٣° شمالي خط الاستواء و٥٧° جنوبي

الأسباب - قلنا إن الذي ينقل ميكروب هذه الحمى هو البعوض فلذا توجد هذه الحمى حيث يوجد البعوض ويكثر، ونحفي أو تنعدم حيث لا يوجد، أعني أن حرارة الجو وكثرة الرطوبة والمستنقعات التي يتوالد فيها البعوض هما أعظم الأسباب لانتشار هذه الحمى. وجميع الأجناس البشرية عرضة للإصابة بها، ولكن الباردة أقل في ذلك من البيض. وهي تصيب الإنسان في جميع الأعمار. وهما جيبي للمرض ضعف الصحة والتعرض للرطوبة أو لحرارة الشمس الشديدة أو الإفراط أو التفریط في الأكل أو الشرب

وقد يكمن الميكروب في الدم ولا يحدث الحمى وإنما يسبب ضعف الصحة وقر الدم أو ضخامة الطحال، ولا يستمر بقاؤه في الدم إلى أكثر من ثلاث سنين

إذا لم تكرر العدوى به

ولهذا الميكروب أنواع ، ثلاثة منها على الأقل تعيش في دم الانسان ، والاخرى في دم الطيور . وقد اكتشف مايميش منها في الانسان بين سنة ١٨٨١ و ١٨٩٠ . وهذه الانواع الثلاثة تعيش داخل كريات الدم الحمراء وتتغذى بها فتمتص مادتها الهيويولوجية ويحولها الى حبيبات ملونة (سوداء أو سمراء مصفرة) (١) يمكن اعتبارها كأنها براز لما فاذا كبرت خلية الميكروب انقسمت الى عدة أقسام (تراوح بين ٦ - ١٥ أو ٢٠) وانفجر غشاء الكرية الحمراء فتخرج هذه الاجسام وتسبح في الدم ثم تحترق كريات حمراء أخرى وتسكنها وتعمل بها ما فعلته في الاولى . وكثير منها تقتله خلايا الطحال أو غيرها أو خلايا الدم البيضاء .

وعند تمام نمو خلية الميكروب وانقسامها الى عدة أقسام ترتفع حرارة المصاب ، لان الميكروب حينئذ يخرج سمه فيدور مع الدم . ومن ذلك ترى أن هذا الميكروب اللعين يفسد الصحة بآلافه الكريات الحمراء التي عليها مدار التنفس وبافرازه مما يحدث الحمى ، وهناك ضرر ثالث وهو افرازه مما آخر يذيب كريات الدم الحمراء فيثعب الكبد ويكثر من افرازه الصفراء ويكثر الاسهال ، وقد يبذل المريض بولا أحمر مشتملا على مادة الدم الدائبة فيه - كما سيأتي - فتلتهب الكلى بسبب ذلك ولا يلزم من دخول هذا الميكروب الى الدم أن يحدث للمصاب ما ذكر فانه قد يقتل ولا يصاب الشخص بشيء ، وقد يمكن في الطحال الى ان تضيق قوة مقاومة الجسم له فظهور حينئذ أعراض الحمى ، وقد تغلب البنية بعد ذلك على الميكروب فتبيده وتحصل للجسم مناعة تقيه شمره مرة أخرى . وهذا الميكروب قد يصيب الاجنة في أرحام أمهاتها غير أن ذلك نادر جدا .

أما البعوض الذي ينقل العدوى من شخص الى آخر فهو من النوع المسمى [Anopheles] وميكروب الملاريا لا يضره شيء اذا دخل جسمه . واعلم ان ذكر هذا البعوض لا يعض الدم بل الانثى فقط وهي التي تحمل العدوى ومدة حياتها

(١) هذه تشاهد ساجحة في الدم أو داخل الكريات البيضاء التي تبتلعها أو داخل منسوج بعض الأعضاء كالطحال والكبد والبنج وغيرها

تزيد عن شهر في الغالب ، وتضع كل انثى نحو ١٠٠ بيضة على سطح الماء طول كل بيضة نحو نصف مليمتر أو مليمتر كامل . وبعد يومين أو ثلاثة يفقس ، وإذا كان الجو حارا فقس قبل ذلك ، وتعم الاجنة في الماء وهي المسماة بالعلق ، وبعد عدة أيام (١٣ - ٢٣) تصير بالتطور بعوضة

ويمتاز هذا النوع من الانواع الاخرى بما يأتي : -

(١) ان اثناء لا تلسم الانسان غالبا ولا تمص دمه الا ليلا (٢) أن شواربها [Palpi] طويلة مثل منقارها [Prboscis] الغليظ (٣) أنه توجد في أجنحتها نقط مسودة بخلاف أجنحة الاخرى فانها راتقة (٤) أن جسمها أطول وأنحف . هو مستقيم بخلاف الاخرى فانها أعفاظ واذا وقفت على الحائط رأيت ظهرها محدودبا واهل أن بعوضة الملاريا لا تنقل العدوى الى بعوضة أخرى ، فلا يوجد الميكروب فيها الا اذا أخذته من الانسان بامتصاص دمه

وإذا امتصت البعوضة دم المصاب لقحت (١) مض خلايا الميكروب الخلايا الاخرى التي تتطور وتصل الى غدد اللعاب في البعوضة لتخرج منها أثناء وخز شخص آخر فعديه بالملاريا ، ومدة هذا الطور الذي يقضيه الميكروب في جوف البعوضة تختلف من ٦ - ١٦ يوما بحسب حرارة الجو . والبعوضة لا تطير عادة من موطنها الى أبعد من نصف ميل انكليزي

الاعراض - تكون نوب هذه الحمى في أول الامر غير منتظمة غالبا ، ولعل السبب في ذلك أن الميكروبات التي تدخل الجسم تكون من انواع مختلفة ، فتغلب البنية على أقلها عددا وتقتلها وبذلك يفرد بالجسم نوع واحد وهو الاكثر عددا ، وفي بعض الاحيان يبقى نوعان أو ثلاثة . طور التفريخ يتراوح بين ٣ أيام و ١٢ يوما وهو طويل في الاشكال المنتظمة ، قصير في غيرها ، وقد يحصل المرض بمجرد التلقيح وفي بعض الاحوال تتقدم الحمى بمض أعراض أخرى كالتوعلك والصداع وآلام بالاطراف وغثيان وغيرها .

المنشور الهاشمي الشريف الثالث

نشر في العدد الحادي والثلاثين من جريدة القبلة الذي صدر في ٤ صفر

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي

الحمد لله الذي أخرجنا من الظلمات الى النور، والصلاة على سيدنا محمد صاحب الهداية الباقية ما بقيت العصور وكرت الدهور، وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بعزائم الامور، وسلم تسليماً كثيراً

وبعد فقد حان لنا أن نخاطب أبناء بلادنا - خاصتهم وعامتهم، وكبيرهم وصغيرهم، وحاضرهم وباديهم - في حقائق الامور التي كنا فيها، والحالة التي صرنا اليها، والواجبات التي حتمت علينا مقتضيات الدين والقومية والانسانية أن نقوم بها بحق القيام

فانه لم يبق فيهم والله الحمد من يخفى عليه أمر هؤلاء الاغرار الذين تسلطوا على المملكة العثمانية فأحلوا فيها ما أحلوا وحرموا ما حرموا، مما قدمت الاشارة الى بعضها في منشورينا السابقين. واتخذوا دين الله هواً ولعباً، وسلبوا السلطة من أيدي أهلها. وتصرفوا بالمملكة تصرفاً أضعوا به من بلادها في بضع سنوات ما تزيد مساحتها على مساحة بضع ممالك عظيمة في أوربا. وآذوا عباد الله بالقتل والشنق والتعذيب والتفريب ومصادرة الاموال وانتهاك الاعراض بما لا يحيط به المد والحصر. ولعل أرض الحرمين الشريفين كانت أقل الممالك العثمانية ابتلاءً بمصائبهم ومفاسدهم. لا عن تكريم منهم لمشاعرها المقدسة، ولا رافة منهم بأهلها، أولاً أن الحجازيين أحب اليهم من سكان الرومي والاناصول والشام والعراق، بل لما سخرنا الله له من الوفوف لهم موقف النصح تارة والدفع بالتي هي أحسن أحياناً، على أمل أن يصبح الذي بيننا وبينه عداوة كأنه ولي حميم

بذلنا ما في الوسم لدفع الاذى عن هذه الديار بالطريقة المتقدمة ، ولم نأل جهدا في تخفيف ظلمهم عن المسلمين وأهل ذمتهم في كل أنحاء المملكة ، وحملهم على اجتناب كل ما ينكره الناس عليهم ، واقناعهم بخطر أعمالهم وما ستؤول اليه من ضياع البلاد وهلاك العباد ، وكنا نخلص النصيح لرجالهم في الاستانة بمكاتبات محفوظة لدينا صورها وأعدادها وتوارينها ، لاسيما في السنين الاخيرة . ومن المتيسر لكل انسان ان يظلم عليها ، وكذلك كنا ننصح لولاتهم هنا بطريق المشافهة والمخاطبة ، وأوقدنا بمض أولادنا الى الاستانة والشام لهذا الغرض . ولكنهم لم يزدوا دعوتنا الا ظما وطميانا ، وبغيا وعدوانا

ومما زاد مسؤوليتنا بين يدي الله عز وجل ، ثم امام واجب الوطنية والقومية ، ما وقع فيه قومي وأبناء جلدتي من الشدة التي لا تحتمل ، حتى أمست بلادنا بسبب أولئك الاغرار الجاهلين منقطعة عن كل أقطار الدنيا ، وان قلب المؤمن لا يرضى في حال من الاحوال رؤية جيران بيت الله الحرام وهم يموتون من الجوع والعري على قوارع الطريق . وذلك مما هو معلوم لدى الخاص والعام والبدوي والحضري ، ولا ريب أن أهل بلادنا لم ينسوا تلك الحالة المؤلمة والهلكة التي لمستها الايدي وعانتها الابصار . لان الحول لم يحل عليها بعد . وما كانت شدتها بالذي يستحق أن ينسى

حينئذ استخرنا الله عز وجل للقيام في وجوه الائمة الظالمين ، والمحررين الملحدين ، فرارا من عاقبة قوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه في حديث صحيح (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الطبراني (خذوا على أيدي سفهائكم من قبل أن يهلكوا أو يهلكوا) وقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (أيما وال ولي شيئا من أمر أمتي فلم ينصح لهم كصبغته لنفسه كبه الله تعالى على وجهه يوم القيامة في النار) وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الطبراني أيضا بحديث صحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) وقوله صلوات الله عليه وسلامه فيما رواه أبو داود في سننه (خيركم المدافع عن

عشيرته) وقد خار الله لنا ان تهض بأمتنا للاخذ على أيدي الظالمين ، واجلاء السفهاء المارقين ، عن البلاد والعياد . طالبين لهم ما طلبناه لانفسنا من جعل هوانا تبعنا لما جاء به صلى الله عليه وسلم ، ودفع السوء عن عشائرننا وجماعاتنا العربية التي صارحها هؤلاء الاغرار بعبادة جنسيتها وانتمها وتقاليدها وراحتها وهنائها في كل ما ظهر وما بطن من أقوالهم وأعمالهم

وها ان ما كنا نسمعه ونسمعونه من ضروب ظلمهم وبغيهم في عرب الشام والعراق ، لم يسلم منه أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فقد تواترت الانباء بمضاعفة بغيهم وظلمهم فيها ، وأخذوا في شنق النفوس البريئة وصلبها ، مستعملين ضروب الوحشية الطورانية ، وشرعوا بتشغيل بعض من وقع في أيديهم من سكان العوالي بالاشغال الشاقة بعد الفظائع الشنيعة التي أجروها لهم من قبل . ثم شنقوا أخيرا ثلاثة من أعيان المدينة المنورة ، وبدأوا بتجنيد الاهالي بالقوة حتى استنجد بعض أهالي المدينة المنورة باخوانهم المسكين لينقذوهم مما هم فيه

فأي مروءة ترضى لحاكم مهما كان ظلما أن يسلم سيف حقه وضغنه وانتقامه في سكان المدينة المنورة الذين آثروا جوار النبي الاعظم صلى الله عليه وسلم على كل لذائذ الدنيا وصاروا أمانة الله في يد من يحكمهم ، واذا كان حقد المتغلبة وضغنه قد وصل بهم الى حد أن يمدوا أيديهم بالذى امانة سكان المدينة المنورة الذين لا حول لهم ولا طول في جانب القوة العسكرية المتسلطة عليهم فان أولى بهم أن يخرجوا لقتال اولادي الاربعة ومن معهم من أفلاذ أكباد العرب ، فهناك موضع الشجاعة والقوة لا في قتل الاهالي الابرياء والمجاورين الضعفاء ، وها ان جيوش الحق زاحفة عليهم من أربع جهات لا من جهة واحدة ، بحجة داعي الله بالاخذ على أيدي الظالمين ، وتأديب الملاحدة المارقين

وانه لا يفوتنا بهذه المناسبة أن نعلن أمتنا المخلصه بسرورنا من غيرتها الاسلامية وحميتها العربية ، وشكرنا لها على ما أبدته حتى الآن من البساطة والرجولية والشمم العربي ومشاركتها الفعلية في طرد المتغلبة المارقة من عقر دارنا وحصون بلادنا . فسطرت بذلك صفحة ذهبية جديدة في تاريخ البلاد العربية المحجدة ، واستحققت ان

تكون صاحبة الفخر الاعظم باسترداد الاستقلال التام الدائم لبلادها مادامت السماء
والارض ان شاء الله تعالى

وان نظرة واحدة فيما كانت بلادنا عليه بالامس وما صارت اليه اليوم بحول
محول الاحول كافية لترديد شكر الله تعالى منا جميعا على جزيل آلائه، وعظيم نعمائه،
فقد أبدلها من العسر يسرا، ومن الخوف أمنا ومن الضعف قوة، وكانت مقدراتهم
تحت تصرف وصي جاهل لا يراعي فيها إلا ولا ذمة فازاحه الله عنها، وصارت
حكومتها منها وفيها، وفتحتم لرجالها على اختلاف طبقاتهم أبواب العمل لادارتها،
واستعمال عقولهم وذكائهم ومواهبهم في تحسين أحوالها، كما فتح لابنائهم الطريق
القويم اذا جدوا في ادراك المضائل وتحصيل الكمالات، حتى يبلغوا بقدرة الله عز
وجل سعادة الدنيا بتولي المراتب العالية في دولتهم، والمناصب الجليلة في حكومتهم،
وبحصولها على سعادة الآخرة بايفاء ما يجب علينا من خدمة وفود الله وحجاج بيته
الحرام، واستحصال جميع الاسباب التي تستلزمها راحتهم من كل الوجوه، وان عزائم
حكومتنا مهقودة للنهوض بأمر المعارف على أساس قويم يضمن تهذيب ناشئة البلاد
ان شاء الله تعالى على الوجه الذي أشرنا اليه. وان كل ما حصل حتى الآن ليس
الا جزءا قليلا مما ستعاقه البلاد من الخير التدريجي الدائم، وان كان كثيرا بالنسبة
الى ما نحن فيه من التدابير الحربية، وبالنسبة الى الوقت القصير الذي تمتعت فيه
الامة بالاستقلال

وبما لا يختلف فيه اثنان ان تأسيس الممالك يحتاج ان تبذل فيه كل طبقات
الامة ما تستطيعه من السعي والجهد والعمل، وأن يقوم كل فرد من أفرادها بما
يحسنه من وسائل المساعدة للنهضة العامة، حتى يتم الخير العميم على أيديهم جميعا
فتشترك الامة كلها في نتائجه بعد اشتراكها في مقدماته. وبهذا تقيم الامة صروح
المجد، ونهى للملكها أسباب الهناء والسعد

وأهم ما ينتظر من الامة اخلاص النية والتناصح والتعاقد والدفاع عن الحق
والمصلحة القومية والوطنية، فقد ورد في صحيح مسلم وسنن أبي داود والنسائي ومسنند
أحمد (ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وهامتهم) وفي صحيح

مسلم (لا تحاسدوا ولا تاجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع
 بعض وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يكذبه ولا يحقره ،
 التقوى ها هنا (ويشير الى صدره ثلاث مرات) بحسب امرى من الشر أن
 يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه) وفي سنن الترمذي
 عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (يد الله على الجماعة) فبالعاون والتآزر والتناصح
 تنجح الامم وتفوز في معترك الحياة وتكتسب رضى الحق ورضى الخلق ، وبهذا
 يأمرنا ديننا الاسلامي الخفيف فلنكن مسلمين حقيقة، ومن كان مع الله كان الله معه،
 وان مانالته جيوشكم حتى الآن من النصر والفوز لم يكن الا بالاخلاص والنية الصالحة
 واستئصال شأفة الاحاد والفساد ، وشتان بين من يؤسس بنيانه على التقوى ومن
 يؤسس بنيانه على شفاجر ف هار . وان من باب التحدث بالنعمة الالهية، والتوفيقات
 الصمدانية، ماترونه من أني لم أضن بنفسي وراحتي وحياة اولادي، على الدفاع عن
 واحة أبناء جلدتي ومصالحة بلادتي، وذلك لما علمته من أن الخدمة لا تتم الا بأن
 يعمل لها كل بما يستطيع

ومن نعم الله تعالى على بلادنا هذه العربية اتفاق مصالحها مع مصالح من والاها
 من حلفائها، واعلانهم المطاب عليها في آمالها وأمانها، وتصريحهم بأن من النقط التي
 لا تقبل التغيير والبدل بقاؤها في أيدي حكومة اسلامية مستقلة أمينة من كل طارىء
 خارجي . وان من مقتضى أخلاقنا الاسلامية التي منها الاعتراف بالجليل شكر حلالنا
 الكرام على اخلاصهم في صداقتنا وحسن سيرتهم معنا وبذلهم الوسع فيما فيه خير هذه
 البلاد . وانا منحرص على دوام ما يؤيد هذه المنافع المتبادلة الى ما شاء الله
 ونستنهض همه أمتنا في الحثام الى العمل على حفظ ما بأيديهم من نعم الله
 السابغة، والاستمرار فيما أخذوا به من أسباب النهوض والتقدم ، لان الزمان الحاضر
 زمان جد وعمل، وقد خاضت كل الامم في معامع الحروب والخطوب تأمينا لمصالحها
 وبقائها ، وضحت كل مرتخص وغال في سبيل عزها ومجدها ، وانا لجديرون بأن
 نكون في مقدمة الطامحين الى احياء الاجداد ، والسير في سبيل الاجداد، ورفع شأن
 البلاد، واجتناب كل ما يخل بنعمة حاضرة، ومعاودة مستقبله ، ومن جهة ثانية فاني

أحث قومي على الاقتصاد والاختد بأسبابه وترك البطالة المنهي عنها في الدين الإسلامي، ولنا معتبر في الحث وشدة الأبرام على المثابرة في وسائل الأكتساب مهما كان حكمتنا على حالة بلادنا في الوقت الحاضر من جهة ما يظهر في النظرة الأولى من قلة أسبابها الاقتصادية، ولكن مباشرة العمل مشين لكم أنها تأتي بشرات لم تكن في الحسبان، فيكون بها تعديل الحاجة وتهوين الضرورة التي أحست البلاد بها في الشهر الأول بل في الأسبوع الأول من وقوع الحصر

وأنه لم يبق لأحد عذر في التخصير بشي من أسباب الارتقاء بعد أن فتحت أبواب الأكتساب الخارجية للرجال، وأبواب المدارس للأطفال، وسوف تستمر حكومتنا في هذا السبيل إن شاء الله حتى تستكمل كل أسبابه، لاسيما المدارس المساعدة على ذلك بكل أنواعها، كالمدراس التجارية والزراعية والصناعية والطبية والهندسية، وسائر ما تحتاج إليه في حياتنا الجديدة والعمران الحاضر على الطرز والوجه المناسب لقدمية بلادنا، حتى يسهل استثمار ما أعد الله تعالى فيها من لوازم الحياة على أيديكم وبواسطتكم في عهد قريب إن شاء الله تعالى، وليس ذلك بعزيز عليكم بالنظر إلى ما خصكم الله تعالى به من الذكاء والفضة، وإن خطتنا الإسلامية هي المحافظة على ما نحن فيه والسعي لتنميته والتقدم به بالتدرج الذي تقتضيه حالة البلاد (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) شريف مكة المكرمة

وملك البلاد العربية

الحسين بن علي

[المنار]

كان المنشور الهاشمي الأول خطابا خاصا بالمسلمين وقد نشرنا خلاصته في الجزء الرابع، والمنشور الثاني موجها إلى الناس عامة والمسلمين خاصة وقد نشرناه بنصه في الجزء السادس، وهذا المنشور الثالث خاص بأهل الحجاز وحدهم وكلهم مسلمون كما يعلم القراء، إلا أنه يوجد في جدة أفراد من أهل الكتاب المعاهدين تساهل الحكام من قبل بالسماح لهم بالإقامة فيها. وسبب جعل الحرميين وما يحيط بهما من جزيرة

العرب خاصة بالمسلمين مع ما هو معروف من تساهل الاسلام هو انهما أعظم المعابد الاسلامية وما حولها حرم لها . ومن المساواة في الاسلام انه لا يجوز للمسلمين في دار الاسلام دخول معابد غيرهم ولو مؤقتاً الا أن يكون باذنهم ، فهل تجوز الاقامة فيها ؟ ولو كان لهذا الملك الشريف رعية من غير المسلمين لخصهم بخطاب يعلم منه القاصي والداني انه أوسع صدرا وأشد تسامحا من خلفاء العباسيين ، وانه لو حكم بينهم بما يأمره به دينه واجتهاده لكان حكمه خيرا لهم من دستور العثمانيين في دينهم ودنياهم . وقد كنت مع جمهور من المسلمين السوريين في مجلسه الشريف من دار حكومته بمكة المكرمة ومنا عبد العزيز بك المصري المشهور قد كرت في سياق الحديث عن العرب اخلاص القائمين بالامهضة العربية من المسلمين والنصارى وضربت الدكتور أمين المفلوف مثلا وشاهدا فقال حفظه الله تعالى : يا حضرة السيد اثني لا أحب أن يفرق في هذا المقام بين مسلم وغيره ، واذا كان أصل شرعنا في الذمي الغريب هنا ان له مالنا وعليه ما علينا ، فكيف اذا كان من أبناء جنسنا ، ثم اثني على الدكتور وأهرب عن رضائه عنه ، فسر الحاضرون بقوله مرورا عظيما .

عاقبة الحرب

ومكانة بريطانية العظمى منها

كتبنا في أول العهد بالحرب مقالة نشرت في (ج ١٢ م ١٧) الذي صدر في آخر ذي الحجة سنة ١٣٣٧ بينا فيها من استعداد القرية بين المتقاتلين ومن مقاصدهما ما ظهر لنا بعد سنتين أنه أصبح من كل ما نشر في الصحف مخالفا له . وقد رأينا أن نعيد أو اخترتلك المقالة للمقارنة بينه وبين كلام حديث العهد نشر في جريدة التيمس ، وهذا نص عبارتنا في تلك المقالة :

« فجملة القول في المجموعتين المتقاتلين أن انكلترا وفرنسة وروسية وبلجيكية والعرب والجيل الاسود أكثر من ألمانية والنمسة والامانية رجالا ومالا وأساطيل بحرية وهوائية ، ولكن ألمانية وحدها أعلى منهن استعدادا ونظاما ، ولولا الاسطول

الانكليزي لرجحت على الجميع رجحانا ظاهرا ، بل لا يمكنها أن تحارب أوروبا كلها
وتقتصر عليها

« بيد أن هذا السبق في الاستعداد ، ليس مما يتنظم في سلك الخوارق والآيات ،
بل يمكن لدول التحالف أن يلحقوها به ، إذا عجزت في أول العهد عن بطشة
فاصلة في فرنسا . أما إذا وقف مدها عند تدويح بلجيكة والاستيلاء عليها وعلى
بضع ولايات من شمال فرنسا وجانب من بولاندة الروسية ، فما بعد المد إلا الجزر ،
فإذا أمكن للحلفاء أن يزيدوا عدد جندهم ويمدوه بما لم تستطع هي مثله عاد لهم
الرجحان عليها في البر ، كما سبق لهم الرجحان عليها من قبل في البحر
فحل الرجاء للحلفاء انما هو التغلب بالكثرة بقاعدة قول الشاعر العربي :

ولست بالاكتر منهم حصي وأما العزة للكائر

« أما هذا المدد الذي يكون به الرجحان البري فلا يرجي الا من قبل بريطانيا
المعظمى ، لان الفرنسيين قد بذلوا كل ما في وسعهم ، والروس — وان كانوا أكثر
عددا — لا يجدون من الذخائر والسلاح ولا من الضباط ما يمكنهم من تجنيد
العدد الذي تسمح لهم به كثرتهم ، فالانكليز وحدهم هم القادرون على مضاعفة
جنودهم ، وعلى إيجاد ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة لكثرة معاملهم وعما لهم
وما لهم ، وليس عندهم جنديّة اجبارية تستغرق العمال ، وتوقف حركة الاعمال ، وانما
يمز عليهم التجميل بإيجاد ضباط أكفاء لجيش كبير يجددون تنظيمه تجديدا ، ولكن
الانكليز أهل صبر وأناة ، فما لا يدركونه في سنة يرضون بأن يدركوه في سنتين ،
وتاريخهم مرة أخلاقهم في ذلك . وقد قدر لورد كاتشنر ناظر الحريسة القائم
بتجهيز الجيوش الانكليزية مدة هذه الحرب بثلاث سنين

« تبين لنا ما تقدم ما يراه كل الواقفين على الحقائق من أن هذه الحرب ليست الا
المظهر الاجلي للتنازع على السيادة والنفوذ والاستعلاء في الارض بين الانكليز وانباء
عهم الالمان ، وسائر الدول تبع لها في علها ومعلولاتها ، ومقدماتها ونتيجتها
« دع البحث في المقدمات فقد انتهى أمرها ، وسيحكم التاريخ حكمه العادل فيها
وأما النتيجة فهي ان السيادة العليا في الغرب والشرق ستكون لانكلية أو لالمانية

لا محالة، ويكون أحلافهما تبعاً لهما، فتكون لانكلترا إذا فازت هي وأحلافها بالنصر التام، لانهم ان ينالوا ذلك الا بها، ولا تنتهي الحرب الا وقد انتهكت قواهن من دونها، واستحدثت هي من القوة فوق ما كان لها، اذ شرعت بتأليف قوة برية لم يكن لها مثلها في وقت من الاوقات، كما انها تزيد الاسطول قوة على قوة، وحينئذ تكون أعظم الدول ربها وأقلهن خسارة، واذا كان من بواكر هذا الرج مصر وقبرص والبصرة ومعظم مستعمرات ألمانية في أفريقية أو جميعها كما هو المنتظر فكيف تكون أواخره؟ «وأما اذا كان النصر التام للألمانية وأحلافها فقد طالما لهجت الجرائد الانكليزية والفرنسية وغيرها بأن ألمانية حينئذ تجعل أوربة كلها تحت سيطرتها، وتنزع منها جميع مستعمراتها، وانها بذلك تسود العالم كله، ولعلنا نهود الى تفصيل القول في نتيجة الحرب على كل تقدير، بقدر ما تسمح به المراقبة الرسمية على الصحف، ونلم في ذلك بأمازي الشرقيين عامة والمسلمين خاصة^(١)»

هذا ما كتبناه منذ سنتين وعدة أشهر وأما ما جاء في جريدة التيمس مؤيداً له فهو ما نشر في جزء المتكطف الذي صدر في آخر ديسمبر من السنة الماضية الموافق ٥ صفر الماضي وهذا نصه بحروفه الا ما غيرته لمطبعة من تأنيث أسماء الدول وأوربة بالتاء:

رأي الإنكليز في عاقبة الحرب

« ان الألمان لجأوا الى الدفاع بعد الهجوم في كل الميادين تقريباً والحلفاء يفوقونهم في كل شيء عدداً ومادة ما عدا القوة العقلية، وفي يدهم زمام البحار فهم يضيقون على الألمان تضيقاً لا يضمفه علم ولا تقوى هل احتماله حمية وطنية مهما عظمت . وما من دولة محايدة يوجبها لها الا وهي تفضل الانضمام اليها على الانضمام اليهم . وستكون العاقبة لنا حتماً ولكنها قد لا تزال بعيدة فان ألمانية لم تقهر حتى الآن . تجنبنا بوارجها القتال قبل ان يقضى عليها . نعم أفلت أسواق المسكونة في وجهها وأوصدت أبواب البحار أمام سفائنها؛ وقد حدث مثل ذلك لنوبوليون بونايرت في معركة الطرف الاغر ولكنه بقي في اوج مجده وبقيت ملوك الارض تحطب وده وتسابق الى نيل رضاه

(١) قد وفينا بهذا الوعد ونشرنا في الاجزاء الماضية ما اذن لنا بنشره

« والانسان يعيش في البر لا في البحر والدولة البرية التي تتسلط على نصف أوربة وتمتد سلطتها من البلجيك الى الاناضول لا يمكن اذلالها بقوة بحرية لانها لا تزال تستورد ما تحتاج اليه من البادان الواسعة التي تحت سطوتها »
 « ولا مشاحة في ان ايجاد البحار دون ألمانية قد أضر بها كثيراً ولكن الضربة القاضية لا تكون الا في البر. هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل (المقتطف : وقد مئات ذلك مجلة لندن بصورة وقف فيها الجنرال جوفر الفرنسي امام أمير البحر جاليكو الانكليزي وقال نعماً ما فعلت ولكن الضربة القاضية تكون في البر لا في البحر. كما ترى في الصورة التالية) (١)

« وقد أخطأنا في إلقاء اعتمادنا كله على قوتنا البحرية واهمالنا لقوتنا البرية فكنا كالخراف امام الذئاب لما ذهبنا لمحاربة ألمانية في فرنسا لاننا اعتدنا الراحة والرفاهة فأسأنا الى أنفسنا والى أوربة كلها باهالنا قوتنا البرية

« وسيدلنا الآن ان نعلم ان قوة ألمانية الحربية لم تضعف حتى الآن ولا دليل على انها لا تستطيع مواصلة الحرب وامداد جنودها بالرجال والسلاح سنة أخرى أو سنتين »
 « من المحتمل ان قيادة جيوش الألمان جعلت منذ الربيع الماضي تحفي عدد قتلاهم وجرحاهم ولا تذكر الا القليل منه حالما رأيت اننا نفى بذلك ونبني عليه أحكامنا . ولها غرض آخر أهم وهو ان لا يعلم الشعب الألماني ما حلّ برجاله . ومع ذلك فاتها لم ترسل الى ميدان القتال حتى الآن الا القليل من مجندي سنة ١٩١٧ ولم ترسل أحداً من مجندي سنة ١٩١٨ . وهي تستطيع ان تجند كل سنة نحو نصف مليون من الشبان . وكثيرون من الجرحى يشفون ويعودون الى ميادين القتال . وقد يكون عندها الآن مليونان من الرجال المستعدين لحمل السلاح وانجاد الجنود المقاتلة . ولا جدال في انها خسرت هي والنمسا خسارة فادحة في الصيف الماضي ولكن خسارتهما هذه لا تستلزم أن يطرحا سلاحهما حالا ويطلبوا الصلح ناهيك عن أن التزامهما خطة الدفاع تقلل خسارتهما من الرجال وتمد أجل الحرب كثيراً »
 « فلا ينبغي لنا ان نتوانى بل يجب علينا ان زبدهمة وإقداماً ونوالي المهجوم

(١) المنار : نشرت الصورة في المقتطف كما نشرت في مجلة لندن

نحن وحلفاؤنا ونكثير من سبك المدافع والقنابل واعداد الجنود ونستعين بكل رجال الامبراطورية البريطانية . وما دامت حكومتنا قد أقرت التجنيد الجبري ووزعت ادارة الاعمال على الاكفاء من الرجال فلا يهمننا بعد الآن من يدخل الوزارة أو من يخرج منها

« وستنتهي هذه الحرب حينما تتأكد ألمانيا انها تخسر كثيراً باطالتها ولا نستفيد شيئاً منها، ولكن ما من أحد يعلم متى يكون ذلك . من المرجح ان أولي الامر في ألمانيا علموا الآن هذه الحقيقة ولكن يصعب عليهم ان يجاهروا بها قبلما تدور الدائرة على قوادم في معركة كبيرة فاصلة لاسيما وان الشعب الألماني قد استهوي وأقنع ان الفوز في يده فيصعب عليه ان يصدق الآن ما يناقض ذلك »

(المتكطف) : وامتنارد الكاتب الى ما يجب على الامة الانكليزية فعله بعد ان يعتقد النصر للحلفاء فقال :

« ان الحرب ستنتهي يوماً ما فكيف يكون حالنا حينئذ؟ اذا اعتبرنا قوانا البرية والبحرية وخيرات بلدنا فسنبصر أعظم دولة حربية في المسكونة ، ونكون معتمد حلفائنا ونمتلك ما مساحته مليون ميل مربع من مستعمرات الالمان، ويكون عندنا جيش محنك من الجنود والضباط يعدُّ بالملايين ، ويزيد تفوقنا البحري عما كان قبل الحرب، وتتحقق الامم كلها ان امبراطوريتنا مرتبطة بعضها ببعض، عراها لا تنقسم، وشعوبها لا تقهر ، وفعلها خلاق بماضيها المجيد

« ولقد كان ضعفنا العسكري شوكة في جنب جنودنا في السنوات الاخيرة وهو من أكبر الاسباب لنشوب هذه الحرب الا ان ذلك قد مضى وانقضى . لكننا قد نخسر كل ما اكتسبناه الآن اذا قامت فينا وزارة تطلب ان نطبع سيوفنا سكا ورماحنا مناجل قبل ان يحين الزمان الصالح لذلك . فيجب علينا ان نكون على حذر مدة خمسين سنة إلى ان تزول رزايا هذه الحرب وما أثرته في النفوس ويعود الأمن والسلام الى نصابيهما

« وعلينا ان نحذر الفرور كما نحذر الخمول لئلا نضيع ثمار الظفر، فقد اعطينا زعامة حلفائنا فصارت زعامة أوربة لنا بحق مكتسب، فلا ينبغي لنا ان نحل محل ألمانيا

فكون قوة حربية مستبدة مثلها لاتنا أصحاب البوارج والرجال والأموال وتوخي التفوق الحربي على غيرنا، بل يجب ان يكون غرضنا النفع العام وخدمة نوع الانسان . أما البحر فيجب ان يبقى لنا التفوق فيه وأما البر فيجب ان يكون هندا من القوة ما يكفي لحماية ثغورنا وبلداننا مهما اختلفت تصاريف الزمان . ولا نطعن أنفسنا بأن القوة البحرية كافية وحدها كما فعلنا فيما مضى

« يجب ان نؤمن شباتنا كلهم على استعمال السلاح ، لا لكي يضرهم ونا نار الحرب به بل لكي يمنعوا اضطرابها ويحموا كل أملاكنا ومستعمراتنا ويحفظوا تاريخ أسلافهم المجيد

« والفوز في الحروب والغلب على المكاره مغروسا في نفوسنا حتى ان جنودنا الذين دارت الدائرة عليهم في أول الحرب واضطروا ان يعودوا القهقري أمام العدو لم يكن يحظر لهم ان يتفكروا أو يتكلموا الا بأن الفوز سيكون لهم أخيرا ، وقد دامت هذه العزائم كل مدة الحرب وسبقى أشرف مبراث نورته لدرينا من بعدنا »

(المقتطف) : هذا ولم نكده ننهي من كتابة هذه السطور حتى طير الينا البرق ان ألمانية هزمت ان نجعل بلادها كلها محلا للاسلحة والذخائر الحربية وأن تحسب البلاد كلها محلا تجاريا كبيرا وتستخدم كل مافي بلادها من الايدي العاملة ومعدات العمل لخدمة الجيش وان لا تكثفي باستخدام الرجال والاسرى بل تستخدم النساء أيضا ، ويقال انها هزمت على تجنيدهن أيضا . وان انكازة قررت انشاء اداة للتموين براسة رجل مطلق التصرف يحق له ان يرغم الناس على الاقصاد وانها حظرت على السكان اطلاق المواد الغذائية واستعمال السكر في الكماليات وطحن الدقيق على الاسلوب الذي يزيل منه المادة السمراء فقتل تغذيته اه ما نقلناه عن المقتطف من ترجمته وتعليقه .

ومن قابل ما نقله عن جريدة التيمس التي هي أعظم الجرائد الانكليزية مكانة ومعرفة بما قلناه في أول العهد بالحرب في شأن ظفر انكلزرة وحلفائها بجده شيئا واحدا

الحركة الطورانية الجديدة

في بلاد تركيا^{*}

نقل هذه المقالة عن العدد ١٨ والمدد ١٩ من جريدة القبلة الغراء مع تصحيح بعض الالفاظ - :

قرأنا في جريدة (نبراست) الانكليزية الصادرة في أول ذي القعدة مقالا خطيراً (١) تحت عنوان الحركة الطورانية الجديدة فترجمناها (؟) الى لغتنا العربية الشريفة ونشرناها على صفحات القبلة لعل فيها عبرة ومزدجراً فان أسرار الأتحمادين والحمد لله قد ذاعت وشاعت حتى أصبحت حديث الشرق والغرب. وان وراءها لأشد منها وأفظع، وأدهى وأمر، وسيعلم النازحون عن المملكة العثمانية من حقائق الأتحمادين الطورانيين ما دامه العرب العثمانيون قبل ذلك أعوام فاستعدوا للدفاع عن كيانتهم وعن دينهم، وبعضهم سادرون في غفلاتهم هائمون في أودية الاوهام ولاضاليل واليك ترجمة المقال المذكور

ظهرت في تركيا حركة جديدة عرفها القوم باسم (بني طوران) أعني طوران الجديدة وقد نبتت في الاستانة سنة ١٣٣١ ثم أخذت تنتشر في أجزاء كثيرة من الساطة، وقد اتازت هذه الحركة بكونها مقصورة على فئة مخصوصة غيتها توحيد القومية التركية بالخصرية الجنسية دون الربط الدينية الإسلامية. واليك بيان الغايات التي ترمي اليها في مساعيها وأعمالها :

(أولها) ان تجعل الأتراك أمة قائمة بذاتها مستقلة عن الدين الإسلامي تمام الاستقلال حتى يتبها لها أن تربي فيهم ذلك الشعور القومي الذي ذكره الدكتور الفردنويج في مقالة نشرها تحت توقيعها في جريدة (اندرونوخ) الألمانية على أثر حديث

^{*} قد نلخص هذه المقالة صاحب المنتطف ناسبا اياها الى أحد أدباء الانكليز وابقى كلمة الطورانية بالتمام

دار بينه وبين زعماء الأتحاديين . (١)

(ثانيها) ترقية الروح العسكري التركي فقط (٢)

(ثالثها) انشاء العلاقات التجارية وغيرها من الصلات بين مسلمي بلاد العجم

الشمالية (آذربيجان) وبلاد روسيا في آسيا والاجزاء الجنوبية منها .

(رابعاً) تطهير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية ومن آداب

هائين اللتين .

ولهذه الجمعية التركية مطمع آخر ترمي اليه وان لم تجهر به رسمياً وهو تاريك العرب وإدغامهم في الترك حتى لا تبقى لهم قومية قائمة بذاتها. وأكبر آمال هذه الجمعية ان تجعل التركي العثماني يعد نفسه تركيا قبل كل شيء وأما كونه مسلماً فيعد عنده من المسائل الثانوية التي لا تهتمه كثيراً .

أما هذه الجمعية فانها تقوم بتلك الاعمال بإيعاز من السلطة الحاكمة التي تؤيدها بكل وسيلة ممكنة وتدفع لها كل ما يلزمها من المال لاجل بلوغ هذه الغاية وهم يستونونها (ترك أوجاخي) أي جمعية الوطن التركي . وهي تقوم الآن بنشر دعويتها والقيام في أعمالها مهمة فائقة . أما الاطنانال الترك فان المدارس الطورانية التي شرع في انشائها كقيلة بأن نعرض في نفوسهم تلك الروح التركية الجديدة

وقد بذلوا غاية الجهد في تدريس التاريخ القومي للطورانيين وأفرغوا كل عناية لنشره في المدارس العالية وحضوا الطلاب على التنافس فيه والتهافت عليه، وأخذوا بتأليف قوة كبيرة من فتيانهم سموها بالتركية (إزجي) أي قافة الاثر . ووضموها تحت رعاية أنور باشا وهم يدرسونها على الفنون العسكرية حتى تكون قادرة على الانضمام للجيش العامل وتفوق غيرها من أبناء العناصر الاخرى كالعرب والاكراذ والالاز ونحوهم . وهذه القوة الضعيفة علامات مخصوصة وشارات معينة وألقاب معروفة وكتبا تركية قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل العصر الاسلامي . أما الاولاد الذين

(١) عبارة المقتطف : وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفردنوسيج من حديث

دار بينه وبين زعماء الأتحاديين ونشر في جريدة درتاج الالمانية اه (٢) ترقية

الروح العسكرية بين الترك اه م

أسماءهم مأخوذة من العربية فقد استبدلوا بها ألفاظا تركية مهضبة بدعوى ان الكشافة تركية خالصة وان اسماءها يجب ان تكون كذلك اقاما للقومية ورعاية للجنسية ، ومن الاسباب التي عملت على ايجاد هذه الحركة أمور علمية ولغوية لان الاتحاديين شرعوا في نقل كتب كثيرة من علمية وتاريخية الى لغتهم فكان لها في نفوسهم تأثير . وقد تفانوا في ذلك حتى عزموا على ترجمة القرآن الكريم الى التركية واستعماله في العبادة بها لبالسان العربي، ولكن العلماء المسلمين من جميع النحل حتى بعض الترك أنفسهم عارضوا في ذلك أشد معارضة

وقد طبع الاتحاديون كتباً كثيرة لتأييد المبدأ الفصحى ومن ذلك الروايات الكثيرة التي وضعوها وأهمها (بني طوران) وهي الرواية التي كتبتها إحدى نساءهم المطالبات بحق الانتخاب واسمها (خالدة خاتم) وقد جذبت فيها تلك الحركة الجنسية ونوهت بمطالب السيدات وحقوقهن ، ولا ريب ان مسألة المطالبة بحق النساء وما يقوم به الأتراك من نشر دعوتهم والحث على العودة الى مدينة طوران من شأنه ان يعيد الى محيطة الانسان ذكرى ما هو معروف عن الاقوام الطورانية وما كانت عليه من الاحوال الاجتماعية لان استبدالهم بالنساء وما أحقوه بهن من ضرور القسوة والظلم يفوق ما فعلته جميع شعوب الارض في العصور المظلمة يقال ان الحركة التركية بدأت بالظهور تحت صورتى وأسباب مختلفة أولها اللغة التركية ومحاوله كتابتها بما يخالف الاحرف العربية حتى تعذرت قراءتها على كثيرين . على ان هذا الامر لاشان لنا به على الاطلاق . وهنا لك أسلوب آخر أعني به توظيف العلاقات مع مسلمي روسيا والقوقاس دون غيرهم من سائر المسلمين بحجة أن هذه الاقوام ربما كانت من أصل تركي أو ان تركيها ممكن في الأقل ولكن ذلك لم يتقدم من خطر الاندماج في العرب وخسران قوميتهم مادام للاسلام سلطان على النفوس (١) ولذلك عاجلوا أمرهم باحياء اللغة التركية والسعي في استقلالهم عن سواها .

(١) عبارة المقتطف: والا لا تبلغ العرب الترك العثمانيين في آخر الامر ولو فان هؤلاء باستخدام الجامعة الاسلامية للبلوغ غاياتهم

أما الباطل الثالث الذي شدد عزائمهم فهو كتاب تلاه^(١) الدكتور ناظم المرخص المسئل لجمعية الاتحاد فكان كالجذوة أصابت هشيماً يابساً لأنه أوقد في نفوسهم نار الحماسة والحمية . وذلك الكتاب مؤلف تاريخي وضعه الموسبوليون كوهين بالفرنساوية عن آسيا والأتراك في منغوليا وأصلهم منذ سنة ١٤٥٥ ميلادية وقد صدر ذلك الكتاب سنة ١٨٩٦ وبما ان الجمعية العلمية الفرنسية الفرنسية قرظته وخصته بالعناية فقد حلّ عند الاتحاديين مكاناً رفيعاً فنقلوه الى التركية بصارات بالفوا فيها ما استطاعوا ولم يلتفتوا البتة الى صحة بعض الاحكام والآراء المذكورة في الكتاب بل عدوا ذلك أمراً ذنوياً بالنسبة لخطتهم المرسومة . ومن البديهي ان من مقتضيات تلك الحركة استقلال العنصرية التركية دون الاسلام تمام الاستقلال وانفصالها عنه أشد الانفصال . وان ذلك لا مر خطر عند المسلمين وغيرهم من الدول العظمى مثل روسيا وفرنسا وإيطاليا وانكلترا لان هذه الدول عدداً كبيراً من الرعايا المسلمين وذلك ما يجعل لهذا الانقلاب أهمية كبيرة في الشرق والغرب . وهذه الحركة كما يقولون مقصورة على جمعية الاتحاد والترقي ومبنية على نظرات استاذهم المجري فبيري لما علق في ذهنه من المزاعم القديمة البالية من ان الاسلام ينافي الوطنية^(٢) . ويزعم الاتحاديون أن الاسلام باختلاطه مع التقاليد والمؤثرات العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية قد حول الترك الى عنصر شرقي مسلم ليس له مدينة (كنور) خاصة به، وهم يقولون ان هذه الحقائق تحلهم على الاهتمام بمصيرهم والتفكير في عاقبة أمرهم وزيادة العناية في تمييز الحياة الوطنية التركية عن الاسلام

أما تيار المهاجرة التركية فقد بدأ منذ أوائل عهد النصرانية في آسيا من بلاد الصين والاكسوس . وكانت ديانتهم في ذلك الزمن على افرض أنهم كانوا يدينون بدين خاص مايسمونه اليوم (السامانزم) أي العبادة الوثنية^(٣) . وكانت مدنيتهم

(١) أي اطلع عليه وقرأه (٢) عبارة المفتطف : ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة التي وضعها فبيري اليهودي المجري المعروف وهي أن «لاوطن في الاسلام» (٣) المفتطف : كانت القبائل التركية تقطن بلاد آسية من حدود الصين الى نهر جيحون (اكسوس أو موداريا كمايسميه النثر) وكانت ديانتها ... ان كان لها ديانة مايسمى «بالشامانية» أي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر

مؤاندة من المبادئ البسيطة المعروفة عند القبائل الرحالة المنتشرة في أواسط آسيا كما يقتضي بذلك مركزهم الجغرافي وحالتهم الاقتصادية المحيطة بهم. ولم يكن لهم من المزايا غير الصفات الحربية، ولم يكن لهم من الشرف القومي أيضا سوى ما يستعبرونه من شرف الامة التي تستخدمهم بالذراهم للمحاربة في صفوفها، وكانوا يعرفون بالطاعة لكل من أطعمهم وتولى قيادتهم في ساحة القتال. ولا مشاحة ان التركي لم يستطع تجاوز تلك الحدود من تلاء نفسه. ولم يكن للتركي دين خاص به ولم يميل شيئا لترقية شؤونه وبلوغ درجة رفيعة من المدنية، ولم يحاول الترك قط أن يترجوا ببقية اجناس قومهم، وان كان جنكيز المغولي قد حدث نفسه بهذا الامر وجعله نصب عينيه وأكبر آماله. ولم يكن التركي يقتبس من المدنية الامتلاحة الاحوال الضرورية اليه لاحتكاكه بها كما وقع له مع المدنية الصينية فالفارسية فالعربية فالرومية فالالمانية. ولا يقع في وهم أحد أن ما استعاره التركي من مدنات أولئك الاقوام ولا سيما مدينة الاسلام قد حال دون بلوغه (كنور) مدينة خاصة به^(١) وان التركي لم يظهر في عصر من العصور مقدرة خاصة أو استعدادا طبيعيا لاجل النهوض واظهار مدينة يستقل بها عما كان يقترضه اقتراضا ويقلده تقليدا مضحكا وفي الحقيقة ان العثمانيين من بين قبائل التركان أقل الناس لياقة لتمثيل أمة. يدل ذلك على ذلك ان الاناضول عدا ما فيه من قبائل البيودوك والتركان خال من آثار القبائل التركية الاصلية. لان القومية التركية فيه ليست الالفة أوجدتها الاحوال السياسية. وليس الدم التركي فيها سوى قطرة صغيرة في بحار تلك الدماء المتحدرة من الاقوام والشعوب القديمة الراجعة في تاريخها الى ما وراء تأسيس القسطنطينية باجيال كثيرة كال يونان القدماء والفريجيين والغلاطيين والاشوريين والكرانيين والحثيين، وتلك الدماء هي التي تحركت في اعصاب ذلك المزيج المسمى بالعثماني فاوجدت فيه ميلا للزراعة وحرثة الارض، ولا سيما العناية بالبحرية في القرن السادس عشر. وقد كان من جملة العوامل التي حفظت وجود الأتراك حتى اليوم بصفة شعب معروف أمران: الدين والطاعة العسكرية. فاذا ذهب الاسلام من تركيا فاذا عسى أن يبقى لها. وقد أجاب عن ذلك أصحاب (قوم جديد) فقالوا انه سيبقى لهم

(١) كذا في القبلة والمراد: دون انشائه مدينة خاصة

اترك طوران والاسلام بصورة جديدة فيكون ديننا ووطننا أهليا. هلى ان شعب طوران لم تظهر عليه دلائل الابتكار والاختراع فيستطيع قلب الاسلام رأسا على عقب وجعله كما نشاء عنصر يته الطورانية وكما يزعم اقطاب القوم الجديد، وكل ما في الأمر ان للطورانيين سبقا في التدمير والتخريب والقتل كما فعل جدهم هولاء كو فقد دمر البرع المائة التي كانت في العراق وجعل بقاعه المحصنة مجدبة حتى اليوم. أما الطورانيون العثمانيون فقد نسفوا المدينة البرنطية الزاهرة، ومثلهم جنكيز السفاح الذي ملأ بخارى بغيا وظلما، وقد لا يصدق الناس أن تيمور كان من الفرسان وان جنكيز من أقطاب السياسة. ولقد أفاض المسيو كوهين في وصف المزايا العسكرية الطورانية ولكنه لم يذ كر شيئا عن فظائرها الا ان الدكتور يسر أصلح ذلك الخطأ في ما كانت نستعمله تلك البطون الطورانية من ضروب القسوة والظلم مع جميع الامم الخاضعة لاحكامهم، وليس للتركي لذة أو اهتمام خاص في الامور الدينية ولذلك لم يبدل شيئا في خدمة الاسلام الذي جديب يديه فلم يتقدم خطوة ولذلك يستصعب العارفون قدرة (قوم جديد) على جعل الاسلام تركيا محضا وما لا ريب فيه ان التركي يخاف العرب اشد خوف ويدأب في استعمال كل الوسائل لجعلهم اتراكا ومخو قوميتهم تقليدا لما فعله شورلويك هولستين مع ولايات الدانمرك التي انضمت لمانيا ولقد صرح بذلك جلال نوري بك في احد كتبه فقال «ان البلاد العربية بأسرها ولا سيما العراق واليمن يجب ان تكون تركية في اللغة والجنس وان تكون لغة الدين عندهم تركية أيضا، والاسراع في تركب البلاد العربية من أهم الامور لحفظ وجودنا لان روحا جديدة بدأت تدب في نفوس العرب ورجال نهضتهم وأخذت تهدد وجودنا السياسي بضربة تقضى علينا قضاء مبرما، فالضرورة والحالة هذه توجب علينا ان نكون على تمام الالهبة والاستعداد لاقاء هذا الخطر.» وكتب احمد شريف بك في جريدة طنين ما يأتي «يتحدث العرب كثيرا في هذه الايام عن نفوسهم وقوميتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلا تاما كان بلادهم ليست خاضعة للترك، فالواجب يقضى على حكومة الباب العالي أن تهتم اهتماما فعليا في جعلهم ينسون هذه النفسة وتضطرهم لتعلم اللغة التركية الرسمية. فاذا أهمل الباب العالي ذلك كان كمن يحفر قبره بيديه. واذ بقي العرب على يقظتهم هذه

فلا يبعد ان يبوا الاسترجاع ملكهم وفي ذلك القضاء على السيادة التركية في آسيا وهناك أدلة أخرى عديدة على ان الاتراك يسعون بكل جهدهم للقضاء على أمة شريفة كالامة العربية ومحو أثرها من عالم الوجود ولكن الحلفاء يدافعون عن مبدأ القومية ويؤيدونه وهم لا يسمحون بفناء أمة كريمة تريد البقاء ولا سيما اذا كانت أمة أخرى طاغية تريد سحقها وذلك ما يجعل مبول الحلفاء عربية محضة وهو أمر لا يرتاب فيه أحد من المسلمين المتمتعين بالعيش في ظل انكسار وفرنسا. فالحلفاء أنصار العرب وهم يسعون لتأييدهم لانهم اصحاب الدين الاسلامي الخنيف ومنهم النبي الاعظم (صلى الله عليه وسلم) وفوق ذلك كله فان هنالك صلة قرابة قوية بين العرب والمسلمين التابعين لحكومة فرنسا في شمال افريقيا. اه

باب المرسلات والمناظرة

﴿ تأثير الصحافة في أخلاق الأمة ﴾

سيدي الاستاذ صاحب (المنار)

بمناسبة مقالكم الصريح عن حال المسلمين الاجتماعية ومكان الاغنياء وسائر الطبقات منها ربما جاز لي أن أتعرض بكامة وجيزة لمسألة حيوية مرتبطة بهذا الموضوع وهي تأثير الصحافة في أخلاق الأمة .

بديهي ان الصحافة من الموازين التي تقاس بها درجة الرقي في شعب من الشعوب، كما أنها احدى المكيفات له وأحد عوامل الاصلاح اذا قبض على زمامها من لهم خبرة به . ليس من الصعب على الإنسان اذا فحص حالة الجرائد في قطر من الاقطار أن يقرر حكماً تقر يديا عن مبالغ نهضة أهل ذلك القطر وشكل مزاجهم، كذلك ليس من الصعب التنبؤ بمستقبل الحركة الفكرية في أمة ما استنتاجا من مشرب صحافتها التي هي أشبه بمرب ومهذب لها. والدارس لحال الصحافة في وادي النيل لا يتيسر له التفاؤل الحسن عن تقدمنا في الآداب والاخلاق .

عودت الصحافة المصرية الرأي العام على قبول المدح يُزف لمستحقه ولنير مستحقه بغير حساب ، وعودت الجمهور على أن لا يعمل عملا بغير جزاء مادي أو غير مادي أقله المدح سطورا لا نمد ، فأصبحنا وليس بيننا من يعرف مبدأ التضحية ويحمل به

الاشواذ شقوا بسموا أخلاقهم وضاعت أتعابهم ومجهوداتهم النبيلة. وصار لا يعرف لاحسان الا الاقلية الضئيلة الصالحة، ومن عداها من المتظاهرين بالبر فناقون تضطروهم الى ذلك الرهبة من الرؤساء والحكام أو متأخرون يرغبون في الاعلان عن أنفسهم بما يفتقونه. وليس من الغريب بهد هذا اذا أصبحت جميع مشروعاتنا الخيرية عرضة للفشل، كما أنه ليس من المدهشات أن يتصدى بعض الناس لتقيام بعمل خيري دون أن يكون لهم في الواقع غيرة عليه بل كل قصدهم لاعلان عن أنفسهم سواء نجح العمل أم لم ينجح. وينبع كل هذا بطبيعة الحال اساءة الظن من بعضنا ببعض، وتمسنا في أعمالنا، وتسابقنا الى شهرة كاذبة وغرور باطل، وإغراق أخلاق الأمة ومصالحها في هذا التيار. لم يقتصر كرم الصحافة بالاطراء المتاهي على العمدة والاعيان بل شمل أيضا رجال مهنة الطب الشريفة وخلطت الشخصيات فيه بالعموميات فأصبحت أنهار الصحف مزدانة يوميا بالاعلانات الفخمة عن الاطباء مما يندى له جبين الحر، ومما ضر سمعة هذه المهنة الجليلة في القطر المصري. وبعد هذا وذلك تشكو الصحف من المهاجرين بالطب من أهله ومن غير أهله. فكم قرأت من أوصاف المدح لأطبائنا ما لا يقال مثله لاوزلر أو رولستون أو اراخ أو كارلس أو لين أو أوجل أو غيرهم من فطاحل علماء الاطباء بأوربا! وأندكر أني زرت وطني منذ ثلاث سنوات وكنت لا أزال حينئذ طالب علم فكنت غني وقتئذ احدي الصحف العربية الكبرى بالقاهرة مالا يجوز أن يكتب الا عن ذي منزلة علمية كبيرة! واضطرت على كره مني أن أحرر كتاب عتاب شديد للهجة الى صديقي المحرر..... ولا تزال الصحف تعود طالبة العلم الناشئين حسب الظهور الضار ولا سيما الطلبة في أوروبا، والتي مع اعترافي بأن منابض الحاصلين على شهادات علمية عالية جليلة المنزلة وهم قليلون، وأن منا بعض المتفوقين على أقرانهم الاوروبيين في امتحانات المسابقة للجوائز العلمية وشهادات الشرف وهم أقل وأندر،—أرى أن كل هذا لا يميز للصحف أن تبالغ في فوز فائز وتمتته بأكبر النعوت التي لا تناسب مركزه لان هذا مزر بكرامتها وكرامة المدح وموؤد الى فساد اخلاق الناشئة

فهذه يا سيدي الامتاز علة من علل اجتماعية كثيرة سببها الصحافة بتهاونها

بدل أن تقضي عليها وعلى أمثالها بالموعظة الحسنة والقذوة الصالحة، وأدت الى الكثير من تشكو ويشكونه الغيورون المصلحون الذين لانعرف أقدارهم الا متى حرمانا من مساعيتهم فنقدم برهة على التفريط حين لا ينفع الندم، ثم نستمر في ضلالتنا، ومعظم الصحف تجرنا في ذلك حرصا على مودتنا لها، بدل أن تزجرنا وترشدنا بحيا في نفعنا. فحبذا لو وجهتم عنايتكم بالاصلاح شرط وصفايتكم الافضل مرة قبل أن يستفحل الداء فقد أشرفنا على عهد لا يكاد يستطيع شريف النفس أن يضمن النجاح لعمله بعقله وجدده في هذه الفوضى ما لم يقرن ذلك بالاعلان عن نفسه والسمسرة في هذا السبيل . واذا كان أحد أسباب هذا المصاب الجهل وضه - الاخلاق فثاني الاسباب هو انحطاط الصحافة

نادي مستشفى سانت جورج بلندن احمد زكي ابو شادي (طيب)

[المنار] أحسن الكاتب وأصاب ، ولارجاء في ارجاع الصحف بالنقد الى مجحة الصواب، لان أكثر اصحابها لا يقصدون الاصلاح، وجميعهم يقصدون الكسب والجاه، والذين يميلون الى الاصلاح منهم يتحرون في كلامهم ما لا يسوء القراء كالمسائل النظرية والارشاد المجمل . ثم هي تمدح من يستحق الذم ، وتسكت عما يجب من النقد . ولا يتسع هذا التعليق الوجيز للاطالة في تأييد رأي الكاتب في جنابيتها على الاخلاق، ولكنني أنقل فيه كلمة تفني عن مقالات :

حدثني شيخنا الشيخ حسين الجسر عن حكيمنا السيد جمال الدين الافغاني وكان قد لقيه في الآستانة بمد انشاء جريدة طرابلس الشام التي كان الشيخ شريكا ومحورا فيها ولكن مقالاته فيها لم تكن تعزى اليه قال

قال لي السيد ان جريدتكم « طرابلس » قد جهت بين الكفر والايماز، نرى في صدرها مقالة في مدح الصدق وذم الكذب مثلا وأكثر ما فيها بعد تلك المقالة كذب - وأشار الى ما يذكر كل عدد من اطراء رجال الدولة والحكومة وغيرهم من الوجهاء - فقلت له ان مدير الجريدة يفعل هذا على سبيل التقية (وذكر الشيخ انه تنصل من مهنة الصحافة) فقال له السيد: التقية مذهب الشيعة... وأنكر على الشيخ تنصله من الصحافة وقال أنا صحفي ثم قال وهو المراد : إننا لانخطو خطوة واحدة الى الامام الا اذا أعطينا كل ذي حق حقه فسمينا العالم عالما والمصلح مصلحا والمفسد مفسدا...

جمعية النهضة النسائية بمصر

اجتمع عدد من كرائم السيدات الوطنيات في ٢٧ يناير الماضي في منزل حضرة السيدة الفاضلة حرم صاحب العزة اسماعيل بك عاصم المحامي الشهير فالقن جمعية اديبية غايتها السعي في ترقية المرأة الشرقية والاهتمام بمستقبلها بعد هذه الحرب وقد افتتحت الحفلة حضرة ربة المنزل بالكلمات الآتية

أبدأ قولي بحمدالله، والصلاة والسلام على من اصطفاه

وبعد فاني يا سيداتي وبأخواتي الأعزاء أراني وانا في موقعي هذا منشرحة الصدر بتشريفكم منزلي اجابة لدعوتي بالحضور الى هذه الحفلة المراد بها البحث في ترقية المرأة الشرقية لتساوى أختها الغربية في الحضارة والارتقاء

أقول الارتقاء ويعلم الله اني لا أريد بقولي هذا انها في انحطاط أو مهضومة الجانب أو انها لا تصلح للرقى، حاشا فالمرأة الشرقية كانت ولا تزال عزيزة الجانب أهلا لكل فضيلة غير انها يتقصها الآن اتقان العلم والعمل به اتقاناً ينهض بها الى منزلة اسمى مما نحن عليه لأن العلم وحده لا يكفي. مثال ذلك ان كثيرات من أهل الطبقات الراقية أمثال حضراتكن ادخلن بناتهن المدارس وصرفن المصاريف الجملة ولكن ذلك لم يأت بالغرض المروم لانهن اقتصرن على تعلم العلم من دون عمل فتراهن يتكلمن باللغات وبأيديهن الشهادات ولكنهن اذا اجتمعن فلا حديث لهن الا الأزياء والخياطات والحرائر والدنديات والاعجاب بالأزياء الحديثة

هذا هو الموضوع الاكثر رواجاً بيننا الآن. فإذا يؤخرنا اذاً يا حضرات الفاضلات وكلكن من المتعلمات الراقيات والله الحمد عن النهوض نهضة علمية عملية والتعاضد جميعاً على البحث فيما يلزم لهذا الرقي ونحن الآن في عصر النور والاصلاح. فلماذا قد اجتمعنا للمذاكرة في هذا الشأن الخطير وتقرر ما يلزم للهداية الى الطرق التي توصلنا الى هذا الغرض الشريف كقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) واني اسأل الله ان يكال عملنا هذا بالنجاح وان يوفقنا جميعاً لما فيه النفع والاصلاح. وان شاء الله سألتني في الاجتماع القادم محاضرة اديبية ابين فيها الادواء وما يلزم لها من الدواء لترقية الاخلاق والافكار والله المستعان

ثم دعت الكاتبة المحيطة صاحبة مجلة فتاة الشرق الزهراء للخطابة في موضوع ترقية اخلاق المرأة الشرقية فالتقت خطاباً مفيداً كان له اجمل وقع في نفوس السيدات وصدقن لها مراراً وما زلن يتسامرن ويتجادبن الحديث في مواضع اديبية مفيدة ثم انصرفن شاكرات ربة المنزل على السعي في هذه النهضة المفيدة وقد وعدن بالداومة على الحضور فيها

تقریظ المطبوعات الجديدة

﴿ تصحیح کتاب الاغانی ﴾

كان علامة اللغة وإمامها في هذا العصر الشيخ محمد محمود الشنقيطي قد صحح في نسخته من كتاب الاغانی المطبوعة بالمطبعة الاميرية كثيرا من الاغلاط التي كان يثر عليها عند المطالعة والمراجعة وزاد عليها في بعض الاجزاء بعض الفوائد والايات من الشعر كتبها على الهوامش ففني (محمد أفندي عبد الجواد الاسمي) بجمع تلك التصحيحات والزوائد من نسخة الشنقيطي بعد ان صحح بها نسخة المكتبة الزكية باذن واقفها احمد زكي باشا وارشاده وأضاف اليها تصحيحات وزوائد أخرى لاجد زكي باشا من نسخته وطبع ذلك كله مينا مكان الغلط وتصحيحه من طبعة المطبعة الاميرية وطبعة الساسي وأضاف الى ذلك استدراقات على فهرس الكتاب ، فبلغ المطبوع سبعين صفحة كبيرة كصفحات الاغانی ، وكل من ينظر في كتاب الاغانی المطبوع من أهل العلم باللغة وفنونها يجزم بأن فيه من الغلط الكثير الذي لم يذكر في هذه التصحيحات ما لا يخفى مثله على الشنقيطي ، لذلك جزمتم بأن الشنقيطي لم يصحح الكتاب كله بل بعض ما كان يثر عليه عند المراجعة أو المطالعة ، ولكن جامع التصحيحات ظن أنه صححه كله بقصد ، وأن تصحيح زكي باشا جاء كاستفراك عليه ، فهو مما خفي عليه أو مما ذهل عنه ، وانني أويد رأيي بشاهد واحد بل شواهد كثيرة في قصيدة واحدة وهي قصيدة أبي دلالة الفرية المنشورة في ص ١٣٠ من جزء الاغانی التاسع من طبعة الساسي ، ففي هذه القصيدة اغلاط لا تحتمل التأويل ، وهي منشورة في الجزء الاول من المقدم الفريد ، ومن راجعها عليه يرى بين ما فيه وما في الاغانی اختلافا كثيرا وزيادة وتقصا ، والشنقيطي كان مطلقا على المقدم الفريد فلو كان ملتزما بتصحيح الاغانی لصحح غلط القصيدة وأشار الى ما خافت رواية الاغانی فيه رواية المقدم ، ومن التصحيف فيها قول الشاعر

وطالما اختلفت صيفا وشائية الى مذهبها باللوح والكتف

صحفت كلتا « صيفاوشائية » في الاغانی بجعلهما « صيفاوشائية » ومن التعريف فيها قوله

والحق في طرف واليمين في طرف « حرفت فيها كلمة العين المراد بها النقد بكلمة الطين؟ هذا و نأ نشكر الاديب الاصمعي هذه الخدمة التي لا ينقص من قدرها ما ذكرنا من الحقيقة، ونصح لكل مقن لكتاب الاغاني بتصحيح نسخته على هذه الجداول

تصحيح كتاب لسان العرب

كتاب لسان العرب لابن منظور الافريقي أعظم معاجم اللغة التي أتخفتنا بها المطابع ولكن فيه غلطا طبعا كثيرا ، على كونه قد طبع بالمطبعة الاميرية التي هي خير المطابع العربية تصحيحا، وأذكر أنه لما سافر الاستاذ الامام سفره الاخير الى تونس والجزائر وصقلية وأروبة أنابني عنه بتصحيح كتاب المخصص مع الشيخ محمد محمود الشنقيطي (رحمهما الله تعالى) فكان هذا يذكر لي في أثناء التصحيح كثيرا من أغلط لسان العرب التي اعتمد عليها مصححو المطبعة الاميرية في تصحيح المخصص فأخطوا ، وقليلاً من الأغلط التي أخطأ فيها ابن منظور نفسه في النقل أو الاهتمام على بعض الروايات المرجوحة في اللغة . وقد انتدب صديقنا أحمد بك تيمور الباحث اللغوي الشهير بتدقيقه وسمة اطلاعه لجمع ما تبسرله من تلك الأغلط وتصحيحها وكان ينشر ذلك في مقالات متفرقة في جريدة المؤيد ومجلتي الضياء والآثار ، ثم جمع شمل تلك المقالات وزاد عليها ما هنر عليه بعد نشرها ، وأذن ل محمد افندي عبد الجواد الاصمعي بطبع ما جمعه وحرره منها - وهو القسم الاول من التصحيح - فطبعه ووعد بنشر ما اطلع عليه من تصحيحات الامام الشنقيطي والشيخ حمزة فتح الله والشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفي والشيخ محمد البليسي أيضا، فنشكره هذه العناية.

الكوكب

جريدة سياسية أدبية أسبوعية تصدر في القاهرة بشكل كراسة من قطع الكتب الكبيرة ذات ثمانى صفحات مطبوعة طبعا جميلا بحروف المطبعة الاميرية الجديدة ، موضوعها تشييط الحركة العربية ودعوة سائر عرب الجزيرة الى القيام بمثل ما قام به عرب الهجاز للقضاء على سلاطنة الترك وتقليص ظلم غير الظالمين عن سائر البلاد العربية ، والظاهر ان لها موارد خاصة تستقي منها أخبار مساوى الترك وفضائلهم في سورية والعراق وكذا فضائل حلفائهم الالمان في أوروبا ، وأنها كانت توزع في بلاد العرب دون مصر ، وأول عدد ظهر منها في مصر هو السابع عشر فترغله المقطم ، ثم اطلمنا عليه وعلى أعداد مما صدر بعده . وتمن كل عدد من هذه الجريدة قرش مصري صحيح (١٠ مليات)

أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب
فمن عبادي الذين يستمعون القول فيتمنون أحسنه

المعراج

١٣١٥

أوتي عبدا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب
بوتى الحكمة من بناء ومن بوات الحكمة فقد

قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

مصر ٣٠ ربيع الآخر ١٣٣٥ - ٢ الحوت (ش ٣) ١٣٩٥ هـ ش ٢٢ فبراير ١٩١٧

فَتَاوَى الْمُبْتَائِنِ

فتحننا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركن خاصة، اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . واننا نذكر الاسئلة بالتدرج غالباً وربما قدمنا متأخراً لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لثل هذا، ولن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحد فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ ربح صندوق التوفير ﴾

(س ١١) من صاحب الامضاء بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الاستاذ الجلال حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فانا كثيرا ما سمعنا من الناس اباحة وضع الاموال في صناديق التوفير بالبريد وأخذ الفوائد منها وذلك مما لا نشك أنه الربا المحرم باجماع المسلمين لا نعلم بينهم خلافا ثم اذا ناظرناهم فيه اسعدوا الى ان الاستاذ الامام رحمه الله وغفر له قى بجوازه في فتوى رسمية ولما كنا لم ر هذه الفتوى ولم نعلم وجهها وكنتم أخشى الناس بالامام وأعلمهم بأقوله وفتاويه بلانا اليكم

لبيّنوا لنا فتوى الامام أولا وهل هي لا تعارض الكتاب والسنة ثانيا خصوصا وأن المجالس الحسبية قررت وضع أموال القاهرين في هذه الصناديق بناء على هذه الفتوى المزعومة كما يقولون وليكن بياضكم شافيا وافية كما هو واجبكم ان شاء الله تعالى ما
كتبه

أبو الأشبال

عفا الله عنه

(ج) ان كان للامتاذ الامام فتوى رسمية في مسألة صندوق التوفير فهي توجد في مجموعة فتاويه بوزارة الخفانية ومنها تطلب ، وأنا لم أر له فتوى في ذلك ولكنني سمعت منه في سياق حديث عن مقاومة الخديوله ما حاصله: ان الحكومة أنشأت صندوق التوفير في مصلحة البريد بدكريتو خديوي (أمر عال) لييسر للقراء حفظ ما زاد من دخلهم من نفقاتهم وتثمينه لهم وقد تبين لها ان زهاء ثلاثة آلاف فقير من واضعي الاموال في صندوق البريد لم يقبلوا أخذ الربح الذي استحقوه بمقتضى الدكريتو فسألتني الحكومة هل توجد طريقة شرعية لجعل هذا الربح حلالا حتى لا يتأثم فقراء المسلمين من الانتفاع به فأجبتها مشافهة بإمكان ذلك بمراعاة أحكام شركة المضاربة في استغلال النقود المودعة في الصندوق ، فذاكر رئيس النظارة الخديوي في نحو يراد دكريتو الخديوي وتطبيقه على الشرع فأظهر سموه الارتياح لذلك . ولما قال له رئيس النظارة اننا استشرنا المفتي في ذلك فحضب غضبا شديدا وقال كيف يبيع المفتي الربا ؟ لا بد أن استشير غيره من العلماء في ذلك . ثم جمع سموه جمعية من علماء الأزهر في قصر القبة وكلفهم وضع طريقة شرعية لصندوق التوفير ليظهر امام العامة بأنه هو المحامي عن الدين والمطبق للمشروع على الشريعة ، وان الحكومة كانت عازمة على إكراه المسلمين على أكل الربا بمساعدة المفتي لولا تداركه الأمر . وقد وضع له العلماء مشروعا قدمته المعية لنظارة المالية . (قال) وان نظارة المالية عرضت علي ذلك المشروع لاقراره - أو قال للتصديق عليه - فوجدته مبني على ما كنت قلته للحكومة شفاها . هذا ما سمعت منه رحمه الله تعالى وأظن انه قال ان اولئك العلماء كانوا من فقهاء المذاهب الاربعة أو الثلاثة ولا أجزم بذلك

ومهما تكن صفة الطريقة التي وضعها العلماء لاستغلال أموال التوفير فلا يظهر
عدها من الربا المجمع على تحريمه وهو ربا النسيئة الذي كان في الجاهلية وقد بينه
الامام أحمد لما سئل عن الربا الذي لا يشك فيه بمثل ما بينه غيره من أخذ الزيادة
في مقابلة التأجيل فقال: هو أن يكون له دين فيقول له - أي إذا حل الدين
- اما أن تقضي ولما أن تربى ، فان لم يقض زاده هذا في المال وزاده هذا في
الأجل . وذكر الفقيه ابن حجر في الزواج ان الإنساء فيه كان بالشهور ، ولهذا
كان يتضاعف ويخرب البيوت

﴿ شق صدر النبي (ص) وتطهير قلبه من حظ الشيطان ﴾

(س ١٢) من صاحب الامضاء في الاسكندرية

سيدي الحكيم قدوة العلماء وتاج الفصحاء

من لا أسميه اجلالاً وتكرمة فقدرة المعطي عن ذلك يفني

أطفال على مائدكم العلمية التي أبهرت العقلاء وأعجبت الفصحاء لما عليها من
أصناف المعارف الحية وأنواع التعاليم الصحيحة - راجيا من علو آدابكم ومكارم
أخلاقكم أن تفسحوالي المقام فان لي قلبا يصبو الى ما يفوه به فوكم من الدرر وما
ينطق لسانكم من الحكم والعبور وما ينثره قلمكم من الفكر

في هذه الايام كثر الجدال حتى كاد يفضي الى الهلاك في مسألة (انشقاق
صدر الرسول عليه الصلاة والسلام واخراج قلبه وتطهيره من حظ الشيطان الذي وجد
معه من يوم أن ظهر على الارض ونزل من بطن أمه وامتلأته حكمة) - اختلفت آراء
القوم وتباينت في تلك المسألة فمن مصدق عليها مقر بحدوثها ومن مكذب لها مفند
لا يلوي الا على ما يثبت البرهان ويقبله الوجدان ويقربه العقل الرجيح - أما
المصدق لها فأدلتها ما جاء في البخاري بما معناه . ان النبي بينما كان يلعب في الصغر
مع أقرانه اذ نزل عليه جبريل فصرعه وشق صدره فأخرج قلبه وطهره من خبائث
الشيطان أو بالأحرى من موضع يوسوس له فيه الشيطان وملا قلبه نورا وحكمة

ولم يكتف جبريل بشق صدره مرة بل شقه مرات تبعا لازدياد الحكمة ونموها

فيه كلما كبر - حتى كان ليلة الاسراء وهو نائم ناداه من أحد الثلاثة مناد (كما يقول البخاري) فقام اليه وأتى فاذا هو جبريل وقد أفرج صدره ونظف قلبه ثم أسرى به - وقد قال النبي بما معناه كل مولود يستهل معه الشيطان . فسئل حتى أنت يارسول الله ؟ قال « حتى أنا وليكني نفلت على شيطاني » قال الله تعالى في سورة الحج (وما أرسلنا من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) الآية
وأما المكذب لها فانه باق على تكذيبها ، وها هو قد كتب اليكم ليسترشد بنور علمكم الساطع لاعتماده بأنك الزعيم الاكبر للمسلمين . تلك هي المسألة التي أرجو من حضرتكم إما تأييدها انسير على مقتضاها ، واما نفيها وبذلك تنفي الشبه والباطيل التي نشوه سمعة الرسول عليه الصلاة والسلام - والامل وطيد في ان يكون الرد سريعاً لازات محفوظاً من الله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته آمين
تلميذكم الخاضع

اسماعيل حسن خليه

(ج) لا بد أن يكون مرادكم بتكذيب المسألة تكذيب الرواية أو الروايات الواردة فيها التي أوردتم بعضها بالمعنى مخالفتهم اللفظ والمعنى ، وقرنتم به آية الحج وليست من معناه في شيء بل معناها ان الرسل والانبياء اذا تمنوا لا يتم لهم موضوع أمانتهم بسبب وسوسة الشيطان للناس ولا محل لتفصيل ذلك هنا . وقد صرحتم بأن سبب التكذيب اعتقادكم ان مضمونها بعد طعنا في سمعة الرسول صلى الله عليه وسلم يجب ان ينزه عنه . ولكن لا ينبغي لمسلم أن يرد حديثاً مروياً بالعبلة في سنده ، أو معارضة ما هو أقوى منه لمتنه بشرطه ، ومن أشكل عليه فهم شيء من الاحاديث فعليه أن يبحث ويسأل لأن يرد بهواه ، ويكذب من لا يعرف سيرته من الرواة . واننا نورد هنا ما روي في هذه المسألة أصحها سنداً ونيين ما في أسانيدها ومتونها مما يمكن أن يتعلق به من ينفي وقوع شق الصدر حقيقة ، ثم نبين ما ينبغي ان توجه به المسألة على تقدير صحة وقوعها فنقول

روي حديث شق الصدر في الصفر مسلم - لا البخاري - قال : حدثنا شيبان ابن فروخ حدثنا حماد بن سلمة حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك (رض) ان

رسول (ص) أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقا فقال هذا حظ الشيطان منك . ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه وجاء الغلمان يسعون إلى أمه يعني ظئره (أي موضعه حليلة السعدية) فقالوا إن محمداً (ص) قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون .

وأقول إن في هذا السند مقالا . قال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب في شيبان بن فروخ صدوق بهم (أي بخطى) ورمي بالقدر ، قال أبو حاتم اضطرب الناس إليه أخيرا . من صفار التاسعة . وقال في شيخه حماد بن سلمة : ثقة عابد أثبت الناس في ثابته ، وتغير حفظه بآخره ، من كبار الثامنة اهـ

وقال في تهذيب التهذيب بعد ثناء الأئمة عليه : وقال البيهقي هو أحد أئمة المسلمين إلا أنه لما كبر ساء حفظه فلذا تركه البخاري وأما مسلم فاجتهد وأخرج من حديثه عن ثابت ما سمع منه قبل تغيره ، وما سوى حديثه عن ثابت لا يبلغ اثني عشر حديثا ذكرها في الشواهد ، ثم قال الحافظ : وقال ابن سعد كان ثقة كثير الحديث وربما حدث بالحديث المنكر . وأقول يؤخذ من هذا الكتاب ومن ميزان الاعتدال أنهم أنكروا من روايته عدة أحاديث شاذة في الصفات قبل أنها دسست في كتبه .

هذا أصح ما روي في هذا الباب وقد علمت ما في مسنده ثم إن أنسا لم يرفعه وما كل ما يرويه الصحابي عن مجهول محتج به بل يفرق في روايته بين أحكام الدين وبين الأخبار عما كان قبل الإسلام إذ يمكن أن ينتهي الخبر إلى بعض المشركين . وقد روي خبر شق الصدر عن حليلة السعدية مرضته (ص) من طرق أخرى عند أهل السير والطبراني والبيهقي وأبي نعيم وابن عساكر كلها دون طريق مسلم منها الضعيف والموضوع كرواية البيهقي وابن عساكر عن ابن عباس عن أبيه من طريق محمد بن زكريا اللثاني وكان كذابا يضع الحديث . ورواية أبي نعيم وأبي اسحق وغيرها عن عبد الله بن جعفر عن حليلة من طريق جهم بن أبي الجهم قال الذهبي لا يعرف له قصة حليلة السعدية

فإذا كان السائل يرى أن هذا الحديث لا يصح لما رآه في متنه غير لائق

بمنصب النبي (ص) فقد علم أيضا أن في سنده مقالة وليس هو من عقائد الدين ولا من أحكامه القطعية

وقد ورد خبر شق الصدر في أحاديث المراج أيضا المرورية في الصحيحين والسنة وغيرها وقد استشكلها بعض العلماء فنورد منها ما لا بد منه لبيان هذه المسألة

أحاديث قصة المراج في الصحيحين مدارها على أنس بن مالك فنها مارواه بنفسه ومنها ما رواه عن غيره . وقد ذكر في بعضها شق الصدر دون بعض فأما

حديث أنس فلم تذكر قصة شق الصدر في طريق من طريقه الا طريق شريك بن عبد الله بن أبي نمر عنه وهو في صحيح البخاري وتفسير ابن جرير قال أنس :

ليلة أسري برسول الله (ص) من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم ، وقال أحدثهم خذوا خيرهم (١) ،

فكانت تلك الليلة فلم يرم حتى أتوه ليلة أخرى (٢) فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم ، فلم يكلموه حتى احتملوه

فوضعه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبرئيل فشق جبرئيل ما بين نحره الى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه ففسله من ماء زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطست

من ذهب فيه تور من ذهب محشوا (٣) إيمانا وحكمة فحشى به صدره ولقائده — يعني عروق صدره — ثم أطبقه ثم عرج به . الخ الحديث وفي آخره « واستيقظ

وهو في المسجد الحرام » وهذه الرواية صريحة في أن ذلك كله كان في النوم وليس فيها ذكر لحظ الشيطان واحتج بها من قالوا أن المراج كان رؤيا منامية وأولها من قال

أنه كان في اليقظة بالروح والجسد ، ولا يحتاج الى تأويلها من قالوا انه مشاهدة روحية . وفي نسخة من صحيح البخاري « فاستيقظت » بدل واستيقظ ، وهي كما قال شيخ الاسلام

زكريا الانصاري التفات من الغيبة الى حكاية قول النبي (ص) والتور الذي ذكر انه كان في الطست اثناء صغير يشرب فيه

وفي رواية شريك هذه مخالفة لغبرها في عدة أمور استشكلوها وأنكروها عليه (١) وردانه كان نائما بين عمه حمزة وابن عمه جعفر (٢) كانت هذه بعد البعثة بلا خلاف

(٣) حال وفي غيره هذا الحديث ذكر وصف الطست نعتا لاحالا وليس فيه ذكر التور

وغلطوه فيها أهمها قوله « ثم دنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى » مع أن الثابت في الصحيح أن آية (ثم دنا) نزلت في جبريل عليه السلام. وهالك ما في فتح الباري للمحافظ ابن حجر في ذلك :

قال الخطابي : ليس في هذا الكتاب - يعني صحيح البخاري - حديث أشنع ظاهرا وأبشع مذاقا من هذا الفصل فإنه يقتضي تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر وتمييز مكان كل واحد منهما - هذا إلى ما في التدلي من التشبيه والتمثيل له بالشيء الذي تعلق من فوق إلى أسفل (قال) فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعا عن غيره ولم يعتبره بأول القصة وآخرها أشبه عليه وجهه ومعناه وكان قصاراه إما رد الحديث من أصله وإما الوقوع في التشبيه ، وهما خطتان مرغوب عنهما. وأما من اعتبر أول الحديث بآخره فإنه يزول عنه الأشكال فإنه مفرح فيهما بأنه كان رؤيا لقوله في أوله « وهو نائم » وفي آخره « استيقظ » وبعض الرؤيا مثل يضرب ليتأول على الوجه الذي يجب أن يصرف إليه معنى التعبير في مثله وبعض لا يحتاج إلى ذلك بل يأتي كالشاهدة.

(قال المحافظ بعد نقل ما تقدم) قلت : وهو كما قال ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله في الحديث الصحيح أن رؤيا الأنبياء وحي فلا يحتاج إلى تعبير . لأنه كلام من لم يعم النظر في هذا المحل . فقد تقدم في كتاب التعبير أن بعض رؤى الأنبياء يقبل التعبير . وذكر المحافظ الأمثلة من الصحيح على تأويل النبي (ص) لبعض الرؤى بغير ظاهرها . ثم ذكر أن الخطابي تعقب في جزئه بأن ما ذكر كان في المنام وقوله أن القصة بطولها إنما هي حكاية بحكيها أنس من تلقاء نفسه لم يبرزها إلى النبي (ص) ولا نقلها عنه ولا أضافها إلى قوله ، فإصل الأمر في النقل أنها من جهة الراوي إما من أنس وإما من شريك فإنه كثير التفرد بما ذكر الألفاظ التي لا يتابعه عليها سائر الرواة انتهى - أي كلام الخطابي ثم أطال المحافظ البحث فيه ، ولا يعيننا من بحثه هنا إلا قوله بأن للحديث حكم المرفوع لأنه مرسل صحابي فيما لا مجال للرأي فيه ويفسر هذا ما يأتي

وأما ما رواه أنس عن غيره مشتملا على مسألة شق الصدر فليس في الصحيح

منها الا حديث مالك بن صعصعة الانصاري المرفوع الذي رواه أنس عنه ولم يرو أعدنه غيره. وأوله كما في البخاري: «بينما أنا في الخطيم - وربما قال في الحجر - مضطجما [قال الحافظ: زاد في بدء الخلق « بين النائم واليقظان] اذا أتاني آت فقد قال سمعته يقول - فشق ما بين هذه الى هذه... (١) فاستخرج قلبي، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قباي ثم حشي ثم أعيدته ثم أتيت بدابة دون البغل» الخ الحديث. والظاهر أن أنس روى هذه القصة غير مرفوعة عن مالك هذا فصرح باسمه مرة وأرسلها مرة أو مرارا عند ما كان يحدث بها وذكر في بعض المراما سكت عنه في بعض. وهذه تؤكد أن القصة كانت في النوم وتضعف تأويل المؤولين الا من قال بحصولها مرة في اليقظة ومرة أو أكثر من مرة في الرؤيا ان أثبت ذلك

وقد روى أنس مسألة شق الصدر في أحاديث المراجع عن أبي ذر مرفوعة في الصحيحين قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله (ص) قال « فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فخرج بي الى السماء» الحديث فهذه الرواية لم يصرح فيها بأنه كان نائما ويمكن حملها على المصرحة بذلك دون العكس. ولذلك جزم الحافظ بأن القول بتعدد المراجع في اليقظة بعيد جدا تنافيه المراجعة في مسألة فرض الصلاة منافاة ظاهرة. واذا كان الجمع بين تعارض الروايات الصحيحة السند متمذرا بدون القول بالتعدد، وكان القول بالتعدد في اليقظة بعيدا بل غير معقول - فلا مندوحة عن القول بأنها كانت رؤيا منامية اما كلها أو يستثنى واحدة منها كانت في اليقظة، والا أكثر من على هذا، فيمكن أن يقال اذا ان شق الصدر كان في الرؤيا المنامية التي تكررت دون واقعة اليقظة الا أن تكون هذه مشاهدة روحية كما قال بعضهم

وأما حديث مس الشيطان للمولود فهو مروري في الصحيحين عن أبي هريرة باستثناء عيسى في بعض الروايات وعيسى وأمه في بعض والحديث واحد وسيأتي نصه في

(١) يعني من ترقوته الى آخر مراق بطنه وفسر في هذه الرواية بلفظ آخر

تلخيص الجواب. وقد استشكل بعض العلماء معناه قال الحافظ في شرحه من الفتح مانصه:
 « وقد طعن صاحب الكشاف في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال
 ان صح هذا الحديث فعناه ان كل مولود بطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها
 فانهما كانا معصومين. وكذلك من كان في صفتها لقوله تعالى (الا هبذك منهم
 المخلصين) قال واستهلال الصبي صارخا من مس الشيطان تخيل لعلمه فيه كأنه
 يمس ويضرب يده عليه ويقول هذا من أغويته . وأما صفة النفس كما يتوهمه أهل
 الخشوفاء، ولوملك ابليس على الناس تخسبهم لامتلات الدنيا صراخا انتهى . وكلامه
 منقوب من وجوه والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت
 من عصمة الانبياء بل ظاهر الخبر ان ابليس يمكن من مس كل مولود عند ولادته
 لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلا واستثنى من المخلصين
 مريم وابنها فانه ذهب بمس على عادته فخير بينه وبين ذلك، فهذا وجه الاختصاص
 ولا يلزم منه تسلطه على غيرها من المخلصين . وأما قوله لو ملك ابليس الخ فلا يلزم
 من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع ان يستمر ذلك في حق كل أحد. وقد
 أورد الفخر الرازي هذا الاشكال وبالغ في تقريره على عادته وأجل الجواب فإزاد في
 تقريره على ان الحديث خبر واحد ورد على خلاف الدليل لان الشيطان أعما يفوي
 من يعرف الخير والشر والمولود بخلاف ذلك وانه لو مكن من هذا القدر لفعل أكثر
 من ذلك من اهلاك وفساد وانه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرها الى
 آخر كلام الكشاف. ثم أجاب بأن هذه الوجوه محتملة ومع الاحتمال لا يجوز دفع
 الخبر انتهى . وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم والجواب عن اشكال الاقواء يعرف
 مما تقدم أيضا وحاصله ان ذلك جعل علامة في الابتداء على من يتمكن من اغوائه
 والله أعلم . انتهى كلام الحافظ

وأما حديث قرناء الناس من الشياطين الذي ذكر فيه اسلام شيطان النبي (ص)
 أو سلامته من وسوسته فهو مروى في صحيح مسلم من حديث عائشة وعبد الله بن
 مسعود ولفظ هرا « ما منكم أحد الا وقد وكل الله به قرينه من الجن » قالوا وإياك
 يا رسول الله ؟ قال « وإياي الا ان الله أعاني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بخير » وقد

ضبط بعضهم « فاسلم » برفع الميم واختاره الخطابي ومعناه فأنا أسلم من شر وسوسته، وضبطها بعضهم بفتح الميم ومعناه فصار هو مسلما وقيل مستسلا . وهما روايتان وقوله « فلا يأمرني الا بخير » يرجح الثانية بل يوجب الجزم بها . قال النووي في شرحه: قال القاضي (أي عياض) واعلم أن الامة مجتمعة على عصمة النبي (ص) من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي هذا الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وانوائه فأعلمنا بأنه معنا لنحذر من وسوسته بحسب الامكان اه

أقول وفي رواية أخرى لهذا الحديث «وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة» ويوضح هذا حديث ابن مسعود عند الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه « ان للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فايصاد بالشهر وتكذيب بالحق » الخ وهذا الملك الذي يقابل الشيطان يسمى ملك الالهام وهو الذي عبر عنه النبي (ص) بقوله « واعظ الله في قلب كل مؤمن » وقد بينا مسألة اتقسام الخواطر النفسية الى شيطانية وملكية في الجزء الاول من التفسير وفي هذا الجزء (السابع) منه أيضا فليراجع السائل تفصيل ذلك في تفسير (ولو جعلناه ملكا بطمناه رجلا) من جزء المنار الثالث من هذا المجلد (ج ٣ م ١٩) فهو يقرب لذهنه ما لعله يراه بعيدا عنه اذا لم يكن قرأه

ولم يخص الجواب ان حديث شق صدر النبي (ص) في طفولته ونظم بربه من حظ الشيطان منه في سنده مقال ومته ليس مرفوعا الى النبي (ص) وليس له حكم المرفوع . وليس مته لا ينافي عصمة النبي (ص) لان حاصل معناه ان روح القدس قد طهر قلبه وقدس منه منذ الطفولية وقبل ان يصل الى السن التي تكون فيها الوسوسة ، وان حديث شقه في قصة المعراج كانت رؤيا منامية في الراجح ولا ذكر فيها لحظ الشيطان فحاصل معناها انها رمز وتمثيل لتأييد الروح القدس والملائكة له (ص) واعدادهم اياهلناجاة الله عز وجل مناجاة خاصة . وأما حديث مس الشيطان للمولود عند ولادته فسنده صحيح لا عبرة بمن تكلم في صحته ولكن استثناء عيسى وحده مرة فيه واستثناؤه هو وأمه مرة أخرى ان كانتا غير متعارضتين فلا عموم في الصيغة ، وينافي ذلك قولهم الاستثناء معيار العموم . وان كانتا متعارضتين سقط

الاستدلال بهما أو يقوم الدليل على ترجيح احدهما . وقد علمت ما قاله الزمخشري في الحديث وأقواه معارضة قوله تعالى (الا عبادك منهم المخلصين) له فانه صريح في ان الشيطان لا سلطان له على اغواء عباد الله المخلصين . وعلمت ما أجاب به الحافظ عن هذه المعارضة وهو ان هؤلاء العباد لا يضرهم ذلك المس اذا لا يدل الحديث هلى أن كل من مسه الشيطان يفويه . وتقول انه يجوز ان يكون المراد بالمس بيان توجه الشيطان الى التعرض للوسوسة للمولود واستعداد المولود لقبول الوسوسة التي هي تزيين الباطل والشر في النفس ، وكيفية المس على القول بأنه حقيقة لا تمثيل بمحت في عالم الغيب وهو ما أجمعوا على تفويضه الى الله تعالى اذا صح الخبر به وكان ممكنا في نفسه . واما حديث القرين من الشياطين والقرين من الملائكة فهو أصح سندا وأقوى متنانا له شاهدا من القرآن (ومن يشقُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) والاحاديث التي وردت في توضيحه تدل على ان الانفس البشرية فيها ذاعتان إحداها للحق والخير والاخرى للباطل والشر ، وان الاولى ترجح بإلهام ملكي الاخرى باغواء شيطاني . ولكن الانسان هو الذي يزكي نفسه ويهذبها حتى ترتقي الى التناسب مع روح الملك وتلقي إلهام الحق والخير منها — أو يدسها ويفسدها حتى تهبط الى التناسب مع روح الشيطان وتلقي وسوسة الباطل والشر منها ، فمثل ملك الالهام كمثل القرين الصالح من الناس لا يماشرا الا من يشا كله ، ومثل الشيطان كمثل قرين السوء لا يصاحب الا من يشابهه ، فكل قرين بالمقارن يقتدي به و « الارواح جنود مجنودة فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » كما ورد في الحديث الصحيح ، واذا قارف الرجل الصالح خطيئة كان تأثيرها في نفسه معدا لوسوسة الشيطان أو يمحوه بعمل صالح يضاده « وأتبع السيئة الحسنة تمحها » (ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين)

﴿ بدع الجمعة والاذان وختم الصلاة والجنائز ﴾

(س ١٣ - ٢٠) من صاحب الامضاء بطبلاي مركز منوف مديرية المنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

وبعد فهذا من عبد الرحمن احمد الصميدي الى دار الدعوة والارشاد بمصر
يتشرف بالافادة عما سيدكر : في هذا العهد ظهر عندنا رجل ينهانا عما سيأتي

١ قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة

٢ والاذان المسمى عندنا بالاول من يوم الجمعة

٣ والاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب

٤ الترقية

٥ التبليغ في الصلاة

٦ ختام الصلاة جهارا في المسجد

٧ الصلاة والسلام على النبي عقب الاذان

٨ السير مع الجنائز بالذكر جهارا وقراءة البردة

وحيث اننا نفعل كل ما ذكر من منذ وجدنا بالدنيا وهذا الرجل يجتهد في ابطال ذلك ولا نعلم اذا كان عمل هذا من البدع فتركه أم من الدين فتبعه

نرجو الافادة مع التوضيح وإفنانا عما ذكرناه لان في نفوسنا (ريبا) من ذلك :
وقال الله تعالى (فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) وصلى الله على سيدنا محمد

مقدمه

وعلى آله وصحبه وسلم

عبد الرحمن احمد الصميدي

الجواب عن هذه الاسئلة (*)

١ - قراءة سورة الكهف جهارا داخل المسجد يوم الجمعة - بدعة ليس لها دليل
من كتاب الله ولا من سنة رسوله (حس) ولم تؤثر عن سلف الامة الصالح . ولكن
لقراءتها يوم الجمعة بدون تقييد بالجهر وبكونها في المسجد أصلا ضعيفا ، قال الحافظ

(*) حذفنا سؤالاً من هذه الاسئلة يتعلق بعادة مصرية بين العروسين

ابن حجر في تخریج أحاديث الأذكار: ان أقوى ماورد في قراءة الكهف يوم الجمعة حديث أبي سعيد الخدري عند الحاكم في التفسير والبيهقي في السنن « من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين الجمعتين » وقد أورده الحاكم من طريق نعيم بن حماد عن هشيم عن أبي هاشم وصححه ولكن قال الذهبي في الميزان: بل نعيم ابن حماد ذو مناكير. أقول بل جرح بأكثر من هذا، وقد وردت أحاديث أقوى من هذا في قراءة آل عمران وهود في يوم الجمعة، فلماذا لا يهتم بها هؤلاء الناس الموابنون على قراءة الكهف ان كان غرضهم العمل بالأحاديث لا اتباع العادة

ثم ان الاتيان بالعبادة المشروعة على وجه مخصوص وفي وقت معين لم يرد في الشرع ما يدل عليهما بدعة في كيفية الأداء المبذبة على الاتباع، واظهار ذلك يجعل ما ليس من شعائر الدين شعارا. وهذا ما بسميه الشاطبي في الاعتصام بالبدعة الاضافية وسيعاد ذكره قريبا، دع ما في رفع الصوت بقراءة الكهف أو غيرها في المسجد عند اجتماع الناس للصلاة من التهويش على النصابين وهو غير جائز وقد صرح الفقهاء بمنع الجهر بالتلاوة في المسجد اذا كان فيه من يصلي وأنه حرام. وفي حديث أبي سعيد الخدري: اهتمك رسول الله (ص) في المسجد فسمعهم يجهرون بالقراءة فكشف الستر وقال « ألا ان كلكم مناج لربه فلا يؤذ بعضكم بعضا ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة » رواه أبو داود

٢ — الاذان الاول يوم الجمعة — أحدثه عثمان في خلافته وأقره الصحابة (رض) وما رواه ابن أبي شيبه عن ابن عمر انه قال: الاذان الاول يوم الجمعة بدعة — فالأظهر انه استعمل البدعة هنا بمعناها اللغوي لا الإنكار ومعناه انه لم يكن في عهد النبي (ص) قيل ويحتمل انه الإنكار أي لان مقتضى إكمال الدين في هذه (ص) ان لا يزداد في العبادات ولا سيما الشعائر بعده شيء، وإنما الاجتهاد في مسائل المعاملات والمصالح التي تختلف باختلاف الزمان والمكان لا العبادات وشعائر الإسلام التي لا يدخل فيها القياس الذي احتجوا به لفعل عثمان (رض) ويمكن ان يجاب عن هذا بأن الاذان الاعلام بالوقت وسيلة للصلاة اجتهادية لا عبادة مقصودة لتأتمن ان النبي (ص) استشار المسلمين في أمر هذه الوسيلة وأسماه حسن ما كان منهم من رأي ورؤيا فلا أجل

هذا رأى عثمان والصحابة ان هذه المسألة يصح العمل فيها برأي أولي الامر اذا احتج الى ذلك. فلما حدثت الحاجة بكثرة المسلمين وعدم تبكيرهم الى المسجد على نحو ما كانوا يفعلون في عهده (ص) أمر عثمان أن يؤذن بهم لتجمعة على الزوراء — وهي موضع أو دار له بسوق المدينة — وأبقى ما كان من أذان المسجد عند جلوس الامام على المنبر كما كان ابقاء للعبادة كما كانت. قال السائب بن يزيد (رض) فيما رواه عنه البخاري وأبو داود والنسائي: كان النداء يوم الجمعة أوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على الزوراء ولم يكن للنبي (ص) غير مؤذن واحد. وفي رواية أخرى لهم زيادة فثبت الامر على ذلك. والمراد بقوله النداء الثالث هو الاذان الاول فهو أول بالنسبة الى تقديمه في العمل وثالث بالنسبة الى حدوثه بعد الاذنين المشروعين لكل صلاة أعني الاذان والاقامة وكانوا يطلقون عليهما «الاذانين» على طريق التغليب أولان الاول اعلام بوقت الصلاة والآخر اعلام بالشروع فيها، ولكنهم اذا ذكروا الاقامة وحدها لا يسمونها أذاناً بل إقامة. والمرجح المختار عندنا في هذه المسألة ان يتبع الناس في كل حالة ما كان عليه السلف الصالح فاذا علمنا ان المصلين اجتمعوا في المسجد على نحو ما كانوا عليه في زمن النبي (ص) وأبي بكر وعمر (رض) اكتفينا بأذان المسجد، واذا كانت الحال كما كانت في عهد عثمان وعلمنا ان الاذان الاول على المنارة أو في السوق مجلبة للمصلين فعلمنا. ولا ينبغي لمسلم ان ينكر على أهل مسجد ما يختارونه من هذين الفعلين، اذ لا يصح ان يكون ما حدث في عهد عثمان ناسخاً لما قبله ولا ان يكون ضلالة من بعض الراشدين أقره عليها الصحابة، فليتق الله من تحدثه نفسه بهذا الانكار. وليعرف قيمة نفسه أولاً. وأما قول السائب: لم يكن له (ص) غير مؤذن واحد فهو خاص بأذان الجمعة

٣ — الاذان الثاني داخل المسجد بين يدي الخطيب — فيه أن فعله بين يدي الخطيب و بالتلقين المعهود في بعض المساجد بدعة لا فائدة فيها ولا تعرف الحامل لمبتدعها عليها. وقد علم مما قلنا، أننا في مسألة الاذان الاول أن الاذان الثاني وهو الذي كان على عهد الرسول (ص) إنما يكون اذا جلس الامام على المنبر كما

صرح به السائب في حديثه الصحيح . وأما مكانه فقد روى الطبراني فيه أن بلالا كان يؤذن على باب المسجد . وذكره الحافظ في فتح الباري محتجا به وهو المشهور ٤ — الترقية المعهودة في يوم الجمعة بدعة لانعرف لها أصلا من كتاب ولا سنة ولا اجتهاد أحد من الأئمة وإنما أحدثها بنو أمية وأنكرها الفقهاء من جميع المذاهب (راجع المنار ص ٣١ م ٦)

وقد استفتي شيخ الجامع الأزهر منذ بضع عشرة سنة في بعض المسائل المتعلقة بالجمعة مما تقدم فأفتى بأنها بدع منكرة . وقد أشار الاستاذ الامام الى هذه الفتوى ومقاومة بعض أصحاب النفوذ السياسي لها بقوله في كتاب الاسلام والنصرانية (ص ١٣٩ من الطبعة الثانية) فقال :

«سأل سائل من الاستاذ شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الاعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة — ومنزلة الشيخ من الرياسة في أهل العلم بالدين منزله — فأفتى بما ينطبق على السنة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التنزه عنها . أبطن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ؟ كلاً ، حدث قيل وقال ، وكثرة تسأل ، ودخلت السياسة ، ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا ، وسكت السائل وماذا يصنع المهيب ؟ اهـ

٥ — التبليغ في الصلاة هو رفع المؤذنين اصواتهم بالتكبير للاعتراف وأذكار الانتقال لاعلام من لم يسمع صوت الامام ولا يراه عند إحرامه وانتقاله من ركن الى آخر : وله أصل في السنة بما كان من صلاة رسول الله (ص) في مرض موته آخر جماعة اذ صلى قاعدا والناس خلفه قيام وأبو بكر (رض) يلبسهم تكبيره . وقد صرح علماء المذاهب المشهورة بجواز التبليغ اذا احتيج اليه فان لم يحتج اليه كان بدعة منكرة . على أن للمؤذنين فيه بدعا كثيرة كفعلهم له جماعة ورفعهم اصواتهم أكثر مما ينبغي متحررين فيها حسن النغم وإطالتهم المد حتى يضطر الامام الى انتظارهم أو سبقهم فينتقل الى السجدة الثانية قبل فراغهم من تكبير السجدة الاولى مثلا وقد بين الفقهاء ذلك وأطال فيه وفي غيره من هذه المسائل صاحب المدخل رحمه الله تعالى .

٦ — ختام الصلاة جهارا في المساجد والاجتماع ورفع الصوت من البدع التي

أحدتها الناس فاذا التزموا فيها من الاذكار ماورد في السنة كانت من البدع الاضافية وقد تساهل فيها كثير من مقلدة الفقهاء وأطال العلامة الشاطبي الكلام في انكارها في كتابه الاهتصاص ونقلناه عنه في المنار فليراجعه من شاء

وهذه البدعة قد انتشرت في الاقطار الاسلامية منذ بضعة قرون حتى عمت الغرب والشرق والجنوب والشمال ، ولما أنكرها من أنكرها في الاندلس كثر فيها القيل والقال، وقد كنت فطنت لها قبل أن أرى لاحد من العلماء كلاما فيها فتركتها في أواخر زمان الطالب ولكنني لم أترك الاذكار الواردة بل كنت أقولها وأنا، انصرف من الصلاة، ولم يخطر في بالي أن أنهي عنها أحدا، ولأنها يصحح أن تسمى بدعة.

ولما كنت في عليكرة من الهند سنة ١٣٣٠ قدموني للخطبة وامامة الجمعة فلما فرغت من الصلاة لم أستطع الانصراف ولا التحول من شدة الزحام في المسجد ولا رأيت أحدا من الناس انصرف ولا قام لصلاة ولا غيرها، ثم خلص الي شاب من طلاب العلوم الدينية فأخبرني ان الناس ينتظرون أن يسمعونني أذكار ختم الصلاة لينبعوني فيها ويقوموا الي صلاة السنة البعدية وغيرها من شؤونهم ، قلت ان هذا غير مشروع ، قال ألم يرد في الصحيح أن النبي (ص) كان يقول بعد السلام « اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام » قلت نعم قد صح انه كان اذا سلم لم يقعد الا بمقدار ما يقول ذلك (رواه مسلم) ولكن لم يصح انه كان يقول ذلك رافعا صوته لیسمه الناس ويقولونه بقوله، وأنا قد قلت ذلك سرا. ولما جئت بيروت عند منصرفي من الهند أقمت فيها أياما كنت أقرأ درسا بعد الظهر في مسجد المجيدية من كل يوم، فشغل المؤذن بعد صلاة الجمعة يوما عن الاذكار والادعية التي جرت العادة برفع صوته فيها واتباع جمهور المصلين له، شغلته عنها صلاة جنازة، فظل كثير من الناس ينتظرونه متلفتين الى اليمين والى الشمال، فبدأت الدرس ببيان الحق في هذه المسألة وهو انه ليس من السنة أن يجلس الناس بعد الصلاة لقراءة شيء من الاذكار والادعية المأثورة ولا غير المأثورة برفع الصوت وهيئة الاجتماع كما اعتادوا في الاقطار المختلفة وان هذه العادة صارت عند الناس من قبيل شعائر الدين التي ينكر على تاركها والناهي عنها ، وانكار تاركها هو المنكر. وان ما ورد في بعض الاحاديث من الاذكار كقول « اللهم أنت

السلام « الخ والاستغفار والتسبيح والتحميد والتكبير والتلهيل يستحب أن يقوله الافراد سرا في أي حالة يكونون عليها بعد الصلاة من قيام وقعود ومشى ، وان الاجتماع لذلك والاشتراك فيه ورفع الصوت بدع هونها على الناس التعود ، ولو دعاهم أحد الى مثل هذه الصفات في عبادة أخرى كصلاة تحية المسجد مثلا لأنكروا عليه أشد الانكار. ولما عدت الى مصر وشرعت في طبع كتاب الاعتصام للشاطبي رأيت وفي هذه المسألة حقها فحمدت الله تعالى

٧ - الصلاة والسلام على النبي (ص) عقب الاذان - هي بدعة أيضا والقول

فيها كقول فيما تقدمها . قال صاحب المدخل : يطلب من امام المسجد أن ينهى المؤذنين عما أحدثوه من صفة الصلاة والتسليم على النبي (ص) عند الاذان وان كانت الصلاة والتسليم على النبي (ص) من أكبر العبادات ولكن ينبغي أن يسلك بها مسلكها فلا توضع الا في مواضعها التي جعلت لها ، ألا ترى ان قراءة القرآن من أعظم العبادات ومع ذلك لا يجوز للمكلف أن يقرأه في الركوع ولا في السجود ولا في الجلوس - أعني الجلوس في الصلاة - لان ذلك لم يرد والخير كله في الاتباع ، وهي بدعة قريبة الحدوث جدا مما تقدم ذكره . فيما أحدثه بمض الامراء من التغني بالأذان . الخ

٨ - السير مع الجنازة بالذکر جهارا وقراءة البردة - كل ذلك من البدع

التي لم يسكت عنها المشتغلون بعلوم الشرع كما سكت جماهيرهم على الاذكار التي اتصلت بالاذان والصلاة . على ان جميع ما ذكر في هذه الاسئلة والاجوبة من البدع قد بينه انصار السنة وخافوا البدعة من العلماء منذ أحدثت الى هذا العصر .

والبلاء كل البلاء في جعل عمل الناس حجة على كتاب الله تعالى ودواوين السنة مع أن بعض الائمة قال بالاحتجاج بعمل أهل المدينة في زمن الصحابة والتابعين مخالفة في ذلك سائر الائمة وجمهور الامة وخص بعضهم ذلك بزمن الراشدين فقط ، والآن يحتج الناس بعمل العوام الطعام ويسكوت من لا حجة في قوله فضلا عن سكوته من المعتمدين ، أو بتأويل بعض المنافقين الذين يقتربون الى العامة بما يرضيهم طمعا ببعض الحطام أو الجاه الكاذب عندهم .

وقد استفتي شيخ علماء الاسكندرية لهذا العهد في المسألة الاخيرة من هذه المسائل وفي مسائل أخرى مما أحدثه الناس في أمور الموتى فنذكر ذلك بنصه :

﴿ السؤال ﴾

ما قولكم فيما يفعله الناس الآن من الصياح أمام الجنازة بنشيد البردة وغيرها والاجتماع للتعزية بنصب الخيام، وقراءة القرآن فيها أيا ما مخصوصة، وقراءة الصمدية بعدد مخصوص يسمونه (عقائفة) ويزعمون انها تعشق الميت من النار وتفريق الخبز للقراء على القبور، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرا على قراءة القرآن - فأهل العلم فينا بين محرم لذلك ومحل، وقد لجأنا اليكم كي تفيدونا، هل هذا من الدين أم لا؟ وماهي طريقة نبينا صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح من الأئمة في ذلك؟ وما حكم الله فيمن يخالف طريقهم أفيدونا بأدلة تشفيينا، فلا زلتم هداة الخائرين

﴿ الفتوى ﴾

« الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، وبعد فما يفعله الناس الآن من الصياح امام الجنازة بنشيد البردة وقراءة القرآن ونحو ذلك غير جائز شرعا ، وهو خلاف السنة ، وخلاف عمل السلف الصالح ، لان السنه في اتباع الجنائز الصمت والتفكر والاعتبار وعلى ذلك جرى العمل من السلف الصالح ، وقد قال الامام مالك رضي الله عنه (لن يأتي آخر هذه الامة بأهدى مما كان عليه أولها) وكذلك الاجتماع بنصب الخيام في التعزية مباهاة وافتخارا ، وقراءة القرآن بالكيفية الجاري العمل بها الآن في هذه المجتمعات ، وأخذ القراء الخبز والنقود أجرة على ذلك وأخذ ذلك سنة وعادة ، فليس من السنة ، ولا من عمل السلف الصالح ، وإنما شأنهم انهم كانوا يذهبون الى صاحب المصيبة في بيته لحمله على الصبر وعدم الجزع ، من غير اطالة مكث ، ويدعون لصاحب المصيبة بالصبر ، والاميت بالمفطرة والرحمة ، ثم ان الذي ينغم الميت انما هو الصدقة على روحه ، والدعاء له بالمفطرة والرحمة ، اما اهداء ثواب الفائحة وغيرها مثل قراءة القرآن بغير الطريقة التي أخرجته الى حد الغناء فبعض العلماء رجح حصول الثواب الى الميت ، وبعضهم قال بعدمه »

شيخ علماء الاسكندرية

مكتبة

كتاب الدعوة والارشاد

دروس سنن الكائنات

محاضرات علمية طبية إسلامية للدكتور محمد توفيق صدقي

١٨

أما نوبة الملاريا فلها ثلاثة أطوار: —

(١) طور البرودة — يشعر المريض بتعب وسامة وصداق وآلام في الظهر وبرد، وتبتدى الرعدة فينكمش في فراشه ويرتجف جميع جسمه وتصطك أسنانه ويزرق وجهه وأنامله ويتصب شعر جسمه كما يحصل من شدة البرد أو الفزع ويهفر النبض ويسرع ويضطرب ويتوتر، ويكون التنفس سرايا غير عميق ويكون سطح الجلد باردا حقيقا ولكن إذا وضع مقياس الحرارة في الفم أو في اليد أو تحت الإبط رأينا الحرارة مرتفعة، فانها تبدأ في الزيادة قبل الرعدة بدقائق بل ساعة أو ساعتين أحيانا، وانما نشأ الاحساس ببرودة سطح الجسم من انقباض أوعية الدم فيه

ويكون مقدار البول كثيرا ولونه رائقا وكثافته قليلة. ويستمر هذا الطور نصف ساعة أو ساعتين. وترتفع الحرارة بسرعة في آخره إلى ما بعد ٤٠° ستيجراد (٢) طور السخونة — يبدأ بالاحساس بالسخونة التي تعم الجسم كله فتزداد الحمى، وتمدد الشرايين، ويتوتر النبض ويسرع ويمتلئ، ويحتمن الوجه، ويتصدع الدماغ. وفي بعض الحالات يهذي المريض أو يعثره الذهول. ويكون البول في هذا الطور قليلا قائما كثيفا. وكثيرا ما تظهر [الحملة Herpes] حول الفم. ويستمر هذا الطور ٣ — ٤ ساعات

(٣) طور العرق — يتبتدى الجسم أولا بالعرق بعد شدة جفافه ويعم الجسم كله ثم بصبر غزيرا ويستمر ساعة أو ساعتين أو ثلاثا فيشعر المريض حينئذ بالراحة ويترطب لسانه، وتنخفض الحرارة أولا بالتدرج ثم تسرع حتى تصبح طبيعية (الجلد التاسع عشر) (٦٩) [المنار: ج ٩ م ١٩]

ويهود المصاب الى حالته الصحية الاولى . ويكون البول في هذا الطور كثيرا جدا وترسب فيه أملاح كثيرة من حامض البليك ولا يحصل جميع هذه الاطوار لكل مصاب ، بل قد تقتصر النوبة على واحد منها أو اثنين ، فمثلا قد يشعر ببرودة خفيفة تعقبها سخونة مدة ساعتين أو ثلاث ولا يحصل عرق ، وقد يبرد ويهرق ولا يشعر بسخونة ، وقد يهرق فقط مع ارتفاع خفيف في الحرارة

أما الاطفال فيندر أن يحصل لهم رعدة بل يصابون بدلها بتشنج خفيف (قد لا يلاحظ) أو بتشنج شديد

وفي الاحوال المعتادة يكبر الطحال في طور البرودة والسخونة حتى قد يحسن به تحت الضلوع

وتحصل أول نوب الحمى هذه إما في الصباح أو وقت الظهر ، أما النوب التي تليها فلا تكون دائما في وقت النوبة الأولى بل قد تأخر عنها شيئا فشيئا حتى تحصل في المساء أو في الليل ، وقد تقدم عنها شيئا فشيئا حتى تحصل قبل الفجر ، ويسمى النوع الاول بالمتقهر والثاني بالمتقدم

والاحوال المعتادة من هذه الحمى غير مميتة في الغالب إلا للاطفال الصغار أو الشيوخ أو السقاء . وقد يمتد الطحال منها حتى ينفجر وينسكب الدم في تجويف البطن ، وقد ينزف الدم في منسوج الطحال نفسه ويتكون فيه خراج فينفجر في تجويف البريتون . ومضاعفات مثل هذه الاحوال ليست بكثيرة ، وأشهرها النزلة الشعبية والرعاف والبل الزلالي والآلام العصبية فوق الحاجب

أما الاحوال الخبيثة المسماة [بالصيفية الحريفة] فلا تكون نوبها منتظمة ولا متقطعة الا أحيانا قليلة تكون الفترة فيها قصيرة ، ويقل حصول الرعدة للمصاب ، وكثيرا ما يهتره اليرقان والغثيان والقيء والاسهال ، حتى قد تشبه هذه الحمى بالحمى التيفودية ، وقد تطول مدتها الى ثلاثة أسابيع وتنتهي كثيرا بالموت الذي يسبقه الهذيان أو القيوبة أو الاضطرابات الهضمية أو البول الزلالي أو النزف الدموي أو الهمود (الهبوط)

ومن الانواع التي يتأثر منها المجموع العصبي بشدة نوع يمتاز بطول الفيوبة فيه حتى تمكث نحو ١٢ ساعة أو أكثر ويكون الشخص كأنه مصاب بنزف في مخه ، ومنها نوع يشتد فيه الهذيان والهيجان . وقد شوهد بعض أحوال يكون فيها المصاب كأنه ميت حقيقة فيقف تنفسه ويضعف نبضه وضربات قلبه حتى لا يمكن إدراكها واعلم ان هذه الحمى اذا تكررت نوبها جعلت الشخص سقيما عليلا مصفرا (لابادة ميكروبها للكريات الدموية الحمراء) ويمتريه الدوار وتلة الميل للطعام وآلام بالمضلات والمفاصل والضعف والاستسقاء ، و يعضخ الطحال والسكبد أو يكثر منسوجه الليفى ويئيس ويضمير ، وقد يصاب الشخص بالجنون أو بالتهاب الاعصاب أو بطنين الأذان أو الصمم أو فقدان الشم أو الذوق

التشخيص — إن أحسن الطرق للتحقق من تشخيص هذه الحمى البحث في الدم عن ميكروبها بواسطة المجهر . وليحترس من اعطاء الكينين للمريض قبل عمل هذا البحث فان هذا الدواء يذهب الميكروب من الدم . ويختفي الميكروب أيضا من الدم في الانواع الحبيثة وقت انخفاض الحرارة أعني في الفترات التي بين نوب الحمى ، وأحسن الاوقات لمشاهدته في تلك الانواع هو ان يبحث في الدم عند ابتداء النوبة وقت صعود الحرارة . أما في الانواع الحبيثة فيكون الميكروب أكبر وأظهر في الفترات التي بين نوب الحمى

المعالجة — الفرض الذي يرمى اليه هو قتل الميكروب واخراج سمومه من الجسم وإراحة المريض عما يحدثه من أعراض الاء . وأحسن الادوية وأشهرها لقتل هذا الميكروب هو [الكينين Quinine] (١) وأشهر أملاحه الكبريتات ،

(١) هذه الكلمة مأخوذة من لغة أهل بيرو Peru بامر يكة الجنوبية ، ومعناها (القشر) لأن هذه المادة تتخرج من قشر شجرة « السنكونا Cinchona » وسميت هذه الشجرة بهذا الاسم لأن اميرة « شنكون Chinchon » زوجة حاكم بيرو عولجت بها من حمى فشفت في سنة ١٦٣٨ وفي السنة التالية احضرتها الى اوربة ، وبعد ذلك ادخلها الجزويت الى رومية ، ولذلك سميت أيضا « قشر الجزويت »

وهي مادة بيضاء خفيفة شديدة لمرارة قليلة الذوبان في الماء فتذوب فيه بنسبة ١: ٨٠٠ ولكنها سهلة الذوبان فيه باضافة أحد الحوامض اليه . ومقدار تعاطيها في اليوم ٣٠ - ٣٥ قمحة تقسم على ثلاث دفعات ، والافضل أن تكون الدفعة الاخيرة قبل ميعاد حضور النوبة ينجو ست ساعات ، ولا مانع من اعطائها بعد طعام الفطور والغداء والعشاء ككثير من الادوية الاخرى . واذا قاءها المريض مزجت بقليل من الافيون أو حقنت في المستقيم أو تحت الجلد ، والافضل أن تحقن داخل عضلات الالية ، وأحسن الاملاح للحقن في الشرج أو تحت الجلد هو [هيدرو بروميد الكينين الحضي] فإنه سهل الذوبان في الماء ولا يهيج منه المكان المحقون ، وجرعته من قمتين الى عشر أو ١٥ قمحة

و [اليوكينين Euquinine] وهو ائبل كربونات الكينين يكاد يكون عديم المرارة ولا يضرب المعدة ولا الاعصاب ، ولذلك كان أحسن دواء للاطفال والنساء . وجرعته تخفف من ٥ الى ١٠ قمحات بحسب السن

ويجب الاستمرار على تعاطي الكينين مدة بعد زوال الحمى لان بعض الميكروبات قد ينجو من فعله ويختفي في الطحال ثم يعود الى الظهور ويكثر فيحدث النكس ، فلذا يجب الاستمرار على تعاطيه بعد الشفاء بمقادير يعينها الطبيب (كخمس قمحات في اليوم) لمدة ثلاثة أشهر على الاقل

وهناك بعض أدوية أخرى نافعة في الملاريا ولكنها أقل قيمة من الكينين مثل

مركبات الزرنيخ

وكثيرا ما يحدث من الكينين أعراض ضارة مثل طنين الأذان والصداع والعمى ، وقد تنقى هذه الاعراض بتقليل مقداره أو ابطاله مؤقتاً أو اعطاه حامض الهيدرو بروميك أو الجويدار لمنع الاحتقان الناشئ من الكينين

الوقاية - تكون (١) بردم المسقعات و (٢) بإبادة البعوض وذلك بصب زيت البترول على المياه التي توجد فيها البويضات والعلق لقتلها ، ويكون ذلك بنسبة أوقية لكل ١٥ قدماً مر بمة من سطح الماء و (٣) باتقاء لدغ البعوض بمثل السكالة (الناموسية) وخصوصاً بالليل وهو وقت لدغ هذا النوع من البعوض في

الغالب و (٤) بدوام استعمال الكينين في الاقاليم التي تكثر فيها الملاريا (بمقدار خمس قنحات يوميا)

حمى البول الاسود Blackwater Fever

تحدث هذه الحمى في الاقاليم الحارة التي تكثر فيها الملاريا لمن أقام بتلك البلاد سنة على الاقل فأكثر أو لاذين أصيبوا بالملاريا ، ويقل حصولها لغير هذين السببين بمجت الأسباب تفصيلا — ذهب العلماء في حقيقة سبب هذه الحمى مذاهب أهمها — : (١) أنها نتيجة إصابة شديدة بالملاريا (٢) أنها ملاريا متضاعفة باصابة الكلبتين (٣) أنها نتيجة ميكروب مجهول (٤) أنها ملاريا مع عامل آخر كتسمم الجسم بمثل الكينين أو بسُم مرض من الأمراض كالفرنجي وغيره ، أو كالتعرض للبرد

الاعراض — تتقدمها آلام في الاطراف والدماع وتوعك ثم رعدة قتي صفراوي قبول أحمر أو أسود بسبب ذوبان مادة الكريات الحمراء فيه ويكون فيه زلال كثيره وترتفع احمرارة الى ١٠٠ : مستجراذ فأكثر ثم تنخفض قليلا بعد بضع ساعات ثم ترتفع مع رعدة أخرى وهلم جرا. ويصاب المريض باليرقان، ويضخم الطحال والكبد ويتألم المصاب من جسمها

وفي الحالات البسيطة تزول الاعراض بعد نحو أسبوع، وأما في الشديدة فيستمر القيء ويقل البول أو يبطل افرازه ويصاب المريض بالقيوية أو الهمود ويموت وعدد الوفيات بهذا المرض هو من ١٦ الى ٥٠ في المئة

المعالجة — تكون بحسن التمريض والعناية بالمصاب والاكثر من شرب السوائل لادرار البول ، وتمطى المنعشات المقويات للقلب ، ولا يعطى المريض الكينين الا اذا وجد ميكروب الملاريا في الدم ، وحينئذ يعطى أي ملح من أملاحه غير الكبريات فانها تساعد على اذابة الكريات الحمراء ، ويكون مقدار أي ملح قليلا متكررا

الدوسنطاريا الاميبية Amoebic Dysentery

قلنا ان الدوسنطاريا نوعان : نوع ينشأ من ميكروب نباتي (وقد سبق الكلام

عليه في صفحة ١٥٢ من الجزء الثاني من هذا الكتاب) والآخر ينشأ من ميكروب حيواني وهو المراد بالكلام هنا

وكلمة [أميبا Amœba] يونانية معناها « المتغير » تطلق علي حيويين دقيقين ذي خلية واحدة دائم التغير لشكله بما يرسله من جسمه في جميع الجهات من الارجل [الكاذبة ^(١) Pseudopodia] التي يتحرك بها حركة ذاتية ، وهو من أبسط الحيويينات المسماة [الحيوانات الاولى Protozoa]

ينساق الانسان ثلاثة أنواع من الاميبا: (١) نوع يوجد في فمه اذا أصاب أسنانه النقد (التسويس) (راجع ص ٦٨ من الجزء الاول) (٢) ونوع يسكن الجزء الأعلى من الامعاء الغلاظ، والظاهر أنه لا ضرر منه (٣) والثالث هو أميبا الدوسنتاريا هذه وهذا الاميبا يشاهد في براز المصاب وفي المدة التي قد تتكون في الكبد ^(٢) بسبب هذا المرض ، وأكثر وجوده يكون في المواد المخاطية التي يبرزها المريض وقت اشتداد المرض أي في زمن حدته. قطر هذا الميكروب الحيواني هو من ٢٥-٣٥ ميكرونا ، أي ان حجمه كحجم ثلاث أو أربع كريات حمراء من كريات الدم . وهو يثقب الفشاء المخاطي للامعاء الغلاظ ويسكن تحته ويتكاثر ويحدث المرض وقد يصل الى الأوعية اللمفاوية أو الأوردة فيسير فيها

اسباب الدوسنتاريا الاميبية — يوجد هذا النوع من الدوسنتاريا في الاقاليم الحارة والمعتدلة كصر ، ولا ينتشر بشكل وبائي كالنوع الآخر السابق . وتنتقل الاميبا بواسطة الماء الذي يتلوث ببراز المصاب أو بواسطة الاطعمة الملوثة به أيضا خصوصا الخضر . ويصيب المرض جميع الاجناس البشرية اذا تعرضت للعدوى وكذلك الصغار والكبار بلا تمييز بينهم ، غير أن الظاهر أنه يصيب الذكور أكثر من الاناث لقلّة تعرض هؤلاء له من أولئك . ولهذا النوع أيضا حملة كالنوع الاول يوجد الميكروب في أمعائهم ولا تحدث لهم أعراضه الاعراض — لا تختلف أعراض هذا النوع كثيرا عن أعراض النوع الباسيلي

(١) سميت بذلك لانها ليست دائمة بل تنبعث وتقبض ^(٢) خصوصا بعد فتح خراج الكبد هذا بثلاثة أيام حينما تقبض جدره

الذي سبق ذكره الا في أشياء قليلة ، وهي أنه لا يكون ابتداءه مفاجأة بل تدريجياً في الغالب ، وتكون مدته أطول فانه يميل لأن يكون مزمناً ، وتكون الحمى فيه أقل وكذلك الاضطراب العام وتكثر نكساته ولا يمنع ذلك من أن يكون أحياناً شديداً جداً ومميتاً بسرعة ، فترتفع الحمى ويقل البول ويكثر الزلال فيه . ومن الناس من توجد في أمعائه قروح ناشئة على هذا الميكروب ومع ذلك لا تظهر عليهم أعراض المرض ، ولكن ذلك قليل

المضاعفات — تحتقن الكبد أحياناً وتلتهب وكذلك الكليتان ، ويندر حصول النزف الموي في هذا الشكل . وأم المضاعفات خراج الكبد الذي يكون غالباً واحداً أو على الاكثر لا يزيد عن ثلاثة ، والسبب فيه وصول الميكروب الى الكبد بطريق لوريد الباب فميت بسمه مفسوجه

ومن العقابيل ضيق الامعاء بسبب انقباض آثار القروح التي تحدث فيها الانذار — يراعى فيه مسألة خراج الكبد وشدة الاعراض . وتخشى النكسة والازمان . والفواق علامة سيئة في الحالات الحادة لانه ينذر غالباً بقرب الاضمحلال والموت المعالجة — لا تختلف عن معالجة النوع الباسيلي الا في نفع [عرق الذهب] وشدة تأثيره في هذا المرض ، وهو جذور شجرة في بلاد البرازيل بأمر يكة الجنوبية ، في هذه الجذور مادة مقيئة تسمى لذلك باللغات الافرنجية [Emetine] ولكنها شاقية لهذا الداء . والجرعة من مسحوق هذه الجذور هي ٢٠ — ٣٠ قحمة ، ويستحسن اعطاء قبل من الافيون أو أحد مرباته قبلها بنحو نصف ساعة ويستلقي المريض على قفاه ولا يعطى له شيء آخر سوى قليل من الثلج لمصه ، وذلك كله لمنع القيء الذي يحدث من الدواء ، وتكرر الجرعة بعد ٨ أو ١٥ ساعات ، واذا كانت الاعراض شديدة أعطيت الجرعة ثلاث مرات في اليوم ، وبعد زوال أعراض الدوسنطاريا يكمل العلاج بمركبات البرزمويت والافيون ونحوها

ويفضل استعمال [الامين Emetine] حقناً تحت الجلد أو في داخل العضلات ^(١) بمقدار نصف قحمة مرة ليلاً ومرة نهاراً وعندما تتحسن الحال يحقن المريض

(١) ذلك أفضل لعدم إحداث ألم وورم وتيبس في مكان الحقن

مرة واحدة فقط في اليوم ، ولا يحدث القيء بهذه الطريقة كما يحدث من اعطاء مسحوق عرق الذهب نفسه بالفم . وهذا الدواء نافع أيضا في منع التهاب الكبد وخراجها لانه قاتل لميكروب الدوسنتاريا بسرعة عجيبة
 والمعالجة بالامتين أو بعرق الذهب نافعة أيضا في الحالات المزمنة ، وذا نماصت حقن المريض أيضا بالمحاليل المطهرة أو القابضة في المستقيم ، ويكون مقدار الحقن نحو لتر من المحلول الدافئ
الوقاية — تكون بتطهير الماء بالغلي أو غيره ، وبالامتناع عن أكل الخضضر وغيرها الا اذا طهرت ، وبابادة الذباب بقدر الامكان أو منعه من الوصول الى الطعام أو الشراب

الحمى الراجعة أو ذات النكس Relapsing Fever

مرض معد شهير ينتشر عادة بشكل وبائي وليس له طفرح مخصوص كععض الحيات الاخرى وانما يمتاز بحصول حمى بضعة أيام تنتهي فجأة بعد نحو اسبوع ثم ترجع ثانية بعد مضي بضعة أيام وهكذا . وهي كثيرة الوجود في مصر وغيرها وقد كانت تنتشر بشكل مريع في السجون وغيرها حيث يكثر الازدحام
 ينشأ الشكل المعتاد منها في مصر من ميكروب حيواني حلزوني الشكل اكتشفه [أبرميير Obermeier] في الدم سنة ١٨٧٣ وله أنواع يختلف بعضها عن بعض قليلا كما في بلاد الهند وأمريكا . طول هذا الميكروب يختلف من ١٦ — ٤٠ ميكرونا وعرضه ميكرون واحد . وهو يشاهد في دم المصاب بهذه الحمى بين كرياتها لا في داخلها . ويقول بعض الباحثين انه يمكن مشاهدته في طور التفريخ قبل حصول الحمى بنحو ٤٨ ساعة ، ويقول آخرون انه يشاهد أولا في اليوم الثاني للحمى و يكثر عدده كلما تقدمت الحمى ولا يقل إلا اذا بلغت الحمى أقصى شدتها وارتفاعها قبيل البهران ، فاذا انخفضت الحرارة لا يشاهد الميكروب في الدم الى ان تقرب النوبة الثانية . وقد أمكن تلقيح الانسان والقرود بهذا الميكروب اذا حقن فيهما جزء من دم المصاب . وشاهد بعض العلماء أن الميكروب اذا اختفى من الدم ذهب الى الطحال وهناك يتنامى بعض الكريات البيضاء وتقتله ، فلذا استنتج انه اذا أظلت بعضها من

القتل وعاد الى الدم تكاثر فيه فنتكس الحمى

والاصابة بهذه الحمى لا تحمي الشخص من عودتها بعد زمن الا قليلا ولكنها تحمي غالباً من الاصابة بالتييفوس . ومن الاسباب المهيئة للعدوى الفاقة والجوع والازدحام والقذارة . وذلك لانها تنتقل من شخص الى آخر بواسطة قمل الجسم فقد شوهد فيه نفس الميكروب ، وهو لا ينتقل الى الانسان بلسع القمل لجسمه ، وانما ينتقل بطريقة أخرى ، وهي أن المصاب بالقمل يكون كثير الحك لجسمه فيتسلخ جلده قليلا من أظافره أو غيرها فاذا سحقت قملة في أثناء الحك أو غيره كالنوم عليها وأصاب دمها بعض تلك الجروح التي بالجلد دخل منها الميكروب الى الدم وأصاب الانسان بالحمى . ويبقى الميكروب في جسم القملة مدة حياتها بل يصل الى بويضاتها (الصئبان) فتتلحق به أيضا ، ولذلك وجب الاحتراس من القمل والصئبان فانهما يتقلان هذه الحمى

وهي تصيب الانسان في جميع الاعمار ولا تميز بين الذكر والانثى الا قليلا فان نسبة المصابين بها من الذكور الى الاناث تكون عادة كنسبة ٣ الى ٢ وهي كثيرة الحصول للفقراء والشحاذين ونحوهم لكثرة ضعفهم ووجود القمل فيهم ، وقل أن تصيب الاغنياء الا اذا صادفتهم قملة انتقلت اليهم من مصاب بها اقتربوا منه وهناك نوع من هذه الحمى يحصل في أفريقية ينتقل من شخص الى آخر بواسطة القراد ولكن مدة هذه الحمى أقصر فانها تكون عادة يومين أو ثلاثة ، ويوجد أيضا ميكروبها حتى في بويضات القراد ، ويجوز أن ينتقل الى الجيل الثالث من نسله

الاعراض — يتراوح طور التفريخ بين يوم و١٦ يوماً ولكن في أكثر الاحوال يكون أقل من تسعة أيام . وتبدأ الحمى فجأة بقشعريرة أو برعدة يعقبها سرعاً صداع في الجبهة وآلام في الظهر والاطراف . وبعد زمن يسير تزول القشعريرة ويخلفها احساس بحرارة في الجسم ويزداد الصداع والآلام المذكورة . وتكون درجة الحرارة في اليوم الاول ٣٩ أو أكثر فيضطر المريض الى التزام الفراش ويشتد به العطش والاقهواء وقد يمتريه الغثيان والقيء ويحترق الوجه ويبيض اللسان وتزداد درجة الحرارة في الليل فتكون ٤٠ أو ٤١ وتنخفض قليلا في الصباح فتكون أقل بدرجة غالباً

وقد تتكرر الرعدة ويكثر العرق . ويسرع النبض وكذلك مرات التنفس . ويعتري المريض في بعض الاحوال اليرقان الشديد حتى يتكون البول بلون المرة (الصفراء) وتكبر الكبد والطحال خصوصا وتظهر [النملة Herpes] أحيانا على الشفتين وقد يحصل رعاف (نرف من الانف) . وتستمر هذه الحالة الى نحو من أسبوع، ويقل نوم المريض ويشتكى كثيرا من آلام المفاصل والمضلات ولكنه يبقى حافظا لقواه العقلية إلى قبيل النهاية وعندئذ يعتريه الهذيان، وتشتد الحمى جدا حتى قد تصل إلى ٤٢ و ٤٩ وحينئذ تنفرج الأزمة فجأة ويحصل البهران فيكثر العرق وتقل مرات النبض والتنفس وتنخفض الحرارة بسرعة ويشفى المريض غير أنه قد يعتريه هود خصوصا اذا كان شيخا، وقد يصعب البهران اسهال أو رعاف وتكون الحرارة أقل من الدرجة الطبيعية ثم يتحسن الحال بسرعة وتشتد شهوة الطعام وتعود قوة المريض في ثلاثة أيام أو أربعة . وبعد أن يظن أنه شفى تماما تعود اليه الحمى فجأة كما بدأت ويكون ذلك بعد مضي اسبوع تقريبا، فيصير المريض في عين الحالة التي كان عليها في المرة الاولى ، وبعد بضعة أيام تنتهي النكسة بالبهران أيضا . وقد ينكس المريض ثانية وثالثة ورابعة وكذا خامسة في النادر . ومن المرضى من لا ينكس البتة . وتكون مدة النكس في الغالب أقل من مدة المرض الاولى فتكون عادة أربعة أيام أو خمسة وقد تكون يومين أو ثلاثة ، وتكون النكسة في الغالب أخف وطأة من الحمى الاولى ولكنها أحيانا تكون أشد بل قد يموت منها المريض

واعلم أن جميع المدد المذكورة سابقا هي تقريبية فانها تتفاوت تفاوتاً عظيماً باختلاف الاشخاص فقد رأينا في السجون المصرية أن مدة الحمى الاولى قد تراوح من يوم الى ثمانية أيام أو تسعة والفترة الاولى من يومين الى واحد وعشرين يوما ومدة النكسة الاولى من يوم الى عشرة والثانية من يوم الى سبعة وهم جرا في الاختلافات العظيمة في مدة الفترات وأيام النكس، ومن المسجونين من نكس أربع مرات (١) وعدد الوفيات يختلف من ١٤ الى ١٨ في المئة ويحصل الموت عند اشتداد

(١) راجع تقرير جناب الدكتور (كرتون Kirton) رئيس القسم الطبي بمصلحة السجون المصرية عن سنة ١٩٠٧ م

الركب في الحمى الاولى أو عقب البهران مباشرة من الهمود خصوصا في الشيوخ كما تقدم . وقد يحصل الموت بسبب التسمم البولي والتشنج أو بالتهاب الرئوي أو بالزحار أو غيره

ومن المضاعفات غير ما ذكر ضخامة الطحال وتمزقه ، والحمة بالاطراف السفلى ، والتهاب الغدد الليمفاوية أو تقيحها ، والتهاب العين الذي يعميها ، واجهاض الحبالى والنزف الرحمي الخطر

الجمعيات الاتحادية

لتكوين العصبية التركية

كتب بعض شبان العرب المتعلمين في مدارس الدولة العثمانية بالاستانة مقالات في الجرائد في موضوع هذا العنوان ثم رأينا في كتاب (ثورة العرب) الذي صدر بالعربية من عهد قريب كلاما مختصرا مفيدا في ذلك فنقلناه عنه لأجل الاعتبار به وإثبات ما يحتاج الى الرجوع اليه من تاريخ هذا الانقلاب الخطر . قال المؤلف تحت عنوان (المهول الاتحادي العظيم) ما نصه :

أنشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية « ترك أوجاني » — أي طائفة الترك أو العائلة التركية — وجعلوا غايةها محو الاسلام وتترك العناصر العثمانية ومركزها في الآستانة ومصاريفها من تخصيصات وزارتي الاوقاف والداخلية ومن المشيخة الاسلامية أيضا وهي منتشرة في كل بلدة وقرية في الاناضول والقوقاس وتركستان وترابكة ومكدونية ولها أربعة فروع لكل منها مهمة خاصة به وهذه الفروع هي

أولا « ترك يوردي » — أي المملكة التركية — ومهمته العناية بالأداب التركية بطرق شتى أهمها « تطهير » اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مفهولة بحتة وتأليف الكتب القومية بهذه اللغة وتعليمها في المدارس ونشرها في البلاد

التركية وكتابتها بحروف منفصلة لكي لا يبقى بينها وبين اللغة العربية أقل شبه (١) ووظيفة أعضاء جمعية « ترك يوردي » مقاومة كل كاتب تركي أو غير تركي لا يرى رأيهم ولا يعتقد معتقد ونشر الكتب القومية والانشيد الحماسية بين الترك وتدريسهم التاريخ التوراني القديم وافهامهم ان الترك أعظم أمة في العالم اختارتها الاقدار لسيادة الامم . وقد جرى لهم حوادث عديدة مع فريق من عقلاء الترك أنفسهم كهلي كمال بك والدكتور رضا نور بك واطفي فكري بك وغيرهم فاتهموا هؤلاء بالخيانة وتهديدوم بالقتل وقالوا ان العنصر التركي يتبرأ منهم وانهم من أصل يوناني وانه لا وطنية لهم ولا قومية ولا شرف

ثانياً « ترك درنكي » - أي ثبات الترك - ومهمته بث الفكرة القومية في الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل في تواريخ الامم (٢) وأعضاء ترك درنكي من غلاة الاتحاديين وأشدهم كرهاً للعناصر ورغبة في تريكها والقضاء على الفكرة القومية فيها . وهم على جانب عظيم من الهمة والنشاط ولكن الغرور أعمى أبصارهم وأسدل ستاراً من الجهل على عقولهم فكانت ثمرة نشاطهم

(١) المنار : قررت وزارة الحرية في عهد ناظرها أنور باشا استعمال الحروف المنفصلة في الامور العسكرية فقط ، ثم نقلت اليها الجرائد أخيراً ان الاتحاديين قرروا كتابة التركية بالحروف الافرنجية ولا ندري كيف ينفذون ذلك

(٢) المنار : اذكر ان هذه الجمعية تشتمل بتنقيح اللغة التركية وانها هي التي دعيت الى مجلس ادارتها في الاستانة لما بلغها ان بعض المسلمين كتبوا الي من جاوه انه بلغهم أن الدولة العثمانية تضطهد اللغة العربية وتصرح بانها تطهر التركية منها وانهم لا يصدقون هذا الخبر الا اذا أكدته أنا لهم وانهم حينئذ يحدفون اسم السلطان من الخطبة ، ولما اجتمعت بهم وتذاكرنا في المسألة قال لي رئيس الجمعية ان عملنا في محض لا دخل له في السياسة ولا الدين فنتوسل اليك ان تستعمل بنفوذك الديني لازالة التهم السيئة التي حومت حوله . وجرى بيننا محاوره ليس هذا محلها

شراً على الدولة ووبالا (١)

ثالثاً : ترك بلكيشي — أي العلم التركي — ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك وبث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاس وربطها بدولة الاتحاديين برباط سياسي متين رابعا « ترك كوجي » — أي القوة التركية — ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية أجسامهم ونشر الالعب الرياضة بينهم .

ويشترط للدخول في جمعية « ترك أوجاغي » أو في احد فروعها ان يكون طالب الدخول تركيا وان يدفع رسماً شهرياً وان يتعهد ببذل حياته ونشاطه وماله لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الاخرى وان يغير اسمه باسم توراني يعرف به بين أصحابه فمن كان اسمه انور مثلاً صار يعرف اليوم بين أصحابه باسم ايشلداق — أي أنور بالتركية القديمة — ومن كان اسمه محمداً أو سليماناً أو حسيناً أو سعيداً صار اسمه اليوم نيوراً أو جنكيزاً أو هلاكواو أوغوز الخ

وقد بدّل كل الضباط الاتحاديين أسماءهم بأسماء تورانية وكذا رجال الحكومة الحالية لانهم كلهم من جمعية « ترك أوجاغي » ويعرفون بين أصحابهم الترك بأسماء تورانية غير أسمائهم التي يعرفهم بها غير الترك .

وقد أنشأت جمعية ترك أوجاغي وفروعها أندية عديدة في جميع المدن والقرى التركية لتدريس تاريخ الترك القديم ولا سيما تاريخ هلاكواو وأوغوز وجنكيزخان وبث الفكرة التركية في الامة التركية وجعلها تهتم بتفوقها على الامم الاخرى في كل شيء . وعينت هذه الجمعية ثلاثة أيام في الاسبوع لتعليم النساء التركيات التاريخ القديم وبث الفكرة العنصرية فيهن وحملهن على العناية بتربية أطفالهن تربية قومية تركية . وتبرعت وزارة أوقاف المسلمين أخيراً بخمسين ألف ليرة عثمانية لجمعية « ترك أوجاغي »

(١) بلغ منهم الفرور مبلغاً لا يتصوره العقل فبينما كانت جيوش البلقانيين امام شطلجه تهدد كيان الدولة كان أحدهم — أحمد أغايف بك — ينشئ سلسلة مقالات في جريدة تصوير أفكار جاء فيها ما ترجمته « يجب ان تهتم تركيا بشؤون ايران أعظم اهتمام لان ايران طريقنا الى الهند والصين ! »

لاجل تأليف تواريخ مفصلة لهلاك وواغوز وجنكيز وتيمورلنك
 وأندية «ترك أوجاغي» محرم دخولها على غير الترك فكل من يود ان يدخل
 البرا يجب عليه ان يظهر للجواب ورقة عليها اسمه ورسمه وتاريخ ولادته وقد سمعت
 جمعية ترك أوجاغي أخيراً في ترجمة القرآن الكريم الى التركية القديمة مع خطبة الجمعة
 والادعية الدينية وغيرها مما يوجب الدين الاسلامي تلاوته باللغة العربية وهزمت على
 نزع أسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها أن وجود هذه الاسماء العربية في الجوامع
 والاماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك
 وليست المدارس العثمانية رشدية كانت أو اعدادية ملكية أو عسكرية الأ
 فروعاً من فروع جمعية «ترك أوجاغي» وكذلك جمعية الاتحاد والترقي وجميع
 الجمعيات السياسية والعلمية والدينية والادبية التي تأسست في الآستانة والاناضول
 قبل الحرب الاوربية وبعدها

وقد أدخلت الحكومة في برنامج مدارسها العالية ولا سيما المدرسة الحربية
 ومدرسة اركان الحرب في الآستانة درس تاريخ التورانيين وعلومهم الحربية وآدابهم
 ونظاماتهم وعهدت الى احمد اغايف بك وأمين بك وخالد ضيا بك وحمد الله بك
 في إلقاء محاضرات يومية في هذه المواضيع على تلامذة المدارس الحربية ومدارس
 الحقوق والطب والهندسة وغيرها وترسيخ الفكرة التركية في نفوسهم . واستعاض
 التلامذة في جميع المدارس الابتدائية والاعدادية والعالية من الكتب المصرية
 بمجموعة «ترك يوردي» — المملكة التركية — وكتاب ترك قليجي — السيف
 التركي — وتاريخ توران وتاريخ تيمورلنك وهلاك ووجنكيز خان وغيرهم .
 وفي كل يوم يجتمع تلامذة المدارس الحربية في ساحات مدارسهم ويستلون

سيوفهم وينشدون نشيدم الوطني الذي يتدي بهذه الايات :

جنكز خانك بايراغى آنلي شانلي صانلاندي

آيت خانك بايراغى حربده بويله اكلاندي

أي : لقد تموجت أعلام جنكيز خان في جو المجد والشرف وأرشدتنا أعلام

آيت خان الى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب . الخ

والاغرب من هذا كله الدعاء الجديد الذي الفته جمعية « تورك يوردي » وجعلت الترك يستعملونه في منازلهم ومدارسهم، وقد قررت أخيراً استعماله في الجوامع في الاستانة والاناضول وهذه ترجمته :

« أيها الاله القادر على كل شيء أنعم على الترك بالصحة والعافية وأحسن اليهم بذئب أبيض (١) واشملهم برعاية مولانا السلطان الاعظم »
« وأنت يا مملكة توران الجميلة المحبوبة ارشدينا الى الطريق المؤدية اليك لان جدنا اوغوز الكبير ينادينا

« أيها الاله القادر على كل شيء أنر طريق توران أمامنا واجعل امتنا كالورد الناضر واهدنا الصراط المستقيم »

﴿ الاناشيد الحماسية في الجيش ﴾

أما الجيش العثماني فمعظم ضباطه وجنوده الترك من الاتحاديين ومن المنتسبين الى جمعية ترك أوجاخي وهم يحقرون الضباط والجنود من أبناء العناصر العثمانية الاخرى ولا يسمون الدولة الا الدولة التركية وينفرون من تسميتها الدولة العثمانية لاعتقادهم ان البلاد العثمانية غير التركية ليست الا مستعمرة فتحها الترك بالسيف . وهذا نموذج من الاناشيد الحماسية التي يترنمون بها في الجيش :

بزرگزسن تر كاكه امانتسك

هيج قورقمه هب اولورسى ويرميز

أي : نحن ترك وأنت (يا آسيا) أمانة بيد الترك فلا نخشي شرا لاننا نفديك بارواحنا

اي ترك كنجي يتيشير ارتق أو يومه

قوش كو يايك امدادينه دورمه

أي : أنقض أيها الفتى التركي فقد نمت طويلا وأسرع في الحال الى امداد

بلاد اجدادك

جنكيز خانك بابراني انلى شانلى صانلاندي

ايت خازك بابراني حر بده بويله اكلاندى

(١) الذئب الابيض اله من آلهة الترك الاقدمين وقد كان شعاراً لهم أيضا

وقد سبقت ترجمته

انتقامي آله مزسك تركلك بزه نافله
 صوصتره لم بايقوشلري يقيشمر بولوله
 أي : لا يحق لنا ان ندعى اترাকা ما لم ننتقم من أعدائنا . فلنسكت اليوم عن
 نفيقه وليكفنا ماسمناه من الضجيج والنحيب
 يور ييالم ايلري يه اتلاية لم طلاغ تبه
 باطلا تالم بومبارلي جانلر كيرسون يرلره
 أي : هلموا إلى الامام فتنبسط امامكم الجبال والاكام وتتفجر قنابل الديناميت
 وتفجر الارض فها لا بتلاع النواقيس والاجراس
 آل بايراغك التنده انا لرم يورودي
 كوك بايراغك التنده يكي توران يودي
 أي لقد سار اجدادنا إلى المجد تحت العلم الاحمر الذي هو مصدر عظمة
 نوران الجديدة

يورين طاغلا اينسين التون اردوشان ويرسون
 آل بايراق ! ياغينلر اوزرنده يوكسلك
 أي : سيروا لتبسط الجبال وتكسبنا جيوش التاي^(١) الشرف فان نجدنا
 سيشاد تحت العلم التركي على الاتقاض والحرائق
 بزايغورز دونميرز قوناغمز طلاغ اوه
 تركز بزمدراسيا تركز تركز هبمز
 أي : نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا إلى الامام لان مسكننا الجبال والبطاح
 نحن ترك وآسيا كلها لنا نحن اتراك اتراك كلنا

﴿ كيف يعلمون الامة ﴾

هذا نموذج من الاناشيد التركية الوطنية التي يترنم بها الترك في ميادين القتال
 على مسمع من جنود العرب وضباطهم
 (١) اسم الجبل آلتون طلاغ الذي يعده الترك التورانيون بلادهم الاصلية

والى القراء نموذج من الخطاب والدروس التي يلقيها على التلامذة العثمانيين في مدارس الدولة اساتذة من أعضاء جمعية « ترك اوجاغي » عينوا برواتب باهظة لتعريفك ابناء العناصر العثمانية :

قال استاذ التربية العسكرية في المدرسة الحربية في الاستانة في درس القاہ على صف الضباط بعد اعلان الحرب العثمانية بايام ماخلاصته [أي خلاصة ترجمته] :
 « اود ايها السادة ان التقي عليكم كلمة في غاية الاهمية بمناسبة الحوادث العظيمة التي وقعت في الغرب فاطهرت لنا معاشر الترك امورا لم تخطر في بالنا من قبل وعبرا ينبغي ان نعتبر بها . فان البلجيك الصغيرة تجاسرت على محاربة المانيا العظيمة ووقفت بجيش لا يزيد على مئة الف جندي امام أعظم جيش ذكره تاريخ بني البشر فحالت دون القضاء على حليفتهما فرنسا . لذلك لايسمن نحن الترك أعداء البلجيك إلا ان نطأطأ رؤوسنا اجلالا لها واحتراما لجيشها الباسل . ولكن تعلمون ايها الاصدقاء لماذا وقفت البلجيك تيار الجيش الالماني العظيم ؟ وقفته لانها كانت تماربه باسم القومية وباسم الوطن . او تعلمون لماذا عظمت فرنسا وانكلترا ومانيا وسدن العالم وصرن اعلى أمم الارض مقاما واكثرها ثراء ؟ لانهن خضن معترك الحياة باسم القومية لا باسم الدين . فعلينا ايها الاعزاء ان نظهر من الآن وصاعدا امام العالم بصيغة القومية المقدسة وان نضرب بالعصبة الدينية عرض الحائط

« نحن ايها السادة أتراك واني لأعجب من تسميتنا عثمانين . فمن هو عثمان الذي ننتسب اليه ؟ انه تركي جاء من آلتاي واجتاح هذه البلاد بجيشه التركي . فانتسابنا الى أصله أشرف من انتسابنا اليه . وقد خدعنا بجهل أسلافنا في الماضي فبئس الاسلاف الذين أنسونا قوميتنا انكم ايها الاعزاء ستلحقون بالجيش قريه وستكونون اساتذة جنودنا الابطال . فلهوهم انهم ترك وانهم اذا حاربوا العدو من أجل الترك وتحت العلم التركي ينتصرون عليه ويحززون ما أحرزته البلجيك من المجد والفخر . وتأكدوا أن التركية خير لنا من الاسلام وان التعصب للجنسية من أكبر فضائل الهيئة الاجتماعية »

فأجابه أحد ضباط العرب قائلا : « تعلم ايها القائد ان للام الشرقية تقاليد

لا يمكن الاغضاء عنها وقد حفظت الجنسية العثمانية هذه التقاليد وكفلت سلامة الدولة الى الآن. فتترك العناصر العثمانية أو انكار قوميتها عليها يؤدي الى اضمحلال الدولة في القريب العاجل . فأنا أحتج على هذا الكلام وأقول بكل صراحة ان الرابطة الاسلامية العثمانية هي الرابطة الوحيدة التي تربطنا بالترك . ولما كنت حضرتك تعلمني الآن ان هذه الدولة دولة تركية وان هذا العلم الذي عهدت الي في الدفاع عنه هو علم تركي أي علم أجنبي هني فقد قضيت على قوتي المعنوية قضاء مبرماً وأخذت كل عواطفى الوطنية لأنى وأنا وأبناء العرب وجميع أبناء العناصر غير التركية لانحارب في جنب الترك الالمقاصد متحدة وذبا عن حياض الاسلام والعثمانية. « فأجاب القائد قائلاً : « اعلم أن الحقيقة غير العواطف . وأنت وان تكن عربياً فأنت وعنصرك من تبعة تركيا . ألم يستعمر الترك بلادك ؟ ألم يفتحوها بالسيف ؟ ان العثمانية التي تتخذها حجة لك هي حيلة اجتماعية يستعملها الضعيف للوصول الى غايته . أما الدين فلا شأن له في السياسة ، وسننهض قريباً باسم التركية ونحت العلم التركي وتترك الدين جانبا لانه من الامور الشخصية الثانوية ، أما أنت وأبناء جنسك فعليكم أن تعرفوا انكم ترك وأنتم ليس في العالم قومية عربية أو وطن عربي » (١)

وقد احتج ضباط العرب الذين سمعوا هذه الخطبة الى وزارة الحربية وطلبوا منها عزل القائد الاستاذ فلم تبعاً باحتجاجهم ولا أجابتهم الى طلبهم بل أخذت التدابير اللازمة للتخلص منهم فقذفت بهم الى ميادين القتال وعرضتهم لرصاص العدو بلا سبب الا رغبتها في محوهم لينسى لها بعد ذلك قتل الفكرة القومية في بلادهم . وهذه الرغبة — رغبة قتل العرب — قديمة العهد في الترك الاتحاديين . فقد عثر ضباط العرب سنة ١٩١٤ في بولايير على كتاب من أحد زعماء الاتحاديين الى قائد اتحادي كبير جاء فيه « عرضوا العرب لرصاص العدو واعملوا على التخلص منهم لان قتلهم يفيدنا . أما الكرد فاحتفظوا بهم لانهم يلزموننا في بلاد الارمن » (٢)

(١) جرت هذه المناقشة على مسمع مئات من ضباط العرب في المدرسة الحربية في الاستانة وقد نقلها اليها غير واحد منهم فمر بناها للقراء اه من هامش الاصل
(٢) نشر هذا الكتاب في حينه في معظم الصحف العربية اه من هامش الاصل

رحلة الحجاز

٣

﴿ باخرتا الحجاج - المنصورة والنجيلة ﴾

استأجرت الحكومة للحجاج باخري (المنصورة والنجيلة) وهما من أقدم سفن شركة البواخر الخديوية - وأما المحمل المصري فقد حمل مع أميره وعسكره على سفينة جربية إنكليزية - ولما كنا آخر من جاء السويس من الحجاج علمنا من أصدقائنا الموظفين في هذا الشأن ان المنصورة أسرع الباخرتين وأنه لم يبق في الدرجة الأولى منها موضع لي وللسيدتين لأن وفد العلماء المرسل الى الحج على نفقة سلطان مصر الممظم قد ركب المنصورة قبل مجئنا وتسبق اليها الناس وقد يوجد فيها موضع واحد لي ، وان النجيلة تفضل المنصورة بأنها أقل منها نودانا وأنه يمكن أن نجد في الدرجة الأولى منها بيتا أو محذعا (قره) خاصا بنا. فتزلنا فيها مع رفيقينا في يوم الأحد لاربع بقين من ذي القعدة ، وقد علمنا بعد سفرها أنها أبطأ بوآخر الدنيا سيرا قبل لنا انها تقطع ثمانية أميال في الساعة ولعلها لا تم الستة الا بالجهد ، وهي قديمة وصعبة ليس فيها ضوء كهربائي ولا أجراس ولا مقاعد للاستراحة الاكراسي المائدة في الدرجة الأولى، ولكن المخدع الذي خصص لنا فيها واسع جدا قلما يوجد في البواخر الكبيرة مثله في سمته وهو معد لنوم ستة أو سبعة ، وفيه عدة نوافذ. ثم أن ربانها سالم أفندي البدن من أحسن الناس أخلاقا وعناية بالحجاج ، وهو من أقدم المستخدمين بهذه البواخر وقد حج مرارا ، وطيبها مهذب حسن المعاشرة وهو طلياني يتكلم بالعربية العامية بطلاقة ولهجته فيها سورية ، فنشكر لهذين الرئيسين في الباخرة حسن عشرتهما وعنايتهما بنا خاصة وبسائر الحجاج أيضا ، ولا نبخس خدم الباخرة حقهم من الثناء على حسن خدمتهم . وامل باخرتنا كانت تفضل المنصورة فيما عدا سرعة السير. وقد زارنا في الباخرة قبل سفرها محافظ السويس ثم صار الى المنصورة لزيارة وفد

العلماء السلطاني فيها

(حجاج باخرتنا النجيلة)

وأنسنا في الباخرة بصحبة كثير من ركاب الدرجتين الاولى والثانية وحمدنا محبتهم وعشرتهم وأخص بالذكر منهم عالما من أكبر علماء القطر المصري وأديبا من أفضل أدبائه . أما العالم فهو الاستاذ الشيخ عبد الفتاح الجمل شيخ علماء بور سعيد وقد كنت أسمع له ذكرا حسنا فرأيتة فوق ما كنت أسمع علما وفضلا وهديا وأدبا وانصافا في المذاكرة واستقلالا في الفهم ، وله مشاركة حسنة في التاريخ والادب ومعرفة أحوال العصر ، ولعله يتدر وجود مثله في علماء مصر . وأما الاديب فهو محمد توفيق علي (البيوزباشي) في الجيش المصري ، وهو يفضل من نعرف من أدباء مصر وضباطها في الاخلاق الدينية والمحافظة على العبادات ، وكثرة النظم في ذم الفواحش والمنكرات . وقد كان معه والدته وهي امرأة تقيّة زكية الفطرة واتفق ان كان تحدهما ملاصقا لتحدهما فكانت ، الدني وشقيقتي تانسان بالامها بهما وصحبتها لهما ، وهي أقل منهما دوارا ، واكثر على مشقه البحر اصطبارا ، وقد حججت قبل هذه المرة . وكذلك كنت أنا آتس به ، فقد كنا أكثر الرفاق نلازما قلما نفترق الا في وقت النوم ، وكان أكثر حديثنا وسمرنا أول الصحبة في الشعر والادب وأقلهما في المسائل الدينية والعلمية والشؤون الاجتماعية ، الا اذا حضر المجلس الاستاذ الجمل فان الحديث يكون بعكس ذلك ، كما كان في أواخر العهد بالصحبة

وقد وزعت بعض نسخ المناسك على حجاج الباخرة قبل أن أقرأها وأصحح أغلاطها وبعضها بعد ذلك ، ولما علم الناس أنها بغير من كثير الطلب لها حتى من الاميين فصرت أشترط على من يأخذها من القارئين ، ان يقرأها لمن يجاوره من الرفاق الأميمين ، وكان انتشارها في المركب سببا لكثرة اختلاف الحجاج الينا للسؤال عن أحكام النسك ولا سيما واجبات الاحرام

كان سفرنا من مصر في أول الميزان وقد بدأ هواء الخريف المعتدل يطرد هواء الصيف الحار ويجليه عن أفق مصر ، وكان ما كان يرحل منه عن مصر يذهب الى الحجاز ليحل محل هواء صيفه الذي هو أشد منه حرارة ، لذلك كنا كلما اوغلنا في الجنوب نشعر بأن جونا يرجع بنا القهقري الى الصيف فكان عامة من في السفينة لا

يكادون يبرحون ظهرها الا الى حاجة غير النوم اذ كان جميع ركاب الدرجة الثالثة ينامون على الظهر وكذلك بعض ركاب الدرجة الثانية، وكان جل ركاب الدرجة الثالثة من أدنى طبقات المصريين قد دعهم الى الحج دعا ما كان من عناية الحكومة ببعث حجاج بحجون وحملها الاغنياء على مساعدة الفقراء على الحج بالمال، فوق ما كان من تسهيل سائر الاسباب، فكان أكثرهم يقطعون أوصل الليل باللغو واللعب، والغناء والطرب، ومنه ما يسمونه في اصطلاح أهل الطارق بالذكر، وهو ان يقف جماعة يتذنون ويرقصون ويصيحون بأصوات منكرة: *أه أه، أو: هو هو، أوحي حي، على صوت مغن* يغميهم ببعض الاغاني الحديثة أو الاشعار القديمة، فيكونون بذلك من الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، وأقبح اللغو وأنكره وأقربه من غضب الله وأبعده عن مرضاته ما جعل ديننا، فهو لاء الذين يسمون أنفسهم ذاكرين لله يظنون أنهم خير من الذين يتغنون ببعض الاغاني لاجل التسلي عن فراق الأهل والولد مثلاً، وما ذلك الا هو الذي سموه ذكرا الامعصية، وما هذا اللغو الا ظنوه حراما أو مكروها الامباح، ولهم في ذكرهم هذا شر مكانا ممن قال فيهم بعض العلماء

أقل الله حين هبتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

ولقد كرم هذا دون الذكر مع الغفلة أو الغيبة الذي قال فيه الشيخ محيي الدين ابن العربي
بذكر الله تزداد الذنوب وتطمس البصائر والقلوب

ومن مظاهر الدين الباطلة في هؤلاء العوام ما كان يمثله رجل منهم شر تمثيل: كنا نسمع كل ليلة صوتا منكرا أجش ينادي به صاحبه السيد البدوي بألقابه المشهورة في هذه البلاد، ويكثر من ذلك ويلح فيه بعد نوم الناس، متنقلا على ظهر السفينة من مكان الى مكان، وكثيرا ما كان يقف بالقرب من بعض نوافذ مخدعنا فيزجج السيدتين وينقص عليهما نومهما، ولما تكرر ذلك منه بمخشاعه فاذا هو بزى أهل الطريق المتصنمين الذين يراءون الناس بلعابهم وثيابهم وحركاتهم وأصواتهم، فتلططنا في وعظه واقناعه بترك ذلك الصياح ولكنه أقل منه ولم يتركه البتة.

هذا واننا لما حاذينا رابع آذن ربان السفينة الحجاج ببلوغ ميقات الاحرام فطلقوا بمرمون، واننا نرجي الكلام على الاحرام الآن لذكره في هذه الرحلة مع

غيره من أعمال المناسك متصلاً بعضها ببعض ، ونسبرسل في وصف السفر فنقول :
 ﴿ الوصول الى جده ﴾

وصلت المنصورة الى ثغر جدة ضحوة يوم الاربعاء وهو التاسع والعشرون من ذي القعدة ولم يلبث ركابها أن نزلوا منها ، وأما باخرتنا النجميلة فوصلت عشاء ليلة الخميس فلم تستطع التقدم الى موقف البواخر من الميناء اكثرة الصخور الخفية هنالك فأرست في مكان بعيد عنه ، وأما دخلت الميناء وأرست فيه ضحوة يوم الخميس فكان تأخر ركابها عن ركاب أختها ٢٤ ساعة ، والسفن تُرسى على بعد شاسع من البر في ذلك الثغر لرقعة الماء وكثرة الصخور ، فلما رأت الوالدة والشقيقة ذلك عراهما الغم لان الدوار يشد عليهما في الزوارق الصغيرة ذات الشراع أو المجاذيف ويؤلمهما طول المسافة فيها ، وخافتا أن لا تصلا الى البر الا بحالة لا ترضيهما ، ولكننا لم نكد نستعد للنزول الا وكان صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف وكيل سيدنا الشريف الاعظم صاحب الحجاز^(١) قد جاء الباخرة في زورق كهر بائي أو بخاري (لنش) مع جماعة من سرة جدة وكبرائها لاجل استقبالنا ، وقد أخبرونا بعد السلام انهم قد نزلوا أمس للسؤال عنا في باخرة المنصورة ، ثم اتنا بعد استراحة الزائرين نزلنا وأنزلنا معنا في الزورق ما خف من متاعنا وصفر حجمه وأرسلنا ما بقي في مراكب النقل الشراعية - وكان الرفيقان الشيخ خالد ومحمد نجيب افندي قد نزلوا في بعضها ، - فسار بنا الزورق كالسهم فوصلنا بغاية الراحة ، ونزلنا ضيوفاً مكرمين في دار صديقنا الكريم الشيخ محمد نصيف ، وهي دار فسيحة واسعة الحجرات كثيرة النوافذ ، تفيض عليها الشمس أشعتها من الشرق والغرب ، ويتخلل النسيم حجراتها من كل مهب ، فهي في الذروة من دور جدة ، وكان الهواء معتدلاً في هذا الثغر ، لا يشتكى برد منه ولا حر ، وقد بلغني الصديق المضيف تحية سيدنا الشريف ، وصدور أمره العالي اليه بالعناية بنا ، وكان قد بلغ الديوان الهاشمي العالي موعد وصولنا كما بلغه مندوبه بمهر خير سفرنا بالبرق ثم بلغ مضيفنا بمكة خبر وصولنا بالمسرة (التلفون) وتكلمت به مع

(١) يعلم القراء ان هذا وقع قبل مبايعة أهل الحجاز للشريف بالملك ونشر الرحلة بعد المبايعة لا يقتضي استعمال لقب الملك فيما حكى فيها كما كان قبل ذلك

اخواننا محجري جريدة القبلة . وفي صبيحة اليوم التالي ورد علي مضيفنا في البريد من المقام الهاشمي الاعلى رقمة شريفة هذا نصها :

نومرو ١٩٥

وكيل شرافة مكة المكرمة وامارتها بجده

معتمدنا الأعز

كتابك رقم ٢٧ الجاري وصل وعلم ماآله لاسيما من خصوص السيد رشيد رضا قد أرسلنا قبلة وبتاريخه كان قصدا نشره بالاستعداد لمقابته بما يقتضي له من الحفاوة وللمعلومية تحرر في ٢٩ ذي القعدة سنة ١٣٣٤ شريف مكة وأميرها الحسين بن علي

لم نكد نستقر في الدار الا وأقبل الزائرون المهنثون يفدون علينا أفرادا وجماعات وفي مقدمتهم الشيخ مصطفى فهمي مامون نائب الحضرة الهاشمية في جده جاء بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن سيادة رئيسه الشريف محسن معتذرا عنه بالاشتغال بشؤون المحمل المصري . وقد تذكرنا فتذكرنا بعد التحية والسلام، فيما كان من تلاقينا أول مرة منذ بضعة أعوام ، ذلك انني زرت سورية عقب اعلان الدستور العثماني سنة ١٣٢٧ فأقمت فيها أشهرا ثم عدت الى مصر على سفينة فرنسية من شركة المساجري واتفق ان كان في هذه السفينة مصطفى بك فهمي هذا قاصدا بور سعيد للسفر منها الى الحجاز فرأى اسمي بين ركاب الدرجة الاولى ولم يرني علي مائدتها ولا على ظهرها مع الركاب لانني أصبت بدوار خفيف لزمتم لاجله مخدعي ولم يكن معي أحد فيه ، فسأل عني فدل علي فالتقينا وتعارفنا ، قال لي إن سيادة أمير مكة الجديد سيدنا الشريف حسين طلبني لأكون كاتب السر له - وكان موظفا بولاية حلب في عمل لا أذكره الآن - وانني لما علمت بوجودك هنا رغبت في لقائك واغتنام الفرصة في الاستفادة من رأيك فيما ينبغي لبلاد الحجاز من الاصلاح في عهد الدستور فان أميره الجديد لا بد ان يوجه همه الى إصلاح عظيم في هذه البلاد المقدسة وأنت أولى من يستنار برأيه في هذا الامر ... فذكرت له ما خطر في بالي في ذلك الوقت القصير من وسائل حفظ الأمن ونشر العلم واصلاح حال البدو وسكة الحديد الحجازية ، وتواعدنا على المسكينة في كل ما يتجدد من الشؤون بتجدد الاعمال ،

وقد بدأ بالوفاء بوعده بعد وصوله الى مكة المكرمة بمدة وجيزة فكتب الي كتابا ذكر فيه انه عرض ماسمه مني من الآراء على سيد الجميع فصادف القبول والارتياح ، وقد أجبته بما اقتضته الحال ، وكان من غرائب عهد الدستور اني أرسلت اليه كتابا مسجلا فيه كلام يتعلق بخدمة الدولة وتمكين سيادتها في البلاد العربية فأعيد الي هذا الكتاب ولم توصله اليه ادارة البريد التركية ولا يزال عندي وقد وعدته باطلاعه عليه عند ما التقينا في جده لأنه كان في أوراقى ولكن لم ينيسر لي اخراجه في ذلك الوقت

أقنا في جده من ضحوة يوم الخميس الى أصيل يوم السبت ولم أخرج من الدار في هذه المدة الا الى صلاة الجمعة في أقرب المساجد اليها ، وقد سمعنا خطيب المسجد يدعو للسلطان محمد رشاد في خطبته كالعادة. ولم أرد الزيارة لأحد لان الزائرين كانوا لا يكادون يفارقوننا الا وقت النوم ، وكان جل حديثنا معهم في المسائل الدينية والعلمية ، والمبرة الاجتماعية والسامية ، وانما اختلفت معهم ساعات متفرقة كتبت فيها نبذة من التفسير للعمار ومكتوبات أرسلتها الى مصر

كنت أتمنى لو ملكت وقتا أرد فيه الزيارة للزائرين الكرام فلما غلبت على الوقت قلت لهلي أملك بعد العودة من مكة المكرمة ما لا أملكه الآن ، ولكن وقت العودة كان أضيق كما يعلم في محله ، ولذلك طلبنا من صديقنا ان يكتب الينا أسماءهم لنؤدي لهم الشكر بالكتابة ، جزاء ما استحقوه علينا من الزيارة ، فكتب الينا زهاء ثلاثين منهم وهم الذين تذكركم فمن أهل العلم منهم الاساتذة الشيخ محمد حسين ابراهيم والشيخ أحمد الزهره والشيخ أحمد طه رضوان والشيخ اسحق بن حسن العباسي والشيخ محمد سعيد دردير خطيب مسجد عكاش ،

ومن رجال الحكومة عدا من ذكرنا مدير الشرطة مساعد اليافي ومدير الصحة الدكتور امين معلوف وقائد حامية الثغر عبد الرؤف عبد الهادي ورئيس كتاب الحجر الصحي رشيد باغمار ومحمد راغب الصنعاني من الكتاب ، وحسين ملوخية مأمور نقل البريد ، وكل هؤلاء يطابق عليهم لقب الشيخ للتكريم ، وقد أعجبني من الدكتور معلوف وعبد الرؤف ومساعد زبيهم العربي فكانوا به أبهج في عيني منهم في زبيهم الافرنجي التركي

ومن كبراء الوجوه والتجار في الثغر الشيخ سايمان قابل رئيس البلدية والمشايخ زينل علي رضا وعبدالله علي رضا ومحمود زاهد ومصطفى درويش عبد ربه ومحمد بن احمد المرزاز ومحمد باحفظ الله وعبد الله المحمد الفضل ومحمد العبد الرحمن الفضل ومن أصحاب الحرف ووكلاء الاعمال المشايخ حمزه جلال تقيب وكلاء المطوفين وحسين بحيري من المطوفين وبكر وخديس وسليمان عزابه من وكلاء المطوفين ومحمد سعيد كيال شيخ السماسرة وعبد الرحمن فائق من كتاب شركة البواخر العمانية فنشكر هؤلاء ولسائر من تفضلوا بزيارتنا (كالشيخ عبد الرؤف الصبان من طلبة دار العلوم المصرية وقد فاتنا ذكره مع علماء جدة) مودتهم وفضلهم، وقد علموا ما حال دون ما كنا نبغي من زيارتهم، وإن التقصير من الزمن لامتأ، والعذر عند كرام الناس مقبول

﴿ عبرة للمعتبرين * وجناية المفسدين على المصلحين ﴾

أظهر لي صديقي المضيف سروره وأرتياحه لرؤيته إياي بثوبي الاحرام (الازار والرداء) وقد أثار عجبني وحزني أنه ظن أن من المحتمل أن أترخص بترك لباس الاحرام اعتمادا على الفدية . وقال لي لو رأيتك لا بلباس ثياب الحل لعزمت عليك أن لا تنزل جدة الا بلباس الاحرام ، لثلا يظن بعض الناس انك من قبيل هؤلاء المتهاونين الذين يجيئون هذه البلاد غير محرمين بحج ولا عمرة، وذكر لي شيئا يسيرا مما علمته بعد ذلك تفصيلا من حال بعض الشبان الذين جاؤا الحجاز ودخلوا مكة المكرمة نفسها، وكانهم لا يعرفون شيئا من مكائنها، ولا حق بيت الله وشعائره فيها، فدخلوها غير محرمين، ومروا ببيت الله تعالى غير طائفين ولا مصلين، وترددوا بين الصفا والمروة غير ساعين ولا مرملين، فكانوا مضفة في أفواه الحجازيين ، ومثالا مشوها لشبان المدينة المصريين ، وحجة قاطعة لأنسة الذين يلفطون منهم بتكفير الانحاديين، لانهم يساؤونهم في ضلالتهم، وهدمهم لشعائر ملتهم، ولكنهم يقصرون عنهم في الفيرة والاحلاص لأمتهم، والتفاني بخدمة دولتهم ، وبذل النفس والنفيس في احياء جنسيتهم

لقد احزنتني وامضني وساءني وآسفني ما قاله هذا الصديق الذي أعتقد أنه ما أحبني في الله تعالى الا لاجل اعتصامي بديني وغيرتي عليه، ودعوتي الى احياء كتابه وسنته. وقلت في نفسي يا سبحان الله ! اذا كان مثل هذا المحب الحسن الاعتقاد قد بلغ

(المنار: ج ٩) (٧٢) (المجلد التاسع عشر)

سوء تأثير بعض اولئك الشبان في نفسه أن تصور ذهنه في مثلي جواز دخول جدة بغير ثياب الاحرام ولو على سبيل الرخصة ، والقيام بما يجب بدل ذلك من الفدية ، فكيف يكون رأيه واعتقاده فيمن لا يعرف لأحد منهم حظا من علم أو عمل ، ولا يحفظ لأحد منهم في قلبه بمض ما يحفظ لي من الظن الحسن ؟

وقلت له محاولا كتمان اسفي ومكابرة امتعاضي : لو كان هذا اللباس (لباس الاحرام) مستحبا لا واجبا لما تركته نهاونا ولا إيثارا لما في اللباس المعتاد من الحشمة أو الزينة أو الرفاهة ، وأنا أرجو أن اكون من أعلم الناس بفوائده واحرصهم على ادراكها بالعمل ، ولو تركته لما استطعت انت ولا أحد من الناس ان يقنعني بإتيانه ، لاني لا أتركه — لو تركته — الا لمدر شرعي ملجئ ، كأن اعتقد أنه يضر بصحتي ضررا يجهل الواجب محظورا ، وأكون بلبسه عاصيا لله تعالى لا طائعا ، وأما نظر الناس فلا أبالي به في أمر الدين ، وأعوذ بالله ان أكون من المرائين ، بل تعودت — والله الفضل والمنة — ان لا أتصنع للناس ولا ادهن لهم ولا اتجرى مدحهم ولا أخاف انتقادهم في المصالح الدنيوية والامور العادية بحيث يحملي ذلك على ترك شيء أراه حقا أو مصلحة أو فعل شيء أراه باطلا أو مفسدة ، وأقول مستطردا إنه قد عاداني كثير من الناس في هذا الخلق وآذوني لأجله ولم أوذ أحدا منهم ، وأرى اني غير مغبون معهم ، وأن هذا الخلق خير لي من مودتهم ، ولا سيما من أعرف منهم سوء النية ، وفساد الطوية ، ولكن يسوءني أنه لا بد ان يوجد في أمثال هؤلاء من هو حسن النية يُخدع بالشبهة أو يقلد غيره فيما لا علم له به ، وأنه يمسر المشور على هؤلاء ، والتناصف معهم باقتناع كلامنا بحسن نية الآخر وإخلاصه ، ورجوع المخطئ الى رأي المصيب ان ظهر صوابه ، وعذره إياه فيما لم يظهر له . ولم اذكر هذا التفصيل كله للصديق وإنما خطر في بالي عند الكتابة ان بيانه مفيد لأن مثله يقع لكل صادق مستمسك بعروة الحق لا يحابي ولا يدهن الناس فيه .

ومن دقائق هذا البحث ان الانسان كثيرا ما تغشه نفسه ويخدعه بتسمية العجب والكبر والاصرار على الهوى اعتصاما بالحق وصلابة فيه وقلة الكثرات بالمبطلين ، فيبغى للمخلص في اعتقاد نفسه ان يمتحن نفسه ويناقشها الحساب فيما يعاب به وينتقد منه ، وهذا أمر عسير غير يسير ، اذ يقل في الناس من يبلغ من يحب ما ينتقده

هو أو غيره عليه ويطلع عليه على عيوب نفسه ، كما يقل فيهم من يسلم من غيبة صديقه .
واكثر ما يبلغ الناس من الانتقاد عليهم او انتقاصهم ، ما ينقل اليهم عن خصومهم واعدائهم ،
وقل من ينظر في مثل هذا نظر الروية والانصاف فيستفيد منه ، وأما يستحوذ على
الاكثريين عند سماعه ثوران الغضب وخواطر الدفاع أو الانتقام ، واحمد الله تعالى
أن وقتي في ريعان الشباب واورائل العهد بالرشد الى حمل اصدقائي على ارشادي الى
عيوبي ومكاشفتي بما يرونه أو يسمعونه من الانتقاد علي ، ولا ازال أسأل عن ذلك
من أتوسم فيه النصح وان كان اصغر مني سنا واقل تجربة ومعرفة ، وأني لاجوج الى
نصيحة واحدة استعين بها على اصلاح نفسي ، من سبعين مسألة استعين بها على
اصلاح غيري . وقد توجد هذه النصيحة عند عامي يزيد ما عندي من العلم والاختبار
على ما عنده منها سبعين ضعفا ، فيكون أعلم مني بما أنا اجوج اليه مما أفضله به
واما ما اكتبه فاني أطلب الناس بالانتقاد على ما يرونه منه خطأ أو باطلا ،
أطلبهم بذلك كتابة بما انشره في المنار كل عام ، وكل ما يكتب الي من ذلك أنشره في
المنار على حسب الوعد الذي أعد به عند طلب الانتقاد ، فان تمت اغفال شي —
وذلك نادر جدا — فانما أغفله لتكريم غيري ، لا لإخفاء عيبي ، ولا اذكر من ذلك
الآن الا رسالة ارسلها الي صديق مخلص من اشهر علماء الاقطار هفا فيها هفوات تزري
بقدره لو نشرت ونقدت وان تلتف الناقد جهد الطاقة ، وبالغ في الادب حتى بلغ
هد الاستطاعة ، فرأيت من الوفاء له ان ارجعه فيها ، واستأذنه بنشرها بعد التنبيه
لما فيها فلم يأذن . من أجل هذا أعتقد كما يعتقد جمهور قراء المنار أن آية الاخلاص
في انتقاد ما ينشر فيه ان يكتب ويرسل اليه ، لأن يقال أو ينشر في غيره من الصحف ،
فان نشر النقد في المنار نفسه هو الوسيلة لتمحيص الحقيقة عند من اطعموا على الكلام
المنتقديه ، وأما فائدة الانتقاد عند المخلص فيه بيان الحق والصواب لمن ينتقد عليه
باطله او خطاه ، ولمن اطاع على ذلك وخشي ان قد يكون قد ضل به وهم قراء كلامه ،
وأما انتقاد ذلك في بعض البيوت او الأندية او الصحف التي لا يطالع أكثر قرائها
على ما يدعي المنتقد انه باطل وضلال فهو إذاعة للباطل ضارة لا يجمل عليها الا هوى
النفس ، وذلك من شأن المرأين المفسدين ، لا من شأن الصادقين المصلحين ،

وقد ذكرني ماقاله الشيخ محمد نصيف في مسألة الاحرام والسبب الحامل له على هذا القول ما انبأني به اخي في الله عز وجل العلامة الشيخ محمد مكي بن عزوز التونسي في الاستانة سنة ١٣٢٨ قال رحمه الله تعالى ما حاصله : كتب الي أحد اخواني من علماء تونس بعد العلم بتلاقينا هنا : اننا نعرف قيمة السيد محمد رشيد رضا العلمية ومقاصده الاصلاحية من مناره ... ولكننا نرى بعض الذين يلهجون بطلب الاصلاح حتى الديني منه لا تنطبق أعمالهم على اقوالهم فهم لا يؤدون فرائض الدين ولا يقيمون أركانها فضلا عما دونها من آدابها واحكامها ، فكيف رأيت صاحب المنار بعد المعاشرة والاختبار؟ قال فكثبت اليه بعض ما رأيت ومنه ان زيارته الاولى لي في داري كانت بعد العصر فصلى صلاة العصر عندي وكنت قد صليتها قبل قدومه منفردا فأعدتها مقديا به ، فلم أر صلاة أكل انطباقا على السنة من صلاته . وزرته مرة مع بعض الاخوان فقدم لنا الشاي ولم يشرب معنا لانه كان صائما . الخ

أليس من آية ضعف الدين ، وابتلاء الصادقين بالمناققين ، وغمة الامر على المؤمنين ، ما دار من المكاتبة بين العالمين التونسيين في الصلاة والصيام ، ومن الحديث بيني وبين محمد نصيف في مسألة لباس الاحرام ؟ بلى واتي تذكرت في هذه اللحظة مسألة اخرى من هذا القبيل اذ كرها تماما للمبرة

دخلت مرة على الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد في نهار رمضان فرأيت عنده ابراهيم بك المويلحي جالسا يدخن بلفيفة من التبغ (سيكارة) فذكر المنار ومنع الحكومة الحميدية اياه من دخول البلاد المثمانية فجعل المويلحي يرميها بالجبل ويقسم ان المنار خير لها من فيلق من العسكر لما فيه من خدمة الدين الذي لا تنهض الامة بدونه ، وأظن في مدح الدين وتأثيره في الاصلاح وعدم الرجاء في نهضة المسلمين بدون ما يدعوا اليه المنار من الاصلاح الديني . علم بهذه الواقعة ابراهيم بك الهلباوي فاشار اليها في مقالة ارسلها الي المؤيد من أوربة يذكر فيها بعض عبر السفر ، مستطردا الي العبرة بها على سبيل التشبيه والمثل ، قال في وصف رجل - على ما أذكر - : كذلك الرجل الذي كان يكلم صاحب المنار في مدح الدين ... في شهر رمضان ولفيفة التبغ بيده يدخن بها . - او ما هذا مؤداه - فهم بعض الناس من عبارته ان الذي كان يدخن هو صاحب المنار المخاطب لا المتكلم

الذي يخاطبه، وان كان المتبادر من العبارة العكس وهو الذي يجري عليه الكتاب عادة في مثل هذه المسألة، اعني أنهم لا يصرحون باسم من ينتقدونه في مقام الاعتبار، فاذا صرح احدهم باسم المنتقد عليه أو بوصفه بما يعرف به لهوى له وقصد الى ذمه، لاتواتيه الجرائد المعتمدة (كالوئيد) ولا تنشر ذلك له، فلوان صاحب المؤيد فهم من العبارة ما فهمه بعض الناس او خطر في باله انه قد يفهم منها ذلك لتصرف فيها بما يحول دون هذا الفهم بلغني وبلغ صاحب المؤيد رحمه الله ذلك في وقته فلم نجعل به، وقال هو ان هذا الفهم لا يخطر الا ببال بعض الهوام، وهو لا يؤثر أدنى تأثير في سمعة صاحب المنار حتى عند من لا يعرف مكانته من هداية الدين، واذا كتب شيء لا يوضح الحقيقة ربما كان سببا للقل والقل. ثم علمنا ان هذا الفهم قد سبق الى اذهان بعض الناس في زائي الاقطار، جاءني يوما برفقة من بمباي الثغر الهندي المشهور من محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين أحد ثغور نجد الجنوبية يقول فيه انه مسافر الى السويس في باخرة كذا بقصد الحج، فلما كان موعد وصول الباخرة رأيت من المروءة أن أذهب الى السويس لثقاته وان لم أكن أعرفه أو أعرف عنه شيئا من قبل، فوافيته فيها وكان معه جمهور من العرب ومسلمي الهند جاء بهم ليحجوا على نفقتي. فقدم لنا لفائف التبغ (الساكاي) على حسب العادة فاعتذرت، فعرضوا عليّ النارجيلة (الشيشة) فاعتذرت أيضا. فسأني الباشا عن السبب فقلت اني أكره هذا الدخان وقد حفظني الله تعالى من اعتماد التدخين في الصغر، فلا أتكلفه بعد العلم بضرره في الكبر، فقال اذا أنت لم تدخن في حياتك قط، قلت الامر كما ذكرت، فالتفت الى أصحابه وذكرهم بما دار من الخلاف في عبارة الهلباوي وكيف ظهر ان الصواب ما قاله من نزه صاحب المنار عن ان يكون هو المفطر في رمضان. على ان المسألة مسألة مجاهرة بالفطر، وهي أفش من الفطر في السر، لما فيها من سوء القدوة، وانتهاك الحرمة،

بعد هذا الاستطراد الطويل أقول ان بعض شباننا الذين أفسدت المدارس التركية أو الافرنجية عقائدهم، وشوهت حرية الكفر والفسق أخلاقهم وآدابهم، ولم يكن لديهم من التجربة والخبر، ولا من حكم العقل وصحة الفكر، ما يفرقون به بين الحجاز وبين الأستانة ومصر، لم يقفوا عند حد ترك الاحرام، قبل دخول

البلد الحرام ، وترك الطواف والصلاة والصيام ، بل تجرأ احدهم على التصريح بالاعتراض على القرآن. وتجراً آخر على الطعن في بعض الخلفاء الراشدين، بل على ما هو أكبر من ذلك من الضلال المبين ،

من اجل هذا صار بعض الحجازيين يسيء الظن بجميع افراد هذه النابتة الجديدة وبعضهم يجعل سيرة هؤلاء الغاوين حجة حتى على من ظهرت عدالتهم من الوافدين، أما طبيعة الحرم بل طبيعة جزيرة العرب، فلا تطبق الصبر الطويل على الحاد الملحدين، ولا على توسيد الاعمال الى الفساق المجاهرين، وأما ما عدا الجزيرة من البلاد العربية فستعذو نابتها حدو النابتة التركية ، وان فيها من يود تقليد جمعية الاتحاد ، في السياسة والعصبية والاتحاد، ولكن آمالهم أدنى من آمالهم ، واملهم شر من مآلهم ، فانهم لا يرجون ان يكون لهم دولة كالدولة العثمانية يغلبون على أمرها، ويمتزون بقوة ما لها وقوة جندها، وسيظهر حالهم ومقصدهم ، وما يكون من تأثيره في بلادهم وأمتهم.

تقرير المطبوعات الجديدة

كتاب الحرب الاوربية— أو فلسفتها—

لا أعرف أحدا من العامة ولا من الخاصة يصدق جميع ما ينشر في الجرائد من أخبار الحرب والسياسة ولا أكثره ، وإنما يصدق اناس ما يوافق عقولهم ، وآخرون ما يوافق أهواءهم . وأهل البصيرة يعلمون ان أصحاب الجرائد في بلادنا لا يعرفون جميع الحقائق التي يعرفها أصحاب الجرائد في أوربة ، وانه لا يباح لهؤلاء ولا لأئمتك ان ينشروا كل ما عرفوا ، فان ما ينشر في الجرائد في هذه الحال يراد به عند جميع الامم ما يترتب عليه من التأثير ، لا تمحيص الحقائق ولا تدوين التاريخ ، وإنما يرجى ان تدون الحقائق بعد الحرب بسنين ، بأقلام أركان الحرب وأحرار المؤرخين . وأجدر الناس باظهار الحقائق في كل زمن هم الحكماء ورجال الاصلاح الاجتماعي والتحقق التاريخي، واذاقلت ان (خوستاف لوبون) هو أشهر حكماء الاجتماع وفلاسفة التاريخ في هذا العصر لا أكون مبالغاً، فانه قد اشتهر في الشرق كما اشتهر في الغرب بما ترجم من كتبه الاجتماعية باللغات الشرقية ككتاب تطور الامم وكتاب

روح الاجتماع ، وبما كتبه في تاريخ أعظم أمم الشرق ، ككتاب حضارة العرب وكتاب حضارة الهند . وقد كتب كتابا في فلسفة هذه الحرب بين فيه مناقشة نفسية ، وأسبابها الخفية والجلية ، وكيفية تولدها ونماؤها وسيرها في كل أمة من الأمم المتقاتلة ، وكونها معلولة لعل خفية ما كان في استطاعة أحد أن يحول دون ترتبها عليها ، ولم تكن بارادة دولة من الدول ولا ملك من الملوك ، خلافا للكثيرين الذين غلطوا في ذلك . ومن مباحث الكتاب بيان انقلاب الطرق الحربية والمواطف التي توقظ داعية الحرب ، وتأثير الاغلاط النفسية والحربية فيها ، وإيقاظها للشعور الديني ، والطرق الحربية الألمانية وتأثيرها ، ونتائج الحرب المجهولة وعقبات الصلح ، وغير ذلك من الفوائد ، مستنبطا مسائله وقواعده من الوثائق الرسمية ، وأجدر الاخبار بالثقة

مثل هذا الفيلسوف الكبير يكتب ما يعتقد ، وقد بدأ التمهيد الذي جملة مقدمة للكتاب بقوله : « ليس غرضي من هذا الكتاب درس حوادث الحرب الاوربية وإنما الذي أرمي اليه استقصاء الظواهر النفسية التي أدت اليها والتي رافقتها منذ نشأتها ، فان تدوين وقائعها بانصاف واخلاص ليس بيسور لنا اليوم . وان الاهواء لا تزال متسلطة على نفوسنا ، ولا يتسنى للأجيال التي تخلق التاريخ أن تدونه . ولا بد من فترة تمر بعد انتهاء المآسي البشرية حتى يتمكن الانسان من اكتشاف سرها وادراك حقيقتها ، فان التاريخ لا ينصف الا الموتى »

ومن أراد أن يستفيد من هذه الحرب علما وفلسفة وهجرة وبصيرة فعليه بهذا الكتاب وهو قد ترجم بالعربية وطبع في مطبعة الهلال

﴿ كتاب ثورة العرب — مقدماتها وأسبابها ونتائجها ﴾

أنف هذا الكتاب عضو من أعضاء بعض الجمعيات العربية ، هو سوري أقام في الآستانة عدة سنين وفي مصر عدة سنين لا عمل له الا الاشتغال بالسياسة ، والاقطاب التي تدور عليها مباحث الكتاب تنحصر فيما يأتي :

الحرب الاوربية والشرق . المسألة الشرقية وفروعها . المسألة العربية وأدوارها . العرب والترک في الماضي . العرب والاتحاديون . تأليف الجمعيات العربية وأسبابه . المؤتمر العربي الاول ونتائجه . نيات الاتحاديين ومعداتهم ، الاتحاديون والاسلام

والعرب ، تفاقم الخطب ، انفجار البركان . المباينة بالملك على العرب . مستقبل العرب . ما من مسألة من مسائل هذا الكتاب الا ولدينا هلم تفصيلي فيها . وقد قرأت نبذا متفرقة منه لاقف على منهاج مؤلفه فيه ، فظهر لي مما قرأت ومما أعلم من اخلاق المؤلف وآدابه أنه اجتهد وتجرى الحلق فيما كتبه بحسب ما وصل اليه علمه وفهمه مما رأى وروى ، ومما سمع وقرأ . ومما بينه في كتابه أن أذكاء العرب قد ألبأنهم سيرة الاتحاديين وسيرهم بالدولة والاحداث التي حدثت في عهد دستورهم الى تأليف الجمعيات والاحزاب للمحافظة على مقومات أمتهم وترقيتها في عهد الدستور في ظل الدولة العثمانية مع الاخلاص لها والحرص على دوام الارتباط بها . وقد صدق . نقلنا في هذا الجزء فصلا من فصول الكتاب وربما نقل عنه غيره ، وقد بلغت صفحاته ٢٤٦ صفحة من قطع المنار وثمن النسخة منه عشرة قروش صحيحة

﴿ المذابح في ارمينية ﴾

كتيب للشيوخ فائز الغصين بين فيه مارآه بعينيه وسمعه بأذنيه من رجال الحكومة الاتحادية الطورانية وضباطها من حوادث واخبار الفتك بالارمن . والكتاب من أبناء رؤساء عشائر العرب في حوران تخرج في مكتب الدولة الملكي بالاستانة وانتظم في سلك حكومتها الادارية ، وقد كان حظه من تنكيل حكومته بأمثاله من نجباء العرب النفي الى أرضروم ، ولكنه سجن في ديار بكر بضعة اشهر وهي قطب الرحي لتلك الاحداث وفيها وفي طريقة رأى وروى مادونه في كتيبه من الفضائح التي تقشعر منها الجلود ، ثم تيسر له الفرار الى البصرة ثم الى الحجاز فمصر وغرضه من الكتاب تبرئة الاسلام والمسلمين من قتل احد بغير حق ولا سيما النساء والاطفال وبيان ان تبعة مذابح الارمن في اعناق الحكومة الاتحادية دون سواها .

﴿ الكنز المفقود ﴾

قصة خيالية كتبت ببعض اللغات الافرنجية وترجمتها بالعربية الكاتبة المشهورة (ماري نجار) وغاية مؤلفها منها بيان شأن المرأة المهذبة وان جمال المرأة وذكاءها وثروتها لانفي عنها شيئا اذ لم تكن مقرونة بالتهذيب . ولذلك قدمتها المترجمة الى الصحف العربية التي يعنى أصحابها « برفع شأن المرأة ومساواتها بالرجل وتشجيعها على رفع صوتها والسماح لها بنشر أفكارها على صفحاتها » و صفحات القصة ٢٣٥ من القطع الصغير وثمن النسخة منها ٥ قروش .

قبر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك

١٣١٥

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد
أوتى خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق

٢٩ جمادى الآخرة ١٣٣٥ — ٥ الحبل (را) ١٣٩٥ ش ١٨ ابريل ١٩١٧

فَتَاوَى الْمَبَانِي

فتحنر هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة، إذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف او يعبر بما شاء من الألقاب ان شاء . وانا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمننا متأخراً لسبب حاجة الناس الى بيان موضوعه، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا، ولن مضي على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم تذكره كان لنا عذر صحيح لا غفاله

﴿ استدارة الزمان والنسيئة في الحج ﴾

(س ٢١) من أحد قراء المنار من كبراء مكة المكرمة الذي أحبط به علم حضرة الفاضل الاستاذ انبي أستفسر عما رسخ بفكري عند تلاوة قوله تعالى (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم) قال صلى الله عليه وسلم « ان الزمان قد استدار كميته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات ذوالقعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان » قال أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن حجر المسقلاني في فتح الباري بشرح صحيح البخاري : المراد بالزمان النسبة وقوله كميته أي استدار استدارة مثل حالته ... ولفظ الزمان يطلق على قليل الوقت

وكثيره والمراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس
 برج الحمل حيث يستوي الليل والنهار ، فلا يخفى ان مفهوم منطوق الحديث الشريف
 استدار كمثته يوم خلق الله السموات والارض مع ما تضمنه شرح ابن حجر بقوله
 المراد باستدارته وقوع تاسع ذي الحجة في الوقت الذي حلت فيه الشمس برج الحمل
 حيث يستوي الليل والنهار ان وقت الوقوف بعرفة لا يكون الا في ذلك اليوم
 الذي تحل فيه الشمس برج الحمل لا يتقدم ولا يتأخر وذا تقدم أو تأخر دخلت
 النسبة معنى اذ لا غرو ان وقت الوقوف من بعد ذلك اليوم لم يقع في ذلك الوقت
 لانه لا أقبل من تأخر الوقوف كل عام هشرة ايام بحسب الفصول على حساب
 الاشهر الهلالية. فان قلم هذا امر مقرر مشى عليه الصحابة والتابعين من بعده على
 الله عليه وسلم وهم جرا الى الآن وعليه جاء في تفسير قوله تعالى (يستلونك عن
 الاهلة قل هي مراقبت للناس والحج) ان المعتبر في الحج الاشهر الهلالية . قلنا
 حينئذ يترتب على هذا انه لا فائدة لما افهمه منطوق الحديث الشريف وهو لا ينطبق
 من الهوى ، ولا معنى لما شرحه ابن حجر في قوله في ذلك اليوم الذي حلت فيه
 الشمس برج الحمل . وهذا اذا كان السؤال في الآية الشريفة عن الهلال فقط وأما اذا
 جرينا على ان السؤال كان من جميع الاهلة حيث دخلت الشمس في هذا الجمع
 فحينئذ السؤال قد توجه بلا اشتباه ، حيث ان ما ذكر من مفهوم الآية والحديث المتقدم
 ذكرها يؤيد ان المراد بقوله والحج ان ميقات الحج الشمس حينما تحل في برج الحمل
 افقونا ماجورين أمين

(ج) ليس في منطوق الحديث الشريف ولا مفهومه أن استدارة الزمان هي
 وقوع تاسع ذي الحجة في أول يوم من برج الحمل ، ولا ذلك مطابق للواقع . وإنما
 أخذه الحافظ من قول بعض العلماء لا من حديث آخر فقد قال في شرح الحديث
 من كتاب بدء الخلق من الفتح : وزعم يوسف ابن عبد الملك في كتابه تفضيل
 الازمنة ان هذه المقالة صدرت من النبي (ص) في شهر مارس وهو آذار وهو برمهات
 بالقبطية وفيه يستوي الليل والنهار عند حلول الشمس في برج الحمل . اهـ ومنه يعلم
 انه ذكر هذا البيان الواقع ، ولا أدري من اين اخذ الحافظ ان تاسع ذي الحجة واقع

في تلك السنة دخول الشمس في برج الحمل فهو لم ينقل عن يوسف بن عبد الملك ذلك. والواقع ان أول ذي الحجة من تلك السنة وهي العاشرة كان يوم الخميس كما ثبت في كتب الحديث وهو يوافق ٢٧ فبراير وثاني برمهات ، وفي بعض كتب التقويم ان أوله الجمعة ٢٨ فبراير ٣ برمهات وعلى كل من الحسايين يكون دخول الشمس في برج الحمل بعد اليوم التاسع ، وهب انه كان فيه فما ذكرهم له الا بيان للواقع. وكل من موافقة وقوع لوقوف في أول يوم من برج الحمل وموافقة عام حجة الوداع لأول عام انتظم فيه حساب السنين في أثر تكوين السموات والارض بهذه الحالة لا دخل له في فرضة الحج. على أننا ان سلطنا أن هذا المفهوم المدعى في السؤال هو مفهوم الحديث تقول أنه مفهوم مخالفة اشترط من يحتجون به ان لا يعارضه ما هو أقوى منه من منطوق أو مفهوم موافقة ، وهذا المفهوم يعارضه الكتاب والسنة اذ لو جعل الحج في فصل الربيع تابعا للحساب الشمسي لخرج من الأشهر الحرم المعلومات عند العرب بالتواتر من عهد ابراهيم واسماعيل اللذين فرض الله الحج على ألسنتهما وهو قوله تعالى (الحج اشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج) الخ وهن الأشهر المتواليات في حديث الاستدارة. وكانت حكمة جعل الحج في الأشهر الحرم ان يأمن الحجاج على انفسهم في ذهابهم الى مكة واياهم منها الى أوطانهم فلا يغير عليهم احد من الاعراب كما ذمهم .

واما فائدة الحديث فهي تقرير ابطال النسيء ولو ازمه . قال تعالى بعد الآية المذكورة في أول السؤال (٣٧ : ٩) انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله) وهو ما جر واعييه من تأخير بعض الأشهر الحرم الى غيره أي استئصال الشهر الحرام نفسه وتحريم شهر آخر بدلا منه لما كانوا يرون من الحاجة الى الاغارة في الشهر الحرام . مثل ذلك أنهم كانوا يؤخرون تحريم القتال في المحرم الذي يوردون فيه من الحج الى صنروا يعلنون ذلك في (منى) قبل انصرفهم من الحج ، واذا احتاجوا اخروا صفر الى ربيع وهلم جرا حتى استدار التحريم على شهور السنة كلها . وروي ان القلمس بن امية بن عوف نبأ لهم الشهور اربعين سنة ، فترتب على ذلك أنهم أحلوا جميع ما حرم الله واخروا

الحج عن وقته الذي شرعه الله فيه حتى ان السنة التاسعة التي حج فيها أبو بكر بأمر النبي (ص) كان الوقوف فيها في شهر ذي القعدة كما قال مجاهد، وتلتها حجة الوداع فكان فيها الوقوف في ذي الحجة وهو الشهر الذي فرض الله الوقوف فيه . فكانت استدارة الزمان أن رجع حساب الحج الى أصله وحرم النسبي البتة فزال السبب الذي كان يتأخر فيه الحج من الأشهر المعلومات التي فرضه الله فيها . وافاد الحديث أن هذا الحساب حقيقي صحيح في نفسه ليس فيه من خطأ النسبي شيء . وقد قرأت بعد كتابة ما ذكر ما كتبه الحافظ على الحديث في تفسير سورة براءة فاذا به قد نقل هذا المعنى عن الخطابي

وأما ما ذكرتم من الفرق بين الهلال والاهلة فلا نعلم له مأخذا من اللغة ولا أصلا من الرواية فالاهلة جمع هلال وهو اسم للقمر عند ما يبدو في أول ليلة من الشهر الى ثلاث ليل وقيل الى سبعة وفي الليلتين الأخيرتين أو الثلاث الأخيرة منه . فاذا كان هذا اللفظ لا يطلق مفردا على الشمس فكيف تدخل الشمس في مفهوم جمعه؟

﴿ تصحيح في تفسير هذا الجزء من المنار ﴾

بعد ان طبع تفسير هذا الجزء وأردنا طبعه على حدته أعدنا النظر فيه فرأينا فيه ما يحتاج الى التصحيح والتنقيح . وبما صححناه فيه ما يأتي :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥٨٧	٢٤	القياس الجلي	القياس
«	٢٥	أو السنة هو	أو السنة وما قطع فيه بنفي الفارق هو
«	«	الصحيح	الصحيح الذي لا وجه للخلاف فيه
٥٩١	١	والله أعلم بالظالمين ^(١)	أليس الله بأعلم بالساكرين
٥٩٦	١٠	عاقبتهم عنه	عاقبتهم عنده
٥٩٧	١١	من طردهم	عن طرد

(١) سبب هذا الخطأ انه نقل عن كتاب الدر المنثور المطبوع بلا تأمل

ذِكْرُ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ

٣

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ دَارِهِ إِلَى دَارِ أَبِي بَكْرٍ،
 ثُمَّ خَرَجَا مَتْرُودَيْنِ مِنْ خَوْخَةٍ^(١) فِيهَا وَاسْتَخْفِيََا فِي الْغَارِ الْمَعْرُوفِ بِغَارِ
 ثَوْرٍ^(٢)؛ وَكَانَا قَدْ اسْتَأْجَرَا دَلِيلًا مَاهِرًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ لِيُرْحَلَ بِهِمَا،
 وَأَعْطِيَاهُ رَاحِلَتَيْهِمَا وَأَمَّنَاهُ عَلَى سِرِّهِمَا^(٣) وَوَعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ،
 فَكْتَمَ أَمْرَهُمَا وَوَأَفَاهُمَا فِي الْمِيْعَادِ، وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِخُرُوجِهِمَا،
 خَرَجَتْ بِالْقَافَةِ فِي طَلَبِهِمَا^(٤) حَتَّى إِذَا مَا أَنْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْغَارِ، صَرَفَ
 اللَّهُ عَنْهُ الْقُلُوبَ وَالْأَبْصَارَ؛ وَفِي الصَّحِيحِينَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ
 لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى مَا تَحْتِ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرْنَا، فَقَالَ « يَا أَبَا بَكْرٍ
 مَا ظَنَنْتُكَ بِأَنْتَيْنِ اللَّهُ تَالِيَهُمَا؟ لَا تَحْزَنَنَّ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ
 ثَلَاثِ جَاءَ الدَّلِيلُ فَرَحَلَ بِهِمَا، وَأَرْدَفَ أَبُو بَكْرٍ مَوْلَاهُ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ
 فَهَاجَرَ مَعَهُمَا، وَكَانَتْ نَارُ الطَّلَبِ قَدْ خَمِدَتْ عَنْهُمَا، وَجَعَلَ الْمُشْرِكُونَ

(*) تابع لما نشر في الجزء الثامن ص ٤٧٣

(١) الخوخة الكوة النافذة والباب الصغير في الباب الكبير

(٢) ثور اسم جبل معروف من جبال مكة والغار لا يزال فيه الى اليوم

(٣) فيه من العبرة ما كان عند العرب من الامانة والصدق والوفاء

(٤) القافة جمع قائف وهو الذي يصرف الآثار فاذا رأى أثر الاقدام أو

الاخفاف أو الحوافر في الارض استدل بها على عددها ووجهة سيرها

لِمَنْ جَاءَهُمْ بِرِمَا دِيَّةٍ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَقَدْ كَانَ مَا كَانَ مِنْ حِفْظِ
اللَّهِ وَإِكْرَامِهِ لِهَٰمَا ،

وَلَمَّا بَلَغَ الْأَنْصَارَ خُرُوجَهُ ^{صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ} مِنْ مَكَّةَ ، كَانُوا يَخْرُجُونَ
صَبِيحَةَ كُلِّ يَوْمٍ يَنْتَظِرُونَهُ فِي الْحَرَّةِ ، ^(١) وَلَا يَرْجِعُونَ إِلَى
الدِّيَارِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَغْلِبَهُمُ الشَّمْسُ عَلَى الظُّلَانِ ^(٢) سَتَى وَأَقَامَهُمْ
بِقُبَاءِ ^(٣) يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ ثَامِنِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ فَتَلَقَوْهُ بِالْإِكْرَامِ ، وَأَقَامَ فِيهَا
مُدَّةَ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، وَكَانَ نَزْوَاهُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، وَبَنِي فِيهَا
مَسْجِدَهَا الَّذِي أُسِّسَ عَلَى النَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ
يَوْمَ الْجُمُعَةِ عِنْدَ دُخُولِ الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الْمِيزَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ الْأَعْتِدَالِ
الْخَرِيفِيِّ فِي الزَّمَانِ ، فَكَانَ ذَلِكَ رَمْزًا لِمَا فِي شَرِيْعَتِهِ مِنَ الْأَعْتِدَالِ ،
وَكَوْنِهَا آخِرَ الشَّرَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الَّتِي يَبْلُغُ بِهَا الدِّينُ غَايَةَ التَّمَامِ
وَالكَمَالِ ، وَقَدْ أَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَجَمَعَ بَيْنَهُمْ
فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِ ، ثُمَّ رَكِبَ فَأَخَذُوا بِحِطَامِ نَاقَتِهِ :
هَلُمَّ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالْمَنْعَةِ وَالسَّلَاحِ ^(٤) ، فَقَالَ « نَخْلُوا سَبِيلَهَا فَايْتَمُوا
مَأْمُورَةً » ، وَكَلَّمَا مَرَّتْ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي النُّزُولِ

(١) الحرة موضع ظاهر المدينة من جهة مكة فيه حجارة سود

(٢) أي عند ما يقرب وقت الظهر ويتقلص ظلال الجدر حتى كأن الشمس تغالب المستظل بها عليها (٣) موضع بظاهر المدينة فيه قرية واصله اسم لبركانت

هناك فهو مؤنث ممنوع من الصرف ويصرف بمعنى الموضع ، ويقصر أيضا
(٤) الحطام الحبال الذي يوضع في مخيط الراحة أي أتمها لتقاد به و : هلم

الطح حكاية لغوهم أي قائلين هلم أي أقبل ونعال الى قوتي الكثرة والاستعداد

عَلَيْهِمْ وَهُوَ يَقُولُ «دَعُوها فَإِنَّها مَأْمُورَةٌ» وَمَا زَالَتْ تَمُرُّ بِدَارِ بَعْدَ دَارِهِ،
إِلَى أَنْ بَرَكَتْ فِي مَوْضِعٍ سَجَدَ فِيهِ يَوْمَ مِنْ دُورِ أَخْوَالهِ بَنِي النَّجَّارِ،^(١)
فَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ فِي بَيْتِهِ، فَجَعَلَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ»، وَأَقَامَ فِي مَنْزِلِ أَبِي أَيُّوبَ
حَتَّى بَنَى حُجْرَتَهُ وَمَسْجِدَهُ، وَاسْتَحْضَرَ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ أَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ
مَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ،^(٢) وَلَمْ يَفْرَحْ إِلَّا أَنْصَارُ بِشَيْءٍ كَفَرَّ بِهِمْ بِقُدُومِهِ ﷺ،
وَمِثْلُهُ عَوْدَتُهُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ الْفَتْحِ الْأَعْظَمِ^(٣) وَأَيُّ شَرَفٍ وَفَخْرٍ وَسَعَادَةٍ
فِي الْحَيَاةِ وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، أَعْظَمُ مِنْ هَذِهِ السَّعَادَةِ الَّتِي أَفْتَخَرَ بِهَا شَاعِرُهُمْ
بِئْدِهِ الْأَبْيَاتُ:

تَوَى فِي قُرَيْشٍ بِضَعِّ شَرَّةٍ حِجَّةً يَذْكُرُ لَوْ يَلْقَى حَبِيبًا مُوَاتِيًا^(٤)
وَيَفْرَضُ فِي أَهْلِ الْمَوَاسِمِ نَفْسَهُ قَلَمَ يَرَمَنْ يُوَوِي وَلَمْ يَرْدَاعِيًا^(٥)

(١) هم قبيلة من الانصار وهم أخواله (ص) من جهة جده عبد المطلب فان
أمه سلمى بنت عمرو منهم (٢) أرسل (ص) زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما
بعميرين وخمسة درهم فاحضرا فاطمة وأم كلثوم ابنتيه وسودة بنت زمعة زوجته
التي تزوجها بعد خديجة وأسامة بن زيد وأمهم أم أيمن. وأما بنته زينب فلم يمكنها
زوجها أبو العاص بن الربيع من الخروج. وقد خرج مع هؤلاء عبد الله بن أبي
بكر بعيال أبي بكر ومنهم عائشة فزلوا في بيت حارثة بن النعمان (٣) هونج مكة
(٤) توى أقام والحججة بالسكر السنة والمضج ما بين ٣ الى ٩ أي أقام ثلاث عشرة
سنة بكفة يدكر ويعظ بالدعوة الى الله في أثنائها وانما دنا في عشر منها (٥) المواسم
مع الحج. فلم يرم من يؤويه أي يجعل له مأوى أي منزلا يامن فيه على نفسه ولم
يرداعيا الى ذلك أو الى الله بمساعدته ونصره
(المنار: ج ١٠) (٧٧) (المجلد التاسع عشر)

فَلَمَّا أَتَانَا وَأَسْتَقَرَّتْ بِهِ النَّوَى وَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَيْبَةِ رَاضِيَا^(١)
 وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى ظَلَامَةَ ظَالِمٍ بَعِيدٍ وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ بَاطِلًا^(٢)
 بِذَلَالَةِ الْأَمْوَالِ مِنْ حِلِّ مَالِنَا وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعْيِ وَالنَّاسِيَا^(٣)

نُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ
 جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُصَافِيَا^(٤)
 وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ أَصْبَحَ هَادِيَا^(٥)

اصفره وسبرته بحر الرحمة مع المؤمنين

وحاله مع أهل الكتاب والمشركين

كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَكْرَمَ الْخَلْقِ أَخْلَاقًا، وَأَعْلَاهُمْ فَضَائِلَ وَأَدَابًا، امْتَاَزَ
 بِذَلِكَ فِي عَهْدِ الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْرِكُ كُنْهَهُ بَعْدَ النَّبُوَّةِ، وَقَدْ
 خَاطَبَهُ الْعَبِيُّ الْعَلِيمُ، بِقَوْلِهِ (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، كَانَ جَاهِمًا بَيْنَ
 اللَّطْفِ وَالْتَوَاضُعِ وَالِدَّمَائَةِ، وَبَيْنَ الْعِزَّةِ وَالْوَقَارِ وَالْمَهَابَةِ، مَنْ رَأَاهُ

(١) النوى وجهة المسافر التي ينوبها بسفره. وطيبة المدينة. ويروى البيت في سيرة ابن هشام هكذا: فلما أتانا أظهر الله دينه فاصبح مسرورا بطيبة راضيا

(٢) الباغي المعتدي ويروى البيت هكذا

فاصبح لا يخشى من الناس واحدا قريبا ولا يخشى من الناس ناثيا

(٣) الوعى الحرب والتأسي مثل التعازي ما يتسلى به المرء عن المكاره

(٤) أي نعادي الذي عاداه من جميع الناس وان كان من قبل حبيبا لنا لا نؤثر عليه أحدا

(٥) يروى هذا البيت بالفاظ أخرى في سيرة ابن هشام وفيها أبيات

أخرى أيضا

بِدِيهَةٍ هَابَةٍ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ،^(١) وَجَامِعًا بَيْنَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ
وَالْحَيَاءِ، وَبَيْنَ الشَّجَاعَةِ وَالْحَزْمِ وَالْمَضَاءِ، فَكَانَ فِي حَوْمَةِ أَلُوَيْعِي
أَثَبَتَ النَّاسَ، وَكَانُوا يَلُودُونَ بِهِ إِذَا أَشَدَّ الْبَأْسَ^(٢)، حَتَّى إِذَا نَبَتْ
وَحَدَهُ فِي يَوْمٍ أُحُدٍ، وَاسْكِنَهُ لَمْ يَقْتُلْ بِيَدِهِ غَيْرَ أَبِي بِنِ خَلْفٍ^(٣)، وَإِنَّمَا
كَانَ يُدَافِعُ عَنِ نَفْسِهِ وَغَيْرِهِ دِفَاعًا، وَيُرْشِدُ الْمُفَاتِلِينَ بِالْتَّذِيرِ
وَالْتَّثْبِيتِ إِرْشَادًا، وَلَمْ يَكُنْ يَنْتَقِمُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يَجَازِي فِي الْحَقِّ
عَشِيرَتَهُ وَلَا أَبْنَاءَ جَنْسِهِ، وَكَانَ عَلَى حِلْمِهِ أَلُوَيْعِ، لَا تَأْخُذُهُ فِي
اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا يَحْمُ، وَكَانَ أَجْوَدَ مِنَ الرَّيْحِ الْمُرْسَلَةِ، وَالسُّحْبِ الْمُسْمَلَةِ،
وَكَانَ أَعْظَمَ النَّاسِ صَبْرًا، وَأَحْسَنَهُمْ لِلَّهِ وَاللِّنَّاسِ شُكْرًا،^(٤) وَكَانَ

(١) البديهية الفجأة أي من رآه مفاجأة من غير سابق معرفة خافه أو وقره
واجله لما يتجلى في شمائله من الروعة والهيبة، ومن خالطه أي عاشره مخالطة معرفة
أحبه لحسن خلقه وكال آدابه وشدة رحمته وعنايته بامر معاشره. وهذا الكلام من
وصف علي رضي الله عنه له صلى الله عليه وسلم (٢) البأس بالهزم ويخفف هنا
للتناسب وهو الشدة والمكروه والمراد هنا الحرب ونحوها من المكارة الشديدة
(٣) كان أبي من رموس المشركين وصناديدهم وكان يعلف فرساً له بكفة اسمه العود
ويقول اقتل عليه محمدا فبلغ النبي «ص» خبره فقال «بل انا اقتله ان شاء الله»
فلما كان يوم احد ونسكب المسلمون وانكشفتوا عن النبي «ص» اقبل ابي مقتعاً
بالحديد لا يرى من بدنه شيء وجعل يقول ابن هذا الذي يزعم انه نبي فليبرز لي
فانه ان كان نبيا قتلتني، فلما دنا من النبي «ص» اخذ النبي حربة من الحارث بن
الهدمة قطعنه بها طعنة جاءت في ترقوته من فرجة بين سابعة الدرع والبيضة التي
على الراس فسكر الخبيث منهزماً ومات من ذلك الجرح في طريقهم الى مكة قيل
بسرف وقيل براخ (٤) قال «ص» «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» رواه احمد
والترمذي عن ابي سعيد

يُحِبُّ الْيُسْرَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَيَسْكُرُهُ الْعُسْرَ وَيَنْهَى عَنْهُ (١)، يَا كُلُّ مَنِ
الطَّعَامِ مَا وَجَدَ، لَا يَأْتِي الْمُسْتَلْدَ مِنْهُ نُسْكَاءً، وَلَا يَتَحَرَّادُ نَعْمًا وَتَرْقًا،
وَلَسْكِينُهُ كَانَ يَعْشِي بِأَمْرِ الْمَاءِ (٢)، وَيُحِبُّ الطَّيِّبَ وَالنِّسَاءَ، وَكَانَ
يُكْثِرُ الْوَصِيَّةَ بَيْنَ وَبِالْيَتَامَى وَالْأَرْقَاءَ، لِيَمْنَحُوا مِنْ أَنْفُسِ النَّاسِ
أَحْتِقَارَ الضُّعْفَاءِ،

كَانَ ﷺ يُرَبِّي الْمُؤْمِنِينَ بِالْقُرْآنِ، وَبِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْخَلْقِ
الْعَظِيمِ وَالْعِرْقَانِ، فَأَخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا
يَتَقَاسَمُونَ الْمَالَ وَالْعَقَارَ، وَأَأْفَ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ تُلُوبِ الْأَوْسِ وَالْخِزْرَجِ
فَأَصْبَحُوا بِبِعْمَتِهِ تَعَالَى إِخْوَانًا، وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَعْدَاءً لَا يَأْلُو
أَحَدُهُمَا الْآخَرَ نَفْسِيًا وَعُدْوَانًا، وَكَانَ يُشَاوِرُ أَصْحَابَهُ فِي الْأَمْرِ،
وَيَسَاوِي بَيْنَهُمْ فِي الْأَقْبَالِ وَالْبِشْرِ، وَيُوقِّرُ كَبِيرَهُمْ وَيَرْحَمُ صَغِيرَهُمْ،
وَيُكْرِمُ فَقِيرَهُمْ، وَيَعُودُ مَرِيضَهُمْ، وَيَشْفِي مَيِّتَهُمْ، وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُمْ،
وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُمْ، وَيَسْكُونُ مَعَهُمْ كَأَحَدِهِمْ

فَأَمَّا الْيَهُودُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، الَّذِينَ كَانُوا فِي تِلْكَ الرَّحَابِ،
فَقَدَّ وَادَعَهُمْ وَأَفْرَهُمْ عَلَى دِينِهِمْ، وَأَأْمَنَهُمْ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
عَلَى أَنْ لَا يَحَارِبُوهُ، وَلَا يُظَاهِرُوا وَلَا يُوَالُوا (٣) عَدُوَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ لَهُمْ

(١) من وصاياه « يسروا ولا تعسروا، وشرؤا ولا تنفروا » رواه البخاري
ومسلم وغيرهما (٢) كان يحب الشراب إليه الخلو البارد كما في حديث عائشة في
الشمال وكان يستعذب له الماء من بيوت السقيا كما روى أبو داود والسقيا بالضم
عين على بعد يوم من المدينة أو أكثر (٣) أي لا يعاونوا ولا يناصرو

النَّصْرَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَيَنْفِقُونَ مَعَهُمْ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَأَنَّ لَهُمْ دِينَهُمْ
وَالْمُسْلِمِينَ دِينَهُمْ، سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ
مَا لَبِثُوا أَنْ تَقَضُوا عَهْدَهُ، وَظَاهَرُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ،
وَأَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَأَشْتَدَّتْ عِدَاوَتُهُمْ لَهُ، وَكَانُوا حَرْبًا لَهُ وَلِمَنْ
آمَنَ بِهِ، فَلَمْ يَسْتَفُوا بِإِخْرَاجِهِ وَإِخْرَاجِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ،
وَمَا كَانَ مِنْ تَعَذُّبِهِمْ لِمَوَالِيِهِمْ وَصُهُفَانِهِمْ وَنِسَائِهِمْ، لِأَجْلِ إِرْجَاعِهِمْ
عَنِ الْإِسْلَامِ، إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، حَتَّى صَارَ حَوْهُمْ
الْبَيْتِ وَالْعُدْوَانَ، فَلَمْ يَكُنْ لِلْمُسْلِمِ أَمَانٌ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَكَانٍ، إِلَّا
أَنْ يَمْنَعَهُ أَحَدُ الْأَقْوَامِ، أَوْ يَصُدَّهُمْ عَنْهُ الشُّهُرُ الْحَرَامُ أَوْ الْمَسْجِدُ
الْحَرَامُ، عَلَى أَنْ قُرِيشًا صَدَّتْهُمْ عَنِ الْبَيْتِ، بَعْدَ أَنْ قَلَدُوا الْهَدْيَ
وَأَحْرَمُوا بِالْعُمْرَةِ سَنَةَ ^(١)، حَتَّى صَالَحَهُمْ ^(٢) فِي الْحُدَيْبِيَّةِ ^(٣)،
— وَالْإِسْلَامُ عَلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْمُنْعَةِ وَالْقُوَّةِ ^(٤) —، عَلَى وَصْفِ
الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ، يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ مِنْ مُؤْمِنِينَ وَكَافِرِينَ، وَأَنْ
يَرْجِعَ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْعَامَ، وَيَخْلَوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ فِي الْعَامِ الْمُتَقْبِلِ ثَلَاثَةَ
أَيَّامٍ، وَأَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ آتَاهُ مِنْ أَصْحَابِهِمْ وَلَوْ بِقَصْدِ الْإِسْلَامِ،

(١) الاحرام وتقليد الهدي أي ما يهدي الى الحرم من الائمة دليل على عدم ارادة القتال (٢) الحديبية بالتخفيف كدويبية ويشدده أكثر الحديثين بترسمي باسمها الموضع الذي حولها (وقيل واد هناك) وهو على نحو مرحلة من مكة من أسفلها عن طريق جدة. وكان هناك قرية، قيل هي في الحل وقيل في الحرم وقيل بعضها في الحل وبعضها في الحرم وهو أبعد عن مكة

(٣) كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ١٤٠٠ رجل أو ١٥٠٠

وَلَا يَرُدُّوا عَلَيْهِ مِن آثَامٍ مِنَ أَصْحَابِهِ الْكِرَامِ ، وَكَانَ ﷺ
 قَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ ، أَنَّهُ قَدْ دَخَلَ السَّجِدَ الْحَرَامَ ، فَظَنَّ الْمُسْلِمُونَ أَن
 تَأْوِيلَ الرُّؤْيَا يَكُونُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ ، وَلِذَلِكَ أُسْتَدَّ عَلَيْهِمُ الْإِسْتِيَاءُ
 مِنَ الصُّلْحِ حَتَّى خِيفَتْ عَلَيْهِمُ الْفِتْنَةُ ، " لَوْلَا أَنِ اللَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَ
 عَلَيْهِمُ السَّكِينَةَ ، وَعَجَّلَ لَهُمْ بَعْضَ مَا وَعَدَّهُمْ ثُمَّ مِنَ الْمَغَانِمِ
 الْكَثِيرَةِ ، " (١) وَذَلِكَ بَرَهَانَ عَلَى إِتْبَارِهِ ﷺ لِلسَّلَامِ ، وَمَا كَانَتْ
 حُرُوبُهُ إِلَّا دِفَاعًا وَتَأْمِينًا لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ ، وَكَانَ أَكْبَرَ فَوَائِدِ
 ذَلِكَ الصُّلْحِ اخْتِلَاطُ الْمُسْلِمِينَ بِالْمُشْرِكِينَ ، وَإِتِّجَاعُهُمُ الْقُرْآنَ
 وَتَبْلِيغُهُمْ حَقِيقَةَ الدِّينِ ، وَإِرْسَالُ الرُّسُلِ لِتَبْلِيغِ الْمُلُوكِ الْمَجَاوِرِينَ ، (٢)
 فَصَارَ النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِيهِ آمِنِينَ مُقْتَنِينَ ، وَأَظْهَرَ الْإِسْلَامَ فِي هَذِهِ
 الْهُدْنَةِ ، مَنْ كَانَ يُخْفِيهِ بَيْنَ الْمُشْرِكِينَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ ، وَحَسِبُكَ أَنَّهُ تَعَالَى
 أَنْزَلَ سُورَةَ الْفَتْحِ ، فِي تَنْظِيمِ شَأْنِ هَذَا الصُّلْحِ ، مَبِينَةً مَا فِيهِ مِنَ
 الْحُكْمِ وَالْمَصَالِحِ ، وَمُسْتَبَلَّةً عَلَى أَخْبَارِ النَّبِيِّ وَالْوَعْدِ بِالنُّصْرِ وَالْمَغَانِمِ ،
 فَسَادُ فِتْنَتِ مَبِينَتَا ، وَأَعْقِبُهُ كَمَا وَعَدَّ نَصْرًا عَزِيزًا ، إِذْ كَانَ تَمْهِيدًا لِقِتْحِ

(١) لا صلح (ص) المشركين أمر المؤمنين بالتحلل من عمرتهم فلم يبادروا الى
 الامتثال لما عرّاهم من ذهول الحزن ، فدخل (ص) على أم سلمة وقال لها «هلك
 المسلمون ، وذكر لها ما كان فأشارت عليه بأن يخرج ولا يكلم أحدا حتى يخرج
 هديه ويحاق رأسه ، فخرج فقتل ذلك قبيحوه فنحروا وصار يخلق بعضهم بمضا
 حتى كاد بعضهم يقتل بعضها من الغم

(٢) عجل لهم فتح خير فقد عاد (ص) من المدينة في ذي الحجة فاقام في
 المدينة زهاء عشرين ليلة ثم خرج الى خيبر فتحها في الحرم أول سنة سبع
 (٣) ملوك جزيرة العرب والشام ومصر وقارس

مَكَّةَ ، الَّذِي أُنْمَ بِهِ النُّعْمَةُ ، وَأَزْدَادَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ إِنَانًا ، وَصَارَ
النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ،

وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ سَنَةَ ثَمَانَ ، وَفِي سَنَةِ عَشْرٍ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
حُجَّةَ الْوُدَّاعِ ، الَّتِي هَدَمَ فِيهَا قَوَاعِدَ الشِّرْكِ وَالْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ
الْإِسْلَامِ ، وَعَلَّمَ الْأَلُوفَ أَحْكَامَ الْمَنَاسِكِ (١) ، وَأَمَرَ بِأَنْ يُبَلِّغَ
الشَّاهِدُ مِنْهُمْ الْغَائِبَ ، وَأَشْهَدَ اللَّهُ تَعَالَى وَالْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّهُ بَلَغَ
مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ وَبَيَّنَّهُ تَبْيِينًا ، وَأَنْزَلَ تَعَالَى عَلَيْهِ فِي مَسَاءِ عَرَفَةَ (الْيَوْمَ
يُشَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ
أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا)

وَكَانَ ﷺ قَدْ أَقَامَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ بَدْءِ التَّبْلِيغِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَدْعُو
إِلَى أُصُولِ الْإِيمَانِ وَكَلِمَاتِ الدِّينِ ، وَتَرْكِيَةِ النَّفْسِ بِتَطْهِيرِهَا مِنْ
أَذْرَانِ الرَّذَائِلِ ، وَتَحْلِيلِهَا بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ وَعَقَائِلِ الْفَضَائِلِ ،
وَأَسْتِمَالِ نِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ بَدَنِيَّةٍ وَعَقْلِيَّةٍ ، وَسَمَاوِيَّةٍ وَأَرْضِيَّةٍ ،
فِيمَا تَطْهَرُ بِهِ بِحِكْمِهِ وَتُشَاهِدُ آيَاتِهِ فِي الْخَلْقِ ، وَتَتَّسِعُ بِهَا الْعُلُومُ
الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الْحَقُّ وَتَكْثُرُ مَوَارِدُ الرِّزْقِ ، صَابِرًا مَعَ السَّابِقِينَ مِنْ

(١) المناسك أحكام الحج، وقد اختلف في عدد من حج مع الرسول (ص) حجة
الوداع من ٤٠ ألفا إلى مئة وعشرين ألفا . وسبب هذا الاختلاف انه خرج من
المدينة بجماهير المسلمين فيها وفيما حولها وكان الناس ينضمون اليهم في الطريق عدا
من حج من سائر بلاد العرب

المؤمنين، على الأضطهاد والأذى من المشركين، ثم دخل الإسلام
 بالهجرة في عهد الخيرية، وتكونت له قوة العصبية، وجاء الوحي فيه
 مفصلاً أجمل في السور المكية من الأحكام، وبيان الحلال والحرام،
 وبيئت السنة النبوية بجميع فروع العبادات، وكل ما يحتاج إليه من
 النصوص والقواعد للسياسة وفروع المعاملات، فبذلك كله أكمل
 الله الدين، وأتم نعمته على المؤمنين، وقد تربى على ذلك الألواف من
 المهاجرين والأنصار، فنشروا هذا الدين القويم في الأقطار والأمصار،
 فأروا أمم الحضارة والأديان القديمة، من العدل والرحمة والسيرة
 القوية، ما لم يروا مثله بأعينهم، ولا رَوَوْا نظيرَهُ عن أحدٍ من
 قبليهم، وقد كانت مدة التشريع بمدة الهجرة، كمدة التبليغ بمدة
 البعثة (١) فبمدهججة الوداع بثلاثة أشهر (٢) قبض الله تعالى إليه نبيه
 المصطفى، ورسوله المجتبي، ورفَعَ رُوحَهُ الطاهرة إلى الرفيق
 الأعلى، فتوفي ﷺ تاركاً للامة ما إن تمسكوا به لن يضلوا من بعده،
 كتاب الله وسنته في تبيينه وعترته العابدِين بهما من أهل بيته، (٣)

(١) أي عشر سنين (٢) توفي (ص) يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة احدى
 عشرة وكذلك كانت ولادته وبعثته وهجرته في يوم الاثنين . وفي ذلك اشارة الى
 ان الايمان به يلي الايمان بالله تعالى ، والشهادتان شاهدتان على ذلك (٣) روى مسلم
 في صحيحه من طرق عن زيد بن ارقم قال : قام فينا رسول الله (ص) خطيباً جاء
 يدعى ثمماً بين مكة والمدينة حمد الله وأثنى عليه وه عظم وذكر ثم قال « أم بعد
 الا أها الناس فانما أنا بشر يوشك ان يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين
 أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به - - - -
 علي كتاب الله ورغب فيه ثم قال - - - وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي - - -

وَكَذَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، ^(١) وَعُلَمَاءُ أَصْحَابِهِ الْعَامِلُونَ ^(٢) ، مُؤَسَّسًا

أذ كرم الله في أهل بيتي، أذ كرم الله في أهل بيتي « وفسر زيد أهل بيته بمن حرم عليهم الصدقة قال وهم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس . ويقول آخرون هم علي وذريته من فاطمة عليهم السلام . ولعمري انهم كانوا أحفظ الناس لهديه حتى عند ظهور البدع وفتن الدنيا ولا يخلو عصر من طائفة منهم أو أفراد من الهداة المصلحين ، وان فتن الكشيرون منهم بغلاة المهجين ، فكانت فتنهم لهم أعم وأدوم من فتنه الامراء الظالمين، اذ كان من أثرها في ذريتهم أن ترك اكثرهم العلم والاعمال النافعة استغناء عنهما بشرف النسب، غافلين عن قول جدهم علي المرتضى كرم الله وجهه: قيمة كل امرئ ما يحسنه . والله در بيت الامامة في اليمن منهم فانهم لم يتركوا الاجتهاد في علوم الدين والمحافظة على الامامة الى اليوم. والنقل بالضم وبفتحتين الشيء النفيس المصون وكذا متاع المسافر وحشمه . قال النووي قال العلماء سميا ثقلين اعظمهما وكبير شانهما وقيل لثقل العمل بهما . وروى الترمذي من حديث جابر قال رأيت رسول الله (ص) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي - أحدهما أعظم من الآخر - كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض، وعترتي أهل بيتي وان يترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما » وروى احمد والطبراني من حديث زيد بن ثابت مرفوما « اني تارك فيكم خليفتي كتاب الله حبل ممدود بين السماء والارض وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض » وعلم عليه السيوطي بالضححة . وروي نحوه من حديث أبي سعيد وحذيفة بن اسيد وروواته كثيرون وطرقه متعددة ذكرنا أصحابها . وروي حديث معناه عن أبي هريرة وفيه لفظ السنة بدل العترة ومعناه صحيح ولا معارضة بينه وبين الآخر الذي هو أصح منه رواية. ويؤيده حديث مرسل في الموطأ

(١) ورد في مناقب الخلفاء الاربعة أحاديث كثيرة في الصحاح وغيرها وورد لفظ الخلفاء الراشدين في حديث العرابض بن سارية عند أبي داود والترمذي « فمليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » الخ
(٢) ورد في فضل أصحابه « ص » أحاديث كثيرة منها في صحيح مسلم انهم أمانة لأمتهم فاذا ذهبوا أتاها ما يوعدون . ومعنى أمانة حفظة على الدين ، ومنها الحديث الصحيح « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » الخ رواه الشيخان وغيرها . والقرن العصر طال أو قصر

لَهُمْ أُمَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَدَوْلَةٌ عَادِلَةٌ رَحِيمَةٌ، وَحُكُومَةٌ شُورَوِيَّةٌ حَكِيمَةٌ،
 قِيدَتْ فِيهَا سُلْطَةُ الْفَرْدِ، بِالشَّرِيعَةِ الْعَادِلَةِ وَسَيْطَرَةِ أَهْلِ الْحَلِّ
 وَالْعَقْدِ، ^(١) مُبَشِّرًا بِأَنَّ مُلْكَهَا سَيَمُّهُ الشَّرْقُ وَالْمَرْبُ، وَيَنْتَظِمُ مُلْكُ
 كِسْرَى وَتَيْصَرَ، وَأَنَّهُ يَظَلُّ عَزِيزًا مَا أَقَامُوا الْحَقَّ وَأَعْتَصَمُوا بِالْعَدْلِ،
 فَإِذَا وَسَدُوا الْأَمْرَ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَلْيَنْتَظِرُوا سَاعَتَهُمُ الْمَضْرُوبَةَ
 لِفَقْدِهِ، ^(٢) وَبِأَنَّهُ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِهِ ظَاهِرَةٌ عَلَى الْحَقِّ قَوَامَةً
 عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ وَيَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ ^(٣)
 وَقَدْتُمْ كُلُّ مَا بَشَّرَ بِهِ وَأَنْذَرَ، وَلَا تَزَالُ آيَاتُ نَبِيِّهِ تَتَجَدَّدُ
 وَتَتَكَرَّرُ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَن قَوْمِهِ، وَرَسُولًا
 عَن أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللَّهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ، ^(٤) وَسَلَامٌ
 عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

(١) الاسلام هو الذي شرع للناس شكل الحكومة التي يسمونها الديمقراطية
 فاقامها الراشدون بالعمل ثم هدمت بالتدرج (٢) اشارة الى حديث أبي هريرة عند
 البخاري « اذا وسد الامر الى غير اهلها فانتظروا الساعة » (٣) اشارة الى ما ورد
 في الصحيحين والسنن من الاحاديث كحديث ثوبان « لا تزال طائفة من امتي ظاهرين
 على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى ياتي امر الله وهم كذلك » وحديث المعيرة « لن
 يزال قوم من امتي ظاهرين على الناس حتى ياتيهم امر الله وهم ظاهرون » واللفظان
 هنا لمسلم وليس في البخاري « على الناس » وفي احاديث اخرى ذكر عصاة تقاتل
 على الدين أي على حفظه. وذكر النووي ان الطائفة لا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل
 يجوز اجتماعهم في قطر أو بلد ويجوز تفرقهم، وذكر ان منهم الفقيه والحديث والمفسر
 والمقاتل والقائم بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والزاهد والعابد . اي لان اقامة
 الحق تكون بالعلم بالكتاب والسنة وبهما وبالعامل بهما وبالدفاع عنه بالحجة وبالقوة
 (٤) ذكر المباركة هنا مع الصلاة لمواقفة الصلاة الابراهيمية المشروعة في الصلوات،
 والحمد لله على نعمه التي تم بها الصالحات

علماء بغداد في القرن السادس

ومكانتهم في الوعظ والتذكير

قال الرحالة ابن جبير الاندلسي بمدان وصف بغداد بأنها أمست بالنسبة الى ما كانت كالاطال الدارس وانتقد أخلاق أهلها ومماثلتهم وغرورهم بيلدهم ما نصه :

استغفر الله الا فتهاهم المحدثين ، ووعاظهم المذكورين ، لاجرم ان لهم في طريقة الوعظ والتذكير ، ومدارمة التنبيه والتبصير، والمثابرة على الانذار المخوف والتحذير ، مقامات تستنزل لهم من رحمة الله تعالى ما يحبط كثيرا من أوزارهم ، ويسحب ذيل العفو على سوء آثارهم ، ويمنع القارعة الصماء أن تحمل بديارهم ، لكنهم معهم يضربون في حديد بارد ، ويرومون تفجير الجلامد ، فلا يكاد يخلو يوم من أيام جمعاتهم من واعظ يتكلم فيه ، فالموفق منهم لا يزال في مجلس ذكر أيامه كلها لهم في ذلك طريقة مباركة ملتزمة ، فأول من شاهدنا مجلسه منهم الشيخ الامام رضي الدين القزويني رئيس الشافعية ، وفقهه المدرسة النظامية ، والمشار اليه بالتقديم في العلوم الاصولية ، حضرنا مجلسه بالمدرسة المذكورة إثر صلاة العصر من يوم الجمعة الخامس لصفر المذكور ، فصعد المنبر وأخذ القراء امامه في القراءة على كراسي موضوعة ، فتوقفوا وشوقوا وأثوا بتلاحين معجبة ، ونمات محرجة مطربة ، ثم اندفع الشيخ الامام المذكور نخطب خطبة سكون ووقار، وتصرف في أفانين من العلوم من تفسير كتاب الله عز وجل، ويراد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتكلم على معانيه، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، وتقدم وما تأخر ، ودفعت اليه عدة رقاع منها، فجمها جملة في يده وجعل يجاوب على

كل واحدة منها وينبذها الى أن فرغ منها، وحاز المساء فنزل وافترق الجمع، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ وقورا هينا لينا، ظهرت فيه البركة والسكينة، ولا سيما آخر مجلسه، فانه سرّت خميا وعظه الى النفوس حتى أطارتها خشوعا، وجفرتها دموعا، وبادر التائبون اليه سقوطا على يده ووقوعا، فكم ناصية جزّ، وكم مفصل من مفاصل التائبين طبّق بالموعظة وحز، فبه مثل مقام هذا الشيخ المبارك رحم المصاة، وتتعمدا الجناة، وتستدام العصاة والنجاة، والله تعالى يجازي كل ذي مقام عن مقامه، ويتعمد ببركة العلماء الاولياء عباده العاصين من سخطه وانتقامه، برحمته وكرمه انه المنعم الكريم لارب سواه ولا معبود الا اياه

وشهدنا له مجلسا ثانيا أُر صلاة العصر من يوم الجمعة الثاني عشر من الشهر المذكور، وحضر ذلك اليوم سيّد العلماء الخراسانية، ورئيس الأئمة الشافعية، ودخل المدرسة النظامية بهزّ عظيم وتطريف آماق تشوقت له النفوس، فأخذ الامام المتقدم الذكر في وعظه مسرورا بحضوره ومتجملا به، فأبى بأفانين من العلوم على حسب مجلسه المتقدم الذكر، ورئيس العلماء المذكور هو صدر الدين الخجندی المتقدم الذكر في هذا التقييد المشتهر المآثر والمكارم، المقدم بين الاكابر والاعاظم، ثم شاهدنا صبيحة يوم السبت بعده مجلس الشيخ الفقيه الامام الاوحد جمال الدين أبي الفضائل ابن علي الجوزي بازاء داره على الشط بالجانب الشرقي وفي آخره على اتصال من قصور الخليفة ومقربة من باب البصلية آخر أبواب الجانب الشرقي، وهو يجلس به كل يوم سبت، فشاهدنا مجلس رجل ليس من عمرو ولا زيد، وفي جوف القرا كل الصيد، آية الزمان

وقرة عين الايمان، رئيس الحنبلية، والمخصوص في العلوم بالرتب العلية، إمام الجماعة، وفارس حلبة هذه الصناعة، والمشهور له بالسبق الكريم في البلاغة والبراعة، مالك أزمة الكلام في النظم والنثر، والفائض في بحر فكره على نقاش الدر

فأما نظمه فرضي^١ الطباع، مهياري الانطباع، وأما اثره فيصدع بسحر البيان، ويمطل المثل بقس وسحبان، ومن أبهر آياته، وأكبر معجزاته، انه يصمد المنبر ويتدى^٢ القراء بالقراءة وعدد ثم نيف على العشرين قارئاً، فينتزع الاثنان منهم أو الثلاثة آية من القرآن يتلونها على نسق بتطريب وتشويق، فاذا فرغوا تلت طائفة أخرى على عددهم آية ثانية، ولا يزالون يتناوبون آيات من سور مختلفات، الى ان يتكاملوا قراءة وقد أتوا بآيات مشتبهات، لا يكاد المتقد الخاطر يحصلها عدداً، أو يسميها نسقاً، فاذا فرغوا أخذ هذا الامام الغريب الشأن في ايراد خطبته عجلاً مبتدراً، وأفرغ في أصداف الاسماع من الفاظه درراً، وانتظم أوائل الآيات المقرآت في أثناء خطبته فقراء، وأتى بها على نسق القراءة لها لا مقدماً ولا مؤخراً، ثم أكل الخطبة على قافية آخر آية منها، فلو ان أبدع من في مجلسه تكلف تسمية ما قرأ القراء به آية آية على الترتيب لسجز عن ذلك، فكيف بمن ينتظمها مرتجلاً، ويورد الخطبة الغراء بها عجلاً؟ (أفسح هذا أم أتم لا تبصرون؟) ان هذا هو الفضل المبين. فحدث ولا حرج عن البحر، وهيئات ليس الخبر عنه كالخبر، ثم انه أتى بعد ان فرغ من خطبته برقائق من الوعظ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً، وذابت بها الانفس احتراقاً، الى ان عجا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح، وتساقطوا

عليه تساقط الفراش على المصباح، كل يلقي ناصيته بيده فيجزها، ويمسح على رأسه داعياً له، ومنهم من يمشي عليه، فيرفع في الأذرع إليه، فشاهدنا هولاً يملأ النفوس انابة وندامة، ويذكرها هول يوم القيامة، فلولم تركب ثبج البحر، ونعتسف مغازات القفر، الا لمشاهدة مجلس من مجالس هذا الرجل لكانت الصفة الراجحة، والوجه المفلحة الناجحة، والحمد لله على ان من بقاء من يشهد الجمادات بفضله، ويضيق الوجود عن مثله، وفي أثناء مجلسه ذلك يتدرون المسائل وتطير اليه الرقاع فيجاوب أسرع من طرفة عين، وربما كان أكثر مجلسه الرائق من نتائج تلك المسائل، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء لا إله سواه .

ثم شاهدنا مجلساً ثانياً له بكرة يوم الخميس الحادي عشر لعصر بياب بدر في ساحة قصور الخليفة ومناظره مشرفة عليه، وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخص بالوصول اليه والتكلم فيه ليسمع من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم، ويفتح الباب للامة فيدخلون الي ذلك الموضع، وقد بسط بالحصر وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس، فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور، وقعدنا الى أن وصل هذا الخبر المتكلم فصعد المنبر وأرخى طيلسانه على رأسه تواضعاً لحرمة المكان، وقد تسطر القراء امامه على كرسي موضوعة فابتدروا القراءة على الترتيب، وشوقوا ماشاؤا، وأطربوا ما أرادوا، وبادرت العيون بإرسال الدموع، فلما فرغوا من القراءة وقد أحصينا لهم تسع آيات، من سور مختلفات، صدع بخطبه الزهراء الفراء وأتى بأوائل الآيات في أثناءها منتظرات، ومشي الخطبة على فقرة آخر آية منها في الترتيب الى أن أكلمها، وكانت الآية (الله

الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس) فتمادى على هذا السين، وحسن أيّ تحسين، فكان يومه في ذلك أعجب من أمسه، ثم أخذ في الثناء على الخليفة والدعاء له ولوالدته، وكنى عنها بالستر الاشرف، والجناب الاوآف، ثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لارويته، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقرآت على النسق مرة أخرى، فأرسلت وابلها العيون وأبدت النفوس سرشوقها المكنون، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين، وطاشت الالباب والمقول، وكثر الوله والذهول، وصارت النفوس لا تملك تحصيلا، ولا تميز معقولا، ولا تجد للصبر سبيلا، ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار من النسيب مبرحة التشويق، بديعة الترقيق، تشعل القلوب وجداء، ويعود موضوعها النسيبي زهدا. وكان آخر ما أنشده من ذلك وقد أخذ المجلس

مأخذه من الاحترام، وأصاب المقاتل سهام ذلك الكلام

أين فؤادي أذابه الوجدُ وأين قلبي فما صحا بمدُ

ياسعد زدني جوى بذكرم بالله قل لي فديت ياسعدُ

ولم يزل يرددها والاقمال قد أرفيه، والمدامع تكاد تمنع خروج الكلام من فيه، الى أن خاف الاخام فابتدر القيام، ونزل عن المنبر دها عيلا، وقد أطار القلوب وجلا، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر، فن معلن بالالتعاب، ومن متعفر في التراب، فياله من مشهد ما أهول مرآه، وما أسعد من رآه، نعمنا الله ببركته، وجعلنا ممن فاز به بنصيب من رحمته، بمنه وفضله.

وفي أول مجلسه أنشد قصيدا نير القيس عراقي النفس في انظيفة أوله

في شغل من الغرام شاغل من هاجه البرق بسفح عاقل
يقول فيها عند ذكر الخليفة

يا كلمات الله كوني عوذة من العيون للامام الكامل

فلما فرغ من انشاده وقد هز المجلس طربا ثم أخذ في شأنه، وتنادى
في ايراد سحر بيانه، وما كنا نحسب أن متكلمنا في الدنيا يعطى من ملكة
النفوس والتلامب بها ما أعطي هذا الرجل، فسبحان من يخص بالكمال
من يشاء من عباده لا إله غيره

وشاهدنا بعد ذلك مجالس لسواه من وعاظ بغداد ممن نستغرب شأنه
بالإضافة لما عهدناه من متكلمي الغرب، وكنا قد شاهدنا بمكة والمدينة
شرفها الله مجالس من قد ذكرناه في هذا التقييد فصغرت بالإضافة لمجلس
هذا الرجل الفذ في نفوسنا قدرا، ولم نستطع لها ذكرا، وأين تقمان مما أريد،
وشتان بين الزيديين، وهيبات الفتيان كثير، والمثل بمالك يسير،

وثرنا بعده بمجالس يطيب سماعه، ويروق استطلاعها، وحضرنا له مجلسا
ثالثا يوم السبت الثالث عشر لصفرة بالموضع المذكور بازاء داره على الشط
الشرقي فأخذت معجزاته البيانية مأخذها، فشاهدنا من أمره عجبا، صعد
بوعظه أنفاس الحاضرين سحبا، وأسأل من أدمعهم وأبلاسكبا، ثم جعل
يردد في آخر مجلسه آياتا من النسيب شوقا زهديا وطربا، الى أن غلبته
الرقعة فوثب من أعلى منبره والهوا مكتنبا، وغادر الكل متندما على نفسه
متتعبا، لهفان ينادي يا حسرتا واحربا، والنادبون يدورون بنحبيهم دور
الرحى، وكل منهم يمدُّ من سكرته ما صححا، فسبحان من خلقه عبرة لأولي
الالباب، وجعله لتوبة عباده أقوى الأسباب، لا إله سواه .

الدكتور شبلي شميل

في اليوم الاول من هذه السنة الميلادية سنة (١٩١٧) اغتالت المنية الطيب النطاسي ، الحكيم الاجتماعي ، العالم الطبيعي ، الاديب الكاتب ، الناظم النثر ، الدكتور شبلي شميل الشهر بتصانيفه ومقالاته العلمية والاجتماعية في المجلات والجرائد العربية والفرنسية

كان شبلي فذا نادر المثل في مجموعة علومه واعماله وافكاره وأخلاقه والذي يحملنا على ترجمته انه كان من طلاب الاصلاح المدني والتجديد الاجتماعي المخلصين — وقليل ما هم — لامن الذين اتخذوا العلم ذريعة لجمع المال ولا وسيلة للجهاد كما هو شأن السواد الاعظم من المتعلمين ، فهو لم يدخر مالا ولم يتأثر عقارا ، ولم يصرف جل أوقاته للكسب ، بل كان اشتغاله بالامور الاجتماعية أكثر من اشتغاله بالطب ، ومثل هذا يكون مؤثرا في أهل جيله تأثيرا نافعا أو ضارا لا كالأذين يعدون من العلماء بورقة شهادة يحملها كل منهم بيده ونرى أنه يعيش عمرا طويلا ثم يموت كما يموت العصفور لا يترك أثرا في جيله ينسب اليه. لهذا نذكر عن هذا الرجل أهم ما نرى فيه العبرة من ترجمته فنقول :

كان أول من نشر مذهب دارون باللغة العربية وانتصر له وناضل دونه اذ كان رجال الدين ولا سيما الكاثوليك الذين نشأ شميل على مذهبهم يعدون هذا المذهب من دعائم الكفر ، ولم يكتف الرجل بذلك بل كان يصرح قولا وكتابة بالتعطيل والاحاد ، ولم يتجرأ أحد قبله على ما تجرأ عليه من ذلك فيما نعلم مع كثرة الذين زاغت عقائدهم من المتعلمين على الطريقة الاوربية الحديثة. ومن الغريب أن نرى المحامين عن النصرانية وكتبها الدينية كاليسوعيين (الجزويت) لم يتصدوا للرد على الدكتور شميل كدأبهم في الرد على أمثاله من كتاب الشرق والغرب ، وقد كانت مجلاتهم (المشرق) واقفة بالمرصاد للمقتطف والهلال وغيرها من الصحف المنشورة كلما نشر فيها شيء يخالف الدين أو المذهب الكاثوليكي ردوا عليه أشد الرد . فاذا كان

(المنار: ج ١٠) (٧٩) (المجلد التاسع عشر)

الجزويت لم يشنعوا على الدكتور شبلي شميل كما شنعوا على من لم يجهر بمثل ما جهر به فلا عجب اذا سكث عنه من دونهم عصبية وعناية بهذا الامر ، وأكبر ما بلغنا من مقاومة بعض القسيسين له أنهم كانوا ينهون بعض الناس سرًا عن دعوته لمعالجة مرضاهم . وجهور المتعلمين على الطريقة العصرية من السوريين في مصر وسورية وأمريكا يحبون الدكتور شميل ويعدونه من دعاة الاصلاح الاجتماعي المخلصين ومنهم من ينلو فيه ، أما النصارى منهم — وهم الاكثرون — فلا يرون عدم تدينه ما لنا من اصلاحه الاجتماعي اذ لا علاقة للدين بذلك عندهم ، ولا شك في كون هذا من نساھلهم الذي قاربوا به الافرنج ، وأما المسلمون فلا يرون مروقه من عقيدته التي نشأ عليها مبعدا له عنهم لانها ليست عقيدتهم فهو في نظرهم طيب عالم اجتماعي غير مسلم ، ولكنه أقرب من غيره من المخالفين لهم الى التساهل والانصاف لحرية واستقلال فكره . وله أصدقاء من مسلمي مصر لعلمهم يزيدون على أصدقائه من مسلمي سورية الذين لا يعرفه أكثرهم الا بالسمع

وأمامذهب دارون فقد تكلم بعض علماء المسلمين فيه وفي مخالفته لظواهر النصوص في خلق آدم عليه السلام، ولم يجعلوا ذلك ردا على الدكتور شميل لانه لم يكن صاحب المذهب ، وقد سبق أشياخنا الى الرد على مذهب دارون وأول ما رأيناه في ذلك ما أبرزه لنا الاستاذ الامام في ترجمته لرسالة استاذه الحكيم السيد جمال الدين التي سماها الرد على الدهريين . ثم ما كتبه استاذي الذي تخرجت على يديه الشيخ حسين الجسر في الرسالة الحميدية فهو قد تلخص هذا المذهب وبين أن دلائله في أصل البشرية لم تصل الى درجة القطع ، وأنها لو ثبتت وصارت يقينية لا تكون حجة على الاسلام لا يمكن تأويل ظواهر النصوص الواردة في الكتاب والسنة في خلق آدم . وقد أقر أكابر علماء سورية شيخنا على تلك الرسالة وترجمت بالتركية فأقرها علماء الترك ، وكافاه السلطان عبد الحميد على خدمته للاسلام بها برتبة هلمية عالية وراتب شهري . ورغب اليه ان يكون من شيوخ قصره فاعتذر وعاد الى طرابلس الشام بعد ان أقام في قصر يلدز عدة شهورا ضيفا مكرما عند السلطان . وأما علماء الازهر فقد اطلع كثير منهم على الرسالة الحميدية وأعجب بها . ولكن لم

نسمع ان أحداً منهم كتب في موضوعها شيئاً
بيننا رأيي المسلمين الذين يعرفون الدكتور شبلي فيه وانهم كانوا يرونه أقرب إلى
التساهل والانصاف، ويبان ذلك انه كان يقول انه لا يوجد دين اجتماعي يتفق مع
مصالح البشر المدنية الا دين القرآن. سمعت هذا منه غير مرة. وأخبرني أنه طالما خطر
في باله ان يجمع ما في القرآن من الآيات الواردة في المسائل الاجتماعية والادبية
ويفسرها تفسيراً علمياً اجتماعياً. وأنه قد حاول هذا الجمع فحصل عليه تجريد ما أراد
لما في القرآن من المزج بين هذه المسائل والمسائل الروحية الاخرى. وقال لي
انك أقدر مني على تجريد ما أريد فلو فعلت لكان تفسيري نافعا لك فيما تتوخاه
من التوفيق بين الاسلام والعلم المصري والحضارة المصرية ومن نشر محاسن
الاسلام بين الناس لان الوفا من الناس يقرؤون تفسيري ولا يقرؤون تفسيرك
وأما رأيه في نبينا صلى الله عليه وآله وسلم فهو انه كان يفضل على جميع البشر
وقد كتب الي منذ تسع سنين كتاباً أودعه أياً من الشعراء في ذلك : هذا نفسه :

الى غزالي عصره السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار
أنت تنظر الى محمد كني فتجمله عظيماً وانا أنظر اليه كرجل واجمله أعظم . ونحن
وان كنا في الاعتقاد (الدين أو المبدأ الديني) على طرفي تقيض فالجامع بيننا العقل
الواسع والاخلاص في القول وذلك أوثق بيننا امرى المودة .

من صديقك الدكتور شبلي

﴿ الحق أولى أن يقال ﴾

دع من محمد في سدى قرآنه	ما قد نحاه للحمية الغايات
أني وإن ألك قد كفرت بدينه	هل أكفرن بمحكم الآيات
أوما حوت في ناصع الالفاظ من	حكم روادع للهوى وعظايات
وشرائع لوائهم عقلاؤها	ما قيدوا العمران بالعادات
نعم المدبر والحكيم وانه	رب الفصاحة مصطفى الكلمات
رجل الحجاو جل السياسة والدها	بطل حليف النصر في الفارات
بلاغه القرآن قد خلب النهي	وبسيفه أنهى على الهامات

من دونه الابطال في كل الوري من سابق أو لاحق أو آت
وقد نشرنا هذا الكتاب والاييات في (ج ١ م ١١) في معرض الرد على
البرنس كايثاني في زعمه أن نجاح النبي (ص) كان في كفاءته من حيث هو سيامي
مخلك أكثر من نجاحه من حيث هونبي، وإن حنكته وسياسته أفادا أكثر من افادة
القرآن. رددنا على صاحب هذا القول وعلى المؤيد الذي نقل كلامه وأقره وعلى
الدكتور شميل فيما زعمه من أن النبي (ص) أفضل من حيث كونه رجلا منه من
حيث كونه نبيا. وسألنا الله تعالى أن يهديه الى الباقي من مزايا كتابنا ورسولنا (ص)
وهو المهم الاعظم المتعلق بأمر الدين والآخرة الذي أشار اليه في البيت الاول وكفر
به في البيت الثاني، فقد صرح لنا بأن مراده بلحمة الغايات أمور الآخرة
ان الدكتور شبلي شميل قد اهتدى بالاطلاع على القرآن الحكيم الى ما فيه من
الحكم الروادع للهوى والشرائع الموافقة لاصول العمران حتى في هذا الزمان .
وبالاطلاع على سيرة النبي (ص) الى كونه قد فاق جميع أبطال البشر وعظماهم —
ويدخل فيهم عنده أكابر الانبياء عليهم السلام وكبار الساسة وقواد الحروب وأهل
الفصاحة والادب . فلو ان الدكتور تأمل فيما اهتدى اليه من هذين الامرين وكان
مؤمن بالله تعالى لجزم بكونه نبيا مرسلا من عنده عز وجل ، لان ما امتاز به كتابه
وما امتاز به شخصه على جميع البشر من سابق أو لاحق أو آت إنما كان بعد ان
بلغ أربعين سنة في الامية بين أهل الشرك والجاهلية فهل يعقل أن يحدث هذه المزايا
العلمية العملية الادبية العمرانية الحربية السياسية الاجتماعية لرجل في سن الكهولة دفعة
واحدة ؟ كلا ان هذا لا يعقل أن يكون الا بوحى وتأيد من الله عز وجل . ولكن
كثيرا من الباحثين في مثل هذه المسألة يبحثون فيها من جهة واحدة منصرفين عن
سائر الجهات فلا يحيطون بسائر أطراف المسألة ، والصوارف عن أمثال هذه
المباحث كثيرة أظهرها كون انكار الاديان عندهم من القضايا المسلمات، وكنت أرى
ان للدكتور شبلي شميل مانعا قلما يشاركه فيه غيره في بلاده وهو عده الجرأة على التصريح
بالتعطيل مزية من المزايا العظيمة التي انفرد بها، وحب الامتياز من فرائض البشر الراسخة
فمن رأى نفسه قد انفردت بشيء منه قلما يفكر ويبحث في شيء من شأنه أن يذهب

بما انفرد به . على ان رجال الدين الذين على مذهب أسرته الذي نشأ عليه ثم ارتد عنه قد حكموا بأنه تاب من رذته وعاد قبل الموت الى دينه ومذهبه الاولين واذللك جنزوه وصلوا عليه في كنيستهم ودفنوه في مقابرهم ، وجاهير الناس يرتابون في ذلك أو يجزمون بخلافه ويعدون هذا من غرائب تساهل الكاثوليك

كان الدكتور شبلي شميل من دعاة الاشتراكية وهو مستقل برأيه فيها غير مقلد لطائفة من طوائفها ، وكان ماديا في آرائه وأفكاره الا انه كان متحملا بكثير من الاخلاق الحسنة المحموده التي يضاد بعضها ما تقتضيه الافكار المادية التي غلبت على عقله وخياله ، كالرأفة والسخاء والصدق والوفاء والنجدة والمروءة والشجاعة وغير ذلك . وان تحلي بعض المعطلين بالفضائل من أقوى الشبهات على الدين في هذا العصر ، فاننا نسمع كثيرا من المرتابين أو الراسخين في الكفر يقولون أي حاجة للناس في الدين وانا نرى كثيرا من المصلين الصائمين منغمسين في المعاصي والذائل ، بل نرى كثيرا من رؤساء الاديان الرسميين كذابين طماعين أدنياء بخلاء لا يرجي منهم معروف ، ونرى فلانا وفلانا مما لا دين لهم متحمليين بالاخلاق الفاضلة والآداب العالية والسبق الى عمل المعروف وقد أجببت عن هذه الشبهة في المنار غير مرة واتخذت تأبين الدكتور فرصة لبيان ذلك للجمهور

في اليوم المتمم الاربعين من تاريخ وفاته أقام النادي السوري في القاهرة حفلة تأبين للدكتور الذي هو من نوابغ السوريين بلاخلاف أجاب الدعوة اليها مئات من أهل العلم والادب والوجاهة من سكان القاهرة على اختلاف مذاهبهم ونحلهم ففص النادي بهم ، وافتتح الجلسة رئيسها احمد حشمت باشا بخطبة وجيزة أطرى فيها المؤبن اطراء كبيرا . ثم دعي الدكتور بعتوب صروف الى الكلام في علم الدكتور شميل وهو أعلم الناس به وبعلمه فجاء من ذلك بخلاصة جمعت فأوعت . ثم دعيت الى الكلام على أخلاقه فقلت ما خلاصته على ما أتذكر الآن :

« أشكر لادارة النادي السوري اختيارهم اياي للكلام في أخلاق الدكتور شبلي شميل فان الكلام في الاخلاق أحب الي لان أثرها في حياة الناس العملية أعظم من أثر العلم لان العلم يبين طرق العمل ، والاخلاق هي التي تبعث عليه وتهدي

الى الغاية منه، فحسن الاخلاق هو الذي يجعل العلم نافعا وسوء الاخلاق قد يجعله ضارا،
وله لك شبه حكماؤنا علم فاسد الاخلاق بالسيف في يد المجنون، وانسانا نرى مبلغ
تأثير ضرر العلم بسوء استعماله في الحرب الاوربية الحاضرة التي كان الموقد لنهايتها
بعض الاخلاق المذمومة من الطمع والكبر وحب العلو واستعباد الاقوياء للضعفاء.
على ان العمل النافع لا يرتقي الا بالعلم، وما ساد بعض الامم على بعض الا بالعلم،
(هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وانما تظهر حقيقة المرء وتعرف
تربته ببيان علمه وأخلاقه وأعماله، وقد أحسن النادي باختيار العلامة الدكتور
صروف للكلام على علم الدكتور شميلي فهو أعلم منا بهذه العلوم وبمكان الرجل منها
وقد جاء بفصل الخطاب في ذلك

كان الدكتور شميلي متحمليا بعدة من الاخلاق الحميدة التي لا يرتقي العمران
البشري الا بكثرة المتحملين بها في الامم كالصدق واستقلال الرأي والشجاعة والسموات
والسمحاء والوفاء والنجدة والمروءة والرافقة، يعرف له ذلك كل من عرفه، وكل خلق
من هذه الاخلاق له تأثير في أعمال الناس ومعاملاتهم ولا يمكن بيان ذلك بالتفصيل
في وقت قصير محدود كوقتنا هذا وانما أشير الى بعض ذلك بالايجاز فأقول:

ان من أضر مفاصد الكذب طمس الحقائق وابطال ثقة الناس بعضهم ببعض
فالكذاب لا يوثق بخبره ولا بعلمه ولا برأيه ولا يمكن أن يرتقي قوم فقدت الثقة
من بينهم. ومن أكبر بواعث الكذب الجبن ولولا ما أوتي الدكتور شميلي من
الجرأة والشجاعة لما أمكنه أن يكون صادقا يقول ما يعتقد وان كان مما ينكره
عليه ويكرهه منه أهله وقومه والسواد الاعظم من أهل وطنه، والشاهد على هذا
تصريحه قولاً وكتابة بالآراء التي تخالف عقائد هؤلاء الذين يعيش معهم، والمعروف
أن الخوف من عاقبة قول الصدق، هو الذي يحمل الناس على الكذب، ولذلك
يكثُر في عهد الاستبداد والظلم، ولكننا نرى كثيرا من كبراء الحكام ورؤساء الناس
في بلاد كثيرة يكذبون على رعاياهم ومرؤسيهم، فلا يتجرؤون على التصريح لهم
بما لا يرضيهم، وان كان التصريح خيرا لهم، وهكذا يعيش كثير من أكابر الناس
وأصاغرهم عيشة الكذب والغش والرياء والذفاق لجبنهم وضعف ملكة الاستقلال

فيهم ، ولم يكن شميل مرثيا ولا مناققا بل كان مستقلا شجاعا يقول ما يستقده حق
وصوابا غير هباب ولا وجل

وكان على جرأته وشدته في آرائه رقيق القلب سخي النفس ، فكان اذا ذهبي الى
معالجة فقير يصف اليه مرتاحا ويعالجه مجانا وربما اشترى له الدواء ، وزاده عن الغذاء ،
على انه لم يكن ذا فضل من المال ، واننا نرى كثيرا من الاغنياء البخلاء ، يمتثلون
على أكل أموال الناس حتى الفقراء والادباء ، ونحن أصحاب الصحف قد جربنا
جميع أصناف الناس فوجدنا في كل صنف منهم (حتى علماء الدين وكبار الحكام من
قضاة وغيرهم) اناسا يعتمدون هضم الحق فيمدون جابي الصحيفة ويمطلون ، حتى
تمر الشهور والسنون ، ولا يصدقون ولا يفون . فهل يمكن ان ترتقي أمة الا بزوال
هؤلاء أوزوال النعمة من أيديهم ؟ ان السخي لا يمنع حق أحد ، لان من يعطي
الناس من ماله ما ليس لهم ، لا يعقل ان يمسك عنهم ما هو لهم ، وفي مثل شائع بين
كثير من المسلمين : ان الذي يزكي لا يسرق .

وهنا مسألة مهمة تخفى على كثير من الناس ، وهي ان اكثر مكارم الاخلاق لا تنطبع
في النفس الا بالتربية الدينية ، وتكون عرضة للفساد بالتعطيل والافكار المادية ، فكيف
اقصف الدكتور شميل بتلك الاخلاق الحسنة مع كونه كان ماديا مطلقا ؟ يحتاج بهذه
الشبهة بعض الملاحدة على عدم الحاجة الى الدين قائلين اننا نرى فلانا وفلانا ممن
مرقوا من الدين أفضل أخلاقا وآدابا من المتدينين الذين نرى من رؤسائهم وعلمائهم
من فشا فيهم الكذب والطمع والدناءة والبخل والجبن والرياء والنفاق ، والجواب عن
هذه الشبهة ان فاسدي الاخلاق من المنسوبين الى الدين لم يربوا تربية دينية
صحيحة بل لم يكن لهم حظ من الدين الا الاسم أو تعود بعض العبادات من غير
فهم لحكمتها ولا قيام بحقيقتها ، وان أولئك المعطلين الحسني الاخلاق قد تربوا تربية
دينية تكونت بها أخلاقهم الفاضلة ثم طرأت عليهم فكرة التعطيل في الكبر فلم تطمس
ما طبع في النفس من أخلاقهم ، فقد حدثني الدكتور شميل عن نفسه انه كان في نشأته
الاولى مبالغا في التدين مواظبا على العبادة ، وان فكرة التعطيل ما طرأت عليه الا
بعد سفره الى أوربة ، فقد لقي في فرنسا عالما ماديا قال له كلمة هدمت عقيدته الدينية

هدماه ولم يذكر لي تلك الكلمة. وأقول انها لم تهدم تأثير التربية الدينية في نفسه، ولا ماورثه من أخلاق أهل بيته، ولا عجب فقد ثبت في العلم الحديث ان لكل نوع من المدركات الفكرية والوجدانية مركزا خاصا في دماغ الانسان، وما كل فكر يأخذه المرء بالتسليم يؤثر في أخلاقه وآدابه العملية بل لا بد في هذا التأثير من التربية العملية أو كونه عقيدة يهزم صاحبها مثلا ووجدانا بأن العمل بمقتضاها سمادة، وتركها شقاوة لا تملأ شقاوة، وفكرة الإلحاد ليست كذلك، فهي قد كانت محصورة في مركز صغير من دماغ الدكتور شمیل له صلة بلسانه ولا سلطان له على قلبه، ولذلك كانت تظهر أحيانا في كلامه ولكنها لم تنزع من نفسه ما تربي عليه في بيته من الاخلاق الدينية كالصدق والرحمة والسخاء وغير ذلك»

ثم ذكرت في التابين رأي الدكتور في الاسلام وفي نبينا عليه الصلاة والسلام وقرأت كتابه وأبياته في ذلك وقد تقدم ذكرها في هذه الترجمة

هذا ما أتذكره من كلامي في أخلاق الدكتور شمیل لم أترك منه شيئا ولكنني زدت مسألة الشبهة الاخيرة أيضا لاتي رأيت بعض الناس لم يفهمها حتى قال لي بعضهم ان التابين يقصد به المدح وأنت ذممت الرجل وجعلته مجنوناً، وإنما أخذ جعلي إياه مجنوناً من قولي ان فكرة الكفر والاحاد قد طرأت على دماغه في الكبر، وقد هربت بكلمة المنع بدل الدماغ ففهم ذلك الرجل وغيره من ذلك ما فهموا ولفظوا به ثم دعي الدكتور كخبل الى الكلام في سيرة شمیل الطبية فقرأ خطبة طويلة بالفرنسية بين فيها ذلك. ودعي محمد حافظ بك ابراهيم فأنشد قصيدة بليغة استعاد الجمهور كثيرا من أبياتها مرارا. ودعي أيضا كل من انطون جميل الاديب المشهور وحسن افندي الشريف وهو شاب من أيار وأميل افندي زيدان صاحب الهلال فألقى كل منهما خطبة فصيحة أطرى فيها التقيد إطراء الشاب الممتلىء اعجابا بأرائه وأفكاره ونشاطه وهمة، فدل ذلك على تأثير الرجل في أنفس النابتة الجديدة. ثم قام ابن أخيه رشيد بك شمیل صاحب جريدة البصير فشكر للنادي السوري وللمؤتمنين عليهم، وانقضت الحفلة

عمران بغداد في القرن الثالث

(وصف دار الخلافة فيها)

نشرنا في هذا الجزء اثاراً من تاريخ بغداد العلمي الديني في القرن السادس بعد تخريب التار
لمعراهم ونشر هنا اثاراً أخرى من تاريخ عمراتها قبل ذلك سبق لنا نشره في (ص ٢٨٥ م ١٣)
منقولاً عن تاريخ مدينة السلام للخطيب الحافظ قال

حدثني أبو الحسين هلال بن المحسن قال كانت دار الخلافة التي على شاطئ
دجلة تحت نهر معلّى قديماً للحسن بن سهل ويسمى القصر الحسيني فلما توفي صارت
لبوران بنقه فاستنزلها الممتضد بالله عنها فاستنظرته أياماً في تفرينها وتسليمها ثم رمتها
وعمرتها وجصصتها ويضتها وفرشها بأجل الفرش وأحسنه وعلقت أصناف الستور على
أبوابها وملأت خزائنها بكل ما يخدم الخلفاء به وربت فيها من الخدم والجواري
مائدعو الحالة إليه . فلما فرغت من ذلك انتقلت وراسلته بالانتقال ، فانتقل الممتضد
الى الدار ووجد ما استكثره واستحسنه ، ثم استضاف الممتضد بالله الى الدار مما جاورها
كل ما وسعها به وكبرها وعمل عليها سوراً جمعها به وحصنها وقام المكتفي بالله بعده
ببناء التاج على دجلة وعمل وراءه من القباب والمجالس ما تنهى في توسعته وتعليته ،
ووفى المقتدر بالله فزاد في ذلك وأوفى مما أنشأه واستحدثه وكان الميدان والنرياً وحجر
الوحوش (بستانها) متصلاً بالدار ، كذا ذكر لي هلال بن المحسن أن بوران سلمت الممتضد
الدار الى الممتضد وذلك غير صحيح لأن بوران لم تنش الى وقت الممتضد وذكر محمد
ابن أحمد بن مهدي الاسكافي في تاريخه انها ماتت في سنة احدى وسبعين ومئتين
وقد بلغت ثمانين سنة ويشبه أن تكون سلمت الدار الى الممتضد على الله والله أعلم

حدثني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التوحي قال حدثني أبو الفتح أحمد
ابن علي بن هرون المنجم قال حدثني أبي قال قال أبو القاسم علي بن محمد الجوارري
في بعض أيام المقتدر بالله وقد جرى حديثه وعظم أمره وكثرة الخدم في داره : قد
اشتملت الجريدة الى هذا الوقت على أحد عشر الف خادماً خصي وكذا من صقلي
ورومي وأسود وقال هذا جنس واحد مما تضمه الدار فدع الآن القلمان الحجرية وم
ألوف كثيرة والحواشي من الفحول . وقال أيضاً حدثني أبو الفتح عن أبيه وعمه عن
(المنار: ج ١٠) (٨٠) (المجلد التاسع عشر)

أيهما أبي القاسم علي بن يحيى أنه كانت عدة كل نوبة من الفراشين في دار التوكيل على الله أربعة آلاف فراش ، قالا فذهب علينا أن نسأله كم نوبة كانوا . حدثني هلال بن المحسن قال حدثني أبو نصر خواشادة خازن عضد الدولة قال طفت دار الخلافة عامرها وخرابها وحرمتها وما يجاورها ويتاخمها فكان ذلك مثل مدينة شيراز قال هلال وصممت هذا القول من جماعة آخرين عارفين بخبرين

ولقد ورد رسول اصحاب الروم في أيام المقتدر بالله ففرشت الدار بالفرش الجميلة وزينت بالآلات الجميلة ورتب الحجاب وخلفاؤم والحواشي على طبقاتهم على أبوابها ودهاليزها وممراتها ومخترقاتها وصحونها ومجالسها ووقف الجند صنفين بالثياب الحسنة وتحتهم الدواب بمراكب الذهب والفضة وبين أيديهم الجنائب على مثل هذه الصورة وقد أظهروا العدد الكثير والأسلحة المختلفة فكانوا من أعلى باب الشماسية الى قريب من دار الخلالنة، وبعدهم الغلمان الحجرية والخدم الخواص الدارية والبرانية الى حضرة الخليفة بالهزة الراتقة والسيوف. والمناطق المحلاة وأسواق الجانب الشرقي وشوارعه وسطوحه ومسالكه مملوءة بالعامّة النظارة^(١) وقد كثرت كل دكان وغرفة مشرفة بدراهم كثيرة، وفي دجلة الشذات والطيارات والذباذب والزلاات والسمرات^(٢) بأفضل زينة وأحسن ترتيب وتعبئة، وسار الرسول ومن معه من المواكب الى أن وصلوا الى الدار ودخل الرسول فر به على دار نصر القشوري الحاجب ورأى ضففا كثيرا ومنظرا عظيما فظن أنه الخليفة وتداخلت له هيبه وروعة حتى قيل له انه الحاجب، وحمل من بعد ذلك الى الدار التي كانت برسم الوزير وفيها مجلس أبي الحسن علي بن محمد بن الفرات يومئذ فرأى أكثر مما رآه (عند) نصر الحاجب ولم يشك انه الخليفة حتى قيل له هذا الوزير، وأجلس بين دجلة والبساتين في مجلس قد علقت ستوره واختيرت فروشه ونصبت فيه الدسوت وأحاط به الخدم بالاعمدة والسيوف ، ثم استدعي بعد ان طيف به في الدار الى حضرة المقتدر بالله وقد جلس وأولاده من جانبه فشهد من الامر ما هاله ثم انصرف الى دار قد أعدت له

حدثني الوزير أبو القاسم علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة قال حدثني

أمير المؤمنين القائم بأمر الله قال حدثني أمير المؤمنين القاهر بالله قال حدثني جدي
 أم أبي اسحاق بن المقدر بالله أن رسول ملك الروم لما وصل إلى تكريت أمر أمير
 المؤمنين المقدر بالله باحتباسه هناك شهرين ولما وصل إلى بغداد نزل دار صاعد
 ومكث شهرين لا يؤذن له في الوصول حتى فرغ المقدر بالله من تزيين قصره
 وترتيب آتله ثم صف المسكر من دار صاعد إلى دار الخلافة وكان عدد الجيش
 مئة وستين ألف فارس وراجل ، فسار الرسول بينهم إلى أن بلغ الدار ، ثم أدخل
 في أزج^(١) تحت الأرض فسار فيه حتى قبل بين يدي المقدر بالله وأدى رسالة
 صاحبه ثم رسم أن يطاف به في كل الدار وليس فيها من المسكر أحد البتة وأنما فيها
 الخدم والحجاب والغلمان السودان وكان عدد الخدم إذ ذاك سبعة آلاف خادم
 منهم أربعة آلاف بيض وثلاثة آلاف سود وعدد الحجاب سبع مئة حاجب وعدد
 الغلمان السودان غير الخدم أربعة آلاف غلام قد جماعوا على سطوح الدار والعلالي
 وفتحوا الخزان والآلات فيها مرتبة كما يفعل بخزائن العرائس وقد علق الستور
 ونظم جوهر الخلافة في قلابات على درج خشيت بالديباج الأسود .

ولما دخل الرسول إلى دار الشجرة ورآها كثير تعجبه منها وكانت شجرة من
 الفضة وزنها خمس مئة ألف درهم عليها أطيار مصنوعة من الفضة تصفر بحركات كده
 جعلت لها فكان تعجب الرسول من ذلك أكثر من تعجبه من جميع ما شاهده .
 قال لي هلال بن الحسن ووجدت من شرح ذلك ما ذكر كاتبه أنه نقله من خط
 القاضي أبي الحسين بن أم شيبان الهاشمي وذكر أبو الحسين أنه نقله من خط الأمير
 وأحسبه الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقدر بالله قال كان عدد ما علق في
 قصور أمير المؤمنين المقدر بالله من الستور الديباج المذهبة بالطور المذهبة الجليلة
 المصورة بالجامات والفيلة والتخيل والجمال والسباع والطيور والستور الكبار البهناوية
 والأرمية والواسطية والبهنسية السواجج والمنقوشة والديباجة المطرزة مائة وثلاثين ألف
 متر — منها الستور الديباج المذهبة المتقدم وصفها اثني عشر ألفاً وخمسة مئة متر —
 وعدد البسط والنخاخ^(٢) الجهرية والدرابجردية والدورقية في الممرات والصحون التي

(١) بيت مستطيل أحسن من النفق (٢) السوابب الانخاخ وهو ضرب من البسط

وطي عليها القواد ورسل صاحب الروم من حد باب العامة الجديد الى حضرة المتقدر بالله سوى ما في المقاصير والمجالس من الاماط الطبري والديقي التي لحقها النظر دون الدوس اثنان وعشرون ألف قطعة، وادخل رسل صاحب الروم من دهليز باب العامة الاعظم الى الدار المعروفة بخان الخليل وهي دار أكثرها أروقة بأساطين رخام وكان فيها من الجانب الايمن خمس مئة فرس عليها خمس مئة مركب ذهباً وفضة بنير أفضية ومن الجانب الايسر خمس مئة فرس عليها الجلال الديياج بالبراقع الطوال وكل فرس في يد شاكري بالبنة الجميلة ثم أدخلوا من هذه الدار الى الممرات والدهاليز المنصلة بحير الوحش وكان في هذه الدار من أصناف الوحش التي أخرجت اليها من الحير قطعان تقرب من الناس وتشمهم وتأكل من أيديهم. ثم أخرجوا الى دار فيها أربعة فيلة مزينة بالديياج والوشي على كل فيل ثمانية فقر من السند والزرايين بالنار فحال الرسل أمراء، ثم أخرجوا الى دار فيها مئة سبع : خمسون بمئة وخمسون بسيرة كل سبع منها في يد سباع وفي رؤوسها وأصناعتها السلاسل والحديد ثم أخرجوا الى الجوسق المحدث وهي دار بين بستانين في وسطها بركة رصاص قلعي حوالها نهر رصاص قلعي أحسن من الفضة المجلوة ، طول البركة ثلاثون ذراعاً في عشرين ذراعاً ، فيها أربع طيارات لطاف بمجالس مذهبة مزينة بالديقي المطرز وأفضيتها ديقي مذهب وحوالي هذه البركة بستان بمادين فيه نخل قيل ان عدده اربع مئة نخلة وطول كل واحدة خمس أذرع قد لبس جميعها ساجاً منقوشاً من أصلها والى حد الجمة آارة بملقى من شبه مذهبة وجميع النخل حامل بفرائب البسر الذي أكثره خلال لم يتغيره ، وفي جوانب البستان اترج حامل ودسنبو ومقنع وغير ذلك ثم أخرجوا من هذه الدار الى دار الشجرة وفيها شجرة في وسط بركة كبيرة مدورة فيها ماء صاف وللشجرة ثمانية عشر غصناً لكل غصن منها ساحات كبيرة عليها الطيور والمصافير من كل نوع مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة وبعضها مذهب وهي تتمايل في أوقات ولها ورق مختلف الالوان يتحرك كما تحرك الريح ورق الشجرة وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر وفي جانب الدار بمئة البركة تتمايل خمسة عشر فرساً على خمسة عشر فرساً قد ألبسوا الديياج وغيره وفي أيديهم

مطاردة على رماح يدورون على خط واحد في النوراد خبيا وتقريبا وفي الجانب الايسر مثل ذلك ،

ثم ادخلوا الى القصر المعروف بالفردوس فكان فيه من الفرش والآلات ما لا يحصى ولا يحصر كثرة ، وفي دهايز الفردوس عشرة آلاف جوشن مذهبة معلقة ثم اخرجوا منه الى ممرطوله ثلاث مئة ذراع قدعاق من جانبيه نحو عشرة آلاف درقة وخوذة وبيضة ودرع وزردية وجعبة محلاة وقسي ، وقد اقيم نحو الف خادم بيضا وسودا صفيين يمنة ويسرة ثم اخرجوا بعد ان طيف بهم ثلاثة وعشرين قصرا الى الصحن التسميني وفيه العلمان الحجرية بالسلاح الكامل والبزة الحسنة والهيئة الرائعة وفي ايديهم الشروخ والطبرزيات والاعمدة. ثم مروا بمصاف من عليه السواد من خلفاء الحجاب والجنود والرجال واصاغير القواد ودخلوا دار السلام. وكانت عدة كثير من الخدم الصقالية في سائر القصور يستقون الناس الماء المبرد بالتاج والاشربة والفقاع ومنهم من كان يطوف مع الرسل ولطول المشي بهم جلسوا واستراحوا في سبعة مواضع واستسقوا الماء فسقوا وكان ابو عمر عدي بن احمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية معهم في كل ذلك وعليه قباء أسود وسيف ومنطقة ووصلوا الى المقنن بالله وهو جالس في التاج مما يلي دجله بعد ان لبس بالثياب الدبيقية المطرزة بالذهب على سرير آبنوس قد فرش بالديقي المطرز بالذهب وعلى رأسه الطويل ومن يمنة السرير تسعة عقود مثل السبح معلقة ومن يسرته تسعة اخرى من انحر الجواهر واعظمها قيمة غالبية الضوء على ضوء النهار وبين يديه خمسة من ولده ثلاثة يمنة واثنان يسرة. ومثل الرسول وترجمانه بين يدي المقنن بالله فكنة رله (اي سجد) وقال الرسول لمؤنس الخادم ولصهر القشوري وكانا يترجمان عن المقنن لولا اني لا آمن ان يطالب صاحبكم بتقبيل البساط لقبائه وان كنتني فعلت ما لا يطالب رسولكم بمثله لان التكفير من رسم شريعتنا ، ووقفا ساعة وكانا شابا وشيخا قال شاب الرسول المتقدم والشيخ الترجمان وقد كان ملك الروم عقد الامر في الرسالة للشيخ متى حدث بالشاب حدث الموت ، وناوله المقنن بالله من يده جواب ملك الروم وكان ضحما كبيرا فتناوله وقبله إعظاما له واخرجا من باب الخاصة الى دجلة واقعدا وسائر اصحابهما في شذا من الشداوات الخاصة وصعدا الى حيث أنزلا فيه من الدار المعروفة بصاعد وحمل اليهما خمسون بدرة ورقا في كل بدرة خمسة آلاف درهم وخلع على أبي عمر عدي الخلع السلطانية وحمل على فرس وركب على الظهر وكان ذلك في سنة خمس وثلاث مئة اه

خاتمة السنة التاسعة عشرة للمنار

بحمد الله تعالى نختتم المجلد التاسع عشر جامعين حججه وعدد أجزائه كما بينا في خاتمة المجلد الذي قبله لأن الورق قد قل وروده وزاد ضلله عنه حتى ان ما كنا نشتره قبل الحرب بمئة قد صار ثمن مثله أربعائة أو خمسمائة وقد جرىنا في إصدار أجزاء هذا المجلد على ترتيب الشهور الذي اضطررنا اليه في العام الماضي حتى اننا بدأنا بطبع هذا الجزء في الشهر السادس من سنة ١٣٣٥ إذ كان هو الشهر العاشر لسنة المجلد التي كان بدؤها شهر شعبان سنة ١٣٣٤. ولكننا اضطررنا بعد طبع أكثره الى تأخير إصداره الى شعبان، وكان من أسباب ذلك وعكة عرضت لنا، وتلتها وثأة أصابت يدنا الجني، وهنهما مرض عرض لمن يتوقف عليه العمل في المطبعة، وأقوى الأسباب اني لم أكن أكره مثل هذا التأخير في هذه السنين النحسات التي حجب فيها المنار عن قرائه في بلاد كثيرة فقلت الاستفادة منه وقل دخله من حيث كثرت نفقته ونفقتنا، لم أكن أكره هذا ولم أكن أتعمده، فلما عرضت الأسباب له لم أجتهد في مقاومة ما يمكن مقاومته منها، فاذا رحم الله تعالى البشر فحرف عنهم شر هذه الحرب عن قريب وعادت المياه الى مجاريها فلنا الرجاء بأن تتدارك ما فات بإصدار جزئين في كل شهر الى ان تعود سنة المنار الى ما كانت عليه من غير ان تنقص مجلداته عن عدد سنه القمرية واذا أراد الله ان يطول أجل الحرب فالارجح ان تعتمد تأخير بعض الاجزاء من المجلد العشرين الى ينتهي بانتهاء سنة ١٣٣٦ فيضيع بذلك مجلد من حساب السنين القمرية، ولا تلبث مجلدات المنار أن توافق عدد سنهها الشمسية، ونحن إنما نتقاضى اشتراك المنار عن المجلدات لا عن السنين فلا يضر المشتركين تأخر بعض الاجزاء. على ان بدء المجلد العشرين سيكون في التاريخ الذي بدء فيه المجلد التاسع عشر فلا تأخير جديد هذا وان ما كنا قد ادخرناه من الورق لهذا المجلد قد اضطررنا الى استعمال بعضه لمطبوعات أخرى (كذكري المولد النبوي) فلم يكن كافيا، وقد رفقنا لابتياح

طائفة أخرى من ورق خبير من ورقه لاجل المجاد العشرين تكفيه اذا صدر بحجم هذا المجاد فلا يخشى ان يتوقف صدوره من عدم الورق وان انقطع الوارد عن مصر انقطاعا تاما ، وليس هذا الانتقاد بعيدا اذا اشتدت وطأة الحرب فقد علمنا من أخبار أوربة أن أعظم دول الصناعة تشكو من قلة الورق وقد نقصت صحفها من عدد أوراقها وقيل ان بعضها سيحتجب أو يبطل صدوره ، فما انقول في بلادنا التي تجلب كل الورق الذي تحتاج اليه من أوربة وقد تضاعف ثمنه هنالك ونضاعفت اجرة نقله ، وما كل ما ينقل يصل بل تفرق الغواصات بعض السفن التي تحملها ، فعمسى ان يكون علم المشتركين بهذه الاحوال باعنا لهم على أداء قيمة الاشتراك بلا مطال ولا تسويق ونذكر المشتركين الكرام بشيء ربما يفعل الكثيرون عنه ، هو نفقة الجباة أو وكلاء التحصيل فان الذي كان يرضى بعشرين في المئة مما يجمعه أصبح لا يرضى بخمسة وعشرين ، وقد طاف بعض اخواننا في بعض البلاد طوفة للتحصيل على نفقتنا فبلغت نفقته أربعين في المئة مما جمعه ، وواليته جمع من كل مدينة أو قرية جميع ما يطلب من مشتركها واستغنى عن العودة اليها بقية العام . كلا ان بعضهم لوى وسوف وطلب النظرة مع الميسرة لا اليها ، فاذا كان أهل كل بلد لا يؤدون ما عليهم الا بعد ان يسافر اليهم الجابي مرارا يمثل تلك النفقة أو بما دونها قليلا فماذا يبقى لصاحب الصحيفة في مقابلة سائر النفقات ثم ماذا يبقى له بعدها في مقابلة عمله لاجل نفقته ؟ فن تأمل هذا نهاء قلبه (ضميره) أن يسوف في أداء ما عليه ، وأن يلجئ الجابي الى تكرار امودة اليه ، وان كان قد اعتاد الارجاء والتسويق

الانتقاد على المنار

لم يكتب البنا في هذه السنة انتقاد ما على شيء من مباحث المنار الا ما كتبه بعض اخواننا من اخبارنا بكرهه كثير من الناس لما يكتب في المنار من الفلسفة السياسية (كذا كتب بعضهم) وقد كلنا غير واحد من الاخوان في ذلك مشافهة وصرحوا بأن ما يكرهون من المنار هو طعنه في الحكومة التركية الانمادية هل هلاقتها التي يصدق اخبارها السوءى بعضهم دون بعض ، وتأيدته للحركة العربية الحمجازية . وقد أجبت عن هذا الانتقاد بأنني كتبت في ذلك ما أعتقد انه حق

وان بيانه واجب علي ملتي وأمتي وسيعلم من لا يكره أن يعلم انني كنت ناصحا مخاضا
وعلى حق و صواب، وقد كنت كتبت لهذا الجزء مقالة تاريخية طويلة للمسألة العربية بينت
فيه اخلاص العرب للدولة الى ان اضطرتهم الحكومة الاتحادية الى ما اضطرتهم اليه من
مقاومة بفهمهم، ضاق عنها هذا الجزء وستنشر في الاول من المجلد العشرين ان شاء الله تعالى
وانتقد بعض الاخوان والمحبين شدة العبارة التي انتقدنا بها بعض الشبان الذين
ذهبوا الى الحجاز وأخلوا فيه بالواجبات و فاهوا بالمنكرات قائلين ان بعض الناس قد
أولوها بغير ما قصد بها من النصح ثم علمنا ان ذلك التأويل كان في بلد نحن من
أشد الناس اخلاصا له وغيره عليه اذ عد الانتقاد طعنا في حكومة الحجاز نفسها .
واقترح علينا ان نصرح بفرضنا من ذلك النقد فتقول :

إننا لم نكن نظن انه يخطر ببال أحد يقرأ المنار أو يعرف مشربنا في الجملة اننا
نقصد بتلك العبارة غير النصح لمن اعتادوا التهاون بأمور الدين ان يراهوا الفرق بين
البلاد المقدمة وغيرها وان لا يجهلوا أنفسهم حجة لاهل الحجاز — ولا لغيرهم —
على رجال النهضة الجديدة وطلاب الاصلاح للامة العربية فتبطل الثقة بهم ، وربما
يكون سببا لسوء الظن بالحكومة العربية الجديدة اذا انتظم أولئك المنتقدون فيها
على ان ما حكيناه عن بعضهم كان قبل تأسيس هذه الحكومة فليس في عبارة الانتقاد ذكر
لها ولا لكون المنتقدين انتظموا في سلك خدمتها وكلامنا صريح في هذا لا يكاد يتبادر الى
الذهن غيره ، وقد كنا نسدي مثل هذه النصيحة لمن نراه من أولئك الشبان قبل
سفرهم ولكن يتعذر رؤية كل من يسافر لهذا الغرض فتعين النصح بالكتابة، ونحن العرب
أحوج الناس الى الوحدة والاتفاق ونبذ الخلاف والشقاق والاجتهاد في جمل الحكومة
التي نجددت لنا في أحسن حال ممكنة، وهذا ما نقصده من نصحننا والله يعلم حسن نيئنا
ونقل اليئنا ان بعض الناس استنبط من عبارة المنار في هذا الموضوع اننا نقول
بوجوب لباس الاحرام على كل من يسافر الى مكة ولو بقصد التجارة، وهذا من سوء
الفهم، ومعاذ الله أن نقول بذلك، وإنما يجب لباس الاحرام على من قصد الحج أو
العمرة دون غيره. ومن شأن المتدين أن يفتمن فرصة ذهابه الى الحرم فيحج أو يعتمره
وأصل الله تعالى ان يوفق كلاً منا لقيام بما يجب عليه، والاخلاص فيه، والحمد لله أولاً وآخراً.